الأستاذ الدكتور
سعدون محمود الساموك

موسوعة الأديان والمعتقدات القديمة

الجزء الأول

العقائد



موسوعة الأديان والمعتقدات القديمة

الجزء الأول

العقائـــد

بسم الله الرحمن الرحيم

دار المناهج للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

١٤٢٢ هـ ٢٠٠٢ م

رقم الإجازة المتسلسل لدى دائرة المطبوعات والنشر	٢١١٣ /٢٠٠١/١١
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبات والوثائق الوطنية	٢٣٦٢ /٢٠٠١/١١

عمان - الأردن - شارع الملك حسين - بناية الشركة المتحدة للتأمين

هاتف ٤٦٥٠٦٢٤ فاكس (٠٠٩٦٢٦) ٤٦٥٠٦٢٤

ص.ب - ٢١٥٣٠٨ عمان ١١١٢٢ الأردن

موسوعة

الأديان والمعتقدات القديمة

الجزء الثاني

العقائد

تأليف

أ.د. سعدون محمود الساموك

أستاذ الأديان — جامعة بغداد — سابقاً

دار المناهج للنشر والتوزيع

المحتويات

الباب الأول

أصل الأديان

"الديانات القديمة، البائدة والحيّة"

الفصل الأول

نظريات في أصل الديانات

الفصل الثاني

"الديانات القديمة ـ البائدة"

الفصل الثالث

"الديانات القديمة الباقية - الحيّة"

الباب الثاني

الأديان السماوية السابقة للإسلام

اليهودية — الصابئية — النصرانية

الفصل الأول

الديانة اليهودية

الفصل الثاني

الديانة الصابئية

الفصل الثالث

الديانة النصرانية

المقدمة

الحمد لله الذي (علم الإنسان ما لم يعلم) والصلاة والسلام على رسوله الأمين الذي قال (أطلب العلم ولو في الصين).

لقد نزل القرآن الكريم ليكون شريعة المجتمع الإسلامي. إذ احتوى جملة أمور منها:

١- الأمور الاعتقادية الواجب اتباعها.

٢- قصص من قبلنا لتكون لنا عبرة نتعض بها.

٣- الأحكام التشريعية التي يقوم عليها الدين الإسلامي الحنيف.

ولقد عرفنا القرآن الكريم بأديان الناس منذ خلقهم الله تعالى وحتى اليوم.. فقال تعالى : **﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا﴾** (الحج /١٧).

فكانت الآية الكريمة تلك جامعاً لكل ما يدين به البشر.. وكتابنا هذا يقتدي بالآية المذكورة.. فانقسم إلى ما بين:

الباب الأول: يجمع ما تعنيه الآية (بالذين أشركوا).. فابتدأت فيه بتعريف الدين. وما يعتقده الوضعيون من نظريات في أصل الدين.. ثم عرجت على كل دين من الأديان القديمة والمعروفة والتي تقسم إلى قسمين:

القسم الأول منها: وهي الأديان البائدة.. أي التي تركت لنا عقائدها وأفكارها وباد أصحابها.

أما **القسم الثاني:** فهي الأديان القديمة "الوضعية" التي لا زال لها أتباع يعيشون إلى اليوم ويمارسون شعائرها وطقوسها وبين هذه وتلك أديان قد تكون سماوية

(كالمجوسية) حيث أفرد الله تعالى ذكرها بين الديانات السماوية وميزها عن أديان الذين أشركوا ولكنها دخلت في التحريف والتغيير فصارت مادتها (عقيدة وشعائر) بين الأديان الوضعية. لذلك وضعتها بين الأديان الوضعية القديمة.

أما الباب الثاني: فقد أفرد للأديان السماوية التي سبقت الإسلام.. وهي اليهودية والنصرانية.. وقد وجدت في خلال دراستي لديانة الصابئة.. أنها تحتوي كل معاني التوحيد وأن هنالك إساءة فهم لعبدة الكواكب الذين أطاق عليهم خطأ اسم (الصابئة الحرانية) وليست هنالك حقيقة لوجودهم.. لأن المندائيين هم الذين سكنوا حران لوهلة من التاريخ ثم هجروها وأهل حران كانوا عبدة للكواكب.. بينما يجعل المندائيون النجم القطبي.. قبلتهم بسبب (ثباته) حسبما يعتقدون.. وهم يتعبدون (الله) وليس النجم المذكور.

ولكثير من الأسباب التي ذكرتها في عرضي للصابئة المندائية.. فقد جعلت الديانة تلك بين الديانتين اليهودية والنصرانية لكون النبي يحيى عليه السلام قد عاش بين التاريخين وهو آخر أنبياء الصابئة كما يذكرون. فإن أصبت في اجتهادي هذا كتب الله لي فيه الأجر إن شاء الله.

وسأتناول في هذا الكتاب جملة أمور:

الأول: لمحة تاريخية للأديان منذ ظهورها وحتى العصر الحاضر.

الثاني: عقائدها التي تتميز بها متمثلة بالألوهية والنبوة و اليوم الآخر وبعض من المعتقدات الأخرى.

الثالث: شعائرها وأعيادها (دون الخوض بالعبادات).

الرابع: كتبها المقدسة.

وكلي أمل في أن يأخذ هذا الكتاب مكانه بين الكتب الأخـرى. وأن يكـون مرجعاً علمياً لمن يهتم بالدراسات الدينية والأديان المقارنة لأن التعرف عليها أصبـح ضرورة في عصر الاكتشافات العلمية وشبكات الاتصالات الحديثة..

والله أسأل أن يوفقني في عملي هذا وأن أفيد به

الأستاذ الدكتور سعدون محمود الساموك

الباب الأول

أصل الأديان

(الديانات القديمة البائدة والحية)

الفصل الأول

نظريات في أصل الديانات

- موضوع علم الأديان
- تعريف الدين
- تصنيف الأديان
- أصل الدين ومصدره
- الاتجاه الأول (المذهب الوضعي)
  - نظرية عبادة مظاهر الطبيعة
  - نظرية عبادة مظاهر الروح
  - النظرية التوتمية
  - نظرية التوحيد الفطري
  - نظرية اندرولانج
  - نظرية شميدت
- الاتجاه الثاني (مذهب الوحي)

علم الأديان

يبحث علم الأديان عن منشأ الأديان وتطورها، وفي الأسس التي ترتكز إليها الأديان المختلفة وفي أوجه الاتفاق أو الاختلاف فيما بينها. وبعبارة أخرى: أنه يناقش تاريخ الأديان ويوضح فلسفتها ويوازن بينها.

فتاريخ الأديان: يبحث عن نشأة المعتقدات الدينية وتطورها ومرتكزاتها لدى الشعوب البدائية المتخلفة والشعوب المتمدنة فالغرض إذن من دراسة تاريخ الأديان هو معرفتها.

وأما فلسفة الأديان: فإنها تبحث في العلاقات بين الأسس التي تستند إليها الأديان المختلفة وفي الغايات التي تهدف إليها. ويدخل ضمن مباحثها علم ما وراء الطبيعة، وعلم الكلام أو "اللاهوت" وعلم التصوف[1].

وأما مقارنة الأديان أو "تاريخ الأديان المقارن" فإنه يدرس خصائص ومميزات كل دين، ويوازن بينها وبين خصائص ومميزات الأديان الأخرى.

(١) انظر: العميد طه الهاشمي تاريخ الأديان وفلسفتها ص١٦-١٨. والدكتور محمد كمال إبراهيم جعفر، في الدين المقارن، ص١٦٥-١٧٣.

تعريف الدين:

ليس بين المؤسسات البشرية مؤسسة تضاهي الدين في سيطرته على نفسية الفرد وزجره وكبح جماح شهواته، سواء أكان الفرد بدائيا أو متمدنا.

فالدين بنى كيانه منذ نشأته على الحلال والحرام.

فالحرام ما لا يجوز مسه أو التقرب منه أو أكله. وحمل الفرد على الاعتقاد بأن من يخالف هذا التحريم يأثم ويستحق العقاب.

والحلال ضد الحرام وقد أوضحه الدين، وبين موارده، ونظم أموره.

وبتعيين أدق وأشمل أن للدين -أي دين- أوامر ونواهي يحظر بعضها أفعالا معينة ويأمر بعضها الآخر بالقيام بأعمال أخرى. ومن يمعن النظر في هذه الأوامر وتلكم - النواهي يجد أنها في جملتها إنما جاءت لخير البشر وتحقيق مصالحهم، ودفع المفاسد عنهم ولا سيما السماوي منها.(١)

وتعريف الدين من هذا المنطلق يشمل أي دين دون الذهاب إلى أحدها دون الآخر وبغض النظر عن كون الدين المعرف صحيحا أم باطلا: لأننا حين نتكلم عن الدين فإننا نعطي له مفهوما واحدا هو "تلك المعتقدات والشعائر التي تمارسها الأقوام بدائية كانت أم متحضرة" وسنستعرض هنا مجموعة آراء وتعريفات للدين وضعها علماء في شتى مجالات العلوم.

ويلاحظ أن معظم هؤلاء العلماء يتفقون على أن المهم هو تحديد عناصر مشتركة لكافة الأديان لنخرج بتعريف شامل للدين - فمثلاً تقوم جميع الأديان على أساس تصنيف الأشياء إلى أمرين متضادين نسميها في الاصطلاح "قدسي" و"دنيوي" -غير قدسي- ومن تلك العناصر المشتركة: - الرجاء والخوف والقرابين والطقوس

---

(١) انظر: الهاشمي، تاريخ الأديان وفلسفتها ص١٠، والدكتور أحمد الخشاب، الاجتماع الديني، ص١١.

والمعتقدات... ولقد وضع العالم الاجتماعي "موريس جاستروف" ثلاثة قواعد لتعريف الدين هي:

١- شعور الناس بوجود قوة أو قوى متعددة أعظم منهم شأناً وغير مسخرة لهم.

٢- اعتقاد الناس بأن لهم صلة بهذه القوة أو القوى.

٣- سعي الناس إلى إيجاد واسطة لتوثيق هذه الصلة(١).

وتنطبق هذه القواعد الثلاث على كافة الأديان بسيطة كانت أم كاملة بائدة أو حاضرة وفي هدي ذلك عرف "جاستروف" الدين بأنه:

"اعتقاد البشر بقوة أعظم منه تقوده ولا تنقاد إليه"

وعلى هذه الأسس أيضا خرج كثير من العلماء الغربيين بتعاريف للدين نستعرض جملة منها(٢).

١- الدين هو الإيمان بمخلوقات روحية أو الاعتقاد في الموجودات الروحية.

٢- الدين هو عبادة القوى العليا للحاجة لها.

٣- الدين هو وجود الله في روح الإنسان.

٤- الدين هو المحافظة على القيم.

٥- الدين هو مجموعة القيم والعقائد والشعائر التي يمارسها الناس كل بطريقته الخاصة.

٦- الدين هو وعي بالقيم الاجتماعية العليا.

---

(١) انظر الهاشمي، تاريخ الأديان (ص٢٩-٣٠) ورأي مور (Moore) في – The World's Religions Charles S. Barden (p.22) Charles Braden (P,22)

(٢) انظر: الدكتور جعفر، في الدين المقارن ص ٢٠-٢٥ والهاشمي، تاريخ الأديان، ص٢٥-٣٠. والدكتور محمد عبد الله دراز، الدين، ص٢٩، وكذلك: Charles S.Braden (p.16-18)

٧- الدين هو الطريقة التي تظهر بها ردود أفعال الإنسان تجاه الحياة حينما تكون ردود الأفعال هذه منبعثة من سمو نفس متأثر بسحر قوة أعظم من الإنسان نفسه.

٨- الدين مجموعة من المطامح الروحية التي ترفض الانصياع والخضوع للعالم الحسي وتزيل البواعث والضغوط التي تشدنا إليه شداً.

٩- الدين هو المشتمل على الاعتراف بواجباتنا كأوامر الهيبة.

١٠- الدين هو الاعتقاد بوجود كائن لا يدركه العقل موجود في كل مكان.

وأما في اللغة العربية فللدين معان متعددة منها:

الجزاء، الحساب، العادة، العبادة، الطاعة، الملة، ما يعبد به الله[(١)] وقد عرف في الاصطلاح الإسلامي بأكثر من تعريف إلا أنه يلاحظ أنها تكاد تكون متحدة في معناها وإن اختلفت في ألفاظها منها:

١- الدين: وضع إلهي سائق لذوي العقول باختيارهم إياه إلى الصلاح في الحال والفلاح في المآل[(٢)].

٢- الدين: وضع إلهي يدعو أصحاب العقول إلى قبول ما هو عند الرسول[(٣)].

٣- الدين: وضع إلهي يرشد إلى الحق في الاعتقادات وإلى الخير في السلوك والمعاملات[(٤)].

٤- الدين: ما شرع الله لعباده على لسان رسله[(٥)].

وقد سوى كثير من علماء الإسلام بين الدين والملة واعتبروهما متحدين بالذات

---

(١) انظر: الفيروز أبادي، القاموس المحيط.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية، ج٩، ص٣٦٨، والتعريف ما هو عن كشاف اصطلاحات الفنون ص٥٠٣.

(٣) الجرجاني، التعريفات ص٩٤.

(٤) دراز، الدين، ص٢٩.

(٥) محمد علي ناصر ، أصول الدين الإسلامي، ص٤.

مختلفين بالاعتبار، لأن الشريعة من حيث أنها تطاع تسمى دينا، ومن حيث أنها تجمع تسمى ملة. وفرق البعض بينهما وقالوا: أن الدين ما ينسب إلى الله والملة ما تنسب إلى الرسول.

وفي ختام استعراضنا لجملة من تعريفات الدين لدى مختلف العلماء نلحظ:

١- ليس في تلك التعريفات جامع مانع للدين من حيث هو دين. والواقع أنه من المتعذر وضع تعريف عام شامل لجميع الأديان: بدائية. وكاملة وطبيعية وسماوية وذلك لأن لكل دين خصائصه ولأن مفهوم الدين يختلف من طائفة إلى أخرى، تبعا لاختلاف معتقدات تلك الطائفة أو الشعوب ونزعاتها ومكانها في سلم الحضارة. فالأقوام البدائية تفهم الدين على وجه لا تفهمه الأقوام المتقدمة في الحضارة.

٢- إن كل تعريف على حده يحمل وجها أو أكثر من وجوه الصواب بصدد نقطة أو أكثر من نقاط الدين وكل تعريف على حدة يشهد بنقص كل تعريف آخر على حدة ويجمعها كلها أنها -مجتمعة- ليست عرضا تماما وأمينا، أو شرحا وافيا أو وصفا دقيقا للدين.

إن ظاهرة الدين أكثر تعقدا وتشابكا وشمولاً لجوانب عديدة من أن تعرف تعريفا مختصرا مركزا ولذا يجب من البدء أن نفهم مصطلح الدين بأوسع معنى يتناسب مع استعماله التقليدي المأثور.

ومعنى ذلك أن كل شيء يقع في نطاق الديانات الفعلية عبر التاريخ يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار عند فهم المدى الذي يتسع له هذا اللفظ كما يجب ألا نغفل في هذا الصدد أي عنصر نعتقد أهميته في الارتباط بهذه الظاهرة الجليلة[1].

---

(١) د. محمد كمال جعفر، في الدين المقارن، ص٢٤، والهاشمي، تاريخ الأديان، ص٢٥.

تصنيف الأديان:

لغرض تسهيل دراسة الأديان ذهب كثير من العلماء إلى تصنيفها كل باصطلاحاته المختلفة. فذهب هيجل إلى أن الأديان منها ما هي:

أديان طبيعية أو فطرية وهي الأديان البدائية وأديان الأقوام المتأخرة[١]، وجعل منها دين الصينيين والبرهميين ودين الفرس ودين المصريين.

أديان ملهمة أو موحى بها وعد منها اليهودية والإسلام.

أديان مطلقة أو كاملة وقد أدخل المسيحية ضمن هذا المعنى[٢].

وصنفها بعض العلماء إلى:

أديان أخلاقية وهي أديان الأقوام البدائية وبعض الأديان الشرقية.

أديان منقذة (Karismatic) وأدخلوا فيها البوذية والمسيحية.

وقد اعتبر (سيبك) أحد علماء الاجتماع الديني، الدين الإسلامي من الديانات الأخلاقية.

وصنفها بعض آخر إلى أديان "عالمية" وأديان "قومية أو محلية" واعتبروا المسيحية والإسلام من الصنف الأول لأنهما دينان تبشيريان واليهودية والأديان الشرقية القديمة والبدائية من الصنف الثاني.

---

(١) من المهم معرفة أن كثيرا من الاختبارات والنظريات الدينية الاجتماعية أخذت عن طريق دراسة الأقوام المتخلفة التي تعيش في القرن الحالي إلا أن طريقة حياتها لا زالت بدائية ومن تلك الأقوام أقوام تعيش في مجاهل استراليا أو أمريكا اللاتينية أو أفريقيا حيث أن كثيرا من معتقداتها وطقوسها بدائية ويفترض أنها لم تتطور كثيرا عن العصور المتحجرة القديمة.

(٢) من المعلوم جيدا أن الكنيسة دخلت في حروب داخلية عنيفة أدت إلى انشقاقاتها المختلفة والتي لا زالت تحدث إلى اليوم في كل العالم المسيحي بسبب ضعف المعتقد الديني أو عدم تكامل المسيحية كدين بينما يصنفها هيجل ضمن الأديان الكاملة أو المطلقة.

أما العلماء المسلمون فقد صنفوا الأديان إلى:

١- أديان صحيحة وهي الأديان الموحى بها من عند الله والتي تطلب من معتنقيها أن يعبدوا إلهاً واحداً لا إله غيره وتأمرهم بالتحلي بالأخلاق الفاضلة وتلزمهم بجملة من العبادات والطقوس والشعائر.

٢- أديان باطلة، وهي الديانات الأرضية "الوضعية" أي التي قام بوضعها البشر، سواء أكانوا أفراداً أم جماعات، لسياسة الناس وتنظيم أمورهم وسمى مؤرخو الأديان من المسلمين الأمم التي تدين بالدين الصحيح "أهل الملل" وسموا معتنقي الأديان الباطلة "أهل النحل" ومن هؤلاء الشهرستاني في كتابه "الملل" وابن حزم في كتابه "الفصل في الملل والأهواء والنحل" واعتبر الشهرستاني المجوس واليهود والنصارى والمسلمين من أهل الملل، أما الصابئة والوثنيون وعبدة النجوم والبراهمة فقد اعتبرهم من أهل النحل(١).

أصل الدين ومصدره:

يرى ماكس موللر "أن الدين قوة من قوى النفس وخاصية من خواصها وأن البشر بتأثير هذه القوة وبأسماء ورموز مختلفة متعددة تأهبوا لإدراك الأسرار الغامضة وأن فكرة التعبد من الغرائز البشرية التي فطر عليها الإنسان منذ نشأته الأولى.

ويرى كثيرون ومنهم "بنيامين كونستان" أحد مؤرخي الأديان: أن الدين من العوامل التي سيطرت على البشر وأن التحسس الديني من الخواص اللازمة لطبائعنا

---

(١) انظر: عبد الكريم الشهرستاني، الملل والنحل بهامش الفصل ج١، ص٤٤. والهاشمي، تاريخ الأديان وفلسفتها ص٣٠-٣٣ وابن حزم، الفصل ج١، ص٩٥. ومن كلامه: أن هذه الشرائع (لا تخلو من أحد وجهين: أما أن تكون صحاحا من عند الله عز وجل- الذي هو خالق العالم ومديره- كما يقول أصحاب الشرائع وأما أن تكون موضوعة باتفاق من أفاضل الحكماء لسياسة الناس بها وكفهم عن التظالم والرذائل).وقد ابطل ابن حزم الفرض الثاني.

الراسخة ومن المستحيل أن نتصور ماهية الإنسان دون أن تتبادر إلى ذهننا فكرة الدين.

ويعتبر علماء الاجتماع الدين من أهم القواعد التي قام عليها بنيان المجتمع البشري وأنه قمة النماذج الخلقية المثالية التي يتقبلها المجتمع لرسم العلاقات الاجتماعية على أسس إنسانية واقعية(١).

وفي دراسة نظريات العلماء الوضعيين في اصل الدين ومصدره نرى أن بعضهم كالعالم الاجتماعي "موريس جاستروف" قد وصل إلى ما وصل إليه الإمام الغزالي: من أن الدين هو حاجة فطرية "أي حاجة الناس منذ أول نشأتهم إلى معبود يتقربون إليه(٢).

وقد أيد فكرة "الغريزة الدينية" كثير من علماء النفس وخرجوا بنتيجة هامة هي: "ضرورة الحاجة إلى مبدأ ديني أو أخلاقي ليضبط الإنسان إذا أريد له ألا تكون نفسه مسرحا للصراع المحتدم والفوضى التعسة"(٣).

وبعد أن أشرنا إلى أن الدين حقيقة واقعة في كل التجمعات الإنسانية على اختلاف مستوياتها الثقافية والحضارية فإننا نجد أنفسنا مسوقين إلى التساؤل عن أصل الدين ومصدره كيف بدأ الدين؟ وما العوامل التي أعانت على تطوره -في حدود الفهم الصحيح لفكرة التطور الدينية- ثم إلى وضعه في هذه القوالب المعهودة؟

---

(١) الهاشمي، تاريخ الأديان ص٣٥، والخشاب، الاجتماع الديني، ص١٤.

(٢) انظر: The World's Religions, Charles Barden

فصل أصل الأديان من ٢١ وفصل كيف نشأت فكرة الدين ص٣٤ من تاريخ الأديان للهاشمي وفصل النظريات التي قيلت عن نشأة الدين ص١٠٤ من كتاب الاجتماع الديني للخشاب وفصل الدين والمصدر ص٣٩، من كتاب في الدين المقارن.

(٣)انظر: فصل الدين والغريزة ص٢٦، من كتاب الدكتور محمد كمال جعفر، في الدين المقارن.

لقيت هذه الأسئلة وغيرها مما يتعلق بالدين اهتماما كبيراً من العلماء في مختلف الثقافات والتخصصات وظفرت بإجابات مستفيضة لا يسعنا استعراضها جميعاً.

لذا –اكتفى-أسوة بكثير من الباحثين[1] –بتصنيف تلكم الآراء وتنظيمها في اتجاهين رئيسين:

الاتجاه الأول:

ويرى أصحابه أن اصل الدين ومصدره الإنسان بمعنى أن الإنسان قد وصل إليه بنفسه، و لم يتلقاه من جهة خارج عالمه الحسي.

ولذا يسمى "الاتجاه الإنساني" أو "المذهب الوضعي".

الاتجاه الثاني:

ويرى أصحابه أن أصل الدين ومصدره الإله بمعنى أن الله قد أوحى به إلى عباده بواسطة من يختارهم للتعليم والهداية.

ولذا يسمى "الاتجاه التعليمي" أو "مذهب الوحي" وقد يسمى بالنظرية "الكلامية" أو "اللاهوتية أو النقلية" وكلها تعني أن الدين موحى به من عند الله وليس من وضع إنسان.

الاتجاه الأول: المذهب الوضعي.

يرى أصحاب هذا الاتجاه أن الدين قد وصل إليه الإنسان بنفسه عن طريق عوامل إنسانية "سواء أكانت تلك العوامل من نوع الملاحظات والتأملات الفردية أم من نوع التأثيرات والضرورات الاجتماعية اللاشعورية".

---

(١) انظر: المصدر السابق ص٤١، ودراز: الدين ص١١١-١١٢.

والمنهج الذي سلكوه للوصول إلى دعواهم هو دراسة أديان المجتمعات القديمة والمعاصرة المتخلفة في الحضارة مستخدمين الطريقة القياسية في استنتاج أقدم مظهر معروف في مظاهر التفكير الديني وخلصوا إلى أنه يعتبر صورة مطابقة لديانة الإنسان الأولى.

وأصحاب هذا الاتجاه وإن اتفقوا في الغاية: وهي تحديد نشأة الدين والمنهج وهو دراسة التجمعات الإنسانية القديمة والمعاصرة غير المتحضرة، إلا أن النتائج التي توصلوا إليها جاءت متفاوتة جداً بل مختلفة جداً. ولذا انقسم الباحثون في هذا الاتجاه إلى فريقين:

فريق منهم:

استنتج أن الدين بدأ في صورة الخرافة والوثنية وأن الإنسان أخذ يترقى في دينه على مدى الأجيال حتى انتهى إلى فكرة "التوحيد" بل زعم بعضهم أن فكرة التوحيد جد حديثه وأنها وليدة العقلية السامية.

نادى بهذه النظرية أنصار مذهب "التطور التقدمي أو التصاعدي" الذي ساد في أوروبا في القرن التاسع عشر في أكثر من فرع من فروع العلوم وحاول تطبيقه على الدين عدد من العلماء منهم "سبنسر" و "تيلور" و "فريزر" و"دور كايم" وغيرهم وإن اختلفت وجهات نظرهم في تحديد صورة العبادة الأولى وموضوعها[١].

أما الفريق الآخر:

فإنه بعد أن قرر -بالطرق العلمية بطلان هذه النظرية أثبت أن فكرة التوحيد هي أول ديانة عرفها البشر مستدلين بأنه لم ينفك عنها مجتمع من المجتمعات الإنسانية في القديم والحديث وتوصلوا إلى أن الوثنية ليست سوى أعراض طارئة.

وهذه النظرية تسمى "التوحيد الفطري أو البدائي" وقد انتصر لها كثير من علماء الأجناس وعلماء الإنسان وعلماء النفس ومن أشهرهم "لانج" الذي أثبت وجود

---

(١) انظر: دراز، الدين، ص١١٢، وفريزر، الغصن الذهبي، ج١، ص٢٥.

عقيدة "الإله الأعلى أو إله السماء" عند القبائل الهمجية في استراليا وأفريقيا وأمريكا ومنهم "شريدر" الذي أثبتها عند الأجناس الآرية القديمة و"بروكلمان" الذي وجدها عند الساميين قبل الإسلام و"لرواء" و"كاترفاج" عند أقزام أواسط أفريقيا و"شميدت" عند الأقزام وعند سكان أستراليا الجنوبية الشرقية.

وقد انتهى بحث "شميدت" هذا إلى أن فكرة "الإله الأعظم" توجد عند جميع الشعوب الذين يعدون من أقدم الأجناس الإنسانية(١).

نخلص من هذا إلى أن أصحاب "المذهب الوضعي" متفقون على أن أصل الدين إنساني ولكنهم افترقوا بعد ذلك:

وفريق آخر: ذهب إلى "نظرية التوحيد" وقالوا: أن الخرافة عرض طارئ ومرض متطفل وسنعرض أهم النظريات القائمة على أساس "مذهب التطور" وبعدها نعرض نظرية "التوحيد الفطري أو البدائي".

- **نظرية عبادة مظاهر الطبيعة(٢) أو المذهب الطبيعي:**

يرى أصحاب هذه النظرية أن الدين أول محاولة قام بها العقل الإنساني لتفسير ظواهر الطبيعة وخصوصا تلك الظواهر التي تثير في النفس العجب والدهشة أو الخوف والرهبة. وأصحاب هذه النظرية فريقان:

"فريق يرى أن العامل في إثارة الفكرة الدينية هو التأمل والنظر في مشاهدة الطبيعة تأملا يجعل الإنسان يشعر بمزيد من الدهشة والإعجاب فيخلص من التفكير إلى أنه قد حاول بقوى مستقلة عن إرادة البشر أن يخضع أفراد المجتمع لتأثيرها ولا

---

(١) نفسه ص١١٣، وقد نقله عن Schmidt. Ouv. Cite, p.30 وسنبين رأى لانج وشميدت عند بحث التوحيد الفطري.

(٢) كان لهذه النظرية مقام ممتاز في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وقد أشبعها أصحابها بحثا وتدقيقا ومذ أن حل القرن العشرين حتى أخذت تتهافت أمام البحوث الشيقة الباحثة عن الروحية أولا والتوتمية ثانياً.

قدرة للأفراد على تعديل نظامها" ولشدة نفوذها وتأثيرها في نفسه نبهت فيه فكرة - الدين فعبد الطبيعة ومن أشهر القائلين بذلك العالم ماكس موللر والفريق الثاني وعلى رأسه العلامة "جيفونز" "يرى أن التأمل والنظر في الظواهر الطبيعية العادية لا يكفي لإثارة الفكرة الدينية وإنما الذي يثيرها هو الطبيعة الشاذة العنيفة. فهذه الحوادث الرهيبة تبعث الفزع والخوف بنفس الإنسان وتجعله يستفسر عن مصدرها فينسبها إلى قوة خفية غيبية، هذه القوة الخفية هي التي تسير العالم ولا بد من العمل على إرضائها بتقديم الهدايا والقرابين والأضاحي"(١).

- **نظرية عبادة مظاهر الروح أو المذهب الحيوي:**

تنسب هذه النظرية إلى العالم الإنجليزي "تايلور" في كتابه "الحضارة البدائية" وقد بين كيف تنبه البشر الأول إلى الروح وأعتقد بأن للموجودات الأخرى -حيوانا كانت أو نباتا أو جماداً- أرواحاً وأن تلك الأرواح عبارة عن كائنات تتصل بالناس وأن جميع ما يصيب النفس الإنسانية من نجاح وتوفيق أو من آلام ومصائب إنما يرجع إلى تلك الأرواح أو العالم الروحي. وزاد ما لهذه الأرواح من قوة وقدرة فأصبح بينها قوى الصحة والمرض والسعادة والشقاء وبذلك أصبح الإنسان ملزماً بأن يرضيها وأن يتخلص من غضبها وأن يتقرب إليها بالقرابين والأضحية والصلوات. وبين تايلور أن حالات النوم واليقظة كانتا سببا في تنبيه البشر إلى الروح، فعندما كان الإنسان ينام يتصور أصحابه أنه مات وعندما يستيقظ يظنون بأن قوة خفية ما أحيته، وحيث أن الجسد لا يتغير في النوم أو اليقظة وإنما هنالك شيء خفي يحركه فلا بد أن يكون ذلك الشيء منفصلا ومختلفا عنه وذلك الشيء هو النفس. وهذه النفس رغم قدرتها المادية لا يمكن أن نلمسها أو نحسها. ومع ذلك لا يمكن أن نعتبر النفس الإنسانية عند هذا الحد روحا لأنها متصلة بالجسد ولا تخرج منه إلا نادراً.

---

(١) الخشاب، الاجتماع الديني، ص١٠٤ والهاشمي، تاريخ الأديان، ص٧١، ودراز، الدين، ص١١٩ و١٣١.

وإذا لم تكن النفس الإنسانية شيئا أكثر من ذلك فإنها لا تعبد وإنما تعبد وتصبح مقدسة بتحولها إلى روح بعد أن تبتعد عن مكانها في الجسد. ولا يستطيع الإنسان أن يتصل بها إلا بمراعاة طقوس خاصة، والنفس لا تصبح روحاً إلا في حالة الموت ولأن الموت هو انفصال النفس عن الجسد انفصالا أبدياً.

وإذا كان الموت هو الذي حول النفس الإنسانية إلى روح مقدسة فإن أول عبادة إنسانية في تصور تايلور إنما اتجهت إلى عبادة الموتى. أي عبادة نفوس الأسلاف وكانت الطقوس الأولى طقوساً للموت وكانت أولى القرابين قرابين غذائية تشبع حاجات الموتى وكانت أولى المذابح التي تقدم عليها هذه القرابين هي القبور واللحود[1].

- **النظرية التوتمية:**

التوتم: هو الرمز الذي تتخذه العشائر البدائية لنفسها سواء كان مستمداً من المملكة الحيوانية أو النباتية أو القوى الطبيعية أو الجماد.

وأهم العناصر في التوتمية أن أفراد العشيرة يعتقدون أنهم منحدرون فعلا من هذا التوتم. فهو الأصل في وجودهم ويترتب على ذلك أن الأفراد الذين ينتمون إلى نفس التوتم يعتبرون أنفسهم أقارب فيما بينهم.

ومعنى ذلك أن القرابة لا تقوم على أساس وحدة الدم وإنما يرتبط أفراد القبيلة بوحدة قرابة اصطلاحية معنوية تقوم على أساس اشتراكهم في اتخاذ التوتم اسما لهم واتحادهم في النظم الاجتماعية واشتراكهم في نفس العادات والتقاليد والطقوس الدينية التي يلتزمون بأدائها نحو التوتم.

وتقوم الديانة التوتمية على أساس تقديس توتم العشيرة تقديسا يحرم لمسه إذا كان

---

(١) الخشاب: الاجتماع الديني، ص١١١-١١٣، والهاشمي، تاريخ الأديان، ص٥٨-٦٨.

جمادا إلا في مناسبات دينية خاصة بقصد التبرك وقضاء حاجات المجتمع والتفكير عن خطيئة أو رفع كارثة أحاطت بالمجتمع كما يحرم قتله أو صيده إن كان من الفصيلة الحيوانية ويحرم أكله أو قطفه إن كان من المملكة النباتية[1].

وقد وردت كلمة توتم لأول مرة سنة ١٧٩١ في كتاب نشره "لونج" (كاتب هندي أمريكي) أثناء كلامه عن النظم الدينية للهنود الحمر الأميركيين وقد كان المعروف أن القبائل الهندية الأصلية في أمريكا تمثل أقدم وأبسط المجتمعات البشرية ولما كانت هذه المجتمعات تدين بالتوتمية استنتج أصحاب النظرية التوتمية أن هذه الديانة أقدم الديانات البشرية بوجه عام. وقام عالم آخر "غري" ببحوث عدة في أستراليا وانتهى من بحوثه هذه إلى وجود عبادات وطقوس دينية توتمية عند السكان الأصليين في أستراليا. وقد ذهب "دوركايم" العالم الاجتماعي الفرنسي إلى أن التوتمية أقدم الأديان على الإطلاق وأنها أصل الأديان البدائية الأخرى وأنها متصلة اتصالا وثيقا بكل تكوين اجتماعي تكون العشيره أساسه بل أن العشيرة في أبسط صورها لا يمكن أن توجد بدون التوتم لأن أفراد العشيرة لا يكونون عشيرتهم على أساس المعاشرة والسكنى أو صلة الدم وإنما تقوم وحدتهم على أساس اشتراكهم في الاسم والرمز التوتمي وبما لهم من علاقات معينة بمجموعة من الأشياء وخاصة من الحيوانات وبمعنى أعم باتخاذهم عبادة التوتم.[2]

- **نظرية التوحيد الفطري:**

تشترك النظريات السابقة في أنها تقوم على أساس فكرة التطور وتتفق في أن الدين بدأ بداية همجية تعتمد على الخرافة والأسطورة وإن الإنسان أخذ يترقى في دينه على مدى الأجيال حتى وصل إلى الكمال فيه بالتوحيد كما تدرج نحو الكمال في

---

(١) الخشاب ، الاجتماع الديني، ص١٢٠، والهاشمي، تاريخ الأديان، ص٨١.

(٢) المصدرين السابقين، ودراز، الدين، ص١٥٩.

علومه وقناعاته. بل لقد حاول بعض أصحاب هذه النظريات أن ينبهوا فكرة التوحيد إلى العقلية السامية وتكلموا عن غزيرة التوحيد في الجنس السامي وهذا يعني أنهم يتسبوا فكرة التوحيد إلى اليهودية والمسيحية والإسلام.

أما هذه النظرية "نظرية التوحيد الفطري" فهي وإن اتفقت مع النظريات السابقة في الغاية وهي تحديد نشأة الدين وفي المنهج وهو دراسة ديانة الشعوب المتأخرة والأمم الغابرة. إلا أنها تختلف معها في النتيجة فقد توصل هؤلاء إلا أن فكرة التوحيد أو فكرة الإله الأعلى هي البداية الحقيقية للدين وأن البداية النقية قد فسدت بتأثير الظروف الاجتماعية فانتشرت الخرافة والوثنية في المجتمعات الإنسانية وأن الإنسان أخذ يترقى فيما بعد في فهم الدين إلى أن انتهى إلى التوحيد وبعبارة أدق: عاد إلى التوحيد ونظريتهم هذه تحقق -في نظرهم- أمرين هامين:

أولهما: أنه يتفق مع مذهب التطور الذي يبدأ من البسيط إلى المركب "من التوحيد إلى التعدد".

وثانيهما: أنه يعترف بالألوهية وعلاقتها بالخلق استناداً إلى ما أودع الله في الإنسان من مبدأ الوعي والفهم والاتصال.

والأمر الثاني يشبه ما قال به بعض المفسرين العقلانيين الإسلاميين في آية الميثاق: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ ﴾[1].

حيث قالوا: أن الميثاق الذي أخذه الله على الخلائق في طور الذر إنما قصد به أنه

(١) الأعراف، آية ١٧٢ -١٧٤.

-سبحانه- قد وضع في الإنسان مبدأ التعقل والتمييز الذي يدرك به إلهه وخالقه إذا كان سوي العقل سليم الفطرة. فلما وضع الله فيه هذه الميزة فكأنه أشهده على نفسه بأنه عبد وأن له ربا.

جاء في ظلال القرآن: "إن هذا العهد الذي أخذه الله على ذرية بني آدم هو عهد الفطرة... فقد أنشأهم مفطورين على الاعتراف له بالربوبية وحده. أودع هذا فطرتهم فهي تنشأ عليه حتى تنحرف عنه بفعل فاعل يفسد سوأها ويميل بها عن فطرتها"[(١)].

وجاء في تفسير ابن كثير: "قال قائلون من السلف والخلف: أن المراد بهذا الإشهاد إنما هو فطرهم على التوحيد".

ثم أورد ما يؤيد ذلك من أحاديث الرسول ﷺ منها "كل مولود يولد على الفطرة")[(٢)].

أما كيف خلص أصحاب هذه النظرية إلى هذه النتائج؟ فهذا ما سنعرفه من استعراض رأيين لأشهر أصحابها وهما اندرولانج وشميدت.

- **نظرية لانج:**

ذهب لانج (Lang) إلى أن الإنسانية بدأت بدين التوحيد وأنها كانت مفطورة عليه ومغروسة فكرته في النفوس ولكن الخطيئة الإنسانية-تلك الخطيئة التي رمز إليها في الديانات السماوية بخطيئة آدم "فنسي و لم نجد له عزما".[(٣)] أخفت معالم تلك

---

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن مجلد٣، ج٩، ص٦٧٠.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٢، ص٢٦١.

(٣) بعد أن خلق الله آدم وأخذ عليه وعلى بنيه -في مرتبة الذر- العهد والميثاق أن يعترفوا بربوبيته وألا يشركوا به أحدا أخذ بعد آدم لخلافته -سبحانه- في الأرض ولكنه -قبلا-أراد أن يفتح عينيه على ما ينتظره فيها من صراع بين الخير والشر فعهد إليه أن يأكل من كل الثمار سوى شجرة واحدة تمثل المحظور الذي لا بد منه لتربية الإرادة وتأكيد الشخصية وها هي التجربة الأولى تعلن نتيجتها ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾ [طه:١١٥]، أنظر: قطب، في ظلال القرآن مجلد٥، ج١٦، ص٥٠٠، والطبرسي، مجمع البيان، ج٧، ص٣٧.

الحقيقة فلم تصل الإنسانية إلى فكرة التوحيد أو فكرة إله السماء إلا بعد أجيال عدة.

بدأ لانج أبحاثه في تاريخ الأديان بمهاجمة المذهب الحيوي الذي اعتنقه من قبل وقد اعتمد في مهاجمته لهذا المذهب على كثير من الدراسات "الانثروبولوجية" التي قام بها علماء غيره من أمثال (هوايت Howitt) و (ت.هـ.مان T.H.Man) وكتابات مسز (لانجلو باركر Langlo Furker).

فالدراسات التي قام بها (هوايت) في قبائل استراليا الجنوبية الشرقية والتي قام بها (مان) في القبائل الأفريقية البدائية كالبوشمان والهوتنتوت والزولو وغيرها من قبائل جنوبي أفريقيا ووسطها وبعض قبائل الهنود الأمريكيين وكتابات مسز باركر عن بعض قبائل أستراليا وقصصهم قد أوصلت هؤلاء العلماء وغيرهم إلى أن هذه القبائل تؤمن بوجود إله أعلى.

وعلى هدي هذه الأبحاث والدراسات استخلص لانج أن أول ديانة إنسانية ظهرت في الوجود هي ديانة التوحيد. باعتبار أن هذه القبائل تمثل أكثر القبائل بدائية وأقربها إلى الحالة الأولى التي كانت عليها الإنسانية.[1]

لم يقتصر لانج على أبحاث غيره من العلماء وإنما أراد أن يثبت صحة نظريته على أساس منطقي فلسفي يتلخص في الآتي:

١- إن مبدأ السببية[2] فطري في عقل كل إنسان فإذا كان الإنسان يرجع كل شيء إلى سبب أو موجد.. فإن التسلسل السببي سيقود الإنسان حتما إلى الإيمان

(١) انظر: الخشاب، الاجتماع الديني ص١٣٧، ١٣٨ وقد رجع إلى كتاب اندرولانج (نشأة الدين) المعنون The Making of Religion.

(٢) مبدأ السببية أو قانون العلية: "إن شيئاً –من الممكنات– لا يحدث من لا شيء" لأنه لا يحمل في طبيعته السبب الكافي لوجوده ولا يستقل بإحداث شيء لأنه لا يستطيع أن يمنح غيره شيئا لا يملكه هو فلا بد له في وجوده وفي تأثيره من سبب خارجي وهذا السبب الخارجي إن لم يكن موجوداً بنفسه احتاج إلى غيره.. فلا مفر إذن من الانتهاء إلى سبب ضروري الوجود يكون هو سبب الأسباب أو العلة الأولى.

بوجود إله خلقه وخلق كل شيء. لأنه -أي الإنسان- لا يستطيع أن يخلق الأشياء الطبيعية التي يلمسها أو يلاحظها.

٢- إن الإنسان يتصور الإله بأنه كائن غير طبيعي ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾[١] سواء في قدرته على الخلق والإبداع أو في حبه للخير ومن هنا نشأ الاعتقاد في قوة أسمى من الإنسان في القدرة والعطاء وحب الخير.

٣- يوجد في كل مجتمع إنساني نوعان من العقائد:

عقائد توصف بالفضيلة بأوسع معانيها من حيث اشتمالها على عواطف نبيلة.

وعقائد تسودها صفة الرذيلة بما تتمثل في الأساطير التي تصور القسوة وفعل الشر.

وأن البحث الواقعي لا يوقف الباحث على أي النوعين أسبق في الوجود الزمني ويبدو أن هذين النوعين من العقائد قد وجدا جنبا إلى جنب لذلك لا يمكن للعلماء الانثروبولوجيين فصل كل نوع عن الآخر ما لم يستعينوا بالمنهج المقارن ويطبقونه على الديانات الحديثة.

وقد قام لانج بتطبيق هذه الفكرة على الديانة المسيحية فظهر له: أن هذه الديانة بدأت فكرة جليلة نبيلة غير أن كثيرا من الآراء المستحدثة والمعتقدات غير الصحيحة دخلت فيها وعاشت معها جنبا إلى جنب ومع ذلك لم تشوه حقيقة الدين أو تغير جوهره فقد بقيت العقيدة النقية تظهر على شكل صلات بين الإنسان وخالقه وأما الآراء المستحدثة الشريرة فتظهر فيما ينسب إلى القدسيين من خوارق ومعجزات[٢].

ولكن ما دامت فكرة التوحيد هي الأصيلة في النفس الإنسانية وهي أولى الأفكار وأساسها فكيف تأتي لجميع أفراد الجنس البشري أن ينسوا هذه الفكرة النقية

---

(١) الشورى، ١١.

(٢) انظر: الخشاب، الاجتماع الديني، ص١٣٧، ١٣٨، وجعفر، في الدين المقارن ص٥٥.

والديانة الصحيحة وكيف استطاعت الأفكار الخرافية والأسطورية والوثنية أن تسيطر على فكر الإنسان أزماناً طويلة قبل أن يعرف التوحيد؟ يجيب لانج بما يلي:

إن الإنسانية عاشت فترة حياة مليئة بأسمى المعاني ولكن ثمة تحلل حدث بعد ذلك في عهد من العهود البدائية.

كانت فكرة الإله الخالق ليست بحاجة إلى العطايا والمنح وكانت تنهي عن الشهوات والعداوات وتمنع الناس عن الظلم والجور ولا تمد العون للبدائي في حروبه ولا تهبه القوة تجاه الأمراض السحرية. وكثيرا ما كان البدائي يضحى للإله لكي يحقق عملاً من الأعمال فلا يتحقق فيندفع -أحياناً- إلى التماس تحقيق مطلبه من موجودات خفية ذات صفة طلسمية وكانت أولى هذه الموجودات هي الأشباح، والنفوس، قطع الإنسان شوطاً كبيراً في التوجه إلى هذه الموجودات فنشأ عن ذلك أنه:

١- أهمل فكرته الصافية عن خالقه.

٢- اعتبره أحد القوى الكبرى بجانب القوى الأخرى الأسطورية ونسب له كثيراً من صفات تلك القوى وقدم له القرابين كما قدم لها.. وقطعت الحياة الإنسانية طورا زمنياً ظهرت فيه فنون ومهن.. فأصبح لكل مهنة وفن آلة، ظل حال الإنسانية هكذا حتى جاءت المسيحية ثم الإسلام[١] وعندها عرفت الإنسانية التوحيد في أجلى صورة توحيد خالص لم تعلق به شوائب العنصر الأسطوري الذي شوه جمال وجلال التوحيد الأول[٢].

- **نظرية شيمدت:**

ظلت نظرية لانج في نشأة الدين موضع شك وعدم تسليم حتى ظهر المنهج التاريخي في علم الأجناس فاتفق مع كثير من النتائج التي انتهى إليها لانج.

---

(١) هكذا في النص، والحقيقة أن التوحيد الخالص لم يعرف إلا في الإسلام "المؤلف"

(٢) انظر: علي سامي النشار، نشأة الدين، والهاشمي، تاريخ الأديان، ص١٤١-١٤٥.

وأشهر من استخدم هذا المنهج هو شميدت الذي طبقه على أقزام أواسط أفريقيا وجزائر الاندمان وبعض جزائر الفلبين فبحث حالتهم الاجتماعية والدينية، وقد اقتنع شميدت وغيره من الباحثين بأن هؤلاء يمثلون أقدم طور في التطور البشري. وأهم أحط من قبائل جنوب شرق أستراليا.

وانتهى شيمدت إلى تقرير أن الأقزام يؤمنون بوجود إله أعلى، ودعا هذا بوجود إله في السماء عند بعض القبائل الأسترالية والسكان الأصليين في أمريكا.

وقد شرح فيوكارت (Feucart) فكرة إله السماء في دائرة المعارف -الدين والأخلاق- فقال: إن تصور إله السماء يرجع إلى أقدم العصور الإنسانية. ونسب هذه الفكرة إلى تخيل البدائي، والبحث في أصل الظواهر السماوية[1]، فقد كان يتردد في صدر البدائي -دائما- أن هناك قوة شخصية وراء جميع الظواهر السماوية وهذه القوة المشخصة مرتبطة بمصدر الطاقة والحياة.

إلا أن أكثر هذه المجتمعات الإنسانية البدائية التي آمنت بوجود إله أعلى أو أسمى لم تكن موحدة بالمعنى الصحيح لأنها كانت في الوقت نفسه تؤمن بوجود آلهة آخرين.

يجيب شميدت عن هذه الظاهرة بما حاصله:

إن ذلك حدث نتيجة لتطور وفساد الفكر الديني الذي أنتج فكرة تعدد الآلهة بعد أن كانت تسود المجتمع الإنساني فكرة الإله الواحد.

تكلم شميدت بعد ذلك عن **صورة "الله"** في نظر البدائيين: فأفاد أن بعض القبائل قد صورته بصورة إنسانية وصورته قبائل أخرى بصورة غير حسية "لا تدركه الأبصار" وإنما يمكن إدراكه كفكرة عن طريق آثاره في المجتمع.

---

(١) Ency of Religion and Ethics عن الخشاب، الاجتماع الديني، ص١٣٩.

كما تكلم عن صفاته: فأفاد أن القبائل البدائية وصفته بالعلم والقدرة والأبدية والأزلية والسرمدية ونسبت إليه فكرة الخير وفكرة الثواب والعقاب.

أما عن مكانه: فقد أفاد أن بعضا من القبائل تعتقد أنه يعيش مع الناس يعلمهم الخير والفضيلة وأن بعضا آخر يؤمن بأنه يعيش في السماء وأن بعضا ثالثاً يعتقد أنه عاش مدة من الزمن مع الناس ثم لما أغضبته خطايا البشر صعد إلى السماء.

"وانتهى شميدت إلى تقرير أن فكرة الإله الأسمى قد أشبعت مطالب الإنسانية وحاجاها الاجتماعية فالآلة في نظر هذه القبائل هو الذي أقام دعائم الأسرة بتحديده لعلاقات الزوج والزوجة والأولاد. كما أنه يعتبر في نظر هذه القبائل مصدر القواعد الخلقية التي يتحقق بها الخير والفضيلة كما أنه هو الذي يمد الإنسانية بالقدرة على الحياة.

والإله في نظره وحدة زمانية تتصل بالأبدية والسرمدية، فقدرته تتحقق في كل زمان وفي كل مكان.

فكما أن الله وحدة زمانية كذلك هو وحدة مكانية بمعنى أنه يتحكم في كل الأماكن وليس ثمة إلا إله يملأ الكون، وقوة واحدة تسيطر على جميع المناطق والأقاليم فهو ليس إله المجتمع الواحد وإنما هو إله لجميع المجتمعات"(١).

الاتجاه الثاني: مذهب الوحي.

عرفنا أن النظريات المستندة إلى المذهبين السابقين "التطوري والفطري" تتفق في أن فكرة الدين قد وصل إليها الإنسان بنفسه عن طريق عوامل إنسانية، سواء أكانت تلك العوامل فردية أم جماعية.

كما عرفنا أنها -جميعا- مجرد افتراضات مبنية على افتراضات، فهي لا تصف الحق الثابت الذي هو مطلب العلم الصحيح، وإنما تعرض احتمالات تشبه الحق قليلا

---

(١) نفسه ص ١٤٠، وانظر: الهاشمي، تاريخ الأديان ص١٤٥، ١٤٦.

أو كثيراً. لأن منهاجها الذي اتبعته في الكشف عن ديانة الإنسان الأول هو الوقوف على ديانة المجتمعات القديمة والمجتمعات المعاصرة المتخلفة، على زعم أنها تمثل حالة الإنسان الأول، وأن ديانته كديانتها وعرفنا أن هذا القياس غير صحيح بالمرة وأنه قياس مع الفارق -كما يقولون-لعدم وجود وجه شبه بين تطور العلوم والفنون، وبين فكرة الدين وتطورها، ولأنه لا تلازم بين حالة المجتمعات المتخلفة المعاصرة والقديمة وبين المجتمعات الإنسانية الأولى لتعرض المجتمع الإنساني لتعاقب أدوار التحضر والتخلف فلا يلزم من كون بعض القبائل في أفريقيا أو أستراليا أو أمريكا أو غيرها متخلفة وبدائية وهمجية أن يكون هذا التخلف لازما لها، ولصيقا بها حتى تكون ممثلة صادقة للمجتمع الإنساني الأول.

وعرفنا أيضا من خلال عرضنا للمذهب الفطري أن شواهد التاريخ والتطور الصحيح لا يؤيد شيء منها النظريات المبنية على مذهب التطور، والتي تجعل الخرافة والأسطورة أصل الدين ومصدره، بل أنها بالعكس تميل إلى النظرية المقابلة "نظرية التوحيد الفطري" إلا أن تأييدها لهذه النظرية لا يرفعها إلى صف الحقائق التاريخية المفروغ منها لأن جميع ما قدم لدعم هذه النظريات من دلائل وإمارات لم يقو على أن يقدم لنا ضمانا من المنطق ولا من الواقع يثبت به أن الحوادث كانت تسير بالفعل دائماً على وفق ما ألفناه من الأوضاع ولا على الوجه الذي كان ينبغي أن يكون.

وإذا كانت وسائل العلوم الحديثة، على دقتها وشمولها، لم تستطع أن تقدم لنا بيانا شافياً، يطمئن إليه القلب، عن ديانة الإنسان الأول، بل إنها عجزت حتى عن تحديد أي المجتمعات المعاصرة المتخلفة أقدم وأقدر على تمثيل المرحلة الأولى للمجتمع الإنساني فلا مفر إذن من الاستماع إلى آراء أصحاب المذهب التقليدي "مذهب الوحي" أو النظرية "الكلامية أو اللاهوتية" بشأن نشأة الدين ومصدره.

يؤكد أصحاب هذا المذهب على أن الدين موحى به من عند الله. وأن الإنسان الأول قد عرف فكرة الدين ودان بالتوحيد عن طريق الوحي وليس عن طريق العقل[1] هذا المذهب هو الذي شاع في العالم طوال القرون الوسطى، وأيده بعض علماء التاريخ حتى في القرن التاسع عشر، ولا يزال هو المذهب السائد عند رجال الدين، وهو ما تسعى الديانات الكبرى الثلاث "اليهودية والمسيحية والإسلام" لإثباته. تارة بإقامة البراهين على إمكانية الوحي، وصدق البراهين النبوية وتارة أخرى بالتماس سند عقلي يربط الدين بما يحقق من مصالح.

وتارة أخيرة بإثبات ضرورة سبق الإيمان حتى يتمكن العقل، بعد ذلك (وليس قبل ذلك)، من أن يوفق إلى إدراك صدق هذه الحقيقة، وقد اهتم علماء الإسلام - بالدرجة الأولى- بإثبات ضرورة الدين وأهميته وضرورة كونه من عند الله، ومن ثم بدعم حقيقة النبوة لتسلم لهم النتيجة وهي: أن الدين من عند الله[2].

من هؤلاء ابن حزم الذي انبرى للرد على من أنكر الدين والشرع من الفلاسفة فبين أولا: أن الغاية من الفلسفة والدين واحدة وهي صلاح المجتمع وأكد أنه لا خلاف في هذا بين أحد من علماء الفلسفة وعلماء الدين.

ثم أخذ ثانيا: يقرر بطلان حجتهم وتهافت منطقهم مؤكدا ضرورة الدين والشرع لأنه بدونه لا يتحقق صلاح المجتمع، ولا يمكن. انكفاف الناس عن القتل

---

(١) يذكر الدكتور رشدي عليان أن كثيرا من عقلانيي الإسلام قد قالوا: بقدرة العقل الإنساني على الوصول إلى الله ومعرفته -على نحو الاستقلال- وعلى إدراك ما في الفعل الاختياري من حسن أو قبح خير أو شر ومسؤولية الإنسان أمام الله عما أدركه من ذلك بعقله بغض النظر عن هدي النبوة أو قبل وصول هذا الهدى إليه، ولكنهم لم يدعوا كفاية المدركات العقلية لتنظيم المجتمعات الإنسانية بل قالوا: بضرورة الوحي "هدي النبوة" لتأكيد تلك المدركات وإرشاد الإنسان إلى ما قد يعجز عن إدراكه بعقله مما لا بد منه لتنظيم حياته الأولى والأخرى. انظر، العقل عند الشيعة، ص٢١٢-٢٢٢.

(٢) انظر في إثبات النبوة وحاجة الإنسانية إلى هديها: ابن تيمية، النبوات، والباقلاني، التمهيد، ص١٠٧، ١٥٧، وب كراوس، رسائل فلسفية ص٢٩١-٣١٦، مقتبس من كتاب إعلام النبوة لأبي حاتم الرازي، ومحمد عبده، رسالة التوحيد، ص٨٤-١١٠، والدكتور محمد يوسف موسى، الإسلام وحاجة البشرية إليه.

الذي فيه فناء الخلق وعن الزنا الذي فيه فساد النسل.. وعن الظلم الذي فيه الضرر على الأنفس والأموال وخراب الأرض.

وعن الرذائل: البغي والحسد والكذب والجبن والبخل والنميمة والغش والخيانة وسائر الرذائل.

وقرر ابن حزم أخيراً أن صلاح العالم لا يمكن تحقيقه وأن الشرور والمفاسد لا يمكن درؤها إلا بشريعة آمره زاجرة، إذ "لولا ذلك لفسد العالم كله، ولفسدت العلوم كلها.. وبطلت فضيلة الفهم والنطق والعقل الذي في الإنسان وصار كالبهائم".

وبعد أن أثبت ابن حزم الحاجة الماسة إلى دين أو شرع، انتقل إلى بحث نقطة ثالثة: هي موضوع بحثنا الآن وهي المتعلقة بأصل الدين ومصدره.

وهو في ذلك يقول: أن هذه الشرائع "لا تخلو من أحد وجهين: أما أن تكون صحاحا من عند الله -عز وجل- الذي هو خالق العالم ومدبره، كما يقول أصحاب الشرائع. وأما أن تكون موضوعة باتفاق من أفاضل الحكماء لسياسة الناس بها وكفهم عن التظالم والرذائل كما يقول هؤلاء المنكرون الواضعون "وقد أبطل ابن حزم الغرض الثاني -على طريقة الخلف- لما يلزم عنه من تناقض ومحالات ملخصها: أن هؤلاء الواضعين يعتبرون على هذا كاذبين حيث ألزموا الناس بما لا أصل له.

وعلى ذلك يمكن أن يقال: أن الكذب فضيلة يتم بها صلاح العالم، وهذا ما لا يقول به عاقل.

وفي ذلك يقول: فإن كانت -أي الشرائع- موضوعة كما يقول هؤلاء، فقد تيقنا أن ما ألزموا الناس من ذلك كذب لا أصل له، وزور مختلق.

فإن كان ذلك كذلك فقد صار الكذب -الذي هو أرذل الرذائل وأعظم الشر- لا يتم صلاح العالم - الذي هو الغرض من طلب الفضائل- إلا به. وإذ ذلك كذلك فقد صار الحق باطلاً والصدق رذيلة وصار الباطل حقا وصدقا، والكذب فضيلة،

وصار لا قوام للعالم أصلا إلا بالباطل..، وهذا أعظم ما يكون من المحال والممتنع والخلف الذي لا مدخل له في العقل..[1].

وعلى أية حال فهذه هي نظرية الوحي التي تؤكد على أن أصل الدين ومصدره الإله وليس الإنسان. أي أن فكرة الدين قد نزلت على الإنسان الأول، ولم يكتشفها هو. وأن الإنسان قد عرف إلهه بنور الوحي وليس بنور العقل.

والمصدر الذي تستند إليه هذه النظرية هو الكتب السماوية، وقصة الخلق -خلق الإنسان الأول- الواردة فيها تشكل الأساس العام لهذه النظرية، وأن الناظر في هذه الكتب والمنعم النظر في قصة الخلق، يترجح لديه صدق هذه النظرية بل يتيقن قلبه وتطمئن جوانحه إلى أنها حق وحقيقة.

فهذه الكتب تقرر أن الله -سبحانه- قد تولي خلق العالم، وتولي وما يزال يتولى أمر كائناته، وأنه خص الإنسان من بين سائرها بالتكريم في مجالات كثيرة: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾[2]، وعلمه خصائص الأشياء وصفاتها: قال تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾[3]، ﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾[4] وكان فيما علمه -من باب أولى-: أنه هو -سبحانه- خالق الكون وما فيه وأنه هو إلههم الذي تجب طاعته وعبادته. ثم أمره أن يورث علم هذه الحقيقة لذريته، ففعل، وكانت هذه العقيدة

---

(١) ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج١، ص ٩٤-٩٥، وانظر ص٦٩-٧٠ من الجزء نفسه ردوده على من أنكر النبوة من الفلاسفة الموحدين على زعم عدم حاجة الإنسان إلى هدى النبوة اكتفاء بعقله في تنظيم حياته. فقرر أن النبوة ضرورة إنسانية لأن بها يتم صلاح المجتمع وهدايته إلى ما فيه صلاح وسعادة أفراده ولأن بها يتزود الإنسان بما يعجز عقله عن إدراكه من علم وحكمة وهداية حيث يقول: كل هذا لا سبيل إلى الاهتداء إليه دون تعليم فوجب بالضرورة، فلا بد من إنسان فأكثر علمهم الله -تعالى ابتداء كل هذا دون معلم لكن بوحي حققه عنده وهذه صنعة النبوة، فإذا لا بد من نبي أو أنبياء ضرورة.

(٢) الإسراء، ٧٠.

(٣) البقرة، ٣١.

(٤) العلق، ٥.

ميراث الإنسانية عن الإنسان الأول. ولم تنقطع موالاته -سبحانه- له بتصحيح ما تشره من عقيدته على أيدي رسل كرام قلدهم الله هذه الوظيفة المقدسة -وظيفة تصحيح العقيدة والسلوك وإعادة ربط الإنسان بخالقه-، حتى لو أخذنا قصة خلق آدم على أنها رمزية - كما يود ذلك بعض المحدثين- فإننا ما نزال نجد تلك الحقيقة واضحة وهي أن السماء هي التي بدأت الاتصال بالإنسان، وأن فكرة التوحيد النقية كانت الفكرة الأصلية التي ساورها التشوبه والتحريف نتيجة للظروف المعقدة التي عاش الإنسان ضحية لها، حتى حجبته وحالت بينه وبين الاستقاء من المعين الأصلي، حتى إذا رأت السماء الحاجة الماسة إلى تجديد الفكرة ومقتضياتها أعادت الإرسال إلى الأرض[1]، ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾[2]، ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾[3].

(١) د. جعفر، في الدين المقارن ص٤٨، ودراز، الدين ص١٧٣.

(٢)النساء، ١٦٥.

(٣) فاطر، ٢٤.

الفصل الثاني

الديانات القديمة (البائدة)

المبحث الأول

الديانات المصرية

إن الدين -كما عرفنا- أقدم شيء عرفه الإنسان، وأن عقيدة التوحيد كانت -كما اتضح لنا- أول عقيدة دان بها، وشعر بالأمن والطمأنينة في ظلها، إلا أن هذه العقيدة النقية تشوهت نتيجة ما عانى الإنسان من مشاكل ومشاغل وسيطرت عليه الخرافات والأساطير، والسحر والشعوذة وصاغ له الكهنة أنماطاً دينية متنوعة بغية التخفيف عنه وإعادة الأمن والطمأنينة إلى نفسه المتعبة القلقة. ومن هذه الأنماط "الديانة المصرية" التي تميزت منذ بدايتها بعقيدة البعث والحساب.

كان المصريون أكثر الأمم القديمة تعبدا وتمسكا بالدين وتعاليمه حتى أن الدين كان عاملاً فعالاً في كل نشاطاتهم الحياتية، وأعمالهم اليومية.. في الكتابة في الحاجات الخاصة، وفي الإرشادات الصحية، وفي أوامر الشرطة وسلطان الحكم(١).

كما تميزت الديانة المصرية بتعدد الكائنات المقدسة التي يعتبر احترامها من احترام الآلهة، بل قد تبلغ هذه الكائنات رتبة الآلهة. ولقد لعبت الحياة السياسية دوراً كبيراً في إعطاء الديانة المصرية طابعها المميز، فقد كانت مصر مكونة من عدة مقاطعات صغيرة وكان لكل منها آلهتها الخاصة، وعبادتها المختلفة، فآمون في طيبة و"رع" في هيلوبوليس و"آتون" في هرموبولس و"بتاح أو فتاح" في منفيس و"هوروس" في أدفو

---

(١) الشيخ محمد أبو زهرة: مقارنات، الأديان القديمة، ص٥، ومحمد فؤاد الهاشمي، الأديان في كلفة الميزان ص٢٤، والدكتور طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، حضارة وادي النيل، ج٢، ص٧٨، ١١٥.

و"هاتو" في دندرة و"أوزيريس" في أبيدوس وغيرهم كثير هنا وهناك. وكانت مكانة الآلهة مراتب متفاوتة تبعا لتفاوت مراتب المقاطعات السياسية[1].

وهكذا نجد أن الديانة المصرية تتميز بتعدد لآلهة وتنوعها اللهم إلا في عهد "أختانون" الذي ثار على هذا التعدد والكثرة الساحقة للآلهة ودعا إلى عبادة إله واحد.

الآلهة وأصلها:

والآلهة المصرية ترجع من جهة أصلها إلى القوى الطبيعية التي كانت ذات أثر مهم في حياة سكان وادي النيل الأقدمين "حيث حسموا وشخصوا هذه القوة وعبدوها على هيئة آلهة، أهم ما تتصف به صفة التشبيه. أي أنها كالبشر من ناحية الصفات الروحية والجسمية ولكنها أعلى وأسمى من الإنسان وبيدها القدرة ومصير الكون والطبيعة والإنسان كما أنها تتصف بالخلود بوجه عام"[2].

وقد أرجع بعض الباحثين القوى الطبيعية التي كانت أصل الآلهة المصرية إلى ثلاثة مصادر رئيسية:

القوى المستمدة من الشمس: إله الشمس (رع) أتوم (خفرع) وقد نشأت ونمت في معبد الشمس (هليوبوليس).

القوى المستمدة من الأرض: إله الأرض (جيب) (فتاح) وكان الأخير هو الإله الخالق بحسب لاهوت الخليفة الخاص بمدينة (منفيس) أما (جيب) فقد ورد في الآداب الدينية أن الغلة تنمو على أضلاعه.

القوى المستمدة من الحيوان: قدس المصريون الحيوانات حتى آل بهم الأمر إلى

(١) انظر: المصادر السابقة وفاروق الدملوجي، تاريخ الألهة، الكتاب الثاني، ج٢، ص٦٤، والدكتور إبراهيم رزقانه، حضارة مصر والشرق القديم، ص٨٥، وجيمس هنري برستيد تطور الفكر والدين في مصر القديمةص٣٥.

(٢) طه باقر: المقدمة، ص٨٨، وانظر: إبراهيم رزقانه، حضارة مصر والشرق القديم ،ص٨٢، وجيمس هنري برستيد، تطور الفكر والدين في مصر القديمة ص٣٥ والهاشمي، الأديان في كفة الميزان، ص٢٤-٢٥.

أن اتخذوها آلهة تعبد ولكنها لم تعبد في البداية لكونها آلهة وإنما لأنها رمز للآلهة فكان لكل إله رمز خاص به، فيرمز برأس أبي قردان للإله (توت) ولآمون برأس كبش و(فتاح) برأس عجل.

ولما كان لكل مكان إلهه فله أيضاً حيوانه المقدس وقد يكون الحيوان مقدسا في مكان بينما هو غير مقدس في غيره. فالتمساح الذي كان يعبد في (طيبة) كان يطارد ويقتل في غيرها. ولما سرت فكرة تقديس الحيوان بين العامة لم يعبدوه على أنه رمز للآلهة وإنما على أنه من الآلهة نفسها، وبذلك صار عندهم في صف الآلهة، وليس رمزا لها(١).

ولوحظ أن عبادة الحيوان كانت -في البداية- مقصورة على واحد من آحاد نوعه يختار لصفات تلحظ فيه.

قال المؤرخ الكبير (هيردوتس) في وصف العجل الذي وافقت أوصافه العلامات عند الكهنة "آبيس: هذا عجل شاب، لا تستطيع أمة أن تلد غيره...، ويعرف هذا العجل ببعض علامات: شعره أسود، وفي جبهته غرة مثلثة بيضاء، وعلى ظهره صورة نسر وتحت لسانه صورة عجل، وشعر ذيله مضاعف(٢).

ثم ترقت عقيدة المصريين في تأليه الحيوان وعبادته فانتقلوا من اختصاص حيوان من آحاد نوعه بالعبادة بحلول الإله فيه، إلى عبادة النوع كله بحلول الآلهة فيه. وعلى كل حال فإن من الملاحظ في الفكر المصري القديم أنه يؤمن بالتفريد أو بالإله الأعظم رغم إيمانهم بآلهة متعددة وليس أدل على ذلك من قواعد التكوين التي تتحدث عن نفوذ روح الغله (آمون) في أرواح كانت ترفرف فوق البحار. فخلق كل شيء في هذا الكون بعد نفوذه بالأرواح. وقد نزه المصريون الإله (آمون) عن الخطأ ووصفوه

---

(١) انظر: أبو زهرة، مقارنات الأديان، ص١٤، وسليمان ومظهر، قصة الديانات، ص١١، وفاروق الدملوجي، تاريخ الآلهة، ج٢، ص٦٤، وإبراهيم زرقانة، حضارة مصر، ص٨٣.

(٢) أبو زهرة: مقارنات الأديان، ص١٥.

بأنه عالم بكل شيء وهو في غاية الكمال، لا يشمله الزمان، ولا يحيط به المكان، وخلق السموات والأرض و لم يخلقه أحد..الخ، وهذه الصفات توحي بأن المصريين كانوا يعتقدون بانفراد إله في خلق الكون.

ويبدوا أن الكهنة قد لعبوا -على مر الزمان- دورا رئيسا في ضياع فكرة التوحيد وثبتوا معتنق الآلهة المتعددة في أذهان الناس[1] إن فكرة التفريد (الإله الأعظم) التي عرفها المصريون قد تطورت إلى عقيدة التوحيد الإلهي أو مهدت للدعوى إلى التوحيد التي بدأها الفرعون (أمينوفيس) حوالي عام ١٣٧٥ ق.م، أعظم ملوك الأسرة التاسعة عشر، بعد أن راعه سلطان الإله آمون، و لم يجسر على تسويد معبودة الحامي (تحوت) خوفا من ثورة الشعب عليه، وتحزب الكهنة وسدنة الأرباب الأخرى ضده. ولذا بدأ دعوته -وابتدع اسما رقيقا (اتون)- قرص الشمس- وكان يقدسه هو وزوجته (تي يي) وصنع قاربا كان يكثر من التنزه فيه مع زوجته أسماه (اتون يسطع) وعمل هذا الفرعون على تنشئة بنيه وبناته وخاصة ولي عهده (أمينوفيس الرابع) على عبادة (اتون).

ارتقى (أمينوفيس الرابع) الذي عرف باسم (أخناتون) العرش وكان أكثر جرأة من أبيه فجاهر بالتوحيد، ونادى بإلغاء عبادة الآلهة المتعددة وعبادة (أتون) وحده.. أي القوة الكامنة خلف قرص الشمس. فكر أمينوفيس الرابع في تلك القوة التي لا تراها عين والتي ترى كل شيء وتولى العالم والناس ما هم فيه من خير وإسعاد.. وطال به تفكيره. ولكنه لم يتشعب لأن بصيرته هدته في سرعة إلى الحقيقة وهي:

أن هناك قدرة تسود هذا العالم وتسير أموره وأمور من فيه. وأن هذه القدرة مستترة لا يمكن تشخيصها ولا تحديد هيئة لها وأن أياديها العديدة ذات الأفضال

---

(١) انظر: الدملوجي: تاريخ الآلهة ج٢، ص٦٢-٩١، وسنية قراعة، الرسالات الكبرى، ص١٠٨.

والمنن تمتد من سمائها ومن خلف قرص الشمس فتهب العالم كل شيء.[1] ولم يكد يمضي العام السادس على تولية (أمينوفيس) حتى غير اسمه إلى (أخناتون) أي عبد اتون. وأمر الناس بإنكار الإله القديم (امون) -الذي توارث شعبه تقديسه وعبادته- والإيمان بالآله الجديد (آتون) وخضع له الشعب، إلا أن رجال الدين والكهنة وخصوصا كهنة أمون- الذين ضربت مصالحهم وقلت مدخولاتهم- لم يرضوا عن هذه العودة (واعتبروها الحادا وحكموا على (اخناتون) بالفناء واللعنة، ولكنهم لم يجسروا على إعلان ذلك خشية الانتقاص من سلطان. فرعون كفرعون للبلاد، إذ كانوا يعتقدون أن هذا الظل البغيض سوف يزول وأن الشيء الذي سيبقى رغم أنف ذلك الكافر بعقيدتهم هو مصر وعقيدتها، التي ما كان لمثل هذه الدعوى العارضة أن تغير منها شيئا على الإطلاق أو تنال من قوتها التي تمكنت في النفوس وثبتت[2].

وحدث فعلا ما تنبأ به هؤلاء الكهنة فبعد أن مات أخناتون سرعان ما لحق به دينه وتغلبت فكرة التفريد (الإله الأعظم) على عقيدة التوحيد (الإله الواحد) مرة أخرى[3].

البعث والحساب:

لعل أعظم وأروع ما في الديانة المصرية هو الاعتقاد بالحياة بعد الموت وبالخلود فيها، وبالمثوبة أو العقوبة على ما قام به الإنسان من عمل صالح أو طالح في حياته الأولى الفانية. وقد قامت عقيدتهم هذه على أمرين رئيسيين:

(١) سنية قراعة: الرسالة الكبرى ص١١٢، وانظر مظهر: قصة الديانات ص٢١-٢٤، وإبراهيم رزقانه، حضارة مصر، ص٢٠٨-٢١٠، وجيمس هنري برستيد، تطور الفكر والدين في مصر القديمة، ص٤١٨.

(٢) المصدر السابق وإبراهيم رزقانة: حضارة مصر، ص ٢٠٦-٢١٠.

(٣) بموت أخناتون انهارت دعائم دينه، ولم يستطع خلفاؤه (سكنن رع) زوج ابنة أخناتون الكبرى ومن بعده (توت عنخ امون) زوج ابنته الثانية -أن يقفوا في وجه التيار الديني المضاد والمتحمس للعودة إلى تأليه آمون فرضخوا لكهنة آمون أملا في عونهم وطلبا لرضى الشعب وأعلن (توت) بطلان عبادة آتون واستبدال اسمه بآمون وهكذا انتصرت المصالح الذاتية على العقائد الدينية.

أولهما: فكرة العدل الإلهي:

قالوا: أننا نشاهد صراعا عنيفا بين قوى الخير والشر في الحياة. المسيء على إساءته ما استقام العدل الإلهي. إذن فمن العدالة أن يكون يوم آخر وحياة أخرى لينتصر فيها الخير والأخيار وينتصف فيها من الشر والأشرار.

وثانيهما: وجود الروح وخلودها.

اعتقد المصريون بأن الإنسان مكون من عنصرين متغايرين هما الجسد والروح وأن الجسد شيء كتب عليه الفناء، وأن الله قد وكل أمر حياة البشر وإحساسه وشعوره إلى روح تغاير الجسد صفة ومادة ونسيجا فهي خالدة لا تعترف بموت أو فناء . فالروح يفارق الجسد بعد الموت، ويعلو إلى السماء حيث يحتشد مع غيره من بقية الأرواح في قارب (رع) المجتاز للسماء سائرا بهذا الحشد إلى (الغرب) حيث (لوكارون) الذي يحمل الأجساد في قاربه إلى الأبدية وحيث مملكة (أوزوريس) رب المغرب والخلود التي تنتقل إليها الأرواح التي وصلت في مركب (رع). وعالم (أوزوريس) هو عالم الموتى. وفيه أيضا قاعة العدل التي وصلت في مركب (رع). وعالم (اوزوريس) هو عالم الموتى. وفيه أيضا قاعة العدل الإلهي أو قاعة الحساب ويتصدرها القاضي الأكبر أوزوريس، وإلى جانبه زوجته إيزيس. وأختها نفتيس، وأمامه يقف ابنه (حوريس) ومعه (أنوبيس) الموكول إليه أمر الموتى وبمبعدة من عرش القاضي الأكبر يقف (توت) رب الحكمة، يحمل صحائف أعمال الأرواح القادمة إلى قاعة العدل والتي سطرت فيها الحسنات والسيئات. ولا تكاد تبدأ المحاكمة حتى يأخذ كل من هؤلاء مكانه، ويجلس الإثنان والأربعون قاضيا في أماكنهم ويوضع الميزان وإلى جانبه (معات) ربة العدل، وبمبعدة منه الوحش البشع الهيئة الذي يسمى (الملتهمة) يجلس متحفزا في انتظار الروح الشريرة ليتولى عذابها[1].

---

(١) نفسه، ص١٢٥، ١٢٦، وانظر: إبراهيم رزقانة، حضارة مصر والشرق القديم، ص١٧٥، وجيمس هنري برستيد، تطور الفكر والدين في مصر القديمة، ص٨٥.

ومما تجدر الإشارة إليه أن عودة الروح وبقائها حية بعد الموت يتوقف على أشياء كثيرة عند المصريين منها:

قيام البشر بأمور طقوسية معينة، وتزويد المتوفي بما يحتاج إليه الأحياء من عون مادي كالأدوات والأثاث والطعام والشراب، والمحافظة على سلامة الجسم، ولذا بذلوا أقصى الجهد في سبيل المحافظة عليه، وجعله صالحا لحلول النفس فيه بعد الموت. وهذا ما حفزهم على التفنن في تحنيط الموتى، وبقاء المومياء على هيئة من التماسك وعدم التحلل حتى تعود النفس إلى غلافها. ولضمان عودة النفس تفننوا في إقامة تماثيل للموتى تشبه أجسامهم تمام الشبه حتى تحل فيها النفس إن كان الجسم غير صالح، ونحتوا أكثر من تمثال للميت الواحد، حتى إذا لم يكن أحدهما صالحا تحل في غيره.[1]

كتاب الموتى:

كان لهذا الكتاب شأن كبير عند المصريين لأنهم يزعمون أن أحد الآلهة قد كتبه بيده ولذا يتعبدون بتلاوته وهم أحياء، ويوضع معهم في قبورهم وهم أموات.

يشتمل هذا الكتاب على جميع الكلمات السحرية التي تستعمل لعلاج الأمراض وعلى الصلوات والأدعية. وعلى ما يجب للميت من تحنيط وطقوس دينية وعلى ما تلقنه الروح لتحسن الإجابة أمام محكمة الحساب. جاء في أحد أبوابه: (إن الكتاب يعلي شأن الميت في أحضان (رع) ويحبوه السبق لدى (آتوم) ويجعله عظيما لدى (أوزوريس) ومرهوب الجانب لدى الآلهة. وكل ميت وضع له هذا الكتاب تخرج روحه نهارا مع الأحياء وتصعد إلى الآلهة، ولا يعترضها عارض تدنيه الآلهة منها وتلمسه لأنه شبهها ويوقفه هذا الكتاب على ما حدث منذ البدء. هذا كتاب خفي وهو حق لم يعلم به أحد، أنه مالا عين رأت، ولا أذن سمعت أنه لا يراه أحد سواك، ومن علمك إياه، فلا تزد عليه شيئا من خواطرك وخيالك، بل قم بكل ما يدعوك إليه

---

(١) انظر: أبو زهرة، مقارنات الأديان، ص١٧، وطه باقر، المقدمة،ص٩٦.

وسط بهو التحنيط..) هذا جزء مما تقوله الروح -دفاعا عن نفسها- أمام محكمة الآلهة في العالم الآخر وهو مقتطف من أحد فصول الكتاب (يا سادة الحقيقة: إني حامل الحقيقة إنني لم أخن أحدا و لم أغدر. بأحد و لم أجعل أحدا من ذوي قرابتي في ضنك و لم أقم بدنيئة في موئل الحقيقة، و لم أمازج عملي بشر قط، وجافيت الضر والأذى، و لم أعمل باعتباري رئيس أسرة ما ليس من عمل ربها، و لم أكن سببا في خوف خائف ولا عوز معوز، ولا ألم متألم ولا بؤس بائس. لم أجع أحدا، و لم أقتل نفسا، وما حرضت أحدا على قتل أو خيانة.. لم تكن ثروتي عظيمة إلا من ملكي الخاص، إنني لم أنقص مكيال الحبوب، و لم أكن طامعا، و لم يكن صوتي عاليا فوق ما يجب. و لم تأخذني حدة الغضب في طبعي، إنني لم أسب و لم أكن متسمعا و لم أكن متكبرا. إني لم أرتكب زنا مع امرأة، إني لم أدنس عرضي، قولوا عني الصدق أمام الرب المهيمن، ولا تقدموا ضدي أية شكاية أمام الإله العظيم، لأني إنسان طاهر الفم طاهر اليدين وإني من قال له كل من رآه: مرحبا، مرحبا. فأنا نقي، أنا نقي، أنا نقي[1].

وهكذا تظل الروح تذكر براءته من اثنين وأربعين خطيئة تغضب ربه وتنهي دفاعها الإنكاري هذا بالتوسل للآلة الأكبر كي يمن عليه بالمغفرة، وأن يسمح له بالحياة في النعيم الأبدي. ويضرع إلى الاثنين والأربعين قاضيا لكي يشفعوا له.. وإذا نجحت الروح في الدفاع عن الميت، وزكته أعماله أصدرت المحكمة حكمها ببراءته ومن نصوص الحكم كما جاء في الكتاب (ليس فيه شر، ولا خطيئة ولا فساد. ولا دنس وليس عليه اتهام ولا في أعماله ما يشين الأعراض فقد عاش في الحق وتغذى بالحق وأن أفعاله تشرح الصدور وهي ما يطلبه الرجال ويسر الآلة وقد أخلص للآلهة فحبته وأعطى الخبز من كان خاويا والماء من كان صاديا واللباس من كان عاريا، وأعار الزورق لمن ليس عنده..).

---

(١) أبو زهرة، مقارنات الأديان، ص١٩-٢٠، وسنية قراعة، الرسالات الكبرى، ص١٢٧-١٢٩، والسيد محمود أبو الفيض، الدين المقارن، ص٧١،٧٢ وإبراهيم رزقانة، حضارة مصر، ص١٧٥.

وفي نهاية بحثنا الموجز للديانة المصرية نسجل الملاحظات التالية:

١- أن فكرة تعدد الآلهة ظلت مسيطرة على نفوس المصريين القدماء ما عدا فترة حكم الفرعون (اخناتون) الذي سعى لتحطيم فكرة التعدد، وإنشاء عقيدة الإله الواحد، وقد نجح فترة حكمه فقط بعدها عاد المصريون إلى التعدد، ولكنهم في جميع عهودهم لم ينسوا عقيدة الإله الأعظم أو الإله الأكبر.

٢- إن وحدانية أخناتون لم تصل إلى التجريد المطلق الذي هو طابع الديانات السماوية فيما بعد ولا سيما ما نص عليه القرآن الكريم -ليس كمثله شيء- بل ظلت هذه الصورة مرتبطة بصورة هذا الكوكب السماوي الشمس.

٣- أن الديانة المصرية كانت تتأثر بالأحداث السياسية في البلاد.

٤- أن الخلود والسعادة في الحياة الأخرى مشروطان بأعمال الإنسان الخير في الحياة الأولى.

٥- أن الآلهة المصرية آلهة خيرة. تطلب من المؤمنين بها فعل الخير وتثيب عليه والابتعاد عن فعل الشر وتعاقب عليه.

٦- على الرغم مما حفلت به الديانات المصرية من أوهام وخرافات فإنها قد اشتملت على نماذج أخلاقية عالية وفضائل قيمة وآداب عظيمة صارت فيما بعد معينا قبست منه الديانات الإنسانية -غير المنزلة- والحكماء شيئا كثيرا.

٧- من المحتمل أن تكون عقيدة التوحيد في الديانة المصرية قد ارتكزت أو استمدت من فكر إلهي غير مباشر وذلك لما يأتي:

أ- إن إدريس الذي عرف عند المصريين باسم (حوريس) أو (هوروس) وعند اليونان (هاروماكيس) وعند العبرانيين (خنوخ) والذي سماه الله في كتابه الكريم (إدريس) قد هاجر وأتباعه من بابل إلى مصر قبل عصر (مينا) أو (ميناس) أول الفراعنة بعد حكم الكهنة -حوالي ٤٥٠٠ ق.م- وكان يدعو إلى التوحيد، بل كان صديقا نبيا. فهل بقي أثر لدعوته هذه حتى

وصل إلى الفرعون التاسع عشر (أمينوفيس)؟ ليس ذلك ببعيد.

ب- من الثابت تاريخيا أيضا أن إبراهيم الخليل قد هاجر إلى مصر في العهد السابق لأسرة أخناتون. وبعد هجرة إدريس إليها، وأنه بقي فيها مدة اختلط خلالها بالشعب المصري واتصل بفرعونها، الذي هم أن يتزوج بالسيدة سارة (زوجة إبراهيم) قبل أن يكتشف أنها زوجته[1]، ومعروف أن إبراهيم ذو دعوة توحيدية (الحنيفية) فربما يكون قد ترك أثرا لدعوته هذه في مصر.

ج- أن يوسف حفيد إبراهيم قد حمل إلى مصر في ظروف معينة وعاش فيها فترة طويلة في ظل (عزيزها) وقد أخبرنا القرآن الكريم أنه جادل بعض رفاقه في السجن جدالا خفيفا حول الوحدانية التي كان يدين بها في قوله (يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار)[2]. فلعله قد تأثر بديانته هذه بعض من اختلطوا به.

د- أن احتلال المصريين لكثير من أقطار آسيا واتصالهم بأهلها - بحكم شؤون البلاد- قد أطلعهم على ما فيها من آثار النبيين من شرائع وعقائد فربما نالت هذه الآثار من النفس المصرية شيئا وانتقلت مع العائدين منهم إلى مصر.

---

(١) انظر: العقاد ، أبو الأنبياء، ص ١٩، ٧٠، ١٢٠، ١٢٩، ١٣١.

(٢) يوسف، ٣٩.

المبحث الثاني

الديانة البابلية

كانت مكانة الآلهة عند البابليين متفاوتة -كمكانة الآلهة عند المصريين- تبعا لتفاوت المقاطعات السياسية ونظرا لسيطرة بعض المقاطعات على الأخرى نتيجة الحروب التي كانت تنشب دوما بينها فقد ارتفعت مكانة إله المقاطعة المنتصرة، ثم أصبح العراق القديم يحكم من قبل ثلاثة آلهة وهم (ادوم أو انو) إله السماء و(انليل أو بعل) آلهة الهواء والأرض و(انكي أو ايا) آلهة البحر أو المحيطات[1]، وكانت هناك مجموعة كبيرة من الآلهة عدا هؤلاء لها اختصاصات أخرى في الكون.

وكان الناس يعتقدون أنهم خلقوا من طينة الأرض وشكلوا حتى يشبهوا الآلهة وأنهم ما خلقوا إلا لعبادتهم وطاعتهم ولذلك اعتبر الناس أنفسهم ملزمين تجاه تلكم الآلهة بأمرين:

أحدهما: خشية الآلهة...

وثانيهما: عبادته وتقديم القرابين له[2].

وهكذا نجد أن الديانة البابلية تتميز بتعدد الآلهة ولكن البابليين في الوقت نفسه كانوا يفردون بعض الآلهة ويفضلونها على الأخرى أي أنهم كانوا يؤمنون بفكرة

---

(١) انظر: مظهر، قصة الديانات، ص٤٠، وطه باقر، المقدمة ص٢٤٧، وعبد المنعم أبو بكر، حضارة مصر والشرق القديم، ص٢٠١، وعيسى الحلو، عصور ما قبل التاريخ وتاريخ بابل القديم، ص١٥٢.

(٢) انظر: المصادر السابقة، ص٤١ و ٢٢٥، ٢٥٦، ٣٠٣.

التفريد لا بمبدأ التوحيد، والتفريد هو تخصيص إله أو جملة آلهة بالتعظيم والعبادة دون ترك الآلهة الأخرى.

وأما التوحيد: فهو الاعتقاد بإله واحد وقصده وحده بالطاعة والعبادة.

أولا: الآلهة وأصلها:

والآلهة في العراق القديم ترجع من جهة أصلها -كالآلهة المصرية- إلى قوة الطبيعة. حيث انتخب العراقيون أهم الظواهر الطبيعية التي كان لها أثر قوي في حياتهم وشخصوها على هيئة آلهة وبقيت صفة الظواهر الطبيعية بارزة في آلهة العراق، وحتى بعد أن تطورت وابتعدت عن نشأتها الأولى.

وقد أرجع الباحثون القوى الطبيعية التي كانت أصل الآلهة العراقية إلى ثلاثة مصادر:

١- القوى المستمدة من السماء (كانت السماء بوجه عام على رأس الظواهر الطبيعية فالسماء والأرض -عندهم -تؤلفان الكون- كما يشير إلى ذلك اسم الكون بالسومرية (آن.كي) فكان الإله (آنو) الممثل للسماء على رأس الآلهة البابلية ويمثل أصل السلطة في الكون[1].

٢- القوى المستمدة من الجو والهواء وكان يمثل هذه القوى الإله (انليل) وهو يمثل القوة المنقذة. ولذا يأتي بعد الإله (آنو) في الدرجة والمكانة لأن الأخير -كما عرفنا- يمثل مصدر السلطة.

٣- القوى المستمدة من الأرض وقد شخصت بهيئة آلهة متعددة (والأرض عدا أنها مصدر الخصب والإنبات فإنها مصدر الماء. فكان الماء عنصرا مهما من قوى الطبيعة التي جسمت على هيئة إله، وقد دعي (أنكي) (أي سيد الأرض)،

---

(١) طه باقر، المقدمة ص١١٥، وانظر: عيسى الحلو، عصور ما قبل التاريخ ص١٥٢، والعقاد، الله ص١٠٥.

ووصف بالحكمة والدهاء وقوة الخلق، مما هي من صفات الماء التي شعر بها من يمارس شؤون الإرواء مثل سكان العراق القدماء[1].

- **أبرز الآلهة:**

١- آنو: وكان يحتل مركز الصدارة بين المعبودات في قوائم الآلهة في العراق القديم وقد وصف بأبي الآلهة.. وملك الآلهة ومقره في السماء وعرشه في أعلى قبتها وقد عبد هذا الإله في جميع أنحاء العراق وخصصت لعبادته مدن شيدت فيها معابدة أهمها مدينة نفر واور والوركاء.. وعبد معه في المدينة الأخيرة الآلهة الشهيرة (عشتار) التي دعوها ابنته[2].

٢- انليل: وكان إله الهواء والجو والظواهر المتعلقة بهما وصار كبير الآلهة عند السومريين والبابليين، ولقب بأبي الآلهة أيضا ومعنى اسمه: (السيد الهواء) أو (الرب الهواء) ولقب بسيد الأرض وكان يحكم جميع البشر وله شبكة مقدسة يحبس فيها العصاة والمذنبين وكانت بيده ألواح القدر ومدينة نفر موضع عبادته وتقديسه وقد حازت بسبب ذلك على أرفع مكان بين المدن السومرية وكان (سن) إله القمر يسمى أحيانا (ثوير انليل القوي) ويعتبر ابنا له يتناوب أخذ الشبكة من أبيه[3].

٣- (أيا) أو (انكي): وهو ثالث أفراد الثالوث الرئيسي للآلهة التي اقتسمت العالم وكان يمكن التمييز بين ثلاثة أنواع من الأرض.. الأرض العليا حيث يحكم (انليل) والأرض السفلى حيث يحكم (نرجال) والأرض الوسطى حيث مملكة (أيا) أو (انكي) سيد الماء المقدس، وهو إله الحكمة والمعرفة الذي علم البشر الكتابة والصناعة والفنون وأصول العمران وقد تمت عملية خلق البشر على يده فهو الذي شكل

---

(١) نفس المصدر.

(٢) انظر: المصدر السابق، ص٢٤٧، ومظهر، قصة الديانات، ص٤٤.

(٣) المصدرين السابقين، ص٢٤٨، ٤٤.

الإنسان من الطين ونفخ فيه نسبة الحياة عندما استنجد به الإله (مردوخ) في عملية خلق الإنسان الأول.

وكان عبادته مدينة أريدو وقدس كذلك في جميع أنحاء العراق وبالأخص في مدينة (أور) ولارسة والوركاء.

٤- مردوخ أو المريخ: كان في بداية أمره أنها خاصا لمدينة بابل ثم لما عظمت مكانة هذه المدينة في زمن حمو رابي وأصبحت عاصمة الإمبراطورية البابلية ارتفع شأن الآلهة مردوخ وصار مقدسا في جميع البلاد.

(وهو الابن البكر للآلهة أنكي أو أيا ورث عن أبيه العلم والسحر وهو الذي يتلو الرقي والتعاويذ للآلهة، ولمردوخ أربع عيون وأربع آذان فهو أعقل العقلاء بين الآلهة تسلم منهم القوة التي استطاع عن طريقها أن يدير شؤون السماء والأرض وقد تركزت فيه صفات الآلهة جميعا. وكلمته تخلق الخلق أو تمحوهم)[١].

٥- الإله القمر: كان اسمه عند السومريين والبابليين (سين) وسموه (ننار) أيضا أو (ننا) ومعناه رجل السماء وسمى عرب الجنوب الإله القمر (ود) وعند الآراميين (شهر) وعند الأمهريين (ورخ) و (يرخ) وخص الإله القمر بمدينة (أور) منذ أقدم الأزمان وشيد له فيها معبد شهير لا تزال بقايا الصرح المدرج فيها (الزقورة) باقية.. وخصصوا له زوجة هي (نتجال) وعبدت معه في معبده في أور وانتقلت عبادة القمر إلى جهات سورية وشيد له معبد في (حران).. وانتشرت عبادته من حران إلى الفينيقيين وقدسه البدو الآراميون والبدو العرب[٢].

٦- الإله الشمس (شمس): وقد سماه السومريون (اوتو) أي (الضوء والنور) ودعوه كذلك (بيار) أي (النير) وسماه الساميون (شمس) أي (الشمس) وكانوا يمثلونه

---

(١) مظهر، قصة الديانات ص ٤٦، وانظر: العقاد، أبو الأنبياء، ص٢٠٤، والله، ص ١٠٦.

(٢) طه باقر، المقدمة، ص ٢٥٠، ٢٥١، وانظر: العقاد، أبو الأنبياء، ص٢٠٤، وعيسى الحلو عصور ما قبل التاريخ وتاريخ بابل القديم، ص١٥١، ١٥٢.

بهيئة آدمية كما صور في أعلى مسلة حمورابي[1]. ومثلوه أيضا -غالبا- بدائرة ذات أربعة خطوط تنبعث منها حزم الأشعة.

وكانوا يصفونه بضوء العالم.. ضوء السماوات والأرض.. ضوء لآلهة.. الذي يولد الليل والنهار ويهب الحياة ويحمي الموتى. (ولأنه ينير بضوئه الظلمات فهو إله العدل والحق والشرائع وهو الذي أملى على حمورابي شريعته المقدسة. وهو القاضي الأعظم وسيد الكهانة والعرافة.

وعبد الإله الشمس بوجه خاص في مدينتي (لارسه) و (سبار) وقدسه الآشوريون وشيدوا له بعض المعابد وعبدت معه زوجته (آي)، وقد جسم البابليون (العدل) و (الحق) وعدوهما ابنتين للآلهة[2].

٧- عشتار: إحدى بنات الآلهة القمر (سين) وهي ذكر في الصباح يشرف على الحروب والمذابح.. وأنثى في المساء ترعى الحب والشهوة.. فهي ربة هلوك تسعى وراء اللذة والإغواء. وقد مثلوها بالزهرة ورمزوا إليها بنجم تخرج منه ثمانية من الأشعة أو ستة عشر داخل دائرة[3].

احتلت عشتار مكانا بارزا في ديانة وادي الرافدين و(انتشرت عبادتها إلى جميع أنحاء الشرق الأدنى وأنحاء أخرى من العالم وأخذ عبادتها الإغريق وسموها باسم (أفروديت) وعبدها الرومان باسم (فينوس) وقد سماها السومريون باسم (إينانا) أو (انيني) ومعنى ذلك سيدة السماء ودعاها الأكديون والأشوريون الساميون باسم (عشتار) وعرفت باسم (عشتاروت وعشترويت) عند الأقوام السامية الأخرى ولا سيما في جهات سورية، وعبدها العرب في الجنوب[4].

---

(١) انظر طه باقر، المقدمة، ج١، ص٢٥١، وسليمان مظهر، قصة الديانات، ص٤٥.

(٢) طه باقر، المقدمة، ج١، ص٢٥٢.

(٣) انظر: مظهر، قصة الديانات، ص٤٦.

(٤) طه باقر، المقدمة، ج١، ص٢٥٢، وعيسى الحلو، عصور ما قبل التاريخ وتاريخ بابل القديم، ص١٤٦.

٨- آشور: وهو الإله القومي للآشوريين واحتل عندهم المكان الأول من بين قائمة الآلهة السومرية، البابلية التي عبدها الآشوريون أيضاً. وقد كان آشور في مبدأ أمره إلها محليا لمدينة آشور ولكنه أخذ يكبر مع مدينته. ثم زاد نموا مع بلاده حتى اغتصب اختصاصات غيره من الآلهة.. فأصبح أبا الآلهة بدلا من الإله (آنو) وإله الأرض بدلا من الإله (انليل).. بل أنه صار خالقا للآلهة جميعاً. وقد اعتقد الآشوريون بأن له دورا مهما ورئيسا في شؤون الكون والخلق وشيدوا له المعابد الفخمة في آشور وفي غيرها من المدن الآشورية المهمة. ورمزوا إليه بإنسان يطير بجناحين، وبيده قوس وسهم والجناحان تنبعثان من قرص الشمس. وقد أخذ الفرس الأخمينيون هذا الرمز لإلههم أهورامزدا)[١].

نكتفي بهذا القدر من الآلهة مع أن غيرهم كثير في قائمة آلهة الديانات البابلية منهم: (نرجال) إله العالم الأسفل حيث مقر أرواح الموتى. وهو إله الوباء والدمار ويساعده في مهامه زوجته (ايرشكيجال) ملكة الأرض السفلى ومجموعة من الآلهة الصغيرة مع عدد من الشياطين والعفاريت.

ومنهم: (ادد) إله الجو والمناخ ولا سيما الأمطار والرعد والفيضانات ومنهم (بنو) ابن الإله (مردوخ) وكان إله المعرفة والحكمة وسكرتير الآلهة في مجالسها المقدسة.

ثانياً: الموت والعالم الآخر.

لم يشك البابليون في حتمية الموت وفرضه على البشر وجميع الأحياء ولكن يبدوا أن فكرة البعث بعد الموت والجنة والنار لم يعرفوها في بدء أمرهم على خلاف المصريين القدماء (وعلى ذلك: ففكرهم في القيام بالصلاة وتقديم القرابين لم تكن للحصول على الحياة الخالدة بل طمعا في النعم المادية الملموسة في الحياة الدنيا).

---

(١) انظر: باقر، المقدمة، ص٢٥٤ ومظهر، قصة الديانات، ص٤٧، وعبد المنعم أبو بكر، حضارة مصر والشرق القديم، ص٣٤٣.

وعقيدتهم في ذلك هي: أن الإنسان ما دام يعمل صالحا فقد استحق رضى الله وعاش متمتعا بالسعادة. أما إذا أذنب -بقصد أو بدون قصد- فإن الإله حاميه يتخلى عنه فتتلقفه مخلوقات الشر ويتردى في عالم الرذيلة.(1)

وبالموت تنفصل الروح عن الجسد وتنتقل إلى طور جديد من الوجود إذ تنحدر بعد وضع الجسم في القبر إلى عالم الأرواح وهو العالم السفلي(2) وتعيش هناك إلى الأبد حيث لا قيامة ولا رجعة ولا جنة ولا نار.

ثم انتقلت إلى بابل بعض المعتقدات المصرية حول عودة الروح إلى الجسم في القبر والحساب وما يترتب عليه من نعيم أو عذاب يدل على ذلك: طرق الدفن لديهم وما نجد في قبورهم من الأثاث واللوازم الخاصة بالميت ولا سيما ما ورد في اللوح الثاني عشر من ملحمة جلجامس (أن بعض الموتى ممن خلفوا الحسنات والمآثر الصالحة.. يعيش في هذا العالم (العالم السفلى) عيشا فيه بعض الراحة حيث يمنح الماء والطعام(3).

ثالثا: العبادات والشعائر.

عرفنا أن البابليين اعتقدوا أن الآلهة إنما خلقت البشر لعبادتها وطاعتها وإقامة معابدها ومناسكها وتقديم القرابين لها وأن من يخشى إلهه ويطيعه ويلتزم بتقريب القرابين له فإنه يعيش في دنياه راضيا مرضيا وأن من يعصي ويقصر في حق الآلهة فإنه يعاقب في الدنيا عقابا شديدا.

---

(1) مظهر، قصة الديانات ص ٤١، وعبد المنعم أبو بكر، حضارة مصر والشرق القديم، ص٣٠٢، والعقاد، الله ص١٠٧.

(2)وهو عالم مخيف وقد تخيلوه بشكل مدينة يحيطها سبعة أسوار يحرسها مردة الشياطين وسموه بأسماء مختلفة منها (كيجال) و (الأرض التي لا رجعة منها)، وتحكم هذه المدينة آلهة شديدة قاسية هي (ايرش-كيجال) أي (ملكة العالم الأسفل) ويساعدها في حكمها مجموعة من الآلهة والشياطين والكتاب لتسجيل الموتى.

(3) طه باقر، المقدمة، ص٢٣٣، وعبد المنعم أبو بكر، حضارة مصر والشرق القديم، ص٣٠٢، حيث يقول (ومن حقنا أن نفترض أن السومريين كانوا يؤمنون بالحياة الأخرى ودليلنا على ذلك: تزويد مقابرهم بأنواع شتى من الطعام والأدوات لا بد أنهم اعتقدوا باستعمالها في دنيا الموت ولكنهم في نفس الوقت صوروا الدار الآخرة كعالم مظلم تسكنه الأطياف التعسة ويهوى إليه الموتى أيا كان شأنهم من غير تمييز بينهم وانظر، ص٢٧٦، من المصدر نفسه.

ولذلك اهتم العراقيون القدماء بإقامة المعابد للآلهة وحرصوا على إرضائها وتقديم القرابين لها التزاما بخشيتها وعبادتها من جهة وأملا في أن تمنحهم السعادة والرخاء في الحياة الدنيا من جهة أخرى ولعل أوضح مثل لذلك ما قاله الملك آشور للآلهة عندما رمم معابدها (امنحوني -أنا الذي أخشى معبوداتي العظيمة- حياة تمتد أياما طويلة وسرور قلب) والشعائر الدينية كثيرة متنوعة: منها الصلوات والقرابين والأعياد الدينية ومنها، ما يتخذ لمعرفة طالع الإنسان والوقوف على المستقبل ونتيجة أعمال الإنسان وهو ما يطلق عليه (العرافة والكهانة).

ومنها ما يتخذ لطرد الشياطين من جسم الإنسان وشفاء المرضى مما يدخل تحت السحر. وبوسعنا أن نقسم أنواع العبادات والطقوس الدينية إلى صنفين:

صنف عام يقوم به الفرد لتحقيق الغاية التي خلق الإنسان من أجلها وهي عبادة الآلهة. وصنف يقوم البشر لتحقيق آمل أو حاجة كإزالة الأمراض ودرء الشياطين والأرواح.[1]

وأنواع العبادات كثيرة ومتنوعة:

منها ما يقوم الفرد بنفسه بدون وساطة كهنة المعبد كالدعاء وصلاة التوبة والاستغفار ومنها ما يقوم به الكهنة كذبح القرابين وما يتبع ذلك من أعمال وصلاة وحرق البخور وسكب السوائل المقدسة.

ومنها الأعياد والمهرجانات الدينية التي كانت تقام في المدن المختلفة منها الأعياد السنوية التي يحتفل بها في رأس كل سنة لتمجيد إله المدينة.

وفي نهاية بحثنا للديانة البابلية نسجل الملاحظات التالية:

١- أن الديانة البابلية لم تعرف عقيدة التوحيد (الإله الواحد) وإنما تميزت في جميع

---

(١) طه باقر، المقدمة ص٢٥٦.

عصورها بمبدأ التفريد (الإله الأعظم) فقد اتضح لنا أن (آنو) كان الإله الأعظم بل أبا الآلهة جميعا عند السومريين والآكديين. وأن مردوخ قد حل محله واغتصب منه وظائفه حين علا شأن البابليين. وأن (آشور) قد علا عليهما واغتصب وظائفهما حين آلت السيادة للآشوريين.

٢- أن عقيدة البعث والحساب والجنة والنار لم تكن واضحة في الديانة البابلية وأنها لم تستقر في عقولهم بادئ ذي بدء ومن المرجح أنها انتقلت إليهم من الديانة المصرية ولكن بصورة مشوهة ومشوشة.

٣- كان للدين عند العراقيين الأقدمين -كما كان له عند المصريين- المكان الأول في حياتهم العامة والخاصة وكان مفهومه يدور عندهم على ركنين أساسيين:

أولهما: الاعتقاد بوجود كائن أو كوائن أو قوى فوق الطبيعة.

ثانيهما: يمكن للبشر بل من الواجب عليهم أن تكون لهم علاقات بتلك الكوائن والقوى.

٤- كان للديانة البابلية نوع تأثير في الديانات الأخرى فقد عبد الأغريق (عشتار) باسم (أفروديت) وعبدها الرومان باسم (فينوس) كما عبدها عرب شبه الجزيرة. واستعار الفرس رمز الإله (آشور) لآلهم (أهورامزدا) وعبد الفينيقون والعرب الأوائل الإله القمر (سين) ومنه أخذ اسم سيناء.

٥- من الخصائص البارزة في الديانة البابلية طغيان صفة التشبيه على الآلهة. فقد وصف العراقيون القدماء آلهتهم بصفات البشر الروحية والمادية كالصور والأعضاء والفكر والرأي والعاطفة وبأنها تتزوج وتعشق وتنجب وتأكل وتشرف وتسكن المعابد التي شيدها لها البشر. فهي عموما كالبشر فيما عدا تمتعها بالخلود والطاقات المعجزة.

٦- لم تكن الآلهة البابلية كلها آلهة خيرة، إنما كان بعضها كذلك وبعضها شرير مدمر وبعضها متقلب فهو تارة خير وأخرى شرير وأوضح مثل لذلك (عشتار) فقد كانت تسعى للحرب والدمار في النهار وتركض وراء اللذة في الليل.

المبحث الثالث
الديانة اليونانية

مرت الديانة اليونانية بأربعة أدوار متلاحقة وهي:

الأول: دور الديانة الكريتية -نسبة إلى جزيرة كريت- ذلك لأن اليونانيين قد تدينوا بهذه الديانة في مبدأ أمرهم نظرا للتأثيرات الكبيرة بين الحضارتين الكريتية واليونانية. وهي ديانة وثنية في كافة عهودها، فقد عبد الكريتيون مظاهر الطبيعة من حيوان وجماد ونبات كالحية والطيور والثور والفأس ذي الرأسين ومزجوا هذه العبادات بطلاسم السحر والشعوذة. ومن الأرباب التي شاعت عبادتها في كل مكان من كريت (الربة الحية) ربة المنزل الحارسة و(الآلهة آلام) ربة المحلات المرتفعة والحيوانات الوحشية والطيور، وكانوا يرمزون إليها بالحية والحمامة. كما عبد الكريتيون الأشجار والينابيع المقدسة التي تشرف عليها ربة من الربات[1]. ويبدو أن الكريتيين قد اعتقدوا بنوع من الحياة الأخرى بدلالة ما وجد في قبورهم من حاجيات وأدوات.

الثاني: من خلال التطورات الطبيعية للديانة الكريتية تبلورت ذهنية الشعب اليوناني وبدأ يجمع عقائده ضمن قواعد ومفاهيم معينة، حيث جاء الشاعر هوميروس -صاحب الألياذة- فوضع بعض الصفات العامة للآلهة اليونانية، إلا أنه عاد فأعطى بعض المميزات للآلهة (زووس) في كتابه (الأوديسة)[2]. ثم جاء (هسيود أو أزيود)

---

(١) انظرك العقاد، الله، ص١٠٩، والدكتور سامي سعيد الأحمد، الإله زووس ص٩-١١، وأبو زهرة، مقارنة الأديان، الديانات القديمة، ص١٠٢.

(٢) The World's Religions. Charles S. Barden.

شاعر الفلاحين والعمال فكتب كتابة (أصل الآلهة) ويحوي مجموعة من الأساطير والمأثورات القديمة وفي الكتاب تركيز ظاهر على ولادة آخر الآلهة اليونانية (زووس). الذي قتل والده ليصبح الإله الأعظم للكون. وعلى هذا فإن هوميروس وهسيود هم الذين (صنعوا أجيال الأرباب لليونانيين وأعطوهم أسماءهم وميزوا وظائفهم ومهنهم ورسموا أشكالهم).(١)

وقد سمي هذا الدور... دور الآلهة أو الأرباب الأولمبية -نسبة إلى جبال الأولمب- حيث استقر الإله زووس (الإله الأعظم أو رأس الأرباب) ليحكم منه العالم وهو نفسه الإله (ديوس) المعروف في الديانة الهندية الآرية القديمة. وأما الأرباب الأخرى فهي كثيرة:

منها الربة (ارتميس) -ومثلها الربة أفروديت أو فينوس- وهي الربة (عشتار) البابلية ومنها الربة (ديمتر) وهي (ايزيس) المصرية - كما قال المؤرخ- (هيرودتس) وهي واحدة من أرباب كثيرة تشابهت عبادتها في بلاد الإغريق وعبادتها بين قدماء المصريين.

ومنها الرب (أدونيس) وهو من (أدوناي) العبرية بمعنى السيد أو الإله ومنها الرب (سرابيس) وهو اسم مركب من اسمي (أوزيريس وأبيس المعبودين المصريين)(٢).

وكانت صفة التشبيه طاغية على أرباب اليونان -كآلهة بابل- فقد وصفوها بكل صفات البشر الروحية والمادية كالصورة والأعضاء والفكر والعاطفية فهي -أي الأرباب- تأكل وتشرب، وتلعب وتلهو، وتحب وتكره وتفرح وتحزن وتبغض وتحسد وتحقد عن وتنتقم وتحارب وتغزو وتنتصر وتنهزم..الخ، إلا أنها تختلف عن البشر في أنها خالدة وفي أن أعمالها خارقة(٣). ولم يكن لدى اليونانيين في هذا الدور أي كتاب

---

(١) سامي سعيد الأحمد، الآلهة زووس ص١٢، والنص للمؤرخ هيرودوتس.

(٢) العقاد، الله، ص ١٠٩، والسيد محمود أبو الفيض، الدين المقارن، ص١٢٥.

(٣) انظر: المصادر السابقة وأبو زهرة، الديانات القديمة، ص١١٣، والهاشمي، الأديان في كفة الميزان، ص٣٢.

مقدس أو شرائع دينية ثابتة وإنما كانوا يحتكمون إلى العرف والعادة وأقوال الحكماء والفلاسفة.

الثالث: في هذا الدور دخلت إلى اليونان -مع موجات من المبشرين الأجانب- أفكار جديدة حول الحساب والعقاب والخلاص شبيهة إلى حد ما بالأفكار المسيحية فيما بعد وقد عملت هذه الأفكار على تطوير الفكر الديني فصار الإنسان اليوناني -تحت تعليمات الأورفية-[1] نسبة إلى (أورفيوس) يخاف الموت ويحسب له حسابا.

وكانت نتيجة ذلك ظهور طبقة أشبه ما تكون بالرهبان وتتميز الفترة الأورفية بغموض الفكر الديني الإلهي والاستناد إلى الأسرار ركضا وراء فكرة الخلاص من عقاب اليوم الآخر وكان أعظم هؤلاء المبشرين هو (اكسينوفون)[2]. وهو (أول من نقل إلى الإغريق فكرة الإله الواحد المنزه عن الأشياء وكان ينعي على قومه أهم يعبدون أربابا على مثال أبناء الفناء ويقول: أن الحصان لو عبد إلها لقال: أنه أسود الأهاب وأن الإله الحق أرفع من هذه التشبيهات والتجسيمات ولا يكون على شيء من هذه الصفات البشرية.. بل هو الواحد الأحد المنزه عن الصور والأشكال وأنه فكر محض، ينظر كله ويسمع كله ويفكر كله، ويعمل كله، في تقويم الأمور وتصريف أحكام القضاء)[3]. ويمكن أن يسمى هذا الدور.. دور التكوين القائم على مؤثرات خارجية. وأهم هذه المؤثرات كان الديانات الآسيوية والمصرية.

---

(١) أورفيوس: شخصية مجهولة ولعله شخصية أسطورية وقيل أنه عاش قبل هوميروس إلا أنه لم يرد له ذكر في كتاب هسيود. والأورفية: نظام يشبه الرهبنة وقد سمي المنظمون أنفسهم (أورفيكوي) أي تابعي نصائح وإرشادات أورفيوس وعبدوا الإله (دايونيسيوس زاكريوس) وشجعت الدولة هذه العبادة وصار دايونسيوس زاكريوس مشرفا على تطهير النفوس في الدنيا ومنحها ما تستحق من ثواب أو عقاب. انظر: د.سامي سعيد الأحمد، الإله زووس ص١٨-١٩.

(٢) ولد في آسيا الصغرى، نحو ٦٠٠ ق.م، انظر: أنعام الجندي، دراسات في الفلسفة اليونانية والعربية، ص٣٦

(٣) انظر: الدكتور جعفر آل ياسين، فلاسفة يونانيون، ص٢٩، ٣٠، وأنعام الجندي، دراسات في الفلسفة اليونانية والعربية ص١٨.

الرابع: وهو أهم أدوار الديانة اليونانية لأن فيه برز الفلاسفة الذين أكدوا على سعادة الإنسان كهدف عليه أن يسعى لتحقيقه في هذه الحياة .

وبرز الأدباء والشعراء الذين أبدعوا في تصوير التراث اليوناني، الذي كان له تأثير كبير في معظم التراث العالمي إلى اليوم. ويمكن القول بأن الفلسفة قد بدأت منذ الدور الأول ولكنها لم تبرز وتتبلور إلا في هذا الدور.

وفيه ظهرت الفلسفة المادة الطبيعية المستندة إلى تحليل ظواهر الكون. ونشوء العالم دون اللجوء إلى الخلق الإلهي، نظرا لعدم وجود أنبياء -عندهم- أو شرائع سماوية تحد من تفكيرهم فراح (انكسمندريس) ٦١٠-٥٤٥ ق.م، واضع الفلسفة الدهرية - ينسب جميع حوادث الكون إلى الدهر ويمد الوجود إلى غير حد من الزمان والمكان ويقول بعوالم لا تحصى وبدور عام يتكرر إلى ما لا نهاية.

وأما التكوين عنده فهو اجتماع العناصر المادية وافتراقها تحت تأثير الحركة والدوران دون أن يكون لها سبب أو علة فاعلة[١].

وأهم ما يمتاز به هذا الدور.. طغيان فكر الإله الواحد فقد قال أفلاطون أن العالم معلول بعلة فاعلة مدبرة وهذه العلة هي (زووس-الله) وقال: أن المادة بحاجة إلى من يحركها.[٢]

وهذه العلة سرمدية لا أول لها ولا آخر، وهي الجوهر الأول في الكائنات جميعا.

وقال أرسطو: أنه يجب أن يكون لحركة العالم علة فاعلة أولى ثابتة غير متحركة -(الله-زووس) ولا يجوز أن يكون لهذه العلة أبعاض أو أجزاء وإلا افتقرت إلى شيء من خارجها

---

(١) نفس المصدر.

(٢)يعتبر أفلاطون من أوائل الفلاسفة القائلين بوجود الله وبأنه الخالق للعالم والمدير لأمره وبرهن على ذلك بعدة براهين أهمها برهان النظام حيث قال: أن العالم آية في الجمال والنظام ولا يمكن أبدا أن يكون هذا نتيجة علل اتفاقية (مصادفة) بل هو صنع عاقل كامل توخي الخير رب كل شيء عن قصد وحكمة. انظر نديم الجسر، قصة الإيمان ص ٣٩-٤٠. وأنعام الجندي، دراسات في الفلسفة اليونانية والعربية، ص٥٤.

يستوفيها، وهي مجردة عن المادة لأن المادة بحاجة إلى من يحركها[1].

وهكذا لعبت الفلسفة اليونانية دوراً مهماً في جعل الأفكار اليونانية مرنة تتمكن من التمازج والتفاعل مع أفكار العالم الحية. إذ بعد احتكاكها بالديانة المصرية وبالذات مدرسة الإسكندرية الفلسفية والديانات والفلسفات الآسيوية ظهرت المدرسة اليونانية الحديثة بزعامة الفيلسوف (فيلون)[2]. الذي وضع شرحاً كبيراً لآراء أفلاطون وجاء من بعده (افلوطين) فجدد مذهب (فيلون) وعرف مذهب أفلوطين هذا بالأفلاطونية الحديثة . وخلاصة رأي الأفلاطونية الحديثة في نظرية الوجود وخلق العالم هي: أن هذا العالم كثير الظواهر دائم التغير فلا يمكن أن يكون قد وجد بنفسه بل لا بد له من خالق مبدع وهذا الخالق هو الله. وهو واحد أحد أزلي ابدي قائم بنفسه وهو فوق المادة وفوق الروح. ولما كان التشبه منقطعاً بينه وبين الأشياء فلا يمكن وصفه إلا بصفات (سلبية) فهو ليس مادة ولا يوصف بأنه متحرك أو ساكن ولا يقال بأنه موجود في زمان أو في مكان ولا يمكن أن تضاف إليه صفة لأن هذه الإضافة تشبيه له بشيء من مخلوقاته وتحديد له. وهو لا نهائي وكامل ولا يفتقر إلى شيء ولسنا نفهم عن طبيعته إلا أنه يخلق كل شيء ويسموا على كل شيء ولا تدري كنهه العقول[3].

---

(١) يعتبر أرسطو أعظم الفلاسفة المؤلهة الأقدمين وهو واضح علم المنطق ويلقب بالمعلم الأول انظر: أنعام الجندي، دراسات في الفلسفة اليونانية والعربية، ص٣٣، وول ديورانت، قصة الفلسفة ص٧٨.

(٢) نشأ فيلون في الإسكندرية (٢٠ ق.م – ٥٤ ب.م) في الوقت الذي كانت فيه الإسكندرية قد خلفت أثينا في مركزها العالمي وكان المذهب المسيطر فيها يومئذ هو مذهب أفلاطون وكثر البحث والجدل في أصل العالم وكونه حادثا أو قديماً فوضع فيلون شرحا كبيراً لآراء أفلاطون ثم جاء بعد ذلك أفلوطين بين سنة ٢٠٧، ٢٤٠نـ فجدد هذا المذهب الذي عرف بعد ذلك بالأفلاطونية الحديثة. انظر نديم الجسر، قصة الإيمان، ص٥١.

(٣) نديم الجسر، قصة الإيمان، ص٥١، ٥٢، وقد علق على هذه الآراء بقوله: وهذا الكلام على ما فيه من حق ينطوي على كثير من الغلو في التنزيه حتى يكاد يجعل الله موجودا بلا ما هية فالاكتفاء بالصفات السلبية غير صحيح لأنه وإن كان فيه اعتراف وإيمان بصفات الوجود والقدم والبقاء والمخالفة للحوادث، والقيام بالنفس إلا أنه لا يثبت لله صفات العلم والقدرة والإرادة مع أنها متوجبة عقلا لله تعالى.

ولكن على الرغم مما أنجبت اليونان من فلاسفة عظام ونظريات فلسفية في غاية الأهمية في الوجود.. والخلق.. والمعرفة وما إلى ذلك. وعلى الرغم من اتفاق تلكم النظريات في العديدة من المسائل المتعلقة بالدين والعقيدة. كاعتبار أن الله موجود، كامل، خالق، وأن معرفته لا تكون إلا بالوحي والإلهام، والزهد، والتقوى، والعبادة، والتجرد عن الدنيا. فقد بقيت ديانة اليونان وثنية في جوهرها.. حتى ظهرت المسيحية فغلبتها حينا من الزمن وتمكنت من القضاء عليها ولكن بعد أن تركت هذه الفلسفات بصماتها واضحة جلية في المسيحية وأثرت فيها أبلغ الأثر[1]. وفي نهاية بحثنا للديانة الإغريقية (اليونانية) نسجل الملاحظات التالية:

١- إن الديانة اليونانية بقيت ديانة وثنية من نشأتها إلى منتهاها وأنها ارتكزت على تعدد الآلهة والأرباب وأن اليونانيين عرفوا مبدأ التفريد (الإله الأعظم) كما عرفوا مبدأ التوحيد (الإله الواحد) ولكنهم -رغم عقليتهم الجبارة- لم يستطيعوا تجريد عقيدتهم من علائق التشبيه والشرك لافتقارها وافتقارهم إلى الوحي والنبوة.

٢- إن اليونانيون -في مجال الدين والعقيدة لم يعطوا شيئاً وإنما أخذوا كل شيء عن الديانات الشرقية (المصرية، البابلية، الهندية، الفارسية) عن طريق الفينيقيين والكريتيين.

٣- لم يأخذ اليونانيون أصول ديانتهم عن الشرق حسب بل أخذوا أيضا أصول فلسفتهم وعلومهم وآدابهم وفنونهم وصناعتهم عن المصدر نفسه (الحضارات الشرقية) وبالأخص مصر، بابل، الهند. ولكنهم توسعوا فأبدعوا ونبغوا في كل ذلك. ولا سيما الفلسفة فقد توسعوا فيها وأضافوا إليها حتى طبعوها بطابعهم الخاص، حيث وضعوا لها النمط العقلي، والمنهج المنطقي، حتى صارت على ما هي عليه من عظمة وإتقان. ثم جاء دور الشرق -بعد ذلك- لينتفع من تلكم الفلسفات في مدارس الإسكندرية وجند يسابور وغيرهما من المدارس.

---

(١) The Worldls Religions, Charles. S. Barden

المبحث الرابع

الديانة الرومانية

لم تكن الديانة الرومانية أصيلة ومتناسقة لدى الشعب الروماني -على خلاف الديانات الشرقية- وإنما كانت عبارة عن نسيج مختلف التركيب.. مختلف الخيوط.. مختلف الألوان حيث تأثرت في جميع مراحلها التاريخية بالمعتقدات الوافدة من خارج روما كنتيجة مباشرة للاتصال الكثير بينها وبين العالم الخارجي.

ويمكن الإلمام بالديانة الرومانية من خلال تتبع تطوراتها في مراحل أو أدوار أربعة كالديانة اليونانية:

الأول: كانت الديانة الرومانية في هذا الدور بدائية ومختلفة ترتكز على الخرافة وعالم العفاريت أعتقد الرومان خلاله أن لكل شيء ربا "لكل مظهر من مظاهر الحياة رب، ولكل قوة في الإنسان رب، فعندما يولد الطفل يأتيه رب يعلمه النطق وربة تعلمه الشرب، وأخرى تقوي عظامه وربان يرافقانه إلى المدرسة وآخران يرجعان به ويعتقدون أن هناك أربابا للمدينة وللكتابة وللجبل ولكل نهر، ولكل نبع ولكل شجرة. ولقد قال الكاتب اللاتيني بترون في إحدى قصصه على لسان امرأة (إن بلادنا غاصة بالأرباب، بحيث يسهل عليك أن تلقي فيها ربا من أن تصادف رجلا)[1] إلا أنه لم يكن لهذه الأرباب معابد خاصة ولا تماثيل مقدسة وكانت عبادة الرومان لها قاصرة على طقوس بيتية يتولى القيام بها رب العائلة وتنحصر هذه العبادة في تقديم

---

(١) أبو زهرة، مقارنات الأديان، ص١١٤، وانظر: د.سامي سعيد الأحمد، الإله زووس ص١٧٧، حيث ذكر أسماء ووظائف كثير من هذه الأرباب والهاشمي، الأديان في كفة الميزان، ص٣٣.

المبحث الرابع

الديانة الرومانية

لم تكن الديانة الرومانية أصيلة ومتناسقة لدى الشعب الروماني -على خلاف الديانات الشرقية- وإنما كانت عبارة عن نسيج مختلف التركيب.. مختلف الخيوط.. مختلف الألوان حيث تأثرت في جميع مراحلها التاريخية بالمعتقدات الوافدة من خارج روما كنتيجة مباشرة للاتصال الكثير بينها وبين العالم الخارجي.

ويمكن الإلمام بالديانة الرومانية من خلال تتبع تطوراتها في مراحل أو أدوار أربعة كالديانة اليونانية:

الأول: كانت الديانة الرومانية في هذا الدور بدائية ومختلفة ترتكز على الخرافة وعالم العفاريت أعتقد الرومان خلاله أن لكل شيء ربا "لكل مظهر من مظاهر الحياة رب، ولكل قوة في الإنسان رب، فعندما يولد الطفل يأتيه رب يعلمه النطق وربة تعلمه الشرب، وأخرى تقوي عظامه وربان يرافقانه إلى المدرسة وآخران يرجعان به ويعتقدون أن هناك أربابا للمدينة وللكتابة وللجبل ولكل نهر، ولكل نبع ولكل شجرة. ولقد قال الكاتب اللاتيني بترون في إحدى قصصه على لسان امرأة (إن بلادنا غاصة بالأرباب، بحيث يسهل عليك أن تلقي فيها ربا من أن تصادف رجلا)[1] إلا أنه لم يكن لهذه الأرباب معابد خاصة ولا تماثيل مقدسة وكانت عبادة الرومان لها قاصرة على طقوس بيتية يتولى القيام بها رب العائلة وتنحصر هذه العبادة في تقديم

---

(١) أبو زهرة، مقارنات الأديان، ص١١٤، وانظر: د.سامي سعيد الأحمد، الإله زووس ص١٧٧، حيث ذكر أسماء ووظائف كثير من هذه الأرباب والهاشمي، الأديان في كفة الميزان، ص٣٣.

المأكولات والمشروبات واللحوم للآلهة رغبة في إرضائها وأملا في عطفها. ولم يصفوها بما يتصف به البشر من حب وبغض وزواج وإنجاب كما فعل اليونان. وكل ما كانوا يعتقدونه تجاه الرب أنه يسيطر على قوة من قوى الطبيعة ويعمل للناس الخير والشر على ما يشاء ويريد.

الثاني: في هذا الدور -ونتيجة لاتصال الرومان بالعالم الخارجي واحتلالهم لكثير من الأقطار- عرف الرومان المعابد الخاصة والتماثيل المقدسة ودخلت معتقدات أرباب اليونان وكثير من الأرباب المحلية للجماعات والشعوب المحتلة إلى روما وتأثر الرومان بها وعبدوها كذلك "فمن المستعمرة اليونانية في كوماي دخلت عبادة الإله (أبولو) إلى روما ومع هذا الإله أتت الإيحاءات السلبية التي أكدت على إمكانية اتصال البشر بالأرباب عن طريق الكهنة الملهمين مما أدى إلى زيادة العنصر الخرافي في الدين الروماني"(١).

ومع الأرباب التي أوفدت إلى روما وفدت أنماط جديدة من العبادات والطقوس والشعائر الدينية. وكان للأدب اليوناني الذي انتشر في روما خلال هذه الفترة أثر كبير في اكتساب الأرباب الرومانية مظاهرها وأشكالها وشخصياتها(٢) نجد ذلك في:

١- الأساطير المشتملة على قصص شعرية جذابة خيالية.

٢- الفلسفة.

٣- مراسيم الدولة الدينية.

الثالث: في هذا الدور وكنتيجة للاتصالات العسكرية والسياسية دخلت الديانات الشرقية إلى ساحة روما وتأثر بها أهلها تأثرا كبيرا حيث شاعت عبادة الآلهة الشرقية كالإله (بعل) و (سول) السومريين كما انتظمت أكثر عبادة الآلهة (ايزيس)

---

(١) د. سامي سعيد الأحمد، الإله زووس، ص١٧٨.

(٢) انظر المصدر السابق، ص١٧٩.

المصرية والآلهة (فينوس) أو (عشتار) البابلية. ولقد ساعد دخول الفكر الديني الشرقي على تحويل الوثنية الرومانية إلى نظام يؤكد على قواعد سلوكية عالية وعلى حياة أخرى بعد الموت حتى اعتقد الرومان بقدسية الموتى وأطلقوا عليهم اسم الآلهة (مانيس) يقول شيشرون (أعطوا الآلهة مانيس ما هو لهم أنهم أناس هجروا الحياة الدنيا، اعتبروهم كائنات إلهية)(١).

الرابع: في هذا الدور ونتيجة لتضخم الآلهة وتنوع المقدسات كالموتى والأبطال. وانتشار الديانات مع عدم تناسقها وانسجامها وتعدد الطقوس والشعائر الدينية واختلافها وتنافرها وكثرة الأعياد الدينية كثرة فاحشة بحيث بلغت حوالي مائة يوم في السنة(٢).

نتيجة لذلك كله اضطربت الديانة الرومانية وضعف تماسك الرومان بها وانصرفوا إلا قليلاً عنها فقد أخذ كثير من الناس هاجم الآلهة ويسخر من الطقوس والشعائر الدينية فانتشرت اللادينية... وأخيراً انتهت هذه الفوضى بسماح الامبراطور (قسطنطين) بعد أن فتح روما للمبشرين المسيحيين بالعمل العلني واتباعه ذلك بإعلان المسيحية ديناً اسمياً للبلاد وقاعدها حتى يومنا هذا(٣).

وفي نهاية هذا البحث الموجز في الديانة الرومانية يمكننا أن نسجل الملاحظات:

١- أن الديانة الرومانية كالديانة اليونانية ارتكزت أولاً على عبادة قوى الطبيعة ولعبت الخرافة دوراً مهماً في تأليه هذه القوى حتى صار تعدد الآلهة والأرباب أهم مقوماتها ولكنهم في الوقت نفسه عرفوا مبدأ التفريد (الإله الأعظم).

---

(١) نفسه ، ص١٨٣.

(٢) انظر المصدر السابق، ص١٨٢-١٨٦.

(٣) انظر: فاروق الدملوجي، تاريخ الآلهة، الكتاب الثاني ج٢.

٢- كانت الديانة الرومانية ديانة بسيطة حيث كانت أولاً بلا معابد ولا تماثيل والعبادة فيها قاصرة على طقوس بيتية أهمها تقديم المأكولات للآلهة طلبا لحمايتها للأسرة.

٣- تعقدت الديانة الرومانية بفعل المؤثرات الخارجية التي أدت إلى زيادة الآلهة زيادة فاحشة وكثرة العبادات والطقوس والشعائر وتنافرها بحيث أصبحت روما معرضا لكل أديان العالم ومن ضمنها عقيدة التوحيد ولكنها لم تتمكن من النفس الرومانية وظلت ممزوجة بالوثنية مما أدى إلى نفرة الفرد الروماني من هذه الديانة وسرعة تقبله للمسيحية.

٤- أن الرومانيين كاليونانيين لم يضيفوا شيئا إلى تراث البشرية الديني وإنما أخذوا كل شيء عن الديانات الشرقية -اليونانية عن طريق اليونان واتصالهم المباشر بالعالم الخارجي وبالشرق بالذات بعدما احتلوا كثيراً من أقطاره.

الفصل الثالث

الديانات القديمة الباقية (الحية)

وفيه مباحث:

المبحث الأول: الديانات الفارسية

١- الزرادشتية

٢- الثنوية

المبحث الثاني: الديانات الهندية:

أ- الهندوسية.

ب- الجينية.

ج- البوذية.

المبحث الثالث: الديانات الصينية:

أ- الكونفوشيوسية.

ب- الداوية.

المبحث الرابع: الديانات اليابانية.

"ديانة الشنتو"

المبحث الأول
الديانات الفارسية

عبد الفرس القدماء قوى الطبيعة المؤثرة في الكون كأغلب الشعوب القديمة. وكان أبرزها الإله الشمس ينضج محاصيلهم وسموه "مثرا" وآلهة الخصب الأرض وسموها "أنينا" وإله المطر الذي يروي حقولهم وإله الريح ومجموعة كبيرة من الآلهة التي كانت تساعدهم في الحصول على الرزق.. كإنبات الزرع وإروائه ورعايته ومدهم بمحصول وفير... وسموا هذه الآلهة "دايفا" أي الأرواح الخيرة، كما قدس الفرس البقرة، وألهوا الثور وسموه "هوما".

ويمضي الزمن تعقدت هذه الديانة.. وأخذ الفرس يؤمنون بالإضافة إلى الأرواح الخيرة بكثير من الآلهة المحلية (آلهة القبائل وآلهة العائلات) وبعدة أنواع أخرى من الآلهة والأرواح[1].

وبعد أن كانوا يخرجون إلى الطبيعة ويصعدون الجبال لشكر الآلهة وتقديم القرابين لها أخذوا يشخصون آلهتهم على هيئة تماثيل وأصنام منحوتة من الصخر أو مصنوعة من الخشب وأحيانا من الذهب والفضة.. ووضعوها في المعابد التي شيدوها في جميع أنحاء فارس.. وتخصصت فئة من الرجال بحفظ المراسيم والشعائر ومعرفة الطقوس الدينية.. وهكذا دان الفرس بتعدد الآلهة.. وعبادة الأصنام والأوثان، وانتشرت المعابد.. وكثر الكهنة الذين ادعوا أنهم يعرفون كيف يرضون الآلهة الخيرة

---

(١) انظر: مظهر، قصة الديانات ، ص٢٧٦-٢٧٩، والمتوفي، الدين المقارن، ص١٠٩. وعبد النعيم حسنين، حضارة مصر والشرق الأدنى، ص٤٤٣. والهاشمي، الأديان في كفة الميزان ص٣١.

وأنهم يملكون أن يجعلوها تفعل ما يريدون منها لهذا أعتقد الفرس أن الكهان خير الناس وأخذوا ينظرون إليهم على أنهم وسطاء بين الآلهة والبشر وصاروا يستعينون بهم في الحروب والملمات ويوسطونهم لدى الآلهة للحصول على الرزق الوفير والحظ السعيد والحياة الطيبة.. وعرف الكهان كيف يستحوذون على عقول الفرس بالسحر والشعوذة وكيف يقفون بصلابة ضد أية دعوة تهدف إلى إصلاح عقيدة الفرس.. وتخليصها من عبادة الأصنام.. وتعدد الآلهة.. والانتقال بالفرس من مبدأ التفريد (الإله الأعظم) إلى عقيدة التوحيد (الإله الواحد) وكانت أول دعوة من هذا القبيل دعوة (زرادشت).

١- الزرادشتيه أو "المجوسية":

ولد زرادشت حوالي ٦٦٠ وتوفي ٥٨٣ ق.م ويقول الشهرستاني: أن أباه من أذربيجان وأمه من الري[١]. ويكاد يتفق المؤرخون على أنه ولد في الناحية الغربية الشمالية من البلاد الفارسية على شاطئ نهر يسمونه في الكتب المجوسية (داريزا). وعرف أخيرا باسم (آراس).[٢] وعندما بلغ السابعة من عمره أرسل بعيدا ليدرس مع (يورزين-كوروس) الذي امتدت شهرته بالحكمة في جميع أنحاء إيران وظل زرادشت ثمانية أعوام مع الحكيم بورزين حيث لم تقتصر دراسته معه على العقيدة بل تعدتها إلى الزراعة وتربية الماشية وعلاج المرضى)[٣].

وفي أعقاب الحرب التي نشبت بين الفرس والتورانيين -والتي تطوع فيها زرادشت وهو في حوالي الخامسة عشرة من عمره لمعالجة المرضى والجرحى من

---

(١) الشهرستاني، الملل والنحل، ج٢، ص٤١، وانظر: عبد النعيم حسنين، حضارة مصر والشرق الأدنى، ص٤٤٦.

(٢) العقاد، الله ص٩٣.

(٣) مظهر، قصة الديانات ، ص٢٨٢.

الجنود- انتشرت المجاعة واشتد المرض وازدادت الفاقة في جميع أنحاء بلاد فارس بنفس الصورة التي كانت قائمة في وقت الحرب، ومن جديد تطوع زرادشت ليضع جهده وخبرته في خدمة المرضى والفقراء من أبناء وطنه، وانقضت خمسة أعوام كرس فيها زرادشت كل وقته لذلك العمل النبيل الذي تطوع للقيام به.

عاد بعدها إلى موطنه وتزوج -بناء على رغبة أبيه- من فتاة حسناء اسمها (هافويه) ورفض زرادشت رغبة أبيه في أن يستقر ويعمل فلاحاً ومربي ماشية، وواصل عمله في خدمة المرض وتخفيف آلام الناس.. ومن خلال عمله هذا أحس أن آلام الناس وأحزانهم لا تنتهي. ومن هنا بدأ يتساءل: من أين تجيء كل هذه الشرور إلى العالم؟ وراح زرادشت يتمنى لو أنه يعرف مصدر ذلك العناء الذي يواجهه الناس. إذن لاستطاع أن يحقق حلمه في جعل كل الناس سعداء.(١)

استحوذت فكرة معرفة مصدر الخير والشر على عقل زرادشت وامتلكت كل جوارحه فلم يعد يطيق مواصلة عمله والاستقرار في بيته مع زوجته وبناته.. وقرر اعتزال الناس فترة من الوقت يعيش خلالها ناسكا يفكر في الخير والشر.. عله يقف على مصدرهما ويخلص الناس من العناء الذي يواجهونه في حياتهم.

وهناك في جبل (سابلان) ظل وحيدا يفكر.. ويحاول أن يفهم سر هذا العالم فكر في كل ما تعلمه، واستعرض جميع تجاربه بين الناس، و لم يستطع بادئ الأمر أن يجد في كل ذلك ما يفسر له عالم الخير والشر، حتى كاد ييئس ويتخلى عن بحثه وينهي عزلته، ويعود إلى بيته، ومع غروب الشمس وعندما أخذ الظلام يرخي سدوله، انقدحت في ذهن زرادشت فكرة ابتهج لها ابتهاجا عظيماً وأعتقد أنه وقف على مصدر الخير والشر. وأحاط علما بسر الحكمة.

---

(١) انظر: المصدر السابق، ص٢٨٢، ٢٨٣.

وجوهر فكرته هو: كما أن اليوم يتألف من نهار وليل، نور وظلام فالعالم أيضاً يتألف من الخير والشر، وكما أن الليل والنهار لا يمكن أن تتغير طبيعتهما، النهار منير والليل مظلم، فكذلك لا يمكن أبداً للخير أن يصبح شراً ولا للشر أن يصبح خيراً.

(الخير لا بد أن يكون خيرا دائماً، والشر لا بد أن يكون شرا دائماً).[١] واستنتج زرادشت من ذلك أن عبادة الأوثان والأصنام والتقرب لآلهة الخير لتوقع الشر والهزيمة بالأعداء ولآلهة الشر لتصنع لهم خيراً خطأ فآلهة الخير لا يمكن أن تصنع شراً، وآلهة الشر لا يمكن أن تفعل خيراً، وهكذا آمن زرادشت بأن العالم تحكمه قوتان: خير واحد وشر واحد وبأن (أهورامزدا) هو قوة الخير، و(اهرمان)[٢] هو قوة الشر، ولكن لماذا خلق الخير ولماذا خلق الشر؟ وما الذي يفعله الناس حتى يقضوا على الشر؟

أخذ زرادشت يفكر في ذلك وتقول مصادر الزرادشتية أنه حدث ذات يوم بينما هو واقف على الجبل يفكر أن أحس بنشوة روحانية تجلى له فيها كبير الملائكة (فاهومانا) واصطحبه في رحلة سماوية مثل فيها أمام رب السماء نفسه، وتلقى عنه كلمات الحق والحقيقة وتعلم أسرار الوحي واستمع إلى أمر النبوة.

نزل بعد ذلك من الجبل ليصدع بما أمر ويجهر بدعوته للناس. وخلاصة ما جاء به من جديد في الديانة الفارسية أنه أنكر تعدد الآلهة وعبادة الأصنام وجعل الخير المحض من صفات الله ونزل بإله الشر إلى ما دون مترلة المساواة بينه وبين الإله الأعلى وبشر بالثواب وأنذر بالعقاب وقال: بأن خلق الروح سابق لخلق الجسد وقصر الربوبية على إله واحد موصوف بأرفع ما يفهمه أبناء زمانه من صفات التنزيه.[٣]

---

(١) المصدر السابق، ص٢٨٥، وبرستيد، انتصار الحضارة ص٦٠، ترجمة الدكتور أحمد فخري.

(٢) أهريمان أهرمن هو الشيطان في الديانات المنزلة.

(٣) انظر: العقاد، الله، ص٩٣، ويدجيري، المذاهب الكبرى في التاريخ، ص١١٢، ترجمة ذوقان قرقوط والحيني، دراسات إسلامية في العقائد والأديان، ص١٦٣، وسنية قراءة الرسالات الكبرى، ص١٥٠، ١٥١، والشهرستاني الملل والنحل، ج٢، ص٤٢. وعبد النعيم حسنين، حضارة مصر والشرق الأدنى، ص٤٤٦.

لم يصغ أهل فارس إلى تعاليم زرادشت و لم يكن لديهم استعداد لتقبلها لأنهم كانوا قد ألفوا آلهتهم وأصنامهم التي كان لها واقع محسوس بينما إله الخير وروح الشر اللذان يدعو إليهما زرادشت لا يدركهما الحس، حتى أسرته وعشيرته لم يؤمنوا بالتعاليم التي جاء بها، وتخلوا عنه وطردوه، فترك بلدته وأخذ يجوب البلاد بحثا عن مؤمنين به، وكانت تسبقه إلى كل بلد يتجه إليه شهرته التي تقول: أنه رجل دعي يسب الدين والكهنة، فينفر منه الناس، وهكذا مرت بزرادشت عشرة أعوام صعاب وهو يأمل أن يجد من يؤمن به ويصدقه دون جدوى، وواصل البحث واستطاع أن يجد من يصدقه، وكان ابن عمه (ميتيوماه) الذي قال له: أن تعاليمك شاقة جداً على فهم الناس، فعليك أن تبدأ بدعوة المتعلمين الذين تدربوا على فهم الأفكار الصعبة، واستحسن زرادشت الرأي وقصد مدينة (بلخ)حيث الملك (كشتاسب)، ولم يكد يمثل أمام الملك حتى ارتفع صوته في حزم رهيب (أنا زرادشت سبتاما نبي الإله الواحد الحكيم. جئت إليك أيها الملك لأحوّل قلبك عن: الأصنام الشريرة التافهة، إلى مجد إله حق خالد) واستطاع زرادشت أن يتغلب على حكماء وكهنة الملك الذين جمعهم لمناقشة زرادشت فيما جاء به.. كما استطاع بعد فترة أن يشفي جواد الملك من مرض عضال ألم به بعد أن عجز عن علاجه أطباء البلاط وكهنة القصر، اعتنق الملك كشتاسب تعاليم زرادشت وآمن بالإله الواحد الحكيم وأعلن أن زرادشت هو النبي الحق لهذه العقيدة الجديدة وأصدر أمراً بكتابة تعاليمه بحروف من الذهب وسميت (أفستا) وعين زرادشت كبيراً للكهنة في بلاد بلخ.

انتشرت أنباء اعتناق الملك للعقيدة التي جاء بها زرادشت في جميع أنحاء فارس وأقبل الناس على الدين الجديد، حتى أسرته التي رفضت أن تصغي إليه من قبل عادت تفخر به وتحييه وتعلن إيمانها به.

وملأت السعاة نفس زرادشت، فقد انتصر في النهاية علـــــى عبـدة الأصنـــام والسحرة والكهان ووجد اتباعا عديدين يستمعون إليه ويقبلون تعاليمــــــه وعقـــائده الجديدة، وأسرَّ زرادشت إلى كشتاسب بأن تعاليم الإله الواحد قصد بها البشر جميعـاً، وأن عليهم أن ينشروها في مكل مكان.

ووافق الملك، انطلق الرسل -بعدها - إلى جميع أنحاء بلاد الفرس، وخارجها لنشر تعاليم (الافستا) الكتاب المقدس ، وسرعان ما انتشرت تعاليم الزرادشتية في جميع بلاد فارس وخارجها، حتى وصلت إلى توران بل وإلى اليونان والهند[1].

- **عقائد الزرداشة:**

١- التوحيد:

أنكر زرادشت بعنف وشدة الوثنية المتمثلة في تعدد الآلهة وعبادة الأصنام، ودعـا إلى الإيمان بإله واحد "أهورا مزدا"، وقد وصفه بأرفع ما يعرفه الناس في زمانه مـــن صفات التنــــزيه، فهو قديم أزلي مجرد من جميع شوائب المادة متره عـــــن كـــل أدران النقص لم يولد ولن يموت وهو روح الأرواح.. يرى ولا ينظر ولا تدركـــــه عـــين أو بصر وهو موجود في كل مكان ولكنه لا يرى في أي مكان. وهـــو يعلـــم الحـــاضر والمستقبل ويعلم الغيب ويدرك دخائل النفوس وهو قدير على كل شيء ولا يســـــمو عليه شيء قط. وهو معين من لا معين له وراعي الفقراء والأغنياء على حد ســــــواء، وهو مفرج الهموم ومانع الضر عن الناس، وإن أقوى الناس ليشعرون بضعفهم أمامـــه، وهو القوة الغير المنظورة التي يتطلع إليها الناس لتشد مــــــن أزرهـــم وتقـــوي مـــن نفوسهم[2].

---

(١)انظر مظر: قصة الديانات، ص٢٨٨-٣١٠، والحيني في العقائد والأديان ص ١٦٤. وعبد النعيـــم حسـنين، حضارة مصر والشرق الأدنى، ص٤٤٦، والنشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ج١، ص١٧٨.

(٢) مظهر : قصة الديانات ص٣١١، وانظر: ويدجيري، المذاهب الكبرى في التاريخ، ص١١٢.

وأهم أسماء الله الحسنى عند زرادشت هي:

السر المسؤول... واهب النعم.. الكامل.. القدس.. الشريف.. الحكيم.. الخبير.. الغني.. المغني.. السيد.. المنعم.. الطيب.. القهار.. محق الحق.. البصير.. الشافي.. الخلاق.. مازدا "العليم"(١).

وأما كان الإله في الديانة الزرداشتية قوة غيبية "غير محسوسة" -كما هو الحال في الديانات المنزلة- يعجز عن إدراك حقيقته العقل البشري ولا يقوى على تصوره خيال إنسان لجأ زرادشت -حتى يتمكن الناس من تصور هذه القوة- إلى الرمز، فرمز إلى "أهورامزدا" برمزين محسوسين حتى تقوى عقول البشر عن طريق التفكير فيهما على تصور صفات الإله وهما: الشمس.. والنار.

"فالشمس في السماء تمثل روح أهورامزدا" في صورة يستطيع الناس إدراكها لما امتازت به من صفات تشبه صفات المبدأ الأول، إذ هي كائن مشرق متلالئ يفيض الخير على جميع الكائنات ويبعث فيها الدفء والنشاط وهي قوة لا تقاوم ولا تستطيع نزعات الشر الاقتراب منها والحط من قدرها والانتقاص من طهرها وصفائها.

والنار في الأرض هي العنصر الذي يمثل للناس تلك القوة العليا. فهي ليست عنصرا أوليا ساذجا أزليا فحسب، بل هي أيضا قوة مطهرة مهلكة طاهرة نقية نافعة لا يمكن أن يتطرق إليها الفساد.

وهكذا تبدو تلك الصورة التي يتصور الناس من أجلها أن إتباع زرادشت يعبدون النار بينما هم يؤكدون أن تلك الفكرة خطأ كبير.. فهم لا يعبدون النار أو يتخذون منها إلهاً ولكنهم يرونها إلى جانب الشمس رمزاً لقوة الإله الذي لا يراه أحد.. ويعدون الوثنية والشرك بالإله الواحد الخير الحق جريمة كبرى لأنها تتضمن إنكار مبدأ وحدة الواحد أهورامزدا.

---

(١) انظر: العقاد، الله ص٩٥-٩٦، وسنية قراعة، الرسالات الكبرى، ص١٥١.

ويقول الزرادشتيون: أنهم يقدسون النار ولا يعبدونها لأنها مقدسة كرمز[1].

فالله في دين زرادشت واحد لا شريك له وهو خير محض لا شر فيه وهو مصدر كل خير ومجد ونور وسعادة في العالم.. وهو المشرع القدسي والقاضي الأسمى العادل الرحيم.. وقوة الإله الخيرة هي التي ستنتصر في النهاية على روح الشر (أهرمن) الذي هو سبب كل ما في العالم من شرور وعناء. فالخير عند زرادشت غالب دائم والشر مغلوب منظور إلى أجل، وما زال أهرمن يهبط في مراتب القدرة والكفاية على هذا المذهب حتى عاد كالمخلوق الذي ينازع الخالق سلطانه ولا محيص له في النهاية من الخذلان[2].

قال الشهرستاني في عقائد زرادشت:

"وكان دين زرادشت: عبادة الله والكفر بالشيطان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجتناب الخبائث".

وقال: النور والظلمة أصلان متضادان وكذلك يزدان (اهورامزدا) واهرمن وهما مبدأ موجودات العالم وحصلت التراكيب من امتزاجها. وحدثت الصور من التراكيب المختلفة، والبارئ تعالى خالق النور والظلمة ومبدعهما، وهو لا شريك له ولا ضد ولا ند، ولا يجوز أن ينسب إليه وجود الظلمة كما قالت الزروانية. لكن الخير والشر والصلاح والفساد والطهارة والخبث، إنما حصلت من امتزاج النور والظلمة، ولو لم يمتزجا لما كان وجود العالم وهما يتقاومان ويتغالبان إلى أن يغلب النور الظلمة والخير الشر، ثم يتخلص الخير إلى عالمه والشر ينحط إلى عالمه وذلك هو سبب الخلاص والباري تعالى هو الذي مزجهما وخلطهما لحكمة رآها في التراكيب. وربما جعل

(١) مظهر، قصة الديانات من ٣١٢ وانظر: العقاد، الله، ص٩٦، والحيني، في العقائد والأديان ص١٦٧، والدكتور يحيى هويدي، محاضرات في الفلسفة الإسلامية ص٤٨، والشهرستاني، الملل والنحل، ج٢،ص٦٠.

(٢) العقاد، الله، ص٩٥.

النور أصلاً وقال: وجوده وجود حقيقي، وأما الظلمة فتبع كالظل بالنسبة إلى الشخص فإنه يرى أنه موجود وليس بموجود حقيقة فأبدع النور وحصل الظلام تبعا لأن من ضرورة الوجود التضاد، فوجوده ضروري واقع في الخلق لا بالقصد الأول كما ذكرنا في الشخص والظل(١).

٢- النبوة:

يؤمن الزرادشتيون بالنبوة وببعض الأنبياء ويزعمون أن زرادشت كان نبيا ورسولا إلى الخلق أجمعين، يوحى إليه وأنه كان يناجي أهورامزدا ويسمع جوابه، يسأله سؤال المتعلم لمعلمه والمستهدي لهاديه، هذا ما أسألك عنه، فاصدقني الخبر يا اهورامزدا.

من الذي رسم مسار الشموس والنجوم؟

ومن الذي يجعل القمر.. يتزايد ويتضاءل؟

ومن الذي أقر الأرض تحت.. والسماء من فوق.. وأمسك السماء أن تقع؟

ومن الذي سخر الرياح والسحب سرعتها؟

ومن الذي أخرج العقل الخير؟

أنه أنت يا واحد.. يا أهورامزدا.(٢)

وتنسب الزرادشتية إلى نبيهم معجزات كثيرة:

---

(١) الملل والنحل، ج٢، ص٤٢، ٤٣، وانظر: المنوفي، الدين المقارن، ص١١٥. والشيخ محمد الخضر حسين، محمد رسول الله، ص٢٥.

(٢) علق العقاد على مثل هذه المناجاة بقوله، ص٩٧. الله: لا يبعد أن زرادشت كان من أصحاب الطبائع التي تغيب عن الوعي أو تسمع في حالة وعيها أصواتا خفية من هاتف ظاهر أو محجوب كما روى عن سقراط وأمثاله من الموهوبين والملهمين.

منها: دخول قوائم فرس الملك كشتاسب في بطنه وكان زرادشت في السجن فأطلقه فانطلقت قوائم الفرس.

ومنها: أنه مر على أعمى فقال: خذوا نبتة -وصفها لهم- واعصروا ماءها في عينيه فإنه يبصر، ففعلوا فأبصر الأعمى[1].

٣- المنقذ:

يؤمن الزرادشتيون بأنه سيظهر في آخر الزمان رجل اسمه "اشيزريكا" ومعناه: الرجل العالم. يزين العالم بالدين والعلم ويحيي العدل ويميت الجور ويرد السنن المغيرة إلى أوضاعها الأول وتنقاد له الملوك وتتيسر له الأمور ينصر الدين والحق ويحصل في زمانه الأمن والدعة وسكون الفتن وزوال المحن[2]. يملأ الأرض قسطا وعدلا بعد ما ملئت ظلما وجورا".

٤- البعث والحساب:

يؤمن الزرادشتيون بالبعث والقيامة والحياة الأخرى والحساب والجزاء والنعيم والعذاب في جنة أو نار ويقولون: أن روح الميت إذا فارقت الجسد استقبها الديان في صورة فتاة حسناء، تحف بها الأزهار وتعبق حولها الروائح الطيبة هذا إن كان الميت صالحا،وإلا استقبلها في صورة فتاة قبيحة جدا، وهناك تلقى (رشنوه) ملك العدل و(ميترا) رب النور قد نصبا الميزان، وتوزن أعمال الإنسان، فإذا رجحت عنده أعمال الخير صعد إلى السماء وعاش في نعيم، وإذا رجحت عنده أعمال الشر هبط إلى الهاوية وعاش في عذاب وإذا تعادلت عنده الكفتان ذهب إلى مكان لا عذاب فيه ولا نعيم،

---

(١) لا ننسى أنه كان عارفا بالطب وأنه قضى سنين طويلة في ممارسة هذه المهنة وكان عارفا بالأدوية أيضا فشفاؤه للجواد كان بالعلاج الطبيعي تدليك قوائم الجواد التي أصابها ضمور وعلاجه للأعمى إن دل على شيء فإنما يدل على معرفته بخصائص الحشائش والنباتات ولبس هذا وذاك من المعجزات في شيء كما يقول الشهرستاني في الملل والنحل، ج٢، ص٤٣.

(٢) انظر: الشهرستاني، الملل والنحل، ج٢، ص٤٤.

إلى أن تقوم القيامة ويتطهر العالم كله بالنار المقدسة ثم يرفعون جميعا في حضرة مزدا في نعيم مقيم[١].

٥- القيامة:

وتحدث القيامة عند الزرادشتيون عندما يصطدم كوكب ناري بالأرض وتميد بالناس وتخر الجبال هدا، وتذوب العناصر وينصهر النحاس ويسيل إلى جهنم فيفنى أهرمان وأنصاره ويغسل الناس ثلاثة أيام في منصهر النحاس، ويجد الصالحون ذلك بردا وسلاما، وبعد هذا يجمع مزدا الخلائق ويجازيهم بأعمالهم[٢].

٦- الصراط:

ويؤمن الزرادشتيين بالصراط وهو ممتد فوق جهنم، فالرجل الصالح تصحبه أعماله حتى يجتاز الصراط إلى الجنة فيستقبله ملك جالس على كرسي من ذهب عند باب الجنة فيفتح بابها ويقول له: أدخل سالما آمنا وتمتع بحياة هنيئة.

وأما الرجل الطالح فيقع في النار بحكم مزدا ليذوق العذاب الأليم، يستمر الحال هكذا حتى تبدل الأرض غير الأرض، ويفنى أهريمان وجنده وجميع من في الوجود من الأحياء ويبقى مزدا وجميع قوى الخير.[٣]

٧- الشفاعة:

يعتقد الزرادشتيون بأن حق تقرير المصير لا خطأ البشر موكول إلى نبيهم زرادشت فمن يشفع له من الخطاة ينجو من العذاب هذا ما يقرره النص الوارد في (الياسنا) رقم٤٤.

---

(١) انظر العقاد، الله ص٩٢ و ٩٧.

(٢)انظر: المنوفي، الدين المقارن، ص١١١.

(٣)انظر: المصدر السابق، ص١١١-١١٢.

".. قل لي على التحقيق.. وأبلغني يقينا.. فأنا أتوسل إليك أيها الملك المقدس .. عندما تنبلج أسمى الحياة عند مدخل مملكتك. هل من مقدرات المحكمة السماوية إعطاء كل امرئ حقه؟

حقا أنه هو -النبي المرسل- الذي توضع لروحه الساهرة كل خطايا البشر.."[1]

- **مصادر الزرادشتية:**

المصدر الرئيس للديانة الزرادشتية هو (الزند افستا) وهو كتابهم المقدس والكلمة مركبة من (زند) ومعناها: شرح و (افستا) ومعناها: نص فيكون معنى (الزند افستا) النص والشرح.

ويتضمن هذا الكتاب التاريخ الأدبي لأمة الفرس لمدة طويلة من الزمن ككتاب اليهود المقدس (العهد القديم). كما يتضمن عقائد وشرائع وطقوس وشعائر الديانة الزرادشتية وقد قسم موارد التكليف وهي حركات الإنسان ثلاثة أقسام: اعتقاد، وقول، وعمل.. فإذا جرى الإنسان في هذه الحركات على مقتضى الأمر والشريعة فاز الفوز الأكبر، وإذا قصر فيها خرج عن الدين والطاعة[2].

وقد ظل هذا الكتاب قروناً عديدة يعتمد على الرواية الشفوية قبل التدوين، وعلى ذلك فالوصول إلى النص الأصلي أمر لا يمكن القطع به، يضاف إلى ذلك أنه غير مرتب ترتيباً زمنيا.[3]

وقد ترجم الأستاذ (شبيقل Spiegel) الزند افستا إلى الإنكليزية في فصول تمثل (الفنديداد Vendidad) الفصل الأول منه وفيه يتحدث (أهورا مزدا) إلى زرادشت

---

(١) انظر: الحيني، في العقائد والأديان، ص١٦٨.

(٢) انظر: الشهرستاني، الملل والنحل، ج٢، ص٤٣، وعبد النعيم حسنين، حضارة مصر والشرق الأدنى ص٤٤٩.
وأبو الحسن العامري، الإعلام بمناقب الإسلام، ص١٥٩ و١٨١.

(٣)انظر: الحيني، في العقاد والأديان ص١٦٤.

ويمنحه أوامر الشريعة ويأتي بعد الفنديداد (الفسبرد Vispered) و (الياسنا Yasna) وهما للطقوس الدينية وفيهما:

تراتيل وكتاب صلوات وهما خاصان برجال الدين.

وتتضمن ألياسنا (الجاثات Gathas) التي ينظر إليها الآن على أنها أجزاء الأفستا الوحيدة، التي تنسب إلى زرادشت نفسه ويتلو هذه (خوردن أفستا) -أي الأفستا الصغيرة -التي تتضمن (الياشات Yashts) وفيها تمجيد لبعض الملائكة وصلوات خاصة وبعض المقطوعات عن الشعائر الدينية.

والمصدر الذي يراه الباحثون المحدثون هاما في تصوير الديانة الزرادشتية هو الياسنا، وهي تتضمن خمس مجموعات من التراتيل تسمى الجاثات وعدد التراتيل سبع عشرة. ويرى الباحثون أن الجاثات تتضمن العناصر القديمة للديانة الزرادشتية التي يضمها كتاب الزند افستا ويقولون: أنها احتفظت ببعض أقوال زرادشت وعلى ذلك فهي من خير المصادر لديانته(١).

- **تحريف عقائد زرادشت:**

لم تسلم عقائد زرادشت من التبديل والتحريف والتغيير شأنها في ذلك شأن كثير من العقائد والديانات الأخرى.. فلم تبق تعاليمه وعقائده كما وضعها، عندما سئل زرادشت عما إذا كان الإله الواحد هو وحده صانع الخير في العالم أجاب: أن الإله له مساعدوه السماويون الذين يسمون الملائكة وقال: أن أهمهم سبعة، العقل الخيِّر والنور والحكمة والخير والتقوى والخلود والأمر الصالح.

واضح من كلام زرادشت أنه إنما كان يعني بهذه الأسماء، أنها عبارة عن صفات ومظاهر رئيسية ومميزات متعددة للإله الواحد ولم يكن يعني أنها شخصيات حقيقية

---

(١) انظر: المصدر السابق، ص١٦٤-١٦٥.

شريكة للإله الواحد في صنعه الخير وإبداعه العالم وإلا لما دعا إلى الإيمان بإله واحد حكيم.

ولكن كهنة إيران وشعبها كانوا عبدة أوثان، وهم وإن قبلوا تعاليم زرادشت، فإن عقولهم كانت لا تزال عقول عبدة أوثان، ولذا فقد فهموا من كلامه، وجود شخصيات سماوية كثيرة حقيقية تطير هنا: وهناك: تساعد الرب في أعماله وتشاركه في صنع الخير، وتسيطر على العالم وتحكمه بأمر من أهورامزدا إله الآلهة أو (الإله الأعظم)، وبذلك حرفوا عقيدة التوحيد إلى التعدد، ولم يمض وقت طويل حتى أطلقوا أسماء على ألف ملاك يعيشون في السماء و٩٩٩٩ شيطاناً اسود يساعدون روح الشر في الجحيم تحت الأرض، وتسعى بزعامة اهرمن إلى إغواء البشر على الأرض بارتكاب الآثام والشرور وهي لذلك في حرب دائمة مع اهورا مزدا وبهذه الطريقة فعل أتباع زرادشت ما لم يكن هو يريد منهم أن يفعلوه، عبدوا الأوثان القديمة بعد أن غيروا أسماءها بأسماء جديدة، وجعلوا لله شريكا في صنعه وسيطرته على العالم وهبطوا بعقيدة التوحيد إلى التفريد فالتعدد[1].

وفي القرن الثالث قبل الميلاد. أي بعد موت زرادشت بحوالي ثلاثمائة عام غزا الاسكندر الأكبر أرض فارس، وحطم الافستا، وألغى الزرادشتية، وأقام بدلها ديانة اليونان الوثنية، ولكن الفرس لم يتخلوا عن ديانتهم وأخذوا يتعبدون بها ويعلموها لأبنائهم سراً.. حتى استقلت فارس عن الحكم الأجنبي في أوائل القرن الثالث

---

(١) مظهر، قصة الديانات، ص٣١٦ والحيني، العقائد والأديان، ص١٧٤، حيث قال: (ولكن التحريف شوه بعض معالمها وأساء إليها لأنها ظلت قرونا طويلة تنتقل من جيل إلى جيل بالرواية الشفوية حتى دونت آخر الأمر بعد أن عمل فيها الخيال وما ألف الناس) وعبد النعيم حسنين، حضارة مصر والشرق الأدنى، ص٤٤٨ و ٤٥٠ حيث يقول (غير أن اتباع زرادشت، الذين كانوا من قبل يعبدون آلهة متعددة ـمثلوا صفاتها في صورة كائنات خالدة مقدسة تخلق العالم وتسيطر على تنظيمه وحكمه بأمر من اهورامزدا إله الآلهة أو الإله الأعظم وبذلك تحول مذهب التوحيد إلى فكرة التعدد: والدكتور أحمد عبد الحميد غراب، هامش كتاب الإعلام بمناقب الإسلام، ص١٣٣ حيث يقول (لم يمض وقت طويل على موت زرادشت حتى عاد كثير من الآلهة القديمة إلى الزرادشتية في صورة ملائكة).

الميلادي، أي بعد حوالي خمسمائة عام، حين قامت الدولة الساسانية في إيـوان، ورأت أن في إحيائها لدين زرادشت وانتصارها له ما يدعم ويثبت كيانها، فأخذ رجال الدين يجمعون ما وجدوه من الأجزاء القديمة من الافستا في كتاب واحد وقاموا بترجمتها إلى اللهجة البهلوية، ولكن صاحب هذه الترجمة تشويه للنصوص الاصليـــة، وإضافـــات كثيرة هي شروحهم لهذه النصوص (الزندا) فضلا عن تأثرهم بوجه من الوجوه بالفكر اليوناني الذي انتقل إلى فارس، ومن ثم يصعب الإدعـــاء بـــأن الترجمـــة والشـــروح والإضافات الكثيرة تمثل تعاليم زرادشت تمثيلاً صادقا وفي القرن السابع الميـــلادي أي حوالي أربعمائة عام، فتح العرب المسلمون بلاد فارس، وأخذوا يدعـــون إلى الديـــن الإسلامي، فأقبل الكثير من الزرادشتيين على الدين الجديد وهرب بعضهم إلى خـــارج فارس، وبقي آخرون على دينهم القديم.

واليوم لم يبق من معتنقي ديانة زرادشت في إيران إلا نزرٌ يسير يعيش في نواحـــي (يزد) من جنوبي خراسان.

أما أكثر معتنقي هذه الديانة فيعيشـــون في الهنـــد ويســـمون (البارســـيين) أو (الفارسيين) حيث هربوا إليها عند الفتح الإسلامي، ويقدر عـــدد معتنقـــي الديانـــة الزرادشتية اليوم في جميع أنحاء العالم بحوالي ١٢٠ ألف نسمة.[١]

ومما هو جدير بالذكر أن العرب كانوا يسمون معتنقـــي الديانـــة الزرادشـــتية (المجوس) وقد ورد ذكرهم بهذا الاسم في القرآن الكريم

قـــال تعـــــالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ ﴾[٢].

---

(١) إن اتباع الزراشتية اليوم قد شوهوا معالم دعوته ولا يحملون منه اليوم إلا انتسابهم إليه.

(٢) الحج، ١٧.

وقد اختلف الفقهاء المسلمون في المركز التشريعي للمجوس في الدولة الإسلامية فرأى البعض أهم من أهل الكتاب[1]، فيعاملون معاملة الكتابيين وذهب جمهور الفقهاء إلى أهم ليسوا من أهل الكتاب، وقد عدهم الشهرستاني ممن لهم شبهة كتاب[2]، إلا أن جميع الفقهاء اتفقوا على أهم يعاملون معاملة الكتابيين[3] لقول الرسول ﷺ في المجوس: (سنوا بهم سنة أهل الكتاب) و (من أقام على يهودية أو مجوسية فعليه الجزية) لهذا لم يجب العرب المسلمون المجوس على ترك دينهم والدخول في الإسلام فالإسلام لا يجبر الناس على ترك دينهم **(لا إكراه في الدين)** وأدل دليل على ذلك بقاء فئة كبيرة من المجوس في فارس تقيم شعائرها وتوقد النار في المعابد في كل ولاية فارسية تقريبا حتى بعد الفتح الإسلامي بنحو ثلاثة قرون، بل حتى اليوم.

وفي نهاية بحثنا للديانة الزرادشتية نسجل الملاحظات التالية:

١- التقى الفرس الأقدمون مع الهند في عبادة (مثرا) إله النور ولكنهم اختلفوا في تمثيله لقوى الخير والشر، فجعله الفرس من أرباب الخير والصلاح، وجعله الهنود من أرباب الشر والفساد.

٢- تأثرت عقائد الفرس القديمة بالديانة البابلية، فأخذت منها سنة التسبيع في عدد الآلهة وجعلوا اهورامزدا على رأس سبعة من أرباب الحكمة والحق وقوى الطبيعة. واعتقد الفرس أن (زروان) أبو إله النور وإله الظلام، ومن المرجح أن

---

(١) **الكتابي**: هو كل من أعتقد دينا سماويا وله كتاب وله منزل كالتوراة والإنجيل **والذمي**: هو من يقيم في دار الإسلام من أهل الكتاب، والأصل في الإسلام هو تمتع الذميين بجميع الحقوق العامة في الدولة الإسلامية، والحقوق العامة هي: الحقوق اللازمة للإنسان باعتباره عضوا في مجتمع ولا يمكنه الاستغناء عنها وهذه الحقوق مقررة لحماية الإنسان في نفسه وحريته وماله كالحق في التنقل وفي الاعتقاد وحرمة المسكن وغيرها: انظر: عبد الكريم زيدان، أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام ص٦١١ و ٨٧٨. ويعتبر الدستور الإيراني الحالي الزرداشتيون من أهل الكتاب.

(٢) انظر: الملل والنحل، ج١، ص٣٦، ج٢، ص٣٤.

(٣)انظر: زيدان، أحكام الذميين، ص١٥، ٢٣، ٢٥، ٢٦، ٢٧.

(زروان) هذا صنم لإله البابليين (نون) أو القدر الذي يتسلط على الآلهة كما يتسلط على المخلوقات.

٣- آمن الفرس بالعالم الآخر كما آمن به المصريون وآمنوا كذلك بالثواب والعقاب في الدار الآخرة وقالوا: بقيامة الموتى ونهاية العالم وبعثت الأرواح للحساب، وبذلك جمعوا بين عقيدة الهند في نهاية العالم وعقيدة المصريين في محاسبة الروح ووزن الأعمال في موقف الجزاء[(١)].

٤- طور زرادشت عقيدة الفرس القديمة، وأهم ما جاء به من جديد هو إنكار الوثنية والدعوة إلى إله واحد حكيم، موصوف بأشرف صفات الكمال والتبشير بالثواب والإنذار بالعقاب إلا أنه، كما يقول العقاد -كان خليقا به أن يسمو بعقيدة الفرس إلى مقام أعلى من ذلك المقام في التنزيه، وأن يسمو باهرمن من منزلة الند إلى منزلة المارد المطرود، لولا أن وجود اهرمن كان لازما لبقاء الكهانة الفارسية في عهود المحن والهزائم التي منيت بها الدولة، فلو قال الكهنة للمؤمنين باهورامزدا أنه الإله المتفرد في الكون بالتصريف والتقدير ربما يكفرون بدينهم.. ولهذا أكبروا من قوة أهرمن وجعلوا انتصاره عقوبة للناس على تركهم للخير وحبهم للشر، ثم يبشروهم بغلبة الإله الحكيم الرحيم بعد الهزيمة فتهدأ وساوسهم إلى حين، على أن زرادشت قد استخلص من إخلاط المجوسية عقيدة وسطا بين العقيدة الوثنية الأولى والعقيدة الإلهية الحديثة سواء في تصحيح الفكرة الإلهية أو في مسائل الأخلاق ومسائل الثواب والعقاب.[(٢)]

٥- من المرجح أن زرادشت أن إله زرادشت الذي دعا إلى توحيده وهو أهورامزدا ليس في ابتداعه الذي دعا إلى توحيده وهو اهورامزدا ثبت أنه ليس من ابتداعه

---

(١) العقاد، الله ص٩١-٩٢.

(٢) المصدر السابق، ص٩٤، ٩٥، وانظر: عبد النعيم حسنين، حضارة مصر والشرق الأدنى، ص٤٤٨.

وأنه كان موجوداً بهذا الاسم من قبل مع اختلاف يسير في الحروف كما ثبت ذلك بالنقوش الأشورية التي هي أبعد في القدم من زرادشت ومعناه في النقوش، الله-الواحد الحكيم[1].

٢- الثنوية:

أ- المانوية:

أشهر العقائد وأكثرها اتباعاً في بلاد فارس بعد عقيدة زرادشت (المانوية) نسبة إلى (ماني بن فاتك) الفيلسوف الفارسي الذي ولد عام ٢١٥م، زمن حكم الملك سابور بن اردشير.

وقد درس ماني ديانة قومه القديمة وديانة زرادشت كما درس الدين المسيحي وتأثر به، حتى قال بنبوة عيسى عليه السلام.

أحدث ماني ديانة تقوم على العقائد الفارسية والمسيحية حتى وصفها بعض المؤرخين بأنها "زرادشتية-متنصرة"[2].

وتمتاز ديانته بالقول بأن العالم نشأ عن أصلين: النور والظلمة، وأن هذين الأصلين أزليان قديمان، وبهذا خالف زرادشت الذي كان يقول بقدم النور وحدوث الظلام ولهذا وصفت المانوية بأنها (ثنوية) أي تقول بنشوء العالم عن أصلين مختلفين: النور، والظلام، فعن النور نشأ كل خير في العالم، وعن الظلام نشأ كل شر في العالم، وأن الخير قد امتزج بالشر امتزاجا تاماً، وأنهما في صراع وامتزاج حتى قيام الساعة، ومن هنا زهد ماني في الوجود، وكان يود الفرار منه، ويتعجل الفناء لنفسه وللناس،

---

(١) انظر: الحيني، في العقائد والأديان، ص١٦٦.

(٢) انظر: المتوفى، الدين المقارن، ص١٢٢.

فحرم الزواج حتى ينقرض النوع البشري، وشرع الصيام سبعة أيام من كل شهر ليضعف الجسم، وفرض صلوات كثيرة، ونهى عن ذبح الحيوان.

يقول الشهرستاني في ماني والمانوية: "أنه أحدث دينا بين المجوسية والنصرانية وكان يقول بنبوة المسيح عليه السلام ولا يقول بنبوة موسى عليه السلام.

روى محمد بن هارون المعروف بأبي عيسى الوراق، وكان في الأصل مجوسياً: أن الحكيم ماني زعم أن العالم مصنوع مركب من أصلين قديمين: أحدهما نور. والآخر ظلمة. وأنهما أزليان لم يزالا ولن يزالا وأنكر وجود شيء إلا من أصل قديم فزعم أنهما لم يزالا قويين حساسين، بصيرين وهما مع ذلك في النفس والصورة والفعل والتدبير متضادان، وفي الحيز متحاذيان، تحاذي الشخص والظل..".

ثم ذكر أمثلة من الاختلاف بين جوهر النور وجوهر الظلمة فقال: أن جوهر النور حسن فاضل، كريم، صافي، نقي، طيب الريح، حسن المنظر، وأن جوهر الظلمة قبيح ناقص، لئيم، كدر، خبيث، منتن الريح، قبيح المنظر، وأن أجناس النور خمسة، أربعة منها أبدان والخامس روحه. فالأبدان والخامس روحها.. فالأبدان هي:

الحريق والظلمة والسموم والضباب، وروحها الدخان(١).

وبعد أن يبين أوجه الاختلاف بين كل من النور والظلمة في الجوهر والنفس والفعل والحيز والجنس والصفات.. أخذ يبين آراء المانوية في امتزاج الخير بالشر وسببه وكيفيته.. وبعدها أخذ يشرح عقيدتهم في تخليص وتمييز كل منهما عن الآخر، وأخيراً ذكر أهم تعاليم ماني وتشريعاته وعقائده فقال: "وقد فرض ماني على أصحابه العشر في الأموال كلها والصلوات الأربع في اليوم والليلة والدعاء إلى الحق، وترك الكذب، والقتل، والسرقة، والزنا، والبخل، والسحر، وعبادة الأوثان، وأن يأتي على ذي روح ما يكره أن يؤتى إليه بمثله.

---

(١) الملل والنحل، ج٢، ص٤٩-٥٣، وانظر عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق ص٢٧١.

واعتقاده في الشرائع والأنبياء: أن أول من بعث الله تعالى بالعلم والحكمة آدم أبو البشر. ثم بعث شيتاً بعده ثم نوحا بعده ثم إبراهيم بعده عليه الصلاة والسلام، ثم بعث بالبددة[1] إلى ارض الهند وزرادشت إلى أرض فارس. والمسيح -كلمة الله وروحه- إلى أرض الروم والغرب، وبولس بعد المسيح إليهم، ثم يأتي خاتم النبيين إلى أرض العرب"[2].

تلك هي أهم عقائد ماني وأصول ديانته وقد اتهم من أجلها بالزندقة وقتل عام ٢٧٤م قبلة الملك بهرام بن هرمز بن سابور، ولكن المانوية انتشرت في منطقة البحر الأبيض المتوسط جميعها[3] على الرغم مما لقي معتنقوها من مذلة واضطهاد وكان لهم وجود حتى نهاية القرن الثالث عشر الميلادي[4].

بين زرادشت وماني:

قال كل من زرادشت وماني بوجود قوتين في الكون: قوة الخير (اهورا مزدا) وقوة الشر (أهرمن).. إلا أن زرادشت لم يجعل روح الشر (اهرمن) ندا وشريكا لله.. فالله، عند زرادشت واحد، حكيم خالق، مبدع، هو الذي مزج النور والظلام وأوجد العالم منها، وهما في صراع ولكن قوة الخير ستنتصر، وقوة الشر ستندحر، ويعيش الناس في سلام ورفاه في ظل (مزدا) الواحد الحكيم الرحيم، القاضي، العادل.

ولهذا كان زرادشت يدعو الناس إلى سبيل الحياة الطيبة ويستحثهم على عمل الخير كالحرث والزرع وإصلاح الأرض وتربية الحاشية، وغير ذلك ويرغبهم في الزواج والتناسل حتى تستمر الحياة ويدوم الكفاح وينتصر مزدا على اهرمن.

---

(١)اختلف في معنى البددة وهي جمع بد وأصل معنى بد هو صورة الباري أو هو صورة رسوله أو صورة بوذا.

(٢)الملل والنحل، ج٢، ص٤٩-٥٣، وانظر عبد القاهر البغدادي، الفرق بين لافرق، ص٢٧١.

(٣)انظر، ويدجيري، المذاهب الكبرى، في التاريخ، ص١١٥.

(٤)انظر المتوفى، الدين المقارن، ص١١٣.

انتشر مذهب مزدك واعتنقه كثير من الفقراء والمعدمين وعشاق اللذة الجنسية ولم يكتفوا بتطبيق مذهبهم على أنفسهم، بل اخذوا يتعرضون لأموال غيرهم ويتحرشون بنسائهم وبناهم، حتى أن مزدك نفسه طلب من (قياذ) أن يبعث بامرأته ليتمتع بها المزادكه هذه مع (آنو هشروان) أن يطلب من والده أن يخلي بينه وبين مزدرك وأتباعه، فناظره مناظرة شكلية هدف إلى التغلب عليه فكريا وبيان فساد مذهبه، فلما أفحمه قتله وأتباعه[1].

ومن استطاع الفرار من اتباعه فقد اعتصم في جبال أذربيجان وأرمينية وغيرها.

روى الشهرستاني عن المزركية قوله:

(حكى الوراق أن قول المزدكية كقول كثير من المانوية في الكونين والأصلين، إلا أن مزدك كان يقول: أن النور يفعل بالقصد والاختيار. والظلمة تفعل على الخبط والاتفاق. والنور عالم حساس والظلام جاهل أعمى وأن المزاج كان على الاتفاق والخبط لا بالقصد والاختيار وكذلك الخلاص إنما يقع بالاتفاق دون الاختيار.

وكان مزدك ينهي الناس عن المخالفة والمباغضة والقتال ولما كان أكثر ذلك إنما يقع بسبب النساء والأموال، أحل النساء وأباح الأموال. وجعل الناس شركة فيهما كاشتراكهم في الماء والنار والكلأ وحكى عنه أنه أمر بقتل الأنفس ليخلصها من الشر ومزاج الظلمة)[2].

جـ- الديصانية:

ظهرت في بلاد فارس مذاهب كثيرة قامت على الثنائية أيضاً كالمانوية والمزدكية منهما (الديصانية) نسبة إلى ابن ديصان الفيلسوف الفارسي وقد أثبتوا أصلين: نورا

---

(١) انظر: هويدي، محاضرات في الفلسفة الإسلامية، ص٥١، والنشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ج١، ص١٨٥، والخضر حسين، محمد رسول الله، ص٢٦.

(٢) الشهرستاني، الملل والنحل، ج٢، ص٥٤، وانظر البغدادي، الفرق بين الفرق، ص٢٦٦.

وأما ماني فقد قال بقدم وأزلية القوتين أو الأصلين اللذين نشأ منهما العالم، وبذلك قال بالثنوية، وجعل لله ندا وشريكا، وأنهما في صراع أبدي لا خلاص منه إلا بفناء العالم.

ولهذا كان ماني زاهدا في الوجود يود الفرار منه، ويتعجل فناء العالم ينفر الناس من العمل والإنتاج، ويرغبهم في الزهد والتقشف، ويحثهم على التبتل (ترك الزواج) حتى لا يجنوا على ذراريهم، وحتى يتعجل انقراض النوع البشري.

وبالجملة فقد كان زرادشت متفائلا جدا يبتسم للحياة ويترقب الخلاص بانتصار الخير على الشر، بينما كان ماني متشائما يائسا يرى أنه لا خلاص إلا بالموت والفناء.

ب- المزدكية:

من مذاهب الثنوية أو الثنائية التي شاعت في بلاد فارس (المزدكية) نسبة إلى مزدك الفيلسوف الفارسي النيسابوري الذي ظهر في أيام حكم قباذ والد آنو شروان حوالي عام ٤٨٧م. وقتله آنو شيروان لزندقته وفسقه عام ٥٢٨م.

جاء مزدك بمذهب جديد غايته إصلاح التنظيمات السياسية والاجتماعية للفرس في زمانه، فكان ينهي الناس عن البغض والحسد والقتال، ولكنه تطرف عندما رأى أن سبب ذلك هو النساء والأموال وأن العلاج هو: أن يبيحهما للناس جميعا.. فأحل النساء وأباح الأموال وجعلها شركة شائعة بين الناس جميعا، فكما يشترك الناس في الماء والنار والكلأ والهواء يشتركون كذلك في النساء والأموال ولعل مذهبه هذا كان أساس فلسفة كارل ماركس الحديثة والتي تبناها الفكر الشيوعي اليوم.

إلا أن مزدك غلف فلسفته تلك بالدين، وقال كما قال ماني بنشوء العالم عن أصلين أزليين متطابقين: النور والظلام، وكان يقول بأن النور يفعل عن قصد واختيار، والظلام يفعل عن تخبط واتفاق (مصادفة).

انتشر مذهب مزدك واعتنقه كثير من الفقراء والمعدمين وعشاق اللذة الجنسية ولم يكتفوا بتطبيق مذهبهم على أنفسهم، بل اخذوا يتعرضون لأموال غيرهم ويتحرشون بنسائهم وبناهم، حتى أن مزدك نفسه طلب من (قياذ) أن يبعث بامرأته ليتمتع بها المزادكه هذه مع (آنو هشروان) أن يطلب من والده أن يخلي بينه وبين مزدرك وأتباعه، فناظره مناظرة شكلية تهدف إلى التغلب عليه فكريا وبيان فساد مذهبه، فلما أفحمه قتله وأتباعه(١).

ومن استطاع الفرار من اتباعه فقد اعتصم في جبال أذربيجان وأرمينية وغيرها.

روى الشهرستاني عن المزركية قوله:

(حكى الوراق أن قول المزدكية كقول كثير من المانوية في الكونين والأصلين، إلا أن مزدك كان يقول: أن النور يفعل بالقصد والاختيار. والظلمة تفعل على الخبط والاتفاق. والنور عالم حساس والظلام جاهل أعمى وأن المزاج كان على الاتفاق والخبط لا بالقصد والاختيار وكذلك الخلاص إنما يقع بالاتفاق دون الاختيار.

وكان مزدك ينهي الناس عن المخالفة والمباغضة والقتال ولما كان أكثر ذلك إنما يقع بسبب النساء والأموال، أحل النساء وأباح الأموال. وجعل الناس شركة فيهما كاشتراكهم في الماء والنار والكلأ وحكى عنه أنه أمر بقتل الأنفس ليخلصها من الشر ومزاج الظلمة)(٢).

جـ- الديصانية:

ظهرت في بلاد فارس مذاهب كثيرة قامت على الثنائية أيضاً كالمانوية والمزدكية منهما (الديصانية) نسبة إلى ابن ديصان الفيلسوف الفارسي وقد أثبتوا أصلين: نورا

---

(١) انظر: هويدي، محاضرات في الفلسفة الإسلامية، ص٥١، والنشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ج١، ص١٨٥، والخضر حسين، محمد رسول الله، ص٢٦.

(٢) الشهرستاني، الملل والنحل، ج٢، ص٥٤، وانظر البغدادي، الفرق بين الفرق، ص٢٦٦.

وظلاماً وقالوا: أن النور يفعل قصداً واختياراً والظلام يفعل الشر طبعاً واضطرارا.

والفرق بين المانوية والديصانية هو: أن المانوية يقولون: أن النور والظلمة حيان، قادران، حساسان، وأما الديصانية فيقولون: أن النور حي قادر حساس، والظلام ميت، عاجز، جماد.(١)

د- المرقيونية:

ومن المذاهب الثنوية "المرقيونية" أصحاب "مرقيون". وقد أثبتوا أصلين قديمين متضادين: أحدهما النور والآخر الظلام، وأثبتوا أصلاً ثالثاً وهو المعدل الجامع. وهو سبب المزاج فإن المتنافرين المتضادين لا يمتزجان إلا بجامع. وقالوا: أن الجامع دون النور في الرتبة وفوق الظلمة وحصل من الاجتماع والامتزاج هذا العالم.(٢)

خاتمة:

كانت تلك أهم المذاهب التي تندرج تحت الديانات الفارسية وهناك غيرها مما يندرج تحت مذهب الثنوية أو الاثنينية. والحق أن بلاد فارس هي بلاد فلسفة الثنوية.

وقد أصاب الشهرستاني حين قال: أن هذه الثنوية هي الزم سمات المذاهب المجوسية لأنها تتراءى في كل مذهب بلا استثناء(٣).

وأكثر المذاهب المجوسية اعتدالا مذهب زرادشت الذي قال بوجود إله واحد حكيم خالق مبدع لا شريك له ولا ند له ولا مثيل له وهو فوق الخير والشر ولا

---

(١) انظر: المصدر السابق، ج٢، ص٥٥، وهويدي، محاضرات في الفلسفة الإسلامية، ص٥١، والنشار: نشأة الفكر الإسلام، ج٢، ص١٧٣، و١٨٠.

(٢) انظر: المصادر السابقة والباقلاني، التمهيد، ص٦٤.

(٣) انظر: الملل والنحل، ج٢، ص٤٩، ودى بور، تاريخ الفلسفة في الإسلام، ص٥١.

ينسب إليه إلا الخير والصلاح وما الشر والفساد إلى أثر لضرورة امتزاج النور بالظلمة. وما النور والظلمة إلا مبدآن حادثان وضدان مخلوقان.

فالنور صفة للإله الواحد الحكيم. والظلام صفة للمادة الفانية وبـــامتزاج النـــور والظلمة خلقت موجودات هذا العالم وحصلت من تراكيبه المختلفة.. وحدثت الصور والألوان والأنواع من هذا التركيب.

المبحث الثاني

الديانات الهندية

١- الديانة الهندوسية: *Hinduism*

يعتقد الهندوس أن براهما روح العالم خلق (مانو) أول البشر فأخرج منه زوجة له فصار أول زوج وزوجه على وجه الأرض وجاء منهما نسل البشرية، وبإرادة براهما كذلك جاءت جميع الكائنات، فصار براهما هو الخلق نفسه لأنه أخرجه من نفسه، وجاء من مانو أبي البشر أربع طبقات، فمن رأسه جاء أفضل الناس وأعظمهم قدسية وهم الكهنة البراهمة (Brahman) ومن ذراعه جاء من يليهم في الأفضلية وهم الملوك والمحاربون (الكاشتريا kastria) ومن فخذيه جاء أرباب المهن ممن يهيئون أسباب المعيشة للطبقتين اللتين سبقتها بالأفضلية وتسمى هذه الطبقة الفيشية (Visaya). ومن قدم مانو جاءت الطبقة السفلى من الناس وهم الطبقة المنبوذة أو العبيد أو الخدم الذين يسمون بالشودرا (Sudra).[١]

هذا ما تقوله أساطير الهندوس، أما ما جاء في الحوادث التأريخية فإن الآريين حين سيطروا على شمالي وشرقي الهند في الألف الثانية قبل الميلاد فإنهم استعبدوا الأهالي وخلقوا هذه الطبقات وذلك بجعل أهالي البلاد عبيدا ومنبوذين يقومون بخدمة الأسياد الذين تتكون منهم الطبقات الثلاث التي تنتمي إلى الجنس الأرى[٢]. وأصبحت لكل

---

(١) قصة الديانات، سليمان مظهر، ص٢٥-٥٣.

(٢) انظر: (الهند) شعبها وأرضها مانوراك موداك: ترجمة العميد محمد عبد الفتاح إبراهيم كذلك انظر: مقارنة الأديان- الجزء الرابع للدكتور أحمد شبلي.

طائفة من الطوائف التي تألف منها الشعب الهندي القديم واجباها. فالبراهمة هم الكهنة الذين يدرسون اسفار "الفيدا" الكتاب المقدس لدى الهندوس ويقومون بكافة التعاليم التي تنص عليها تلك الأسفار. وطبقة الكاشتريا تقوم بحماية الشعب وتلاوة الكتاب المقدس، وطبقة الفيشية تقوم بزراعة الأراضي وتربية المواشي وعمليات البيع والشراء ودراسة الكتب المقدسة. أما طبقة الشودرا فما عليها إلا خدمة الطبقات الثلاث -كما أوضحنا- وعليهم الامتثال المطلق لأوامر البراهمة.

ولما كانت طبقة البراهمة هي الطبقة الممتازة بين الطبقات الأخرى فقد كانت لها مدارس خاصة تربي أبناءها تربية دينية حتى يصبحوا كهنة. وكان تعليمهم ينصب على اجتيازهم أدوارا أربعة، هي دور التلمذة. وفي هذا الدور يحتضن الأستاذ طلبته كأبنائه. ثم دور الدعاء حيث يتدرب البرهمي على المناجاة والأدعية وخلال هذا الدور يتزوج البرهمي ببرهمية، ثم ينتقل إلى دور الخلوة والتفكير ليعود بعدها إلى حياته الطبيعية "عالم الوجود"(١). وهذه الأدوار اختيارية حيث يتمكن البرهمي من الانقطاع في أي دور يشاءه.

وقد كثرت الآلهة عند الهندوس بشكل ملحوظ فأصبح لكل شيء روح ولكل روح قدسية معينة عندهم. وكانت كل الآلهة قد أخذت وظيفة معينة تختلف باختلاف شخصياها إلا أن الآلهة العليا أخذت لنفسها ثلاثة أقانيم فدعى الأول (براهما) ووظيفته الخلق والإيجاد. ودعى الثاني (فشنو) حيث يتولى المحافظة على الخلق والوجود. و(سيف) المخرب الجبار.(٢)

فهذه الصفات الثلاث تكون الإله الواحد الأعلى. فهم وإن عددوا الآلهة فإن إيماهم يعترف بنوع من الوحدانية، وأنه ليس للآلهة الأخرى كيان منفصل إذ أن

---

(١) انظر: تاريخ الآلهة، الكتاب الثاني، ج٢، فاروق الدملوجي.

(٢) انظر: مقارنة الأديان، ج٤، للدكتور أحمد شبلي.

حياتها تستمد من روح واحدة هي روح (براهما) أو الإله الأعظم وقد اتسع نطاق هذه الفكرة بحيث أخذت الديانة الهندوسية تؤمن بوحدة الوجود أو الحلول عندما قالوا بأن روح الإنسان هي نفس روح (براهما) موجودة في الإنسان كما هي موجودة في المخلوقات الأخرى[١]. وكذلك تؤمن الهندوسية بتناسخ الأرواح فقد تنتقل الروح من الإنسان إلى الحيوان وبالعكس ولذلك فقد قدسوا الحيوانات.

وللآلهة أساطير أشبه ما تكون بخرافات مقدسة دونت في كتابهم المقدس (الفيدا Veda). وهذا الكتاب ينقسم إلى أقسام أربعة هي الرجفيدا (Rig-veda) وهي مجموعة من الشعر الكهنوتي أو أناشيد العوائل المقدسة والساما فيدا (Sama-Veda) وتحوي أناشيد موجهة إلى الآلهة (اجني) إله النار و(اندرا) إله المطر والقسم الثالث. ويسمى الياجور فيدا (Yajur-Veda) وهو مجموعة من التراتيل التي ينشدها الكهنة عند إحراق جثث الموتى، والقسم الأخير وهو الآثارفيدا (Athar Veda) وهي أناشيد تتلى عند الزواج أو تلمس البركات أو أدعية ضد الشيطان ومكروهات الأمور[٢].

ومن معتقدات الهندوسية أيضاً إيمانهم بالكارما (Karma) ومعناها قانون الجزاء أو العدالة. وتعني أن جميع أعمال الإنسان الاختيارية التي تؤثر على الآخرين شراً كانت أم خيراً يجازى عليها بالثواب أو العقاب.. وهذا الجزاء يكون في الحياة، فإن لم يقع هذا في الحياة الاعتيادية فقد يقع في الحياة الأخرى بعد أن تنتقل الروح إلى جسد آخر[٣].

وهدف الإنسان الهندوسي أن يصل إلى مرحلة الانطلاق أو الخلاص (Nirvana) والتي تعني انعتاق روحه من الجسد واتحادها بالإله براهما. ويكون ذلك بالعمل الجيد

---

(١) الهند، شعبها وأرضها، ص٥٩-٦٥.

(٢) انظر: The world's Religions Hinduism أحمد شلبي، مقارنة الأديان، ج٤، (أديان الهند) ص٤٢-٤٣.

(٣) مقارنة الأديان ج٤، ص١٠٢-١٠٤.

الصالح الذي يساعد المرء على الانتقال بعد الموت إلى طبقة أعلى من طبقته حتى يصل إلى أعلى الطبقات، ويستمر بعمله الصالح لتنطلق روحه بعد ذلك إلى الاتحاد مع براهما[1].

وللنقاد بعض مآخذ على الهندوسية منها أنها ديانة تهتم بالخرافات وتهبط في مستواها نظراً لأنها تتأثر بالسحر ولا تهتم بتحسين اقتصاد معتنقيها لأن العمل عند بعض طبقاتها كالبراهمة والكاشتريا لا يليق بهم. وبدلا من العمل فإن الهندوسي يدرب نفسه على تحمل المشاق في الصوم الطويل أو القيام بالأعمال المضنية للجسم أو قيامه بالاستعطاء أو أنه يقوم بغرز مسامير في جسده. وقد يتعرى ما بقي من عمره أو لا ينام لفترة أو لا يحرك جسده ويقوم الناس بإطعامه الغذاء.. والجدير بالذكر أن القصد من ذلك هو ولوج باب الموت بنظافة ونزاهة ليصل إلى (النرفانا) بعيداً عن أي عارض يعترضه.

ومن المآخذ على تلك الديانة أنها لا تكتفي بحرق جثمان أفرادها الذين يتوفون بل أن زوجات المتوفى لا بد من حرق أنفسهن معه. وقد قضي على هذه العادة منذ أجل قريب وتعتبر الهندوسية من الديانات القليلة التي لم تستطع الأفكار الدينية المتوافدة على الهند من تغيير جوهرها ومعتقداتها[2].

ويمكننا أن نلخص المبادئ التي ترتكز عليها الديانة الهندوسية بما يلي:

١- أنها بنت كيانها على الإيمان بالكارما أو قانون الجزاء.

٢- وتركز على عقيدة تناسخ الأرواح.

٣- وتنظر إلى الحياة نظرة متشائمة بالدعوة إلى تخليص الروح منها.

٤- وتدعو إلى الزهد.

---

(١) قصة الديانات، ص٥٦.

(٢) مقارنة الأديان، ج٤، ص١٠٢-١٠٤.

٥- وتركز كثيراً على الفضائل.

٦- وترتكز على الإيمان بكتب (الفيدا).

٧- وتؤمن بآلهة كثيرة.(١)

ومن المهم أن نعرف أن للهندوسية حركة عالمية تبشيرية في الوقت الحاضر تسمى (Hare Krishna Movement) أو ضمير كرشنا، تقودها جماعات تبشيرية في معظم أقطار العالم وخاصة أمريكا وأوربا ولها أنصار عديدون في تلك الأقطار يوجههم الكائن المقدس -كما يدعونه- براهوباتا (Prahupata) ومن تعاليم هذه الحركة أن الفيدا أو البغوات جيتا (Bhagavad-gita) هي الكتاب المقدس الأول في الكون الذي يحمل معاني الحقيقة الإلهية. وأن الإنسان جزء من الإله الأزلي الأبدي ولأجله فإن كل الناس إخوان وعليهم التضحية في سبيل الأب الأعظم (كرشنا).(٢)

ومن الملاحظ أن هذه الحركة تحظى بتأييد المراهقين في أوربا وأمريكا أكثر من غيرهم وقد يكون ضعف الدافع المسيحي في الوقت الحاضر سببا في انتشار هذه العقيدة في تلك القارات.

وفي خاتمة بحثنا للديانة الهندوسية نقول: أن الهند من الأمم ذات التاريخ المجيد لها مدنية قديمة وحضارة عريقة، ولكن قد طمست حضارتها تلك حضارة أخرى أتى بها غزاة فاتحون آريون، وكان هؤلاء الفاتحون يحملون معهم ديانة أخرى غير ديانة الهند القديمة وهي الديانة "الهندوسية والبرهمية" والديانة الهندية القديمة كانت ذات أصول "توتمية" حيث ارتكزت على تقديس أرواح كثيرة تسكن الصخور والحيوان والأشجار ومجاري الماء والجبال والنجوم كما كانت ذات أصول طبيعية حيث ارتكزت أيضاً على تقديس القوى الطبيعية المختلفة من سماء وشمس وأرض ونار ونور وريح وماء.

---

(١) The Worlds Religions p. 115.

(٢) Back to Godhead (The Magazine of the Hare Krishna Movement) No.40 (p.5)

فجعلوا السماء أبا وسموه (فارونا) والأرض أما وسموها (بوينيفي) والمطر هو الإله (بارجانيا) والنار هي (اجني).. والريح (فايو) والعاصفة (اندرا) والفجر (أوشاش) ومجرى الممرات في الحقل (سينا) والشمس (سوربا أو مترا أو فشنو).

وجاءت الديانة الجديدة (البرهمية) ديانة الفاتحين ولكنها لم تمح الديانة القديمة محوا تاما بل أن الناس قد مازجوا بين قديمهم وما عرض لهم. والديانة البرهمية ديانة وثنية أيضا ترتكز على عبادة قوة الطبيعة المؤثرة في الكون، ومع الزمن تمثل الناس هذه الآلهة في صورة أشخاص راحوا يعبدونهم وأصبحت الشمس التي تهب الحياة إلها جديدا اسمه (سافيتار) وضوؤها إله آخر اسمه (فيفاسفات) ثم أصبحت الشمس التي تولد الحي من الحي إلها عظيما جديدا اسمه (براجاباتي) وإلى جانب هذه الآلهة توجد آلاف غيرها منها القردة والتماسيح والنمور والطواويس والببغاوات بل وحتى الفئران والأفاعي.. وكان أكبر مراكز عبادة الأفاعي في شرقي ميسور فهناك في معابد هذا الإقليم تسكن جموع زاخرة من الأفاعي حيث يقوم الكهنة على إطعامها والاهتمام بها لأن الهندوسي لا يرى فارقا بين الحيوان والإنسان.. لأن لكل منهما روحا، والأرواح تنتقل دائما بين الحيوان والإنسان، ولهذا فهي صنوف إلهية نسجت خيوطها في شبكة واحدة لا نهاية لها.

والبقرة أكثر الحيوان قدسية عند الهندوسي.. فلها تماثيل في كل معبد ومنزل وميدان، وهي تتمتع بحرية مطلقة في ارتياد الطرقات كيف شاءت، ولا يجوز للهندوسي تحت أي ظرف من الظروف أن يأكل لحمها أو يستغل جلدها في أي صناعة من الصناعات إلا إذا ماتت فيمكن حينها استغلال جلدها.

وبالجملة فقد كثرت الآلهة الهندية كثرة فاحشة وتعددت تعددا غريبا. حتى وصلت إلى ثلاثة وثلاثين إلها، ثم أخذ العدد ينحسر حتى انحصرت الآلهة في ثلاثة أقانيم وهي:

١- **براهما**: الإله الخالق، الذي صدرت عنه جميع الأشياء والذي يرجو لطفه وكرمه جميع الأحياء وينسبون إليه الشمس التي يكون بها الدفء وتجري الحياة في الحيوان والنباتات.

٢- **سيفا أو سيوا**: الإله المخرب المفني الذي تصفر به الأوراق الخضراء، وتفنى مياه الأنهار وينسبون إليه النار لأنها عنصر مدمر مخرب.

٣- **فشنو**: الإله الذي يتولى المحافظة على الخلق والوجود، فكل معاني الخير والسمو من فيض فشنو وكل الحكماء والصالحين يقومون بالعدل والصلاح، والفضيلة وينصرون الأخيار على الأشرار بغيض من فشنو، وأعظم ما يتجسد فيه فيشنو هو شخصية (كريشنا). وبعد أن أرجع الهندوس كل شيء إلى هذه الآلهة الثلاثة. عادوا إلى توحيدها في شخص "براهما" وارجعوا إليه كل شيء، وهكذا عرف الهندوس مبدأ التفريد (الإله الأعظم) لا عقيدة التوحيد لأنهم لم يفردوا (براهما) في العبادة والخلق والاعتقاد وإنما كان اعتقادهم شبيها باعتقاد عرب الجاهلية حيث كانوا يعتقدون بإله خالق لكل شيء ولكنهم كانوا في الوقت نفسه يعبدون الأوثان لتقربهم إلى الله زلفى.(١)

٢- الديانة الجينية أو الجانتية: ***Jainism***

لقد تعرضت الديانة الهندوسية شأنها شأن الديانات الأخرى إلى انقسامات وهزات فخلقت فيها ديانات فرعية أو طوائف. وكانت الديانة الجينية والبوذية من تلك الديانات الفرعية.

وفي ظل النظام الطبقي الهندي القديم والذي كان يؤكد على قدسية طبقة البراهما فقد استبد هؤلاء وتعسفوا بطغيانهم، وتمنى الناس ظهور زعماء روحانيين ينقذونهم من ويلات البراهمة.

---

(١) مظهر، قصة الديانات، ص٦٥-٧٢، وأبو زهرة، مقارنات الأديان، ص٢٧.

وكانت طبقة الكاشتريا (Kastria) من أكثر الطبقات الأخرى تحسسا لظلم البراهمة وطغياهم باعتبارها الطبقة الثانية التي تأتي بعدها في المرتبة وفيها الملوك والمحاربون الذين يفقدون كلمتهم وسطوتهم أمام البراهمة.

وقد ولد (مهاويرا) سنة ٥٩٩ ق.م، من طبقة الكاشتريا وهو ابن أمير البلاد وبعد أن عاش في نعيم ويسر اتجه لدراسة الديانة والرهبنة على يد البراهمة وقد تعرف على أفكارهم وأسرارهم فانطلق بعد وفاة والده ليتعلم قسوة الحياة وتحسس آلامها[١]. فعاش على الكفاف بعيدا عن الغنى، صائما عن الكلام طيلة اثنى عشر عاما[٢]. حتى تمرس خلال تلك الأعوام على كل الويلات والمصائب وتعرف على جميع الأسرار الكونية وكشفت له حجب الحقيقة. فعاد بعد اثنى عشر عاما ليبشر بعقيدته الجديدة التي تبدو لأول وهلة أنها تماثل الهندوسية. إلا أنها اختلفت عنها اختلافا كثيرا. ولما صارت هذه الدعوى تمثل ثورة على البرهمية فقد تبعه الملوك والقادة والأهالي، وتوفي مهاويرا بعد أن ترك تراثا ضخما من التعاليم والوصايا صارت الأساس الأكبر لمعتقدات الطائفة الجينية في الهند.

والجينية التي دعا لها مهاويرا عبارة عن حركة عقلية حرة من سلطة تعاليم الفيدا عمادها الرياضة الجسمانية الشاقة وهروبها من الملذات بالعيش في تقشف شديد. ويتبع أفرادها سياسة رهبانية تختلف عن رهبنة البرهمة حيث يهتم (الجيني) بإفناء العواطف الشخصية[٣].

والتعاليم الأولى للجينية تعكس ثورة على معظم معتقدات الهندوسية بما فيها الآلهة فهي أقرب إلى الديانة الإلحادية حيث تعترف بآلهة كبيرة للكون خالقة له.

---

(١) انظر: مقارنة الأديان، ج٤، للدكتور أحمد شبلي.

(٢) قصة الديانات، سليمان مظهر ، ص١٢٦.

(٣) مقارنة الأديان، ج٤.

وتنصب اعتقاداتها على وجود أرواح لكل الكائنات. وهنا تعود الجينية للاتفاق مع الهندوسية في الاعتقاد بأن هذه الأرواح خالدة يجري عليها التناسخ.

وبنيت فكرة الجينية على المسالمة وعدم الاعتداء والعنف حتى على أصغر المخلوقات والحشرات الصغيرة. ومن مواعظه الأخيرة: "لا تقتل الحيوان لتتخذ منه طعاما ولا تصد برا أو بحرا ولا تقتل أدنى المخلوقات في أي وقت ولا تقتل البعوضة التي تعضك أو النملة التي تلسعك.. ولا تذهب إلى الحرب ولا تقاتل من يهاجمك ولا تدس دودة على الطريق. فحتى الدودة لها روح".

و لم ينف مهاويرا آلهة الهندوس رغم عدم إيمانه بها فولد موقفه هذا بعض الغموض عند إتباعه اضطروا إلى اعتباره إلها لهم. وقد راحوا إلى الاعتقاد بأن في الكون أربعة وعشرين (جينيا) أو إلها. كان آخرهم صاحب التعاليم الواسعة مهاويرا. ولكنهم رغم ذلك لم يتمكنوا من إيجاد صيغة معينة للتعبدات والصلاة أو تقديم القرابين، فكان اتباع تعاليم مهاويرا في التدريب على الصبر والمسالمة وتجويع النفس وترويضها على الآلام هي صورة التعبدات التي مارسها الأتباع إلى اليوم.

وتؤمن الجينية كأمها الهندوسية بالكارما (Karma) (أي قانون الجزاء) وتعتقد بأن التخلص من هذا القانون يتم بالتقشف وبالحرمان من الملذات لأن الروح متحدة بالكارما أسيرة في يدها ولا سبيل لتخليصها منها إلا بالتطهر من الرغبات وحين ينتهي الإنسان على مر الأيام وبالتناسخ من الرغبات البشرية تتخلص روحه من الكارما وتبقى في نعيم خالد وهذا ما يسميه الجينيون النجاة (Salvation) الذي يعادل (النرفانا) في الهندوسية والبوذية[١].

---

(١) راجع The World's Religions p. 107-109 وكذلك مقارنة الأديان، الجزء الرابع، الديانة الهندوسية، ص١١٣-١١٧

وهنالك طريق للوصول إلى النجاة بأن يتبع الجيني ثلاثة سبل في حياته يسمونها يواقيت، فالياقوته الأولى هي الاعتقاد الصحيح فعمل الذنوب والرغبات يضعف الاعتقاد الصحيح بالديانة أما الثانية فهي العلم الصحيح بما في الكون فلا يكون هنالك علم صحيح بأمور الحياة ما لم يكن للمرء اعتقاد صحيح في دينه. والياقوته الثالثة هي الخلق الصحيح في التخلي عن السيئات والابتعاد عن الاعتداء على المخلوقات والصدق والعفو والاستقامة والتواضع والنظافة والإيثار واعتزال النساء ..الخ(١).

وتتلخص الديانة الجينية بالتالي:

١- عدم الإيمان بالطوائف، ولا بالأصنام وعبادتها، ولا بالصلاة وتقديم القرابين، ولا بإله أسمى أو أعلى، ومن هنا سمي وإتباعه (ملاحدة) ومن قوله: "لا بالصلاة ولا بالقرابين ولا بعبادة الأصنام يمكن أن تجدوا الغفران والطريق إلى الحياة الصالحة ولكن بالعمل الطيب يمكن أن تبلغوا النيرفانا، في داخل نفوسكم الخلاص".

٢- يؤمن الجيني بالجنة والنار والجنان عنده ست وعشرون، فالروح الصالحة النقية ترتفع وترتفع حتى تصل إلى الجنة السادسة والعشرين، وعندئذ تدخل النيرفانا والنيران، عندهم، سبع وتقع تحت سطح الأرض، فالروح الشريرة تهبط وتهبط حتى تجد نفسها ملقاة في أسفل درك في الجحيم.

٣- ويمضي الزمن لم يثبت الجينيون على تعاليم سيدهم (مهاويرا) وإنما بنوا المعابد

---

(١) مقارنة الأديان، الجزء الرابع ١٢٢-١٢٣، ومن أقوال مهاويرا: (الطريق إلى النيرفانا هو طريق جواهر النفس الثلاث وهي الاعتقاد الصحيح والمعرفة الحقيقية والسلوك السليم الذي يأتي أولا، باتباع الوصايات الخمس للنفس وهي:

١- لا تقتل أي كائن حي أو تؤذه بالكلام والتفكير والعمل.

٢- لا تسرق.

٣- لا تكذب.

٤- لا تحيي حياة الفجور أو تخدر نفسك.

٥- لا ترغب في شيء على الإطلاق.

٦- انظر مظهر، قصة الديانات ص١٤٠.

وعبدوا الأصنام وعلى رأسها تماثيل مهاويرا، إلا أنهم تمسكوا بالتعاليم الأخرى، فلم يشتغلوا -مثلا- بالزراعة خوفا من إلحاق الضرر بالكائنات الحية ورفضوا الانخراط في الجيش، ولكنهم شقوا طريقهم في الهند، بمزاولة الأعمال التجارية والمصرفية. لأنه يقل فيها الاعتداء على الأحياء إلى أقصى حد. وكان ذلك سببا في ثرائهم الكبير واحتلالهم منزلة رفيعة في الهند. ويبلغ عدد الجينيين الآن حوالي مليون ونصف نسمة من مجموع سكان الهند، وهم يعيشون على الأغلب، في أعالي الهند على طول نهر الجنجز وفي كلكتا.

٣- الديانة البوذية: ***Buddism***

كان سبب انتشار البوذية في الهند أولا يعود إلى نفس أسباب انتشار الجينية إذ أن تحكم وتسلط البراهمة أدى إلى نفور الطبقات الأخرى وخاصة الطبقات الحاكمة. الكشتارية منها فحاولت الإفلات من سيطرتها. ولعل السبب الثاني يكمن في صليب العقيدة الهندوسية. إذ أن وجود آلهة كثيرة تسيطر على الكون وتفرض نوعا من الوصاية على البشرية بأن تجزأها إلى طبقات تتحكم واحدة بالأخرى وتفرض أيضا أنواعا من التعبدات والالتزامات الدينية قد أعيت الناس.

لقد ولد سدهارتا (٥٦٠-٤٧٠ ق.م) (Siddharta) مؤسس البوذية أميرا في مملكة كوسالا شرقي الهند ونشأ في بحبوحة من العيش ولكنه كان طيلة حياته يتطلع إلى الفلسفة والعلم. فكان أكثر ما يحيره في أمر الكون بعض الغوامض التي يصعب تفسيرها كالمرض والشيخوخة والموت. فدأب على دراسة فلسفة الهندوس البرهمية وتخرج على أيدي فلاسفتهم. إلا أنه لم يجد الأجوبة الشافية لتساؤلاته.(١)

---

(١) قصة الديانات، سليمان مظهر، ص٨٩-٩٨.

وكانت غوامض الكون دافعا أساسيا له للترهيب واعتزال الدنيا ولذلك دعاه أصحابه غوتاما (Gautama) أي الراهب.

وذهب غوتاما إلى الغابات والكهوف معتزلا حياة الآخرين ليعيش على الكفاف والتزهد شأنه شأن الرهبان الهندوس في ذلك الحين وقضى في ذلك سنين طويلة وبعد أن أنهكه الجوع والنسك. فعدل آنذاك عن قراره بأماته نفسه وقرر الانصراف إلى حاله وفي طريقه جلس تحت شجرة (البو-Bo) المقدسة وأطال جلسته وتقول الكتب البوذية المقدسة أن الحقيقة قد تجلت لغوتاما في تلك الجلسة فخرج بفلسفته التي تقول (من الخير يجب أن يأتي الخير ومن الشر يجب أن يأتي الشر).[1] فقام من تحت تلك الشجرة التي أصبحت شجرة البوذيين المقدسة فيما بعد لينشر دعوته بين الأمم. وكانت دعوته تنصب على تطهير النفس والعمل على إزالة الآلام. فالمولد ألم والهرم ألم والمرض ألم والموت ألم والاجتماع بغير المألوف ألم والافتراق عن المألوف ألم وعدم الظفر بما يهوى ألم، فالإنسان يجب أن يعمل على إعدام الألم. ولن يعدم ذلك الألم إلا بالاعتقاد الصحيح والعزم الصحيح والقول الصحيح والعمل الصحيح والعيش الصحيح والجهد الصحيح والفكر الصحيح والتأمل الصحيح[2] هذه هي الأمور التي لو تمت على وجه صحيح سار الشخص على الجادة وسلك الممر الوسط الذي يوصل إلى حياة سعيدة خالية من الآلام.

أما الرذائل فمنشؤها -عندهم- هو اللذات والانهماك فيها وما تدعو إليه. وترجع الرذائل إلى أصول ثلاثة:

١- الاستسلام للملاذ فإنه يجعل الحياة كلها في ألم مستمر.

---

(١) المصدر السابق، ص١٠٠، ومحمد الهاشمي، الأديان في كفة الميزان، ص١٦.

(٢) مقارنة الأديان، ج٤، ص٦٣، وكذلك The World's Religions (p.121)

٢- سوء النية في طلب الأشياء وذلك من تمكن اللذات في النفس... وهو أيضا أصل لكثير من الرذائل كالغش والكذب والنميمة.

٣- عدم إدراك الأمور على الوجه الصحيح وغالبا ما يكون منشؤه سيطرة الشهوات على النفس فتمنع عنها الإشراق الذي ينشأ من التجرد من الملاذ، والإلهام الذي يكون من هجر الشهوات وهنالك حقائق في الحياة لا بد من إدراكها في العقيدة البوذية وهي أن الألم موجود وأن لهذا الألم سببا كالشهوات والرغبات وغيرها وأن ذلك السبب قابل للزوال ولإزالته لا بد من اتباع إحدى الوسائل التي تعدم الألم كما مررنا على ذكرها[1].

وتعتقد البوذية بتناسخ الأرواح، وأن الإنسان يستمر في الموت والمولد طالما كان بعيدا عن التعاليم والاعتقادات التي تبعده عن النجاة والنرفانا (Nirvana) ولم تعد النيرفانا في معتقدات بوذا كما هي في الهندوسية إذ أن بوذا أنكر وجود آلهة فالخلاص لن يتم بالاندماج في الله ولكن بوصول الفرد إلى أعلى مراتب الصفاء الروحي بتطهير نفسه والقضاء على جميع الرغائب وفناء الأعراض الشخصية وإنقاذ نفسه من ربقة الكارما ومن تكرار المولد وذلك بالتوقف عن فعل الشر. وهناك بعض القيود التي تمنع المرء من الوصول إلى النرفانا وهي:

١- الوهم الخادع في خلود النفس.

٢- الشك في بوذا وتعاليمه.

٣- الاعتقاد في تأثير الطقوس والتقاليد الدينية.

٤- الشهوة.

٥- الكراهية.

---

(١) انظر: الحكماء الثلاثة أحمد الشنتناوي، ص٨٣-٨٤، وكذلك: The World's Religions p.121.

٦- الغرور.

٧- الرغبة في البقاء المادي.

٨- الكبرياء.

٩- الجهل[(١)].

ولقد كانت الدعوة البوذية منصبة على إلغاء الطبقات عند الدخول في ديانتها والتنازل عن المال ورفض الرهينة واحترام الحياة والمحبة الشاملة.

وقد ترك بوذا وصايا عشرا تجسم فلسفته في الحياة وهي:

١- لا تزن ولا تأت أي أمر يتصل بالحياة التناسلية إذا كان محرما.

٢- لا تشرب خمرا ولا تتناول مسكرا ما.

٣- لا تكذب ولا تقل قولا غير صحيح.

٤- لا تقتل أحدا ولا تقضي على حياة حي.

٥- لا تأخذ إلا ما يعطى إليك فلا تسرق ولا تغتصب.

٦- لا تأكل في الليل طعاما غير ناضج.

٧- لا تقتن أثاثا فاخرا.

٨- لا ترقص ولا تحضر مرقصا ولا حفل غناء.

٩- لا تستعمل العطور.

١٠- لا تقتن ذهبا ولا فضة[(٢)].

---

(١) مقارنة الأديان، ص١٦٤، والهاشمي، الأديان، في كفة الميزان، ص١٨.

(٢) تاريخ الآلهة الكتاب الثاني، ج٢، فاروق الدملوجي، ص٤٥. وأبو زهرة، مقارنات الأديان، ص٧٦ وشلبي، مقارنة الأديان، ج٤، ص١٦٦.

وللبوذيين كتب مقدسة يعتمدون عليها في تعاليمهم الدينية إلا أنهم لا يدعون أنها منزلة من الله بل يقولون بأنها مجموعة تعاليم بوذا التي جمعت في عصور مختلفة وهي عبارة عن ثلاث مجموعات من الكتب وتسمى السلال الثلاث (Pitakas) وتعرف المجموعة الأولى باسم (سلة النظام أو الطريقة) وتشمل القواعد والنظم التي يسير عليها الرهبان في حياتهم والثانية باسم (سلة العظات) وتضم تعاليم بوذا الأصلية مسلسلة وفق نظام خاص. أما الثالثة فتعرف باسم (سلة العقائد) وهي المسائل الفلسفية التي يتداولها البوذيون بوجه عام(١). ومن الحري بالذكر أن الهندوس اعتبروا بوذا أحد آلهتهم فانحسرت البوذية التي رفضت الديانة الهندوسية، تحت ضغطهم عن الهند و لم يبق فيها إلا عدد ضئيل جدا من أتباعها وتوزعوا في البلدان المجاورة(٢).

وكبقية الأديان فقد انقسمت الديانة البوذية إلى طائفتين:

أولاهما: الهينايانا (Hinayana) وهذه الطائفة تمسكت بمذهب بوذا باعتباره المعلم العظيم وليس الإله. وتعتقد هذه الطائفة بأن الوصول إلى النرفانا يتم في هذه الحياة. ويقطن أصحاب هذه العقيدة في جنوب الهند وفي سيلان.

وثانيهما: الماهايانا (Mahayana) وهي تعتقد بألوهية بوذا، ولا يصل المرء إلى النرفانا إلا بعد المرور في تجارب كثيرة يتكرر فيها مولده وينتقل عبر حيوات كثيرة. وتسود هذه الطائفة في التبت ومنغوليا والصين واليابان(٣).

وفي نهاية بحثنا الموجز للبوذية نجد:

١- إن البوذية لم تكن في الواقع ديانة خالصة وإنما هي فلسفة اجتماعية غايتها تخفيف الآلام عن الناس وإسعادهم، وإلغاء الطبقات وتحقيق المساواة بين البشر

---

(١) قصة الديانات، سليمان مظهر، ص١٢٢.

(٢) الحكماء الثلاثة، أحمد الشنتناوي، ص٩٠-٩١.

(٣) The World's Religions p.127-129

جميعا لا فرق بين شخص وآخر بنسبة أو وظيفته وإنما بالموهبة والقدرة والعمل ولا فضل لأحد إلا بالمعرفة وسيطرة الإرادة الإنسانية بحيث لا تقوى اللذائذ عليها. ولذلك فإن البوذية لم تعن بالبحث فيما وراء الطبيعة، فلم تتجه إلى الدراسات التي تتصل بالجانب الإلهي وليس في تعاليم بوذا شيء عن الله أو عن تقديم القرابين.

٢- إن البوذية كالبرهمية والجينية تؤمن بتناسخ الأرواح. ومعنى ذلك أن الروح بعد أن يموت الشخص تحل في كائن آخر أعلى إن كان صالحا باراً وأدنى إن كان شريرا شقيا وربما وصل به التناسخ إلى الخروج عن درجة الإنسان إلى درجة الحيوان حيث تتقمص روح الشرير جسد حيوان.

٣- لعل فلسفة بوذا تتلخص في كلمتين "السلام والحب" السلام لجميع الكائنات وحب الخير وعمل الخير للجميع، على الإنسان أن يتغلب على غضبه بالشفقة وأن يزيل الشر بالخير، إن الكراهية يستحيل عليها في هذه الدنيا أن تزول بكراهية مثلها، إنما تزول الكراهية بالحب، لا تقتل كائنا حيا، لا تسرق أو تأخذ ما لم يعط لك، لا تقل كذبا مطلقا، لا تقسم على دنس، لا تسكر أو تخدر نفسك في أي وقت، وهكذا استمر بوذا في نشر تعاليمه الإنسانية بين الناس حتى وافاه أجله المحتوم في عام ٤٧٠ ق.م.

٤- كثر اتباع بوذا، وبمضي الزمن اخذوا ينسون أن تعاليمه كانت خلقية خالصة ولم تكن ديانة مستقلة، وإن كل ما يعنيه هو سلوك الناس، أما الطقوس والشعائر الدينية وما وراء الطبيعة فلم يكن يهتم بها، نسي الاتباع ذلك وراحوا يؤلهون بوذا نفسه وأخذت كتبهم المقدسة تتحدث عن الإله بوذا، وتصف كيف تقدم له القرابين، وبعد أن كان بوذا ينهي عن عبادة الأصنام أقام له اتباعه التماثيل في كل معبد وجعلوا منه إلها يعبد.. وهكذا صارت البوذية دينا وأصبح

لها كهنة.. أخذوا يفسرون تعاليمه بطقوسهم الخاصة مما أدى إلى وقوع الخلاف بين الأتباع وانقسامهم إلى طائفتين: طائفة تقدسه على أنه معلم عظيم ويوجد هؤلاء في جنوب الهند وجزيرة سيلان. وطائفة اعتقدت ألوهيته ويوجد هؤلاء في التبت ومنغوليا والصين واليابان إلى جانب من بقي منهم في الأرجاء الشمالية للهند.. ويبلغ مجموع اتباع بوذا الآن أكثر من أربعمائة مليون نسمة.

٥- هناك تشابه كبير بين مهاويرا وبوذا من حيث نشأتهما وفلسفتهما فقد كان كل منهما أميرا هندوسيا.. اتصف بالشجاعة والإقبال على دراسة الهندوسية وتزوج كل منهما وعاش سعيدا ثم هجر بيته ليصبح كاهنا متوسلا ووجد كل منهما عيوبا في الديانة الهندوسية دعته إلى تبني فلسفة جديدة. وأما التشابه في فلسفتهما فقد تبع كل منهما طريق البرهمية في الاعتقاد بالكارما والتناسخ والنرفانا ورفضا فكرة قدسية الطوائف والخلاص بالصلاة وتقديم القرابين. ولكنهما اختلفا بعد ذلك في رسم قواعد السلوك الصحيح للإنسان فاختار بوذا الطريق الوسط، طريق الاعتدال وأعتقد أن التطرف شر. بينما اختار مهاويرا طريق تعذيب النفس وأعتقد أن التجويع وتعذيب النفس يساعدان الإنسان على الوصول إلى الحياة الصالحة[1].

٤- مذاهب الإصلاح الديني:

ما من شك في أن مهاويرا وبوذا قد نجحا في وضع فلسفتين جديدتين من خلال محاولتهما إصلاح وتطوير الديانة الهندوسية، وأن هاتين الفلسفتين قد تطورتا بعدهما إلى ديانتين دان بهما ملايين من البشر في الهند وخارجها، مما حمل البراهمة على قبول بعض تعاليمها وضمها إلى الهندوسية.

---

(١) انظر: مظهر، قصة الديانات ص١٤٠-١٤٣.

ولكن الأمر لم يقتصر على هاتين الديانتين فقد ظهر في الهند مصلحون كثيرون ومذاهب دينية كثيرة خصوصا بعدما وصلت الديانات المنزلة إلى الهند عن طريق التبشير المسيحي والفتح العربي الإسلامي، وإقبال كثير من الهنود على السماع والدراسة والتفكير في الديانات الوافدة ولا سيما الإسلام (دين الفاتحين) وإعجابهم بالدعوة إلى الاعتقاد بإله واحد، مما حمل البعض منهم إلى إدخال التوحيد إلى ديانتهم القديمة (الهندوسية) فأدى ذلك إلى ظهور مذاهب جديدة نادى بها بعض المصلحين أمثال(كبير) و (ناناك) و (ديانندا).

أ- مذهب كبير:

ولد (كبير) لأبوين هندوسيين فقيرين وتوفي والده وهو طفل رضيع و لم تستطع أمه تربيته والإنفاق عليه فكفله رجل مسلم اسمه (نيرو) كان يعمل نساجا فأحسن تربيته ولما كبر أرسله إلى أفضل المعلمين في بنارس وأحب (كبير) دراسته، وما أن بلغ السادسة عشرة من العمر حتى تعلم الكثير من عقائد الإسلام والهندوسية، وقد تأثر كثيراً بتعاليم شاعر حكيم اسمه (راماناند) كان "يبشر بأنه ليس هناك سوى إله واحد، وإن هذه الحقيقة أكبر صديق للبشر، وأن الحياة البسيطة هي الطريق إلى النيرفانا"[(١)].

وأخذ (كبير) ينظم شعراً على غرار شعر (راماناند) في الوقت الذي أخذ (نيرو) يعلمه صنعة النسيج.. وهكذا صار (كبير) نساجا بارعاً وعالماً كبيرا و لم ينس وهو في زحمة العمل أن ينظم أشعاراً يضمنها أفكاره وآراءه الجديدة التي كان فحواها: الدعوة إلى الإيمان بإله واحد، وهجر عبادة الأصنام والزهو والكبرياء والطائفية وأن الناس جميعا أخوة، لا فرق بين برهمي وكاهن وتاجر ومنبوذ إلا بالعمل الصالح.

التف الناس حول (كبير) وأصبح له اتباع ومريدون وذاع صيته وانتشرت قصائده التي نظمها حاملة عقيدته التوحيدية ومع ذلك بقي يكسب قوته من عمله

---

(١) مظهر: قصة الديانات، ص١٥٨.

نساجا. لأن من مبادئه وجوب العمل حتى على الرهبان والكهنة.

وبعد أن توفي (كبير) جمع أتباعه حكمه وأشعاره في كتاب سموه (بيجاك) وسموا أنفسهم اتباع طريقة (كبير) ويبلغ عددهم الآن في الهند حوالي مليون نسمة(١).

ب- مذهب السيخ أو السيك:

من المذاهب الجديدة التي نشأت نتيجة انتشار الإسلام في الهند وإقبال الكثير من أبنائه على دراسته وتأثر بعض الرهبان من الهندوس بتعاليمه وعقائده مذهب (السيخ أو السيك) وكان مؤسس هذا المذهب يدعى (ناناك) (١٤٦٩-١٥٣٩م) قد ولد في إقليم لاهور لابوين نبيلين هندوسيين حرصا على تربيته وتعليمه، درس (ناناك). الهندوسية والإسلام، وتأثر كثيراً بأشعار (راماناند) و(كبير) اللذين كانا يبشران بكثير من عقائد الإسلام وتعاليمه كالتوحيد والمساواة بين الناس جميعاً.

أخذ (ناناك) يميل إلى العزلة ويكره العمل ويأوي إلى الغابات يفكر في عقيدة شعبة ويقرأ أشعار (رامانامد) و (كبير) وبعد أن كون فكرة واضحة عن عقيدة جديدة أعلن نفسه أول (جورو) أي معلم ومرشد وأخذ يدعو إلى مذهبه ويجوب بلاد الهند في سبيل نشر تعاليمه وتقوم دعوته على الوحدانية والمساواة كالإسلام كما تقول بالتناسخ كالهندوس، لقيت دعوته هذه قبولا لدى كثير من الهنود وصار له أتباع ومريدون، وبعد وفاته خلفه في إمامة المذهب (أبجاد) الذي أصبح الجورو الثاني، وجمع الجورو الخامس (أرجان) أقوال (ناناك) وعظاته وأشعار (راماناند) و (كبير) في كتاب واحد سماه "صاحب المواهب" وأصبح هو الكتاب المقدس لاتباع (ناناك)، الذين سموا أنفسهم (السيخ)، أي المريدين أو الأتباع وبذل زعماء السيخ جهدا كبيراً في نشر

---

(١) The World's Religions (p.109-119).

مذهبهم مما أدى إلى وقوف اتباع المذاهب والديانات الأخرى ضد أعمال السيخ التبشيرية.

وعندما صار (كروكنبدر سنج) زعيما للسيخ لجأ إلى تدريب أتباعه عسكريا في جبال الهيمالايا، ثم نزل بهم إلى مدينة (البنجاب) لتدور بينه وبين حاكمها المسلم حروب طويلة امتدت اثني عشر عاما، هلك فيها آلاف من السيخ وكانت نهاية هذه الحروب هزيمة السيخ وإخماد ثورتهم ولكنهم ظلوا يكنون العداء للمسلمين حتى اليوم وما هو جدير بالذكر أن طائفة السيخ كانت قد أهدت (موشي دايان)[1] سيفا مرصعا بالجواهر في أعقاب حرب حزيران عام ١٩٦٧م، إعجابا بقدرته على التنكيل بالعرب المسلمين وتقديرا لانتصاره عليهم.

ويبلغ عدد السيخ اليوم أكثر من عشرة ملايين نسمة ويمكن تمييزهم عن الهندوس بخمسة أشياء يعتبرونها من شعائر عقيدتهم وهي:

١- الشعر الطويل إذ أنهم يطلقون شعورهم ولا يعتدون على أية شعرة في أجسامهم.
٢- المشط الخشبي الطويل في شعرهم.
٣- السوار المعدني الخفيف حول المعصم على أساس أنه يذكرهم بالله.
٤- الخنجر القصير ذو الحدين الذي يحملونه دائماً.
٥- السراويل البيضاء القصيرة تحت الملابس بخلاف عامة أهل الهند الذين يكتفون، لبس السراويل الطويلة البيضاء[2].

جـ- مذهب دياننda، أو جمعية النبلاء:

توالى تمرد المفكرين على التعاليم البرهمية وظهور فلسفات تهدف إلا إصلاح

---

(١) موشي دايان، وزير دفاع العدو الصهيوني الذي قاد حرب إسرائيل ضد العرب، عام ١٩٦٧.

(٢) مظهر: قصة الديانات ص ١٦٨.

عقيدتهم القديمة كان أهمها في الآونة الأخيرة مذهب ديانندا ذلك الشاب البرهمي الذي درس الهندوسية لمدة ستة أعوام فلم ترقه عقائدها وخصوصاً تعدد الآلهة وعبادة الأصنام. والطائفية فقرر أن يبحث عن حقيقة الدين، وأخذ يجوب أنحاء الهند عله يجد معلما يهديه إليها، والتقى في تجواله بمعلم يكره الأصنام فارتاح له ديانندا وقرر أن يدرس معه الحقيقة، فأشار إليه هذا المعلم أن يدرس الإنجيل وتعاليم (راجاراموهان)(١).

أقبل ديانندا على دراسة الإنجيل وتعاليم "راجاراموهان" فاقتنع بأنه يجب على المرء ألا يؤمن بآلهة متعددة بل بإله واحد فقط وبأنه ليس هناك طوائف بالبلاد بل هناك من يولدون أكثر شقاء من الآخرين وبأن من يندم ويتوب فإن الله يغفر له خطاياه ولكنه إلى جانب ذلك ظل يؤمن بالنرفانا والتناسخ الهندوسية.

انطلق ديانندا بعد ذلك يبشر بعقيدته الجديدة فتبعته طائفة كبيرة سماها "اربا ساماج" أي" جمعية النبلاء".. وبعد وفاته واصل اتباعه أداء رسالة زعيمهم، فانتشر أمر جمعيتهم حتى بلغ عدد أتباعه اليوم حوالي سبعين مليونا.(٢)

وفي نهاية بحثنا للديانة الهندية نلحظ أنه يوجد في الهند في وقتنا الحاضر ديانات ومذاهب وطوائف كثيرة جداً فهناك بعض اليهود وكثير من المسيحيين وملايين من المسلمين بجانب البوذيين والجانتيين والسيخ وأتباع "كبير" وأعضاء جمعية النبلاء فضلا عن الديانة القديمة "البرهمية" ويبلغ عدد أتباعها أكثر من ٢٥٠ مليوناً ولا يزالون يؤمنون بقدسية الطوائف. كما أنه يوجد في مناطق الهند الجميلة عبدة الأشجار والأنهار والأرواح وقليل من أتباع "زرادشت"(٣).

---

(١)انظر: قصة الديانات ص١٦٧. و The Worlds Religions (p.112-113)

(٢)المصدرين السابقين.

(٣) المصدرين السابقين.

المبحث الثالث

الديانات الصينية

١- الكونفوشيوسية:

ليست الكونفوشيوسية هي الديانة الوحيدة في الصين بل هناك الكثير من الديانات الأخرى كالداوية (Taoism) والبوذية إلى جانب الإسلام والمسيحية ولمعرفة الكونفوشيوسية معرفة جيدة لا بد من القول بأنها لم تكن الديانة الأولى في تاريخ الصين، إذ أن الصينيين عرفوا بالتدين والعبادة قبل ظهور كونفوشيوس في القرن السادس ق.م ولعل الصينيين يعتبرون من أقدم الأقوام التي عرفت عبادة الإله الواحد (شانغ-تي)[1]، وكانوا يعبدونه ويتقربون إليه بذبح الذبائح وبإيقاد النيران فوق قمم الجبال وتحت الأشجار وفي المعابد.

ولكن الصين شأنها شأن جاراتها لا بد من تطور في معتقداتها ولا بد من توسع في أفكارها فقد أصابتها الفوضى وعدم الاستقرار في الحكم وفي المعتقدات فكثرت الآلهة وإن كان (شانغ-تي) قد بقي الإله الأعظم.. ولكن الصينيين بدأوا يؤلهون الظواهر الطبيعية ويعتبرون الملك وكيلا للإله شانغ تي وهو ابن الشمس. واعتبروا أوامره شرائع سماوية مقدسة.[2] وقد عمل كونفوشيوس هو وتلاميذه على إعادة

---

(١) The World's Religions p.136.

(٢) تاريخ الآلهة، فاروق الدملوجي، الكتاب الثاني، الجزء الثاني، ص٤٩.

السلام والاستقرار في البلاد فكان كل همه هو تنظيم الشؤون الإنسانية وشؤون الدولة وشؤون الأسرة.[1]

ولد كونفوشيوس (٥٥١-٤٧٩ق.م) في أسرة فقيرة وتوفي أبوه وهو في الثالثة من عمره ثم رعته والدته إلى أن اشتد عوده فأخذ يعمل لدى الحكومة وبعد زواجه بفترة توفيت والدته فحزن عليها حزنا شديدا آثر على أثرها البقاء في البيت بعد أن ترك عمله وتركته زوجته بعد أن يئست من حاله، وكان خلال فترة الحداد يقرأ الكتب الفلسفية ويراجع تراث الحكماء الصينيين القدماء فقرر أن يعمل على تدريس الفلسفة والحكمة إلى الناس فخرج بعد فترة الحداد يجوب البلاد كمعلم جوال[2]. وقد تسلم منصب رئاسة الوزراء في إحدى المقاطعات الصينية بعد أن تمكن من نشر أفكاره بين الناس وأصبح حكيما يشار إليه بالبنان، إلا أن أمد وزارته لم يدم أكثر من أربعة سنوات آثر العودة بعدها إلى حياة التعليم والتجول ليصبح بعد ذلك حكيم الصين العظيم.

والكونفوشيوسية ليست دينا في نظر الكثير من المفكرين لأنها مجموعة من الحكم والأقوال العظيمة تفوه بها كونفوشيوس في تصريف أحوال الدنيا واضطر لجمعها تلاميذه من بعده[3].

فكان طيلة فترة عمله في الحكومة يؤكد على أن كل موظف في الدولة يجب أن يقوم بواجبه على الوجه الأكمل وأن يكون رائده العدالة والاستقامة وبذلك تستقيم الأمور وينال أصحاب الحق من الناس حقوقهم[4].

---

(١) الحكماء الثلاثة، أحمد الشنتاوي، ص١٤٦-١٤٨.

(٢) الحكماء الثلاثة، ص١٢٦، وقصة الديانات، سليمان مظهر، ص١٨١.

(٣) الحكماء الثلاثة، ص١١٠، والهاشمي، الأديان في كفة الميزان، ص٢٧.

(٤) نفس المصدر، ص١٣٦.

أما عن التدين فلم يؤثر عن كونفوشيوس أنه ذكر في تعاليمه أي نوع من أنواع العبادة المعروفة في الأديان المنزلة. ولم يرد له أيضا ما يدل على ضرورة إقامة أماكن مقدسة خاصة بالعبادة يؤمها الناس في أوقات مخصوصة[١]. ولكن ذكر عنه أنه سلم بشرائع السماء وقد قال بأنه من المحال على المرء أن يكون متفوقا دون التسليم بشرائع السماء[٢]. فإنه وإن كانت أفكاره تمثل نزعة فلسفية إنسانية Humanism وأساس تعاليمه لا تعتمد على أي كائن علوي أو أية قوة غير منظورة[٣]. إلا أنه كان يعتقد بإله السماء إذ أثر عنه القول بأن الكون قد خلقه إله عظيم هو (شانغ-تي) وفق أنظمة لا يعتورها الخلل والفساد وما السماء والنجوم والحركة الكونية إلا نموذج للنظام العلوي الذي وضعه الإله لهذا العالم.

فالإله يلاحظ مجرى الكون ويهب الحياة للأحياء وهو الذي أعطى للإنسان عقلا يميز به أفعاله وأعماله ومنحه الذكاء والإدراك والمعرفة ليسعى إلى عمل الخير والفضيلة والبر والإحسان ومكارم الأخلاق ويتجنب الشر والرذيلة وعقوق الوالدين وما إلى ذلك من مخالفات خلقية[٤].

في السماء من يشرع القوانين والقواعد العامة التي تنظم الحياة الإنسانية والحكومة تتلقى هذه القوانين والقواعد وتقوم على تنفيذها. أما الشعب فهو من يعيش وفقا لنصوصها[٥] واعترافه بقوة السماء لا تعني تسليمه بالأديان السماوية فالدين هو المعاملة وليس اجتماع الناس بطريق تأدية شعائر معينة. الدين عنده مواساة اليتيم والبر بالفقراء والمعوزين وكف اليد عن الاعتداء على الغير.

---

(١) نفس المصدر ص١١٠.

(٢) نفس المصدر، ص١٥٤.

(٣) نفس المصدر، ص١١١.

(٤)تاريخ الآلهة، الكتاب الثاني، الجزء الثاني، ص٤٩.

(٥) الحكماء الثلاثة، ص١٤١.

ولذلك فإن تعاليمه تمثل فلسفة أخلاقية أقرب منها إلى دين تعبدات[١] ولكنه برغم ذلك أوصى بتعلم الشعر ومعرفة الطقوس والشعائر الدينية المختلفة لأنه يرى أن الطقوس والشعائر تربي في النفس ملكة الانتباه الشديد إلى تفاصيل الأمور ودقائقها[٢].

ولقد رفض كونفوشيوس أن تكون هناك طبقية في المجتمع. ورفض الكهنوتية بشدة ولكنه قسم الدولة إلى حكام وشعب ووضع بينها طبقة المعلمين وجعل لها مكانا ممتازاً لأن من واجباتها دراسة القوانين وصيانتها من كل عبث[٣]. وكان جل فكره ينصب على شؤون الحياة الدنيوية و لم يكن يتكلم عن أمور ما وراء الطبيعة فقد أثر عنه أنه لام تلميذا له كان يفكر بالموت فقال له (إذا كنت لا تعرف الحياة فماذا تعرف عن الموت).؟ وكان في حديثه عن العلاقات الإنسانية يؤكد على قانون العدالة. وقال بأن رد الإساءة لا بد أن يكون بالعدل، ورد الإحسان. وفسر ذلك القول بأنه إذا كانت الحكومة مثلا تحسن أو تتغاضى عمن يسيء إلى البلاد أو إلى القائمين بالحكم فإن مآل ذلك إلى الفوضى وسوء الحال.

أما إذا حاسبتهم على أفعالهم حسابا عادلا فإن الأمور تستقيم وتستطيع الحكومة القيام بواجباتها على الوجه الأكمل[٤]. ولذلك فإن العقوبات في رأيه يجب أن تكون من جنس العمل.

وكان يدعو الناس إلى الفضيلة فيقول اجعل الأمانة والإخلاص من مبادئك الأولى وكان يدعو إلى المعرفة فيقول أن المرء لا يصل إلى السعادة ومراتب التقدم عن

---

(١) نفس المصدر، ص١٣٣.

(٢) نفس المصدر، ص١٥٠.

(٣) نفس المصدر، ص١١١.

(٤) نفس المصدر ص ١١٣، وقصة الديانات، سليمان، مظهر، ص٢٠٠.

طريق التعبدات، بل يصلها عن طريق ذاته فحسب بالمعرفة الصحيحة. وكان يدعو للرأفة بالآخرين فيقول ما لا تحب أن يصنع معك فلا تصنعه مع الآخرين[1].

وقد خلف كونفوشيوس تراثا قيما في خمسة كتب تدعى (كنج) يقال أنه كتب بعضها وجمع البعض الآخر. وهذه الكتب عبارة عن حكم وأمثال ووثائق وأشعار وطقوس قديمة تتكلم عن البر والمحبة والحشمة والمعرفة والإيمان وحقوق المرأة وخلف تلامذته من بعده أربعة كتب أخرى كانوا قد جمعوها عنه وهي بحوث في الأخلاق والفضيلة وفي الاعتدال وعفة النفس وعدم المغالات في الأمور وكذلك شروح على حكم واقوال كونفوشيوس[2].

وبرغم أنه لم يتحدث عن العبادات والمعابد في حياته إلا أنه أصبح (أقدس القديسين) كما يدعوه الصينيون اليوم. فشيدوا له المعابد في أنحاء الصين وأخذوا يتعبدونه ويقدمون له القرابين والذبائح وأصبح له أتباع يؤمنون بأفكاره ويقسمون باسمه وهم طائفة كبيرة في الصين يزيد عدد أفرادها على ٢٥٠ مليون في وقتنا هذا.

٢- الداوية: (*Toaism*)

نشأت العقيدة الداوية جنبا إلى جنب مع شقيقتها الكونفوشيوسية، وفي نفس الفترة التي بدأت فيها البوذية بالانتشار في الهند، الأرض المجاورة للصين ولد (لاوتسى) أو الفيلسوف العجوز في القرن السادس قبل الميلاد وفي التسعين من عمره كتب كتابه (العقل والفضيلة) فأصبح كتابا مقدسا لطائفة من الصينيين دعت فيما بعد بالداوية. و(داو) كلمة قد تعني الله وقد تعني طريقة التفكير أو الامتناع عن التفكير، إذ تنصب فلسفة (لاو) على هجر التفكير، إذ يرى أنه لا خير فيه للجدل أو النقاش فهو يضر

---

(١) تاريخ الآلهة، فاروق الدملوجي، الكتاب الثاني،ص٤٨.

(٢) الحكماء الثلاثة، ١٣٩.

الحياة أكثر مما ينفعها وتكسب سعادة المرء بالعزلة والتقشف والتأمل الهادئ في الطبيعة لا في التفكير.

و(لاو) يرى الأمور عكس ما يراه كونفوشيوس إذ أن أولى واجبات الإنسان لإقامة حياة فاضلة هي إيمانه (بالله) ولا يرى ضرورة لأن تقابل الإساءة بالعدل بل بالإحسان إذ أن الطريقة الوحيدة لجعل الناس خيرين صالحين هي معاملتهم برفق وإحسان (انا طيب مع أولئك الذين ليسوا طيبين) فالرجل الصالح عند (لاو) هو من يحب جميع الناس ولا يكره أحدا قط. ويمكن تلخيص العقيدة الداوية: بأنها الميل إلى السكون والهدوء والاستسلام إلى الطبيعة الأولى حيث أن الحضارة الجديدة عقدت الحياة بمخترعاتها وكتبها وفلسفتها فنشأ من ذلك ما أصاب الناس من بؤس وشقاء.. فالمرء لا بد أن يعود إلى الطبيعة بعيدا عن كل ما جد من أمور[1].

وبعد وفاة لاو-تسي، ذهب أتباعه إلى تشويه أفكاره بأن حولوها إلى عقيدة تؤمن بمعبودات لم يذكرها في حكمه وأقواله وبدأوا يؤلهون كل شيء في الطبيعة حتى الفئران والثعابين وآمنوا بالشياطين والجن والأرواح الشريرة ثم تحول الناس بعد فترة من وفاته إلى عبادته هو جاعلين منه إلها فبنيت له المعابد في كثير من مدن الصين.

ولما لم تكن الداوية أو الكونفوشيوسية تتحدث عن الحياة بعد الموت لذلك فإن كثيرا من الصينيين سرعان ما اتجهوا صوب الدين الجديد في الهند -البوذية- والتي راحت تفسر لهم النيرفانا فانتشرت لذلك البوذية في الصين انتشارا هائلاً وصارت دين الأكثرية الصينية ولكن انتشار هذه العقيدة الجديدة لم يجعل الصينيين ينبذون الكونفوشيوسية أو الداوية بل اختلطت معان هذه العقائد الثلاث ولذلك فإنه يسمى الشعب الذي يعتنق ثلاث عقائد في آن واحد[2].

---

(١) قصة الديانات ص٢١٩-٢٢٨.

(٢) انظر: قصة الديانات ص ٢٤٢ و The World's Religons (p.135)

وفي نهاية بحثنا للديانات الصينية نسجل الملاحظات التالية:

١- عبد الصينيون قديما مظاهر الطبيعة المؤثرة في الكون كأغلب الشعوب القديمة، وكان أهم مظاهر تلك العبادة الخوف من خوارق الطبيعة وعبادة الأرواح الكامنة في جميع الأشياء وتقديس ما على الأرض من صور رهيبة وما لديها من قدرة على الإنتاج والتوالد ومن هنا عبدوا الريح والرعد والأشجار والجبال والأفاعي، وآمنوا بأن لكل من هذه المقدسات روحا يجب أن يعبد ولكنهم في الوقت نفسه عرفوا مبدأ التفريد آمنوا بوجود قوة عليا مسيطرة على العالم (الإله الأعلى) ووصفوه بأنه في غاية العدل والحكمة(١).

٢- لم يقتصر الصينيون القدماء على عبادة مظاهر الطبيعة بل عبدوا أيضا وعلى مدى تاريخهم كله وعلى نحو شبه عام أرواح أسلافهم،كما عبدوا أرواح حكمائهم والأبطال منهم. وحتى أباطرتهم كانوا يعتبروهم دائماً مقدسين(٢) لأنهم كانوا يعتقدون أن أرواح الأموات تنفصل عنهم بعد موتهم وتبقى في الدنيا. وكان أهم مظاهر العبادة عندهم هو الغناء والرقص والموسيقى وتقديم القرابين.

٣- لم يكن الصينيون القدماء يؤمنون باليوم الآخر وما فيه من نعيم مقيم أو عذاب دائم وكانوا يؤمنون بالقضاء والقدر ويقولون: أن كل الحوادث مقدرة في السماء معروفة، ويعتقدون أن السلوك القويم يجلب الخير والبركة وأن السلوك غير القويم يحدث الاضطراب والقحط.

٤- التزم كونفوشيوس بديانة قومه ولم يغير فيها شيء فلم يؤمن باليوم الآخر ولم يشغل نفسه بالتفكير فيما بعد الموت وكان كل همه إصلاح الحياة الدنيا. وكان يقدم القرابين ويقوم بواجب العبادة التي يقوم بها كل صيني تجاه الآلهة المتعددة، ولقد

---

(١) انظر مظهر، قصة الديانات، ص١٧٥، وأبو زهرة، مقارنات الأديان، ص٩٠، والمنوفي، الدين المقارن، ص٩٢.

(٢) انظر: البان، ج. ويد جيري، المذاهب الكبرى في التاريخ، من كونفوشيوس إلى توينبي ترجمة ذوقان قرقوط، ص١٢، والمنوفي، الدين المقارن، ص٩٢.

كان في الناحية الدينية ساذجا يتشاءم من صوت الرعد ويرتجف وترتعد فرائصة عندما يسمعه ويقرأ التعاويذ لطرد الأرواح الشريرة من بيته.

٥- لم يكن لكونفوشيوس مذهب أو عقيدة دينية يدعو إليها وإنما وضع قواعد للسلوك المستقيم كان حريصا على تطبيقها أو شيوعها خصوصا عندما تولى منصب قاضي القضاة في مدينة (جونج دو) ووزارة الجرائم في إقليم (لو) وبعدما تخلى عن مناصبه تلك امتهن التعليم.. وكان تعليمه كتعليم سقراط، شفهيا لا يلجأ فيه إلى الكتابة وكان جوالا ينتقل من مكان إلى آخر وفي صحبته نفر من التلاميذ والمريدين يستوحون آراءه.

٦- بعد موت كونفوشيوس أقام له الصينيون معبدا وعبدوه كعادقم في عبادة أرواح الأسلاف ثم عمت عبادته الصين كلها وأصبح له في كل مدينة من مدن الصين معبد يؤمه الناس لسماع الدروس وإقامة الصلوات وتقديم القرابين، ومن لم يؤمن اليوم بألوهيته من الصينيين المتعلمين فله في نفسه توقير وتقديس يقرب من التأليه باعتباره أعظم حكيم وطني صيني عاش على أرض الصين.

٧- وكذلك لاو- تسي الذي كان معاصرا لكونفوشيوس والذي يكبره في السن ولكنه لم يشتهر خارج الصين شهرة كونفوشيوس. لم يكن هو الآخر صاحب مذهب أو عقيدة دينية وإنما كان فيلسوفا التجأ إلى الزهد والعزلة والتقشف والتأمل الهادئ في الطبيعة وكان يبشر بالحلم والصبر والرفق والعطف على الآخرين ويدعو إلى التسامح ومقابلة الإساءة بالإحسان وكان يقول: (إذا لم تقاتل الناس فإن أحدا على ظهر الأرض لن يستطيع أن يقاتلك. قابل الإساءة بالإحسان. فأنا طيب مع الطيبين وطيب أيضا مع غير الطيبين فبذلك يصير الناس كلهم طيبين. وأنا مخلص أيضا لغير المخلصين فبذلك يصير الناس كلهم مخلصين. أن ألين الأشياء في العالم تصدم أصلبها وتتغلب عليها. وليس في العالم شيء ألين ولا أضعف من الماء ولكن لا شيء أقوى من الماء في مغالبة كل ما هو صلب وقوي.

٨- وبعد موت لاو-تسي بسنوات تحولت الداوية من اتجاه فلسفي إلى ديانة لها معبوداتها وآلهتها وراح أتباعه يعبدون الفئران وأبناء آوى والثعابين، وبمضي الزمن زاد اعتقادهم بالسحر والشعوذة ووجود الشياطين والمردة والجن ومصاصي الدماء والغيلان وكل أرواح الشر وهكذا عبد الصينيون (لاو-تسي) بعد أن جعلوا منه إلهاً وشادوا له المعابد وأغدقوا المال بسخاء على كهنتها ولا تزال أصول هذه الديانة وفلسفتها تهيمن على عقول الملايين في الصين حتى يومنا هذا.

٩- ثم وفدت الديانة البوذية إلى الصين مع التجار الصينيين العائدين من رحلاتهم في نيبال والهند، ولقيت لها اتباعاً، وأخذت تنافس وتغالب هم أتباع كونفوشيوس ولاو-تسي حتى انتصرت وانتشرت في جميع أنحاء الصين بسبب عقيدتها في الحياة بعد الموت (النرفانا) فقد كان الصينيون تواقين إلى معرفة مصيرهم ومصير أسلافهم الذين يعبدون أرواحهم تلك العقيدة التي خلت منها الداوية وحتى الكونفوشيوسية بل أن كونفوشيوس كان ينهي تلامذته عن التفكير في هذا الموضوع ويحثهم على التفكير في الحياة الدنيا وصرف همتهم لإصلاح أحوال أمتهم ويروى أن أحد تلاميذه سأله عن مآل الأرواح بعد الموت فأجابه (لم نقدر على خدمة الأحياء: فكيف نقدر على خدمة الأموات ولم نعرف الحياة فكيف نعرف الممات)؟

١٠- كان بين لاو-تسي وكونفوشيوس اتفاق واختلاف:

أما الاتفاق فيتمثل في أن كلا منهما يبشر بالحلم والصبر والبر بالوالدين والعطف على الأقربيين والغرباء وفي أن كلا منهما لم يغير عقائد قومه الدينية ولم يزد عليها شيئا وإنما كان يشاركهم في طقوسها وشعائرها.

أما الاختلاف بينهما فمن أوجه:

أ- يرى (لاو-تسي) أن التفكير وشحذ العقل في محاولة إصلاح المجتمع الفاسد لا خير فيه وأنه يضر الحياة أكثر مما ينفعها وأن الخير كل الخير في الزهد والتقشف

والعزلة والتأمل الهادئ في الطبيعة.

بينما يرى كونفوشيوس ضرورة الاختلاط بالناس ليصلح من حالهم وليس من مذهبه اعتزال الناس والزهد في الدنيا، جاء في حوار كونفوشيوس للاو-تسي عندما التقيا وكان الأول شابا والثاني كهلا (إذا كان واجب كل شخص من آحاد الأمة أن يعتزل في كهف من الكهوف فمن الذي يبقى في المدن يعمرها وفي الأرض يفلحها ويزرعها وفي الصنائع يمهر فيها ومن الذي ينسل ويعمل ليبقى الكون عامراً ببني الإنسان؟ وإذا كان الاعتزال مقصوراً على الحكماء والفضلاء فمن الذي يربي الإنسان ويؤدبه؟ أم يترك الناس حائرين لا هادي ولا مرشد.

ب- كان من مبادئ لاو-تسي العفو والتسامح ومقابلة الإساءة بالإحسان (قابل الإساءة بالإحسان، أنا طيب مع الطيبين وطيب أيضاً مع غير الطيبين، أنا مخلص للمخلصين، ومخلص أيضاً مع غير المخلصين).

بينما كان كونفوشيوس يرى ضرورة أن يأخذ العدل مجراه في كل الأمور فمن العدل أن يعاقب المسيء على إساءته وليس من العدل العفو عن سيئته ولكن يعدل معه.

جـ- يرى لاو-تسي أن (داو) هو البداية العظمى لجميع الأشياء في العالم، وأن أول واجب على الناس الذين يريدون أن يحيوا حياة فاضلة سعيدة صحيحة هو الإيمان بداو، أي طريق الله وإن الدنيا هي التي ستعني بنفسها بعد ذلك.

بينما كونفوشيوس كان لا يهتم بمعرفة شيء عن الله وأسمائه وصفاته بل بذل جهده في إصلاح الناس وإسعادهم في دنياهم وكان يقول: أن الله يمكن أن يعني بنفسه.

١١- يوجد في الصين الآن بالإضافة إلى الديانات الثلاث (الكونفوشيوسية، الداوية، البوذية) الدين الإسلامي ويبلغ عدد أتباعه أكثر من ٣٠ مليون نسمة والدين المسيحي بجانب الشيوعية التي أصبحت النظام الرسمي للصين.

المبحث الرابع

ديانة - الشنتو - اليابانية

من المعروف أن اليابان كالصين من حيث كثرة الديانات وانتشارها حيث تنتشر فيها الشنتو والبوذية والكونفوشيوسية والمسيحية والإسلام.

إلا أن الشنتو هي ديانة يابانية عريقة، كانت في بدايتها ديانة بدائية النمو والارتقاء ورغم أنها قد بنيت على مبادئ بدائية قديمة إلا أنها لا تزال في ظل شعب متحضر ومتطور في النواحي الاقتصادية والسياسية[١].

وقد كان اليابانيون القدماء يعبدون الشمس بصورة خاصة ويعبدون الظواهر الطبيعية الأخرى كالقمر والنجوم والجبال والأنهار...الخ، ولقد عبدوا بجانب هذه الظواهر أباطرتهم وأبطالهم الحربيين.

اعتمدت تعاليم الشنتو على كتابين قديمين كانا معروفين في اليابان اسمهما كوجيكي وينهوجي، ويتحدث الكتابان عن الخليقة والكون وقيام العالم.

وتعني الشنتو طريق الآلهة أو (طريق الأرواح الخيرة) و(شن) تعني الأرواح الخيرة و(تاو) اسم الديانة الداوية التي جاء بها (لاو-تسي) في الصين، فالأرواح تشكل أساساً للعقيدة اليابانية.[٢] اتخذت هذه العقيدة خمس قواعد يقوم عليها الدين وهي:

١- الإيمان بأن النار مطهرة.

---

(١) The World's Religions p.153

(٢) قصة الديانات، سليمان مظهر، ص٢٤٥.

٢- لا بد من التطهير الروحي بالخضوع للعقل. ولا بد من التطهير الجسدي بالاحتراس من النجاسات.

٣- يجب تقديس الأعياد وضبط أيامها.

٤- ضرورة الحج إلى الأماكن المقدسة التي يربو عددها على ٢٢ معبداً.

٥- يجب القيام بعبادة الآلهة في المعابد والهياكل.(١)

ورغم أن اليابانيين يؤمنون بآلهة واحدة عليا إلا أنهم لا يقيمون لها أي وزن في تعبداتهم لأنها لا تتدخل بشؤون البشر اليومية. أما الآلهة الثانوية الأخرى كالظواهر الطبيعية والإمبراطور فإنه من الواجب القيام بالصلاة لهم وإطاعة أوامرهم المتمثلة بأوامر الإمبراطور وقوانين المملكة، أما الظواهر الطبيعية فإنها تكون دائماً ملتصقة مع البشر في كل ما تقدمه للكون من قضايا خير أو شر.

وكذلك فإن الظاهر أن العقيدة اليابانية تتخذ وجهين الأول ويسمى عقيدة الدولة (State Religion) ويقوم اليابانيون بعبادة الحاكمين والأسلاف الذين أسسوا الدولة وقاموا ببنيانها، والوجه الثاني هو اتجاههم إلى عبادة أسلاف القبائل ويسمى العقيدة المنزلية(٢) وكان كل إمبراطور حتى الحرب العالمية الثانية يعتبر ظل الله في الأرض لذلك فإن الكثير من أبناء الشعب ينتحر لدى وفاته ليرافقونه إلى العالم الآخر إذ أن الإخلاص له يعتبر تدينا وعرفانا بالجميل لكن تلك النظرة تبدلت نحو الإمبراطور بعد خسارة اليابان في الحرب الثاني وأصبح ينظر له نظرة دنيوية خالصة وبذلك فقد تخلصت المعابد والكهنة من سلطة الدولة الموجهة لشؤونهم(٣).

---

(١) تاريخ الآلهة، الكتاب الثاني، ج٢، فاروق الدملوجي، ص٥٩.

(٢) قصة الديانات ص ٢٤٦، والله للعقاد ص٨٨.

(٣) The World's Religions p.164-165.

أما رجال الدين والكهنة فلم تكن لهم في الديانة السابقة مكانة خاصة ممتازة بين طبقات الشعب كما في الديانات الأخرى، وكان الناس يعاملوهم كمعلمين روحانيين يتعيشون على صدقات زوار وحجاج المعابد وكان الإمبراطور فيما سبق رئيساً للكهنة في البلاد، وتمتاز معابد الشنتو ببساطتها لو قورنت بمعابد البوذية.

وقد دخلت الديانة البوذية إلى اليابان عن طريق كوريا في القرن السادس الميلادي ودخلت الكونفوشيوسية إليها أيضاً وساعدت الأخيرة على خضوع الشعب التام للسلطان الحاكم ولذلك وجدت مرتعا خصبا لها هناك.

وفي كثير من الأحيان نجد في اليابانيين ما وجدناه في الصينيين حيث أن هناك الكثير من الناس من يؤمن بالأديان الثلاثة في آن واحد، والجميع يردد ما جاء في العقيدة اليابانية (التفت إلى وطنك والأرض يا صديقي وحاول أن تؤدي واجبك نحوها حتى تموت).[1]

وفي نهاية هذا التعريف الموجز لديانة اليابان نجد تشابهاً كبيراً في أصول الديانات الصينية اليابانية. حيث عبد الجميع الأسلاف والأرواح، ومظاهر الطبيعة، واستوردوا البوذية والإسلام والمسيحية، ومزجوا ديانة الشمس بديانة الأسلاف، وعرفوا مبدأ التفريد (الإله الأعظم) وكان عند الصينيين (شانغ-تي) وعند اليابانيين (ازاناجي-نوميكوتو) فلا خلاف بين الصينيين واليابانيين في ذلك سوى غلو اليابانيين في تأليه أباطرتهم واعتدال الصينيين في تقديسهم كاعتدالهم في جميع الشؤون.

---

(١) قصة الديانات ص ٢٧٢.

الباب الثاني

الأديان السماوية السابقة للإسلام

(اليهودية والصابئية والنصرانية)

الفصل الأول

الديانة اليهودية

- أصل الديانة اليهودية.
- العصور والأدوار التاريخية لليهود.
- الكتب المقدسة عند اليهود.
- المعتقدات اليهودية.

أصل الديانة اليهودية

قبل الشروع في دراسة تاريخ الديانة اليهودية يجدر بنا أن نلم ببعض المصطلحات والأمور التي لها ارتباط وثيق بهذه الديانة وذلك لنتعرف من خلالها على ما يلي:

أولاً: تعريف الديانة اليهودية:-

اليهودية هي ديانة العبرانيين المنحدرين من إبراهيم عليه السلام والمعروفين بالأسباط من بني إسرائيل الذين أرسل الله إليهم موسى عليه السلام مؤيداً بالتوراة ليكون لهم نبياً[1]. ويقرر علماء الدين أن أول من سموا باليهود كان أولئك الذين آمنوا برسالة موسى وتبعوه في قصة الخروج[2].

ثانياً: أسماء اليهود:-

لقد أطلقت على اليهود عدة تسميات منها ما وردت في كتبهم أو في كتب التاريخ ومنها ما وردت في القرآن الكريم وبيان ذلك بالتفصيل كما يلي:

١- العبرانيون:

حيث يقال لهم : عبرانيون وعبريون من العبر. أي من عبور إبراهيم عليه السلام نهر الفرات أو عبوره الصحراء على أصح الأقوال كما سيأتي:[3]

---

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، ص٥٦٥.

(٢) انظر الرؤية العربية لليهودية، ص٣٤.

(٣) انظر اليهود في القرآن، ص١٣.

وقد جاءت هذه التسمية في الكتب المقدسة وعلى لسان العلماء وكتاب التاريخ ويعدونها أقدم تسمية أطلقت على بني إسرائيل بزعمهم وإن كانوا قد اختلفوا في سبب إطلاقها عليهم على أقوال منها:

١- أنهم سموا بالعبريين نسبة إلى إبراهيم نفسه، فقد ذكر في سفر التكوين "إبراهيم العبراني" لأنه عبر نهر الفرات وأنهاراً أخرى[١]. ففي هذه التسمية فإن الإصحاح (١٤) من سفر التكوين سمى إبراهيم الذي يعتبره بنو إسرائيل جدهم الأعلى(إبرام العبراني) حيث يمكن أن يقال: أن بنو إسرائيل كانوا يتداولون فيما بينهم أن جدهم الأكبر كان يوصف بوصف العبراني، وأنهم احتفظوا بهذا الوصف لأنفسهم ولغتهم[٢].

٢- أنهم سموا بالعبريين نسبة إلى (عبر) وهو الجد الخامس لإبراهيم.

٣- ويرى الدكتور ولفنسون، أن كلمة عبري ترجع إلى الموطن الأصلي لبني إسرائيل وذلك أنهم كانوا في الأصل من الأمم البدوية الصحراوية التي لا تستقر في مكان بل ترحل من بقعة إلى أخرى بإبلها وماشيتها للبحث عن الماء والمرعى.

وكلمة (عبري) في الأصل مشتقة من الفعل الثلاثي عبر، بمعنى قطع مرحلة من الطريق أو الوادي أو النهر من عبره إلى عَبْرِه. أو عبر السبيل: شقها. وكل هذه المعاني موجودة في هذا الفعل سواء في العربية أو العبرية، وهي في مجملها تدل على التحول والتنقل الذي هو من أخص ما يتصف به سكان الصحراء أو البادية[٣].

---

(١) انظر سورة الإسراء وبنو إسرائيل ،ص٥٩.

(٢) انظر تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، ص٣٠،٣١. والمعروف أن إبراهيم عليه السلام هو أبو الأنبياء جميعاً.. فهو الجد الأعلى للعرب أيضاً.

(٣) انظر مقارنة الأديان (اليهودية)ص٤٦.

٤- ويرجع الدكتور أحمد سوسة سبب هذه التسمية إلى أن هناك قبائل كانت تنتقل في شمال الجزيرة وأرض كنعان كانت تسمى (العبيرو) أو الهبيرو)، وهي كلمة تطلق على القبائل العربية الرحل التي كانت تجوب الجزء الشمالي من الجزيرة العربية أيضاً. وقد انضمت إلى القبائل الأرامية وصارت هذه الكلمة بعد أن صحفت إلى عبري وعبراني تطلق على أتباع موسى[(١)].

ويذكر الدكتور أحمد شلبي أن الكنعانيين والمصريين والفلسطينيين كانوا يسمون بني إسرائيل بالعبريين لعلاقتهم بالصحراء، وليميزوهم عن أهل العمران، ولما استوطن بنو إسرائيل أرض كنعان وعرفوا المدينة والاستقرار صاروا ينفرون من كلمة عبري. التي كانت تذكرهم بحياتهم الأولى حياة البداوة والخشونة، وأصبحوا يؤثرون أن يعرفوا ببني إسرائيل فقط[(٢)].

ولذلك فإن نعت إبراهيم الخليل عليه السلام (بالعبراني) كما ورد في التوراة إنما أريد به معنى العبريين (العبيرو) وهم القبائل البدوية العربية ومنها القبائل الأرامية العربية التي ينتمي إليها إبراهيم عليه السلام نفسه، لذلك يجب التمييز بين العبري من جهة وبين الإسرائيلي أو اليهودي من جهة أخرى عند الحديث عن اليهودية، وليس لإبراهيم عليه السلام أية علاقة باليهود لأنه سبق وجود اليهودية[(٣)].

وقد ذكر إبراهيم عليه السلام في القرآن ٢٥ مرة في سور مختلفة تؤكد أن إبراهيم لم يكن يهودياً ولا نصرانياً، بل كان حنيفاً مسلماً من ذلك قوله تعالى:﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾[(٤)].

---

(١) انظر: العرب واليهود في التاريخ، ص٢٤٧.

(٢) انظر: مقارنة الأديان(اليهودية) ص٤٦.

(٣) انظر: تاريخ الديانتين، ص١٤، وانظر العرب واليهود في التاريخ ص٢٤٧.

(٤) سورة آل عمران،٦٧، وانظر: الرؤية العربية لليهودية ص٣٨.

٢- الموسويون:-

وهو مصطلح أطلق على أتباع موسى عليه السلام بعد ما جاءهم منقذا لهم ومخلصا لهم من ظلم فراعنة مصر الذين كانوا يسومون بني إسرائيل سوء العذاب. والظاهر أن هذه التسمية قد أطلقت عليهم بعد إيمان السحرة وبعض بني إسرائيل لما جاء به موسى من الآيات وخروجهم معه. وقد كانوا قبل ذلك يسمون ببني إسرائيل فلما تبعوه وخرجوا معه أطلقت عليهم تسمية (الموسويون) وبقيت هذه التسمية تطلق عليهم إلى أن أبدلت بتسمية(اليهود) عندما تابوا وعادوا عن عبادة العجل[(١)].

وينوه الدكتور أحمد سوسة بهذه التسمية، ويطلقها على أتباع موسى عليه السلام لكونه يرى أن كثيراً من غير بني إسرائيل قد التحق معهم مؤمنا بدينه ورسالته فهو في رأيه بعد هذه التسمية مصطلحاً يمكن إطلاقه على جماعات خليطة من أحفاد بني إسرائيل. ومن بقايا الهكسوس، وهؤلاء كانوا يدينون قبل ظهور موسى عليه السلام بدين التوحيد الذي ورثوه عن إبراهيم عليه السلام، أو الذي دعا إليه (أخناتون)* فرعون مصر الموحد، وقد آمنوا برسالة موسى عليه السلام. وقد اضطر موسى عليه السلام وأتباعه تحت ضغط الوثنيين واضطهادهم لهم بعد موت أخناتون إلى الهرب من مصر. وكان يأمل أن يقودهم إلى أرض كنعان (فلسطين) لهداية الناس إلى دين التوحيد. وكان ذلك في القرن الثالث عشر قبل الميلاد[(٢)].

وكان أتباع موسى عليه السلام يتكلمون اللغة المصرية، وبها نقل النبي موسى عليه السلام الشريعة والوصايا العشر وكتبت بالهيروغليفية وتعلم أتباع موسى عليه السلام لغة كنعان.

---

(١) انظر سورة الإسراء وبنو إسرائيل، ص٤٦.

(*)أخناتون: هو الفرعون المصري (امنحوتب) وهو الذي دعا إلى ديانة التوحيد، أي عبادة الإله الواحد لا إله غيره وجعل يناوئ الآلهة الأخرى، ويحاول القضاء على عبادتها، وحمل الناس على حصر العبادة بذلك الإله الواحد الذي سماه (اتون)، انظر: العرب واليهود في التاريخ، ص١٧٠.

(٢) انظر العرب واليهود في التاريخ ص١٥٥.

وتأثروا بثقافتها وتقاليدها ومعتقداتها بعد دخولهم كنعان(١).

٣- بنو إسرائيل:-

وهي تسمية أطلقها القرآن الكريم عليهم في كثير من آياته الكريمة نسبة إلى أبيهم إسرائيل نبي الله وهو يعقوب بن إسحاق فأطلق الاسم على جميع الأسباط من عقبه. ثم إلى فئة منهم إلى أن انقرضت فعمهم الاسم جميعا(٢).

وإسرائيل: كلمة عبرانية مركبة من (اسرا) بمعنى عبد أو صفوة ومن (إيل) وهو الله فيكون معنى الكلمة (عبدالله، أو صفوة الله). وقد ثبت أن تسمية يعقوب "إسرائيل" في موضعين في القرآن الكريم:

قوله تعالى: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ﴾(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ﴾(٤)، وقد أجمع المفسرون أن المقصود بـ (إسرائيل) هو يعقوب. ولفظة بني إسرائيل فقد وردت في القرآن في عدة مواضع من سور القرآن من ذلك:

قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾(٥).

وقوله تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾(٦).

---

(١) انظر تاريخ الديانتين، ص١٦.

(٢) انظر اليهود في القرآن، ص١٣، وسورة الإسراء وبنو إسرائيل،ص٥٦.

(٣) سورة آل عمران، ٩٣.

(٤) سورة مريم، ٥٨.

(٥) سورة البقرة، ٤٠.

(٦) سورة آل عمران،٤٩.

وقوله تعالى: ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ ﴾[1].

إن لفظ بني إسرائيل أطلق على أولاد يعقوب عليه السلام وقد عاشوا في القرن السابع عشر قبل الميلاد، واستمرت هذه التسمية لمدة (١٤٠٠) سنة ولغتهم هي اللغة الآرامية وهي نفس اللغة التي يتكلم بها الكنعانيون والعموريون في فلسطين[2].

وبنو إسرائيل هم أولاد يعقوب الذكور الاثنا عشر ولدا وهم: (راؤبني، شمعون، لاوي، يهوذا[3]، يشاكر، زبولون، يوسف، بنيامين، جاد، أشير، دان، نفتالي). ومن أبناء يعقوب عليه السلام وذرياتهم من بعدهم تكونت أمة بني إسرائيل ونسبت إليه[4].

ويقرر الدكتور دروزة أن اسم إسرائيل حسب ما يفيده سفر التكوين قد أطلق على ذرية يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الذين كان (إسرائيل) اسما ثانيا له سماه به ملك الرب على ما جاء في الإصحاح(٣٢) والذي رحل هو وأولاده وأسرهم إلى مصر على ما جاء في الإصحاح(٤٧)[5].

ويقرر القرآن الكريم أيضاً بأن التسمية (بنو إسرائيل) وجدت قبل أن تنزل التوراة، فإسرائيل وأولاده وأحفاده يدعون الإسرائيليين وليس هناك ما يدعى إسرائيليون قبل ذلك الوقت كما جاء ذلك في القرآن:

في قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴾[6].

---

(١) سورة الإسراء، ٤، وانظر سورة الإسراء وبنو إسرائيل، ص٥٦،٥٧.

(٢) انظر تاريخ الديانتين، ص١٥.

(٣) من اسمه أخذت كلمة (يهود).

(٤) انظر سورة الإسرائيل وبنو إسرائيل، ص٥٧، وانظر مقارنة الأديان (اليهودية) ص٥٦.

(٥) انظر تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، ص٣٥.

(٦) سورة المائدة، ٧٠، وانظر: الرؤية العربية لليهودية، ص٣٢،٣٣.

٤- اليهـــود:

استعمل القرآن هذه التسمية وقصد بها بني إسرائيل في كثير من سوره فمن ذلك:

قوله تعالى: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ ﴾(١).

وقوله تعـــالى: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ﴾(٢).

وأصل هذه التسمية مأخوذة من هاد يهود إذا تاب ورجع.

قال صاحب لسان العرب: الهود: التوبة، هاد، يهود، هودا: تـــاب ورجـــع إلى الحق فهو هائد.

قال تعـــالى: ﴿ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ﴾(٣)، أي تبنا ورجعنا إليك.

ويقال: هاد فلان إذا تحرى طريقة اليهود في الدين، قـــال تعـــالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ﴾(٤).

ومن ثم جاءت لفظة "هادوا" علما وصفة لليهود في عدة مواضع من القرآن منها:

قوله تعـــالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ ﴾(٥). أي الذين دخلوا اليهودية وهود الرجل: حوله إلى اليهودية. وهاد يهود إذا صار يهوديا.

---

(١) سورة البقرة، ١٢٠.

(٢) سورة المائدة، ٨٢.

(٣) سورة الأعراف، ٥٦.

(٤) سورة البقرة، ٦٢.

(٥) سورة الحج، ١٧.

وفي الحديث "كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه" معناه أنهما يعلمانه اليهودية أو النصرانية ويدخلانه فيها[1]. وقيل: أنهم سموا بذلك لأنهم يتهودون أي يتحركون عند قراءة التوراة. وقيل أنهم سموا يهودا، نسبة إلى (يهوذا) الابن الرابع ليعقوب عليه السلام. وقد رجح بعض العلماء هذا القول واقتصر عليه.

وقال الإمام البيروني مؤيدا هذا القول: وإنما سموا باليهود نسبة إلى يهوذا أحد الأسباط، فإن الملك استقر في ذريته وأبدلت الذال المعجمة دالا مهملة، لأن العرب كانوا إذا نقلوا أسماء أعجمية إلى لغتهم غيروا بعض حروفها[2].

وأطلقت تسمية اليهود على بقايا جماعة يهوذا الذين رحلهم نبوخذ نصر إلى بابل في القرن السادس قبل الميلاد نسبة إلى مملكة يهوذا المنقرضة[3].

ويعيد الكاتب عفيف عبد الفتاح طبارة كلمة (يهود) إلى الفعل هاد، أو هود، ومعنى هاد، يهود، هودا، وتهود: تاب ورجع إلى الحق، وفي القرآن﴿ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ﴾ أي تبنا إليك، وسميت اليهود اشتقاقا من هادوا -أي تابوا- وما ذهب إليه إثباتا لما يقول القرآن. وقد تغلبت كلمة يهود عليهم وأصلها (يهوذا) وهم سبط من أسباط بني إسرائيل سموا بهذا الاسم تمييزاً لهم عن الأسباط العشرة الذين سموا (إسرائيل) إلى أن تشتت الأسباط وأسر يهوذا فمن ثم دعى جميع نسل يعقوب (يهودا) ويهوذا جد هذا السبط[4]، وهو رابع أولاد يعقوب.

ويقرر عباس العقاد أن المفهوم (يهود) جاء نسبة إلى الابن الرابع ليعقوب

---

(١) الحديث رواه البخاري في كتاب الجنائز باب، ٧٩، إذا أسلم الصبي فمات هل يصلي عليه، برقم ١٣٥٩، عن أبي هريرة، انظر فتح الباري شرح البخاري، ص٢٨١/ج٣، وأخرجه مسلم واللفظ له في كتاب القدر باب معنى كل مولود يولد على الفطرة برقم٢٣، انظر صحيح مسلم شرح النووي، ٥/٥١٢.

(٢) انظر سورة الإسراء وبنود إسرائيل، ص٥٨.

(٣) انظر تاريخ الديانتين، ص١٦.

(٤) انظر اليهود في القرآن، ص١٣،١٤.

(يهوذا) بينما الدكتور أحمد سوسة يقرر أن هذا خطأ شائع بين المؤرخين العرب. وأن هذا الاسم (يهود) لم يعرف قبل السبي البابلي وسقوط مملكة يهوذا. أما الدكتور أحمد شلبي فيقرر في كتابه عن اليهودية أن هذا الاسم لم يعرف قبل تأسيس مملكة يـــهوذا بعد سقوط مملكة سليمان[١].

يقول الدكتور أحمد سوسة: كانت تمثل جماعة السبي البابلي بقايا جماعة موســـى. وهم في الأصل مصريون لا صلة لهم ببني إسرائيل، ثم اختلط معهم من اعتنق اليهوديـــة من مختلف الأجناس، وقد جاءت تسميتهم باليهودية من مملكة يهوذا المنقرضة، وقـــد صارت هذه التسمية تشمل جميع المنتسبين إلى الديانة اليهودية في مختلف أنحاء العـــالم، وما زالت تستعمل حتى يومنا هذا بنفس المدلول[٢].

والذي يظهر لنا في سبب تسمية بني إسرائيل (اليهود) هو ما أخبر عنهم القـــرآن في قوله تعالى:﴿ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ﴾[٣] من أنهم تابوا ورجعوا إلى الله من عبادة العجـــل، وبقيت هذه التسمية لازمة لهم بعد نسخ شريعتهم بشريعة الإسلام.

قال الإمام الشهرستاني: وإنما لزمهم هذا الاسم لقول موسى عليه السلام (إنـــا هدنـــا إليك) أي رجعنا وتضرعنا وهم أمة موسى وكتابهم التوراة وهو أول كتاب نزل مـــن السماء[٤].

بينما يرى أصحاب الحق أن هذه التسمية كالسخرية بهم (فكلمة هـــادوا) وإن كانت تعني عادوا ورجعوا فإن عودهم عن عبادة العجل لم تدم فسرعان مـــا عصـــوا موسى وتمردوا عليه وعبدوا من دون الله آلهة شتى مادية وذهبية وخرافيـــة والقـــرآن

---

(١) انظر: الرؤية العربية لليهودية، ص٣٥،٣٦.

(٢) انظر: العرب واليهود في التاريخ، ص٣٢٣.

(٣) سورة الأعراف، ١٥٦.

(٤) انظر: الملل والنحل للشهرستاني، ٢/٥٠.

والتاريخ يشهدان بهذا وبصدق أحدهما الآخر في ذلك[1].

٥- أهل الكتاب:

أطلق القرآن عليهم كذلك عبارة أهل الكتاب وهي لا تعني أنهم أصحاب علم بالكتابة، وإنما المراد بذلك: أنهم أهل كتاب سماوي منزل وهو التوراة، ويدخل في هذه التسمية أيضاً النصارى لوجود كتاب سماوي لديهم وهو الإنجيل، وهكذا فإن تسمية (أهل الكتاب) في القرآن يقصد به اليهود والنصارى[2].

وقد جاءت هذه التسمية في كثير من آيات القرآن حتى بلغت أربعاً وعشرين مرة موزعة في كثير من آيات القرآن منها على سبيل المثال:

قوله تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم ﴾[3].

قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ ﴾[4].

قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ﴾[5].

ويعود أصل هذه التسمية إلى أنهم قد تميزوا بها عن باقي الأمم والشعوب بأنهم كانوا أهل كتاب منزل عليهم من الله سبحانه وتعالى عن طريق أنبيائهم، وتطلق هذه التسمية على اليهود والنصارى ولا تخص أحدهما على انفراد[6].

---

(١) انظر سورة الإسراء وبنو إسرائيل، ص٥٨.

(٢) انظر: اليهود في القرآن، ص١٤.

(٣) سورة البقرة، ١٠٩.

(٤) سورة آل عمران، ٦٤.

(٥) سورة آل عمران، ٧٠.

(٦) انظر سورة الإسراء وبنو إسرائيل، ص٥٦.

العصور والأدوار التاريخية لليهودية

جاءت معظم المعلومات التاريخية عن أصل اليهود عن التوراة، وربما تكون التوراة هي المصدر الوحيد الذي يخبرنا عن الجذور التاريخية للديانة اليهودية، وهي ممتزجة بالصواب والخطأ. أما القرآن الكريم فهو أصح مصدر يحدثنا عن اليهود تفصيلاً في عشرات المواضع في سوره الكريمة(١).

ويمكن تقسيم العصور والأدوار التاريخية التي مرت بها اليهودية إلى الأقسام التالية:

١- عصر إبراهيم الخليل وحفيده يعقوب:

وهو الذي عاش فيه إبراهيم الخليل وحفيده يعقوب وهؤلاء كانوا يدينون بدين إبراهيم عليه السلام. وقد انتهى هذا العصر بعد أن هاجرت أسرة يعقوب إلى مصر، وانضمت إلى يوسف فاندمجت وذابت في البيئة المصرية كليا، وترجع حوادثه إلى القرنين التاسع عشر والثامن عشر قبل الميلاد، ولغة هذا العصر اللغة السامية العربية الأم. والديانة وحدانية إبراهيم الخليل الخالصة(٢).

كان إبراهيم قد نشأ في أور الكلدانيين وكان أبوه تارح وقومه يزاولون عمل الأصنام فسخر إبراهيم من عملهم هذا يروي القرآن الكريم ذلك بقوله تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ

---

(١) انظر: تاريخ الديانتين ص، ٢١.

(٢) انظر: العرب واليهود في التاريخ، ص١٦٠.

يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾[١].

ثم تحولت السخرية إلى عمل ضد هذه الأصنام، فقام بتحطيمها إلا صنما كبيراً كان أعظمها شكلاً وأكبرها حجما، فلما عادوا من عيدهم جن جنونهم لما رأوا بآلهتهم وصاحوا يا إبراهيم: أأنت فعلت هذا بآلهتنا؟ فأجابهم بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم. فقالوا في ثورة كيف نسألهم وهم لا ينطقون. وكان ذلك من إبراهيم مطلع ثورة على الفكر والسلطان في بلاد الكلدان، ولم يستطع إبراهيم أن ينشر الحق فهاجر من أور الكلدانيين إلى أرض كنعان هربا من شرهم ومعه زوجته سارة وابن أخيه لوط وبعض الأقارب وأطلق أهل كنعان على إبراهيم ورفاقه (العبريين) لعبورهم نهر الفرات أو لأنهم بدو متجولون يعبرون من واد إلى واد.

ويرى أكثر الباحثين أن هذه الرحلة تمت حوالي سنة ٢٠٠٠ ق.م، ويرجح بعضهم حدوثها حوالي سنة ١٨٥٠ ق.م.

وقد عاش العبرانيون وحدهم وأثروا العزلة في أرض كنعان، وبالتالي نظر الشعب لهم نظرة ريبة فلم يتم اختلاط بينهم لاعتبارهم بدوا لا ثقافة لهم نزلوا بين أقوام لهم تاريخ وحضارة. ومن ثم ترتب على هذه العزلة اعتبارهم من حولهم من الأمم أعداء لهم.

وعندما وصلوا إلى أرض كنعان كانت اللغة التي يتكلمون بها عبارة عن لهجة آرامية أقرب ما تكون إلى العربية. ولكن العبريين كانوا ينطقون هذه اللهجة متأثرين بقواعدهم ومفرداتهم اللغوية، وقد اصطلح على تسمية هذه اللهجة العبرية[٢].

---

(١) سورة الشعراء، ٦٩-٧٧.

(٢) انظر: مقارنة الأديان (اليهودية) ص٤٨، ٤٩، بتصرف.

وفي أثناء عهد الهكسوس بمصر أصاب القحط أرض كنعان فاستأنف العبرانيون (إبراهيم وقومه) تحركاتهم تجاه مصر حيث وفرة الزرع وخصب الأرض ولقي إبراهيم من الهكسوس كثيراً من الترحيب والتقدير، ولكن ملك الهكسوس طمع في زوجته سارة، فقفل راجعاً إلى أرض كنعان ومعه (هاجر) وهي جارية مصرية، أهديت لسارة وقد دخل إبراهيم بهاجر وأنجب منها ابنه الأول إسماعيل الذي نشأ في مكة.

وبعد مولد إسماعيل بحوالي أربع عشرة سنة ولدت سارة لإبراهيم ابنه الثاني إسحاق، ثم توفي إبراهيم وترك ابنه الأكبر إسماعيل الذي استوطن الحجاز، وابنه الأصغر إسحاق بأرض كنعان وأنجب إسحاق ولدين هما (عيسو ويعقوب) المسمى إسرائيل وإليه ينسب بنو إسرائيل(١).

وجاء من يعقوب الأسباط الاثنا عشر. وكان يوسف الابن الحادي عشر لراحيل، قد بيع في مصر ونال حظوة في بلاد الفرعون، وبعد أن عاش أحفاد يوسف وأحفاد اخوته في مصر ما يزيد عن أربعة قرون رجعوا كما تقول التوراة إلى فلسطين بقيادة النبي موسى عليه السلام. وهذه هي بداية الهجرة الثالثة التي ينسب اليهود إليها تاريخهم وأصلهم(٢).

٢- عصر النبي موسى والخروج من مصر:

لما استقر بنو إسرائيل بمصر، وتكاثروا تكاثراً واسعاً وسريعاً جداً، وكانوا لا يزالون في عزلتهم. ولكن العزلة آنذاك أصبحت تلفت نظر المصريين وتثير خوفهم وأصبح لهم قوة ومنعة، فغدوا يكونون دولة داخل دولة كما يقال في الاصطلاح الحديث.

---

(١) انظر مقارنة الأديان (اليهودية) ص٥٦.

(٢) انظر: تاريخ الديانتين ،ص٢٣، وانظر: قصة يوسف وأخوته، مقارنة الأديان"اليهودية" ص٥٦-٥٨، واليهود في القرآن ص٩٦- ١٣١.

ويرى بعض الباحثين: أن شعب مصر اكتشف بالفعل أن بني إسرائيل كانوا يتآمرون عليه. وذلك نتيجة للوضع الجديد في مصر، فإن بني إسرائيل تعودوا الحياة الممتازة منذ عهد يوسف. ونالوا الكثير من رعاية الهكسوس وإيثارهم، ثم من جاء من الفراعنة من طلب من بني إسرائيل حراثة الأرض والاشتراك في تشييد المباني وإقامة العمران، لا أن يختصوا بصياغة الذهب والفضة وتجارقما، وتنمية المواشي، فثار بنو إسرائيل لفقدان امتيازاتهم وقاوموا الحكم الجديد.

وهكذا تنكر بنو إسرائيل لسادقم المصريين فخانوا عهدهم واستنزفوا أموالهم ورموهم بكل فاحش من القول، وهكذا تأزمت العلاقات بينهم وأصبحت الكراهية والحذر طابعها. واستشار فرعون الكهنة والحكماء وتدارس الجميع الأمر وانتهوا فيه إلى أن عزلة بني إسرائيل هي مصدر الخطر، وأن تكاثر رجالهم يهدد الدولة. فاستقر الرأي على التخلص من الأطفال الذكور واستبقاء الإناث[1].

وكان موسى عليه السلام رجلا من بني إسرائيل من مواليد هذه الفترة، ولد في مصر أيام فرعونها رمسيس الثاني (١٣١٠-١٢٣٤ق.م) وقد تربى في قصر هذا الفرعون بعد أن ألقته أمه في النهر وهو داخل التابوت[2].

وفي القرآن الكريم تصوير رائع لطفولة موسى قال تعالى ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٧ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ ﴾[3]، فقالت امرأة فرعون لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا واستجاب لها فرعون[4].

---

(١)انظر مقارنة الأديان(اليهودية) ص٦٠،٦١، بتصرف.

(٢) انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، ص٥٦٥.

(٣) سورة القصص، ٧-٨.

(٤) انظر مقارنة الأديان (اليهودية)، ص٦٢.

وعندما شب موسى رأى ذات يوم خلافا بين مصري، وعبراني فهتف به العبراني أن يساعده ففعل، وسقط المصري قتيلاً بضربة من موسى. وثـــار المصريـــون ضـــد العبرانيين ثم اتجهت ثورة المصريين لتصبح ضد موسى عندما اعترف عليه العبراني الذي استغاث به بالأمس. ولم يجد موسى بدا من الهرب فاتجه إلى مدين مقر نبي الله شعيب. وهناك تزوج ابنته وكان صداقها خدمته لأبيها ثماني حجـــج. وبعـــد أن أتم موســـى الميقات فكر في الرجوع إلى مصر آملاً أن يكون القوم هناك قد نسوا خطيئته فســـار مع زوجته في طريق العودة حتى وصل إلى طور سيناء، فأبصر نارا تشتعل في جـــانب الطور الأيمن،﴿ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَـٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴿١٤﴾ ﴾[1].

وبذلك بدأت رسالة موسى فقام بعرضها فدعا موسى فرعـــون إلى توحيـــد الله والسماح لبني إسرائيل بالهجرة عن مصر حيث كانوا يعيشـــون تحـــت ذل عبوديـــة الفراعنة لهم ولكن فرعون لم يعترف بها، وظل فرعون يعامل بني إسرائيل بمـــا كـــان يعاملهم به من القسوة والحذر، ولما يئس موسى عليه السلام من فرعون قاد بـــني إســـرائيل باتجاه البحر للذهاب إلى فلسطين[2].

ولما خرج موسى ببني إسرائيل تبعهم فرعون ومعه فريق من جنده ليمنعهم مـــن مواصلة السفر فلحق بهم وقد بلغوا شاطئ خليج الســـويس.﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾

---

(١) سورة طه، ١٠-١٤، وانظر: مقارنة الأديان (اليهودية)، ص٦٢.

(٢) تاريخ الديانتين اليهودية والمسيحية، ص٢٣.

فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾[1]. فأغرقهم الله سبحانه ونجا موسى وبنو إسرائيل.

وفي الطريق إلى فلسطين ترك موسى بني إسرائيل بناء على أمر ربه ليصعد إلى جبل الطور ليتلقى من الله الألواح التي فيها الوصايا[2] العشر والتعليمات التي يسير عليها هو وشعبه.

ولكن لما عاد موسى إلى قومه بعد تسلمه الألواح وجدهم قد عكفوا على عجل من ذهب صنعه لهم السامري، فزجرهم موسى وغضب غضباً شديداً ولما أمرهم بدخول فلسطين امتنعوا عليه وقالوا له: إن فيها قوما جبارين وأنا لن ندخلها ما داموا فيها، فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون، و لم يستجب لموسى أحد سوى أخيه هارون، فغضب الله عليهم وتركهم يتيهون في الصحراء أربعين سنة، ومات هارون ثم موسى في فترة التيه، ودفن هارون في جبل هور، ودفن موسى في كثيب أحمر، حيث كان يرى أرض فلسطين دون أن يدخلها[3].

ويعين المؤرخون تاريخ خروج موسى وأتباعه من مصر إلى ارض كنعان (فلسطين) في حوالي سنة ١٢٩٠ ق.م يوم كان رمسيس الثاني على عرش مصر (١٣٠٠-١٢٣٣ق.م) وقدر بعض الباحثين عدد هذه الجماعة آنذاك بحوالي ٦٠٠٠ إلى ٧٠٠٠ نسمة عند خروجهم من مصر[4].

---

(١) سورة الشعراء، ٦١-٦٦، وانظر مقارنة الأديان، ص٦٤.

(٢) انظر الوصايا العشر، محاضرات في اليهودية والنصرانية،ص٥.

(٣) انظر الموسوعة الميسرة في الأديان، ص٥٦٦، ومقارنة الأديان (اليهودية) ص٦٨-٦٩.

(٤) انظر: العرب واليهود في التاريخ ص٢٤٨، وانظر: تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ص٦٧-٦٩.

٣- عصر يوشـــــع

وتولى يوشع بن نون قيادة بني إسرائيل بعد موسى وكان أحد أصفياء موســـــى وقد اختاره موسى قبل موته لقيادة بني إسرائيل، فاتجه يوشع بأتباعه إلى الشمال شرقي نهر الأردن، وأخذ يعد العدة لعبور الأردن ونزل بفلسطين ، فلما عبر بنـــو إســـرائيل كانت أول المدن التي استولوا عليها مدينة أريحا فاقتحموها وقتلوا كل ما بهـــا مـــن إنسان أو حيوان وأحرقوا المدينة كلها(١).

وكان وصفه في التوراة أبشع جزار في عمر البشرية إذ اقتحم فلســـطين وبـــدا مجازره بمدينة أريحا. وأحرقوا بالنار مع كل ما بها(٢). وكان ذلك أول العـــهد ببـــني إسرائيل في فلسطين، وامتد سلطان يوشع عقب ذلك ويذكر المؤرخـــون إن الذيـــن عاصروا موسى من بني إسرائيل قد هلكوا جميعا في الصحـــراء، ولم يدخـــل منـــهم فلسطين إلا اثنان كان يوشع(٣) واحدا منهما، أما باقي الجيش الذي اقتحم فلســـطين فكان من الأبناء الذين ولدوا في فترة التيه(٤).

وعندما استقرت جماعة موسى (بني إسرائيل) في فلسطين أخـــذت بالحضـــارة الكنعانية وتقاليدها وعاداتها، كما أخذت بلغتها الكنعانية، وبعد عدة قرون اقتبســـت هذه الجماعة الكثير من أسس الديانة والثقافة والعبادة الكنعانية وصارت جـــزءا مـــن ديانتها. ثم أخذوا يمارسون الزراعة والأعمال الأخرى المتصلة بالحياة المســـتقرة عـــن الكنعانيين. وقد تأثروا بالديانة الكنعانية وقلدوا الكنعانيين في طقوســـهم وشـــعائرهم الدينية وخاصة فيما يتعلق بالخصب والغلة والتذرع إلى الآلهة الكنعانية. وفي مقدمتـــهم الإله (بعل) الذي كان أشهر الآلهة في بلاد العرب إذ كان اليهود يقلدون الكنعـــانيين

---

(١) انظر: مقارنة الأديان (اليهودية)، ص٧٠.

(٢) انظر تاريخ الديانتين اليهودية والمسيحية، ص٢٥.

(٣) كانت وفاة يوشع سنة ١١٣٠ ق.م، انظر: الموسوعة الميسرة، ص٥٦٦.

(٤) انظر مقارنة الأديان (اليهودية)، ص٧٠.

بتسمية أبنائهم (بعل) تبركا به. وكذلك أخذوا يمارسون الشعائر الخاصة بتقديم القرابين والعطايا، وهي عادة قديمة عامة متبعة في جميع الشرق الأدنى.

ومن ذلك يتضح أنه لم يكن لليهود أية مساهمة في تقديم الحضارة الإنسانية وأن مدوناتهم الدينية وغير الدينية مأخوذة عن الثقافات القديمة[١].

وهكذا انتهى بنو إسرائيل إلى فوضى عامة شملت الحياة الدينية والسياسة وقد أطلق اليهود على ذلك العصر اسم عصر الاستيطان والفوضى والذي ينتهي بيوشع صاحب موسى عليه السلام[٢].

٤- عصر القضاة:

أعقب موت يوشع عهد عرف بعهد القضاة، لأن الزعماء والقواد الذين تزعموا أو قادوا بني إسرائيل بعد يوشع سموا قضاة. وسفر القضاة يأتي بعد سفر يوشع مباشرة، وهو واحد وعشرون فصلا، ويجعل حقبة القضاة نحو (٣٥٠) سنة.[٣]

ويقرر الدكتور أحمد سوسة أنه بعد موت يشوع أصبحوا مهددين بالفناء، وقد اضطروا أن يخلوا بعض المدن التي استولوا عليها، فضاق بهم الأمر جداً حتى أقام لهم الرب قضاة ليخلصوهم من يد أعدائهم. ولذلك سمي هذا العهد بعصر القضاة الذي استمر حسب تقدير المؤرخين حوالي قرن كامل بين سنة ١١٢٥-١٠٢٥ق.م.

وكان عهد القضاة عهدا مضطرباً تخللته عدة نكسات كانت تهدد الموسويين في فلسطين بالفناء، إذ تعترف التوراة أن الكنعانيين والفلسطينيين أصبحوا من القوة بحيث تمكنوا من إخضاع الإسرائيليين (الموسويين) تحت حكمهم في فترات متواصلة قبيل

---

(١) انظر العرب واليهود في التاريخ ص١٥٨، ٢٢٠، بتصرف.

(٢) انظر: تاريخ الديانتين (اليهودية والمسيحية)، ص٢٥، ٢٦.

(٣) انظر: تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، ص١٢٢.

وخلال عهد القضاة[1].

وكان حكام اليهود في هذه الفترة قضاة من الكهنة ينتخبهم كبراء الشعب، وكان بعض القضاة نساء أحياناً، ويتكلم سفر القضاة عن قاضية في بني إسرائيل اسمها دبورة. ولم يكن في بني إسرائيل ملوك في تلك الأيام، ولا كانت إطاعة القضاة واجبة، وقد تسبب عن ذلك بالإضافة إلى تقسيم الأرض المفتوحة بين الأسباط أنه لم تتألف من بني إسرائيل أمة واحدة متماسكة، بل ظلوا زمنا طويلاً يؤلفون اثني عشر سبطا يستقل كل منها عن الأسباط الأخرى استقلالا واسعاً أو ضيقاً. وكان نظام الحكم عندهم لا يقوم على أساس الدولة، بل على أساس الحكم الأبوي في الأسرة فكان شيوخ العشائر يجتمعون في مجلس من الكبراء هو الحكم الفصل في شؤون القبيلة، وهو الذي يتعاون مع زعماء القبائل الأخرى، فإذا فشل التقاضي أمام هؤلاء لجأ المتقاضون إلى القاضي الذي كان يمثل الرئيس في الجماعات اليهودية وقد استمر عهد القضاة حوالي أربعة قرون بناء على حساب سفر القضاة[2].

ولكن المحقق محمد عزة دروزة يقرر أن عهدهم لا يزيد عن قرن واحد، فإن موسى خرج ببني إسرائيل حوالي ١٢١٠ ق.م وتزعمهم هو ويوشع حوالي ثمانين عاماً أي حتى سنة ١١٣٠ ق.م وهي السنة التي مات بها يوشع وبدأ بذلك عهد القضاة الذي استمر حتى سنة ١٠٢٠ ق.م[3].

إن عهد القضاة شغل بوجه التقريب الربع الأخير من القرن الثاني عشر ق. م وهؤلاء القضاة كانوا رؤساء قبليين برزوا أزمان الشدائد لقيادة شعبهم في الحرب مع الأقوام المجاورة منهم شمشون الجبار، وعلى عهد صموئيل آخر القضاة انتهت الردة

(١) انظر: العرب واليهود في التاريخ، ص٢٩٣.

(٢) انظر: مقارنة الأديان (اليهودية)، ص٧٢.

(٣) انظر تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ص١٤٨، بتصرف.

الدينية والزندقة فأعيدت عبادة يهوه. وفي هذا العهد وقعت بين بني إسرائيل والأقوام الفلسطينيين حروب طويلة انتهت سنة ١٠٥٠ ق.م بهزيمة بني إسرائيل وتشتت قواهم وتمكن الفلسطينيون من أسر تابوت عهد الرب[(١)].

وفي هذا العهد وضع الأساس للحياة اليهودية، وقد اشترك في وضع هذا الأساس العناصر الداخلية والخارجية اليهودية، والتأثيرات التي حملها اليهود معهم أو انفعلوا بها حين نزلوا بفلسطين، وعلى هذا بدأت حياتهم تتغير خلال عهد القضاة، فانتقلوا من حياة البدو إلى حياة الاستقرار، وكان الكنعانيون أساتذة لهم في الاستقرار وبناء القرى والزراعة والصناعة، فأخذوا عن الكنعانيين تطوير الأسلحة، وصنع آلات الزراعة. وبالإضافة إلى هذا التأثير في مطالب الحياة اليومية، فإن الإسرائيليين تأثروا بالكنعانيين في عباداتهم تأثراً كبيراً[(٢)].

٥- عصر الملوك:

انهار عهد القضاة أمام مطالب الحياة الملحة، فقد كان خطر سيطرة الفلسطينيين على اليهود عاملاً هاماً في محاولة جمع الأسباط كلهم في وحدة شاملة بعدما نالهم من إخفاق في عهد القضاة وبعدما شاع من فسق القضاة وأخذهم الرشوة كان آخر القضاة صموئيل فاختار لهم شاؤول ليكون أول ملك عليهم[(٣)].

---

(١) انظر: تاريخ الديانتين اليهودية والمسيحية، ص٢٦.

تابوت عهد الرب: هو صندوق خشبي طوله ذراعان ونصف ذراع وعرضه ذراع ونصف ذراع وكذلك ارتفاعه. وتغطية من الداخل والخارج صفائح ذهبية، وبه أربع حلقات من الذهب في قوائمه الأربع وبه عصاتين من الخشب المغشى بالذهب تدخل في الحلقات الجانبية ليحمل التابوت بهما، وتوضح في التابوت الوصايا العشر. انظر تاريخ الديانتين، ص٢٦.

(٢) انظر: مقارنة الأديان اليهودية، ص٧٢،٧٣، بتصرف.

(٣) انظر: مقارنة الأديان اليهودية، ص٧٣.

إن ذلك كان في حدود سنة ١٠٢٠ ق.م. وكان شاؤول قد عـرف في قومه بالقوة والبطولة، فكان أطول من كل الشعب وتذكر التوراة أن شـاؤول لم يكـن كفوءا لتحمل أعباء الحكم فأخفق في إنقاذ قومه من نفوذ الفلسطينيين[١].

وشاؤول هو الذي يسميه القرآن (طالوت) وهو الذي قادهم في معارك ضارية ضد من حولهم، وكان داود واحدا من جنوده وفي إحدى المعارك تغلب داود علـى جالوت قائد الفلسطينيين ومن هنا ظهر داود كقائد له أهميته، ومنذ ذلك الحين أخـذ داود يملأ أعين الناس وأذهانهم فأثار ذلك حقد شاؤول عليه حتى عزم على قتله لئـلا يزاحمه على الملك، ومن ثم أخذ يطارده مطاردة شديدة، ولجأ داود إلى الفلسـطينيين مرتين هاربا من شاؤول، وانتهز الفلسطينيون فرصة هذا الخلاف فهاجموا بني إسـرائيل وأوقعوا بهم الهزائم العظيمة وسقط شاؤول في إحدى هذه المعارك[٢].

وكان حكم شاؤول قد استمر ١٥ سنة بين (سـنة ١٠٢٥-١٠١٠ق.م)[٣]. ثم تقلد الحكم الملك داود خلفا لشاؤول الذي وحد البلاد وأصبح الملك الثـاني لبـني إسرائيل بعد (شاؤول) وقد بقي الملك في أولاده وراثيا، واتخذ من أورشليم (القـدس) عاصمة ملكه مشيدا الهيكل* المقدس ناقلا إليه التابوت. وقـد دام حكمـه أربعـين سنة[٤].

ويقرر الدكتور أحمد سوسة، أن الملك داود تقلد الحكم خلفا لشاؤول فاستطاع هذا الملك أن يخضع أكثر المدن الفلسطينية كما تمكن من إخضـاع دويـلات أدوم،

---

(١) انظر تاريخ الديانتين، اليهودية والمسيحية، ص٢٦-٢٧.

(٢) انظر مقارنة الأديان (اليهودية)،ص٧٤.

(٣) العرب واليهود في التاريخ، ص٢٩٦.

(*) الهيكل: هو البناء الذي أمر به داود وأقامه سليمان، فقد بنى بداخله المحراب، وهيأ بداخله مكانا يوضع فيـه تابوت عهد الرب. انظر الموسوعة الميسرة، ص٥٧١.(ولم يرد له ذكر في القرآن الكريم).

(٤) الموسوعة الميسرة في الأديان، ص٥٦٦.

وموآب وعمون، واستولى على مملكة صوبا الآرامية، وقد اتخذ داود أورشليم بعد استيلائه عليها معبداً للإله يهوه، وقد استمر حكم داود زهاء ٤٠ سنة بين ١٠١٠ وسنة ٩٧١ ق.م ثم انتقل الحكم إلى سليمان بن داود الذي اشتهر ببناء الهيكل في أورشليم[١]، وذلك ليستقر فيه تابوت عهد الرب الرمز المقدس لبني إسرائيل الأقدمين، وكان قبل بناء الهيكل يوضع في خيمة كبيرة وينقل من مكان مرتفع إلى آخر، وكانت القرابين تقدم عادة للرب في عدد من الأماكن المرتفعة المختلفة، وأصبحت القرابين منذ هذا العهد تقدم على مذبح الهيكل[٢].

وقسم سليمان بلاده إلى اثني عشر قسما إداريا وتعمد أن تكون حدودها متفقة مع حدود منازل الأسباط الاثني عشر وكان يرجو من وراء هذا أن يضعف النزعة الانفصالية بينهم، وأن يؤلف منهم شعبا واحداً ولكنه أفلس في هذا وأفلست بلاد اليهود معه[٣].

٦- عصر الانقسام وزوال ملك بني إسرائيل:

بعد وفاة سليمان حوالي سنة ٩٣٥ ق.م أعلن رحبعام نفسه ملكاً على دولة اليهود، وبايعه سبطا يهوذا وبنيامين في أورشليم على ذلك إلا إنه لم يحظ بمبايعة الأسباط فمال عنه بنو إسرائيل إلى أخيه يربعام ليكون ملكا مما أدى إلى انقسام المملكة إلى قسمين:

جنوبية واسمها يهوذا، وعاصمتها أورشليم (وقوامها سبطا يهوذا وبنيامين).

شمالية واسمها إسرائيل، وعاصمتها شكيم (وقوامها الأسباط الباقية).

---

(١) العرب واليهود في التاريخ، ص٢٩٦. (علماً بأن الكثير من الباحثين يشكك في مكان الهيكل إذ لا يعقل أن يبني (المسلمون مساجدهم على معابد أهل الكتاب).

(٢) انظر تاريخ الديانتين، اليهودية والمسيحية، ص٢٧.

(٣) انظر مقارنة الأديان، اليهودية، ص٨٠.

وتعرضت هاتان الدولتان إلى الضغط من جهة الشمال للقضاء على القوة اليهودية الدخيلة في المنطقة من جهة وللمنافسة بين العراق ومصر من جهة أخرى[١].

وتولى الحكم في الأولى رحبعام بن سليمان، كما تولى الحكم في الثانية يربعام بن نباط، وكانت الحرب سجالا بين المملكتين منذ البداية واستمرت طيلة وجودهما مما أضعف كلتيهما[٢].

ومع أن دولة إسرائيل كانت تمثل أكثرية الأسباط، وكانت أوسع مساحة ورقعة وأكثر قابلية مادية من دولة يهوذا. إلا أنها كانت في معظم حياتها مضطربة كثيرة الانقلابات بعكس دولة يهوذا التي كانت أكثر استقراراً وهدوءاً وأطول عمراً، ومن أجل هذا تغلب على عرش مملكة إسرائيل ملوك من أسر متعددة وتغيرت عاصمتها مع الانقلابات أكثر من مرة، أما دولة يهوذا فقد ظل الملك بها في سلسلة متصلة بدون انقطاع في ذرية سليمان وظلت عاصمتها أورشليم، وتساوى عدد الملوك هنا وعددهم هناك ١٩ ملكا، خلافا لسلسلة ملوك يهوذا التي كانت من أسر وأسباط مختلفة[٣].

وفي سنة ٧٢١ ق.م وقع اليهود الإسرائيليون تحت قبضة الأشوريين في عهد الملك سرجون الثاني ملك آشور، فمحت يد الآسر الأشوري مملكة إسرائيل من الوجود وزال شعبها من التاريخ زوالاً تاماً وسبى سكانها اليهود إلى أماكن بعيدة. وحل سكان من غير اليهود محلهم، وظلت مملكة يهوذا تكافح حتى سقطت تحت قبضة البابليين سنة ٥٨٦ ق.م[٤].

---

(١) انظر مقارنة الأديان اليهودية، ص٨١، ٨٢.
(٢) انظر العرب واليهود في التاريخ، ص٣٠٢.
(٣) انظر تاريخ بني غسرائيل من أسفارهم ص٧٧، وانظر مقارنة الأديان اليهودية، ص٨٣.
(٤) انظر: العرب واليهود في التاريخ ص٣٠٥، والموسوعة الميسرة ص٥٦٦، ومقارنة الأديان (اليهودية) ، ص٨٣.

وفي سنة ٦٠٨ ق.م زحف فرعون مصر على مملكة يهوذا، فاحتلها واستمر في زحفه فاحتل مملكة إسرائيل، التي كانت قد سقطت تحت سلطة الأشوريين، وقد ثار لذلك ملك بابل (نبوخذ نصر) (بختنصر) الذي آل له السلطان على آشور، وزحف على فلسطين فهزم فرعون مصر واستعاد مملكة إسرائيل، ثم احتل مملكة يهوذا ونهب أورشليم ودمرها ودمر معبد سليمان وسبى أكثر السكان إلى بابل، وفر بعضهم إلى مصر وغيرها من الأقطار. وأقام بختنصر على فلسطين والياً من قبله، وانتهى بذلك ملك اليهود بفلسطين ويعرف هذا بالأسر البابلي وهذا هو التدمير الأول للمدينة والمعبد[1].

٧- ظهور المسيح ودخول اليهود في عصر التشتت والتشرد:

وفي سنة ٥٣٨ ق.م احتل قورش[2] ملك الفرس بلاد بابل ومن ثم أصبح له السلطان على أرض فلسطين، وأطلق الفرس على بني إسرائيل اسم اليهود، وأطلقوا على عقيدتهم اسم اليهودية ومن ذلك التاريخ أصبحت كلمة (اليهود) تعني من اعتنق اليهودية، ولو لم يكن من بني إسرائيل، وهذا هو الفرق بين اليهودي والإسرائيلي وسمح قورش لليهود بالهجرة إلى فلسطين، واستئناف عهد الحرية بها في ظله، ولكن لم تقبل الهجرة إلى فلسطين إلا قلة قليلة. وقد أعاد هؤلاء بناء المدينة المقدسة كما بنوا بها معبداً صغيراً مكان الهيكل بتصريح من قورش، وكانت هجرة اليهود من المنفى هجرة الجموع وليست عودة الدولة، فقد صاروا جماعة تابعة للحكم الفارسي وخاضعة له، وكانت المناوشات لا تنقطع بينهم وبين حكامهم الفرس ومن أجل ذلك رحبوا

---

(١) انظر مقارنة الأديان اليهودية، ص٨٤.

(٢) ونعتوا قورش الذي سمح لهم بالهجرة إلى فلسطين بالمخلص الإلهي أو المسيح المنتظر تقول التوراة ، (سفر أشعيا) هكذا يقول الرب لمسيحية كورش الذي أمسكت بيمينه لأدوس أمامه. انظر: تاريخ الديانتين، ص٣٠.

بالاسكندر الأكبر عندما زحف على فلسطين سنة ٣٢٠ ق.م وقد آل حكم فلسطين إلى البطالسة بعد الاسكندر[١].

وقد تسامح الاسكندر معهم في موافقتهم وترك لهم حرية التعبير عن معتقداتهم الدينية وإنمائها وتطويرها كما يشاؤون، وتمتع اليهود بتسامح مماثل في عهد البطالسة الذين خلفوا الاسكندر في حكم الممالك التي فتحها إلا أن يهود مصر الخاضعين للبطالسة تأثروا تلقائياً بالفلسفة، وأخذت يهود على نفسها التبشير بالثقافة الإغريقية، وترجمت التوراة إلى اليونانية إلا أن أثر الثقافة اليونانية بلغت أوجها عند بعض اليهود فترك بعضهم الالتزام بأحكام التوراة، وبدأ العهد المقدس ينتشر من جديد بين اليهود وعملت فئة من اليهود المرتدين بفرض ثقافتهم على اليهود المحافظين المتشددين وفرض عقوبة الموت على من يلتزم بأحكام التوراة، وأحرقت الكتب المقدسة وحول المعبد والهيكل إلى معبد وثني للإله زوس رأس الآلهة الإغريقية، وعلى كل حال فإن هذه الفترة شهدت حملات اضطهاد وقسوة قلما شهد اليهود نظيراً لها في التاريخ، وكان رد الفعل على ذلك أن قامت ثورة فكرية وسياسية عرفت باسم زعيمها (ميتاس) اشتركت فيها الجماعات اليهودية رغبة في الحفاظ على التقاليد الموروثة والقضاء على البدع والوثنية، وانتهت هذه الثورة من غير مقاومة[٢].

وبظهور السيد المسيح انقسم اليهود على أنفسهم إلى جماعتين: الأولى يهودية مسيحية أيدت المسيح وناصرت دعوته وأخرى عارضته وبقيت على شريعة التوراة، وكانت الجماعة الأولى لا تختلف في بادئ الأمر عن بقية اليهود إلا في اعتقادها بأن عيسى هو المسيح المنتظر، وفيما عدا ذلك التزمت بتقاليد الدين اليهودي وأحكامه،

---

(١) انظر: مقارنة الأديان اليهودية، ص٨٦، ٨٧، بتصرف.

(٢) انظر محاضرات في اليهودية والنصارنية، ص١٢، ١٣.

ولما تطورت العقيدة المسيحية انتهت هذه الجماعة إلى تشكيل دين جديد له ملامحه المميزة.

وعاش اليهود في ذلك الوقت فترة عصيبة حتى سنة ٧٠م حيث ثار اليهود على السلطات الرومانية، فقام تيتوس بتدمير أورشليم وحرق الهيكل وبنى معبدا للإله (جوبتير) محله، وانتقاما لذلك قامت السلطات الرومانية بقتل الكثير من اليهود في مذبحة عامة تفرقوا أثرها في الأقطار المختلفة وبدأت فترة الضياع الحقيقية لليهود، والتجأ من نجا منهم إلى شمالي جزيرة العرب حيث سكنوا الواحات الغربية في فدك وتيماء وغيرها.

ثم لما صارت المسيحية الديانة الرسمية للدولة الرومانية في عهد الإمبرطور قسطنطين سنة ٣١٣م، وصارت القدس العاصمة الدينية للمسيحية صار التهود بدعة دينية وجريمة سياسية يستحق صاحبها العنت والاضطهاد، وبلغت الحياة العامة لليهود حدا لا يطاق، وعلى مدى القرون الوسطى أظهر المسيحيون عداء مفعما بكل صور الاضطهاد لليهود حتى أجبروا على الحياة في أوربا في مناطق مخصوصة عرفت بالجيتو (أي المناطق الفقيرة)[1].

وفي العراق أيضا حل باليهود على أيدي الفرس الساسانيين الاضطهاد والقسوة، وذلك خلال عهد الملك الفارسي يزدجرد الثاني سنة ٤٣٨م الذي أصدر أوامره بإنزال العقوبات بيهود بابل.

وبظهور الإسلام عاد لليهود أمنهم وحريتهم وأخذ اليهود يقبلون على فلسطين بعد أن حرموا منها قرون طويلة، واستمر حال اليهودية في النمو والتطور بفضل سماحة الإسلام والمسلمين وهكذا ارتفع شأن اليهودية وعلا حيث ساد حكم الإسلام، وقد بلغ

---

(١) انظر: تاريخ الديانتين اليهودية والمسيحية، ص٣٢.

التسامح أوج صوره في مصر وفلسطين حيث كان الحكام البيزنطيون قبل الإسلام ينظمون الشؤون الدينية لليهود ويتدخلون حتى في شؤونهم الدينية البحتة.

وفي الأندلس الإسلامية انتقل الحال باليهود من قتل وتشريد وظلم وحرمان إلى رجاء وطمأنينة لم ير اليهود مثلها قط، وبلغت الثقافة اليهودية في ظل العرب المسلمين هناك درجة من النضج والتألق لم تعرفه من قبل.

وفي العصور الحديثة قامت في أوربا حركة فكرية بين اليهود واستطاعت بما لها من قوة ونفوذ أن تحمل رجال الثورة الفرنسية سنة ١٧٩١م، على الاعتراف لليهود بحق المواطنة الكاملة اجتماعيا وسياسياً وعقائديا ومنح نابليون نفس الحقوق والامتيازات ليهود إيطاليا وغرب ألمانيا.

وهكذا ظلت اليهودية في مهب الريح تتقاذفها الأمواج العاتية عبر التاريخ فظلت صريعة حركة فكرية قامت فيها شقتها إلى فئتين متخاصمتين محافظة بزعامة سمسون روفائيل، ومتحررة بزعامة تلامذة مندلسون(١).

وجاءت أخيراً في سنة ١٨٩٧م الحركة الصهيونية الجديدة لليهود وبمعاونة الاستعمار العالمي لبناء دولة إسرائيل على أرض فلسطين بحجة حقوق اليهود التاريخية في فلسطين ونجحت في تحقيق حلمها الخبيث.

ومنذ نهاية القرن الميلادي الماضي ما يزالون يجمعون أشتاتهم في أرض فلسطين تحرضهم وتشجعهم على ذلك الصهيونية(٢) والاستعمار(٣).

---

(١) انظر محاضرات في اليهودية والنصرانية، ص١٥،١٦.

(٢) الصهيونية: مشتقة من لفظة (صهيون) اسم رابية في أورشليم، وقد أطلقت تسمية الصهيونية على منظمة دولية إرهابيا أسسها يهود روسيا البارزين، وسمى أعضاؤها (عشاق صهيون وأحباء صهيون) وقامت هذه المنظمة الصهيونية تعني بفلسطين وتسعى لاستعمارها لتنظيم حركة يهودية سياسية لتأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين. وكان أول مؤتمر دولي للصهاينة عقد في مدينة بال السويسرية سنة ١٨٩٧م، تمخض عنه تأسيس المنظمة الصهيونية العالمية وحدد هذا المؤتمر أهداف المنظمة. انظر العرب واليهود في التاريخ ص٣٤٨.

(٣) انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ،ص٥٦٧، ص٥٧٤.

الكتب المقدسة عند اليهود

أولا: العهد القديم.(١)

وهو مجموعة الأسفار التي جمعها رجال السنهدرين الذي تأسس عقب رحلة أحفاد المرحلين إلى بابل الذين رغبوا في الهجرة إلى أورشليم بعد سقوط بابل على يد كورش الملك الفارسي سنة ٥٣٨ ق.م وكان السنهدرين مؤلفا من مائة وعشرين عضوا بينهم عزرا ونحميا وزورو بابل (حفيد يهوياكيم) آخر ملوك يهوذا، ودانيال وحجاي وزكريا وملاكي ومردوخاي وقد كان اليهود يأملون أن يسمح لهم كورش الفارسي أن يعيدوا بناء دولة يهوذا، إلا أنه منعهم عن ذلك فانشغلوا بجمع التوراة وبناء الهيكل المقدس.(٢)

وقد جمع هذا الكتاب في عهد عزرا الكاتب الهاروني ومجموع أسفاره تسعة وثلاثون سفرا يطلق عليه لفظ العهد القديم تمييزا له عن العهد الجديد انجيل المسيحيين، وقد يحسب كل سفر مزدوج مثل صموئيل الأول والثاني والملوك الأول والثاني والأحابر الأول والثاني سفرا واحدا وعزرا ونحميا وأسفار الملوك الاثنى عشر سفرا واحدا، فيكون مجموعها أربعة وعشرين سفرا ومجموع إصحاحاتها ٩٢٩ إصحاحا.

أ- التوراة:

وهي القسم الأول من العهد القديم وتعرف في العبرانية بـ (تورا)، وقد ناقش

---

(١) إن أول من أطلق لفظ العهد القديم هو بولص الرسول في رسالته الثانية إلى اهل كورنثوس (إصحاح ١٤/٣) انظر التوراة الهيروغليفية د. فؤاد حسنين، القاهرة، "بدون تاريخ".

(٢) تاريخ الآلهة، الكتاب الثالث، خ/٩٥، مفصل الغرب واليهود في التاريخ، ص٤٠٨، وما بعده.

المؤرخون العرب أصل معناها، فقال بعضهم بأنها "علم اخترع ووسع ليدل على الوحي الذي نزل على موسى عليه السلام، هذا قول الشافعي رحمه الله، ومنهم من قال أنها مشتقة من الورى أي الزند يرى وريا إذا خرجت ناره، أن التوراة ضياء ونور معتمداً على قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾ [المائدة:٤٤] وهذا رأي الفراء أما القاسمي في تفسيره (٤-٧٤٩) فقد قال بأن التوراة اسم عبراني بمعنى (الشريعة)، هذا هو الصواب كما نص عليه علماء الكتابيين في مصنفاتهم.

ومصطلح (التوراة) في العبرانية يضم الأسفار الخمسة (البنتاتك) فقط ويضم معنى العهد القديم بأقسامه الثلاثة أيضاً.

أما الأسفار الخمسة الأولى أو كتب موسى فهي:

١- **سفر التكوين أو الخليقة Geneses** : ففيه قصة تاريخ العالم منذ تكوين السماوات والأرض وحتى استقرار أولاد يعقوب أو إسرائيل في أرض مصر، مع تفصيل في قصص آدم وحواء ونوح والطوفان ونسل سام بن نوح عليه السلام وخاصة إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف والأسباط من الذين يربط اليهود تاريخهم بهم. وفيه إشارات إلى إسماعيل عليه السلام وأمه هاجر.

٢- **سفر الخروج Exodes**: فيعرض تاريخ بني إسرائيل في مصر ثم خروج موسى مع قومه إلى سيناء ورحلة (التيه) التي قضوها في الصحراء والتي استغرقت أربعين عاماً والتي ذكرها الله تعالى في القرآن الكريم، وكانوا يحاولون الوصول إلى كنعان إلا أنهم عصوا ربهم فحرم الله عليهم تلك الأرض[1]. وبجانب هذه القصص يشتمل سفر الخروج على طائفة من أحكام الشريعة اليهودية في

---

(١) قال تعالى: ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [المائدة:٢٦]

العبادات والمعاملات والعقوبات وإنزال الألواح إلى موسى عليه السلام والتي تتضمن الوصايا العشر.

٣- **سفر اللاويين Levitiques**: فيتناول شؤون العبادات وخاصة ما تعلق منها بالأضحية والقرابين والمحرمات من الحيوانات والطيور. واللاويون هم نسل لاوي أو (ليفي) أحد أبناء يعقوب عليه السلام. ومن نسلهم جاء موسى عليه السلام وهارون وأصبح اللاويون فيما بعد سدنة الهيكل والمشرفين على شؤون المذبح والأضحية والقرابين والقوامين على الشريعة الموسوية ومن ثم نسب إليهم هذا الكتاب الذي شغل معظمه بما يشرفون عليه من العبادات والمعاملات والفرائض والحدود.

٤- **سفر العدد Nombres**: ومعظمه إحصائيات لقبائل بني إسرائيل وجيوشهم وأموالهم وكثير مما يمكن إحصاؤه من شؤوهم ويضم كذلك أحكاما تتعلق بطائفة من العبادات والمعاملات وفي أخبار موسى عليه السلام وقومه في التيه وقصة العجل. وغير ذلك.

٥- **سفر التثنية Deuteronomee**: ويضم أحكام الشريعة اليهودية الخاصة بالحروب والسياسة وشؤون الاقتصاد والمعاملات والعقوبات والعبادات وغيرها. وسمي التثنية، لأنه يعيد ذكر التعاليم التي تلقاها موسى عليه السلام من ربه وأمر بتبليغها إلى أتباعه وفيه ذكر عناية الله بشعبهم وأقوال موسى عليه السلام في الحوادث والأخبار المهمة والوصايا والفرائض التي أوصى بها الله والإنذارات ونشيد موسى للشعب وبركته.

ب- الأنبياء:

يتألف القسم الثاني من العهد القديم من واحد وعشرين سفرا منها ستة تسمى أسفار الأنبياء الأول، وتبحث أسفارهم في تاريخ أتباع موسى عليه السلام بعد وفاته إلى

خراب الهيكل وأورشليم. وهذه الأسفار هي يوشع، القضاة صموئيل الأول والثاني، والملوك الأول والثاني. ويلي هذا القسم أسفار الأنبياء الآخرين وعددها خمسة عشر سفرا وهي أشعيا وأرمياء وحزقيال وهوشع ويوئيل وعاموس وعوبديا ويونس وعاموس وعوبديا ويونس وميخا وناحوم وحبقوق وصفنيا وحجى وزكريا وملاخي.

جـ- الكتب والصحف:

وهو القسم الثالث من العهد القديم ويعني بالحكم والأمثال والمزامير والأخبار التاريخية الخاصة باليهود بعد خراب الهيكل وعدد هذه الكتب أو الصحف سبعة كبيرة وهي: مزامير الأمثال : أيوب ودانيال وعزرا ونحميا وأخبار الأيام الأول والثاني وخمسة صغيرة هي: روث، نشيد الانشاد، الجامعة، المراثي، استير[1].

الأسفار الأخرى للعهد القديم قد ألفت في الفترة الواقعة بين النصف الأخير من القرن التاسع وأوائل السادس قبل الميلاد.

ويشمل هذا القسم أسفار يوشع والقضاة وصموئيل والملوك والامثال ونشيد الإنشاد، ومعظم أسفار الأنبياء وأن قسما آخر منها قد ألف في الفترة الواقعة بين أوائل القرن السادس وأواخر القرن الرابع قبل الميلاد ويشمل هذا القسم أسفار يونس وزكريا وقسما من سفر دانيال.

هذا فيما عدا الأجزاء والفقرات التي الفت في أول الأمر باللغة الآرامية[2].

أما علماؤنا قديما وحديثا، فكانت لهم آراء فيه منها:

١- أن التوراة كلها أو أكثرها مبدلة مغيرة هي ليست التوراة التي أنزلها الله على موسى عليه السلام وتعرض هؤلاء لتناقضها وتكذيب بعضها لبعض، وممن ذهب إلى هذا الرأي ابن حزم الأندلسي في كتابه (الفصل).

---

(١) المسيح في مصادر المسيحية، ص١٣-١٤.

(٢) انظر: د. علي عبد الواحد وافي الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام الصفحات، ١٣-١٥.

٢- وذهبت طائفة أخرى من رجال الحديث والكلام والفقه كالبخاري (رحمه الله) في صحيحه والرازي (رحمه الله) في تفسيره إلى أن التبديل وقع في التأويل لا في التنزيل وهو كلام مردود في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ ﴾ [المائدة:١٣].

٣- وطائفة أخرى منهم ابن تيمية (رحمة الله) ذكر بأنه قد زيد في التوراة وغيرت ألفاظ يسيرة منها، لكن أكثرها باق على ما أنزل عليه والتبديل وقع في قليل منه. يقول القاسمي في تفسيره (٢٠٨٥/٦). شرائع هذه الكتب وأوامرها ونواحيها هي أقل أقسامها تحريفا وأكثر التحريف في القصص والأخبار والعقائد وما ماثلها.

وذكر صاحب تفسير (المنار) (١٥٦/٣) قائلا: التوراة في عرف القرآن هي ما أنزله الله تعالى من الوحي إلى موسى عليه السلام ليبلغه قومه لعلهم يهتدون به.. فهي كوثيقة تاريخية يتعرض إليها أكثر من شك، ففيها التحريف وفيها الزيادة والحشو والنسيان لكثير في كلام الله تعالى وهي كوثيقة دينية، مليئة بالمخازي التي لا يتصور عقلا نزولها من الله سبحانه وتعالى واتهامات بالمجون والخلاعة والردة للأنبياء[١].

آراء العلماء في محتوى ومضمون تاريخ العهد القديم:

لقد استغرق جمع وتدوين محتويات العهد القديم فترة زمنية طويلة تزيد على الألف عام (١٢٠٠ ق.م إلى ١٠٠ ق.م) وقد نقلت معلوماته شفاها بالتواتر حتى تمكن رجال السنهدرين من تدوينه وتنظيمه على صورته الحالية، ونسب الكتاب بعد تدوينه إلى موسى والأنبياء عليهم السلام من بعده، إلا أن آراء معظم الباحثين تنتهي إلى الإنكار التام لصحة ما ورد في التوراة منسوبة إلى موسى عليه السلام وقد جرت تنقيات

(١) تاريخ الآلهة: الكتاب الثالث، ص ٤٣، وما بعدها.

آثارية بعد الاستيلاء على البحث الميت عام ١٩٦٧ انتهت بالعثور على مخطوطات عرفت بمخطوطات البحر الميت أو (مخطوطات قمران) فيها ما يشير إلى صحة بعض المعلومات المنسوبة إلى موسى وإن كانت لا ترقى إلى رأي علمي قاطع.

فإذا اعتبرنا أن أهم أسفار العهد القديم هي أسفار القسم الأول التي ينسبها اليهود إلى موسى ﷺ ويعتقدون أنها بوحي من الله وأنها تتضمن التوراة فقد ظهر للمحدثين من الباحثين من خلال ملاحظة اللغات والأساليب التي كتبت بها هذه الأسفار وما تشتمل عليه من موضوعات وأحكام وتشريعات وكذلك البيئات الاجتماعية والسياسية التي تنعكس فيها، ظهر لهم من ملاحظة هذا كله أنها ألفت في عصور لاحقة لعصر موسى بأمد غير قصير[1] (يقع عصر موسى كما ذكرنا حوالي الثالث عشر قبل الميلاد) وأن معظم سفري التكوين والخروج قد ألف حوالي القرن التاسع قبل الميلاد (أي بعد موسى بنحو أربعة قرون ونصف القرن) وأن سفر التثنية قد ألف في أواخر القرن السابع قبل الميلاد وأن سفري العدد واللاوين قد ألفها في القرنيين الخامس والرابع قبل الميلاد أي بعد الترحيل البابلي سنة ٥٨٧ق.م) وأنها جميعها مكتوبة بأقلام اليهود وتتمثل فيها عقائد وشرائع مختلفة تعكس الأفكار والنظم المتعددة التي كانت سائدة لديهم في مختلف الأدوار فهي إذن تختلف كل الاختلاف عن التوراة التي يذكر اليهود بأنها كتاب سماوي أنزله الله على موسى ﷺ.

وعلى أساس هذه التحقيقات الحديثة نفسها يرجح الباحثون أن قسما منها مما يسمو عنها مقام النبوة، ومرد كل هذا إلى الفترة الطويلة التي استغرقت أكثر من ألف عام والتي جمعت ورتبت فيها التوراة.

---

(١) مفصل العرب واليهود في التاريخ، ص٣٣٩، وما بعدها، ص٥٥٧، وما بعدها.

فمن المثالب التي وردت في التوراة في حق الأنبياء والتي تجعل المرء يحار في المعايير الخلقية لمدوني التوراة وفيما إذا كانت الرذائل هي المقياس الخلقي الجيد للفترة التي دونوا فيها معلوماتهم عن أقدس البشر من الذين اختارهم الله ليكونوا رسله وأنبياءه[1].

١- **سكرة نوح:** ذكر محرر سفر التكوين، أن نوحا بعد خروجه من سفينته، شرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه. فأبصره حام، وأخبر اخوته عنه، فأخذ سام ويافث الرداء، ومشيا إلى الوراء وسترا عورة أبيهما ووجهاهما إلى الوراء، فلما استيقظ نوح من سكرته علم ما فعل به ابنه حام فلعنه وجعله عبد العبيد لاخوته (٩/٢٠-٢٧ت).

٢- **النبي إبراهيم عليه السلام في مصر:** ذكر محور سفر التكوين في الإصحاح الثاني عشر أن النبي إبراهيم عليه السلام انحدر إلى مصر بسبب الغلاء ولما اقترب منها قال لزوجته ساراي: (قد علمت أنك امرأة حسنة المنظر فيكون إذا رآك المصريون أنهم يقولون هذه امرأته، فيقتلونني ويستبقونك، قولي أنك أختي ليكون لي خير بسببك وتحيا نفسي من أجلك (١١، ١٢ت). ووقع ما كان يتوقعه ويخشاه (فأخذت المرأة إلى بيت فرعون، فصنع فرعون إلى إبرام خيرا بسببها وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء وأتن وجمال.. فضرب الرب فرعون وبيته ضربات عظيمة بسبب ساراي امرأة ابرام.. فدعا فرعون إبرام وقال له لماذا قلت هي أختي حتى أخذتها لي لتكون زوجتي.. خذها واذهب.. (١٣/١٤ت) وأمر فرعون رجاله بتسفيره (فشيعوه وامرأته وكل ما كان له (١٢/٢٠ت) فخرج إبرام من مصر ومعه امرأته وابن أخيه، وكل ما أغدقه عليهم فرعون من الأموال والماشية والخدم والعبيد، فأصبح إبرام (غنيا جدا في المواشي والفضة والذهب (١٣/٢ت) واصبح كذلك لوط ابن أخيه غنيا من هبات فرعون وعطاياه (١٣/٥ت).

(١) تاريخ الآلهة، الكتاب الثالث، ص٤٣، وما بعدها.

٣- النبي إبراهيم عليه السلام في جرار: ذكر محرر التوراة أن إبراهيم عليه السلام حينما اقترب من مدينة جرار قال لامرأته ساراي أيضا، قولي هو أخي.. ووقع أيضا ما كان يتوقعه ويخشاه (فأرسل أبو مالك ملك جرار، وأخذا ساراي وقال له إبراهيم أنها أختي قالت سارة إنه أخي (٢٠/٥/٢ت)، ثم استدرك محرر السفر هذا الخطأ فقال (فجاء الله إلى أبي مالك في حلم الليل ولم يكن أبي مالك قد اقترب إليها وقال له.. إنها متزوجة ببعل.. لذلك لم أدعك تمسها. فالآن رد امرأة الرجل (٢٠/٧ت) واعتذر إبرام بعد ذلك لأبي مالك قائلا (إني قلت ليس بهذا الموضع خوف الله البتة فيقتلونني لأجل امرأتي وبالحقيقة هي أيضا أختي ابنة أبي غير أنها ليست ابنة أمي فصارت لي زوجة.. وقلت لها هذا معروفك الذي تصنعين إلي في كل مكان تأتي إليه قولي عني هو أخي (٢٠/١٣ت) فأعطاه أبو مالك أيضا (غنما وبقرا وعبيدا وإماء وألفا من الفضة ورد إليه ساراي امرأته (٢٠/١٤ت) وصرفه من عنده وأضحى إبراهيم غنيا من هذه الهبات.

٤- لوط عليه السلام مع ابنته: ولم ينس محرر التكوين أن ينسب إلى النبي لوط عليه السلام بتلك المنكرات، إذ وصفه وبنتيه بأبشع الصفات، فذكر أن ابنتي لوط بعد خروجهما من سدوم وفي مغارة صوغر، سقتا أباهما خمرا واضطجعتا معه بالمناوبة فحملتا منه وولدت الكبيرة ابنا سمته (مواب) وهو أبو الموابيين، وولدت الصغيرة إبنا وسمته (بني عمي) وهو أبو بني عمون (١٩/١٧/٣١ت).

٥- إسحاق عليه السلام وامرأته: وذكر محرر التكوين أن أهل جرار حين سألوا إسحاقا عن امرأته رفقة (فقال هي أختي لأنه خاف أن يقول امرأتي، لعل أهل المكان يقتلونني من أجل رفقة لأنها كانت حسنة المنظر ٢٦/٧ت) وحدث أن ملك جرار أشرف من الكوة ونظر وإذا أسحق يلاحب رفقة امرأته ولما عاتبه ملك جرار وقال له: إنما هي امرأته فكيف قلت هي أختي؟ اعتذر له إسحاق بقوله (لأنني قلت لعلي

أموت بسببها ٢٦/١٠ت) واستدرك محرر السفر خطأته فذكر أن ملك جرار أجاب إسحاق قائلا (لولا قليل لاضطجع أحد الشعب مع امرأتك فجلبت علينا ذنبا ٢٦/١١ت) ولما بارك الرب زرعه وصار له مواشي من الغنم والبقر كثير. قال له الملك اذهب من عندنا (١٦/١٧ت).

٦- **يهوذا وأرملة ابنه:** وذكر محرر التكوين أن يهوذا بن يعقوب بن اسحق بن إبراهيم صادف أرملة ابنه (ثامار) في الحقل (وقال لها هاتي أدخل عليك ٣٨/١٦ت) فولدت له فارص (الاصحاح ٣٨ت) سفاحا عن طريق الزنى مما يجعل فارص وذريته خارجين عن جماعته الرب. وفارص هو الذي ذكره ٠متي) في إنجيله (ويهوذا ولد فارص.. من ثامار١/٢) بأنه الجد الأعلى للملك داود والنبي سليمان وكافة أنبياء بني إسرائيل.

٧- **مروق موسى وهرون عن الدين وعصيانهما أوامر ربهما وخيانتهما عهود الإله:**

فقد جاء في سفر الخروج (٥-٣٢) أن هرون صنع العجل الذهبي بيده ودعا القوم لعبادته وقال غدا عيد الرب. وجاء في سفر التثنية (وكلم الرب موسى في ذلك اليوم قائلا: اصعد إلى جبل عباريم في ارض مواب الذي قبالة أريحا ومت في الجبل الذي تصعد إليه، كما مات هرون أخوك في جبل هور لانكما خنتماني في وسط بني إسرائيل عند ماء مريبة في برية صين إذ لم تقدساني في وسط بني إسرائيل (٥-٣٢).

٨- **داود وزوج خادمه:** كذلك ما ذكره محرر التوراة عن النبي داود عليه السلام وتسلطه على يتشبع زوجة (أوريا) أحد جنوده، وحملها منه سفاحا (ص ث٥-١١) ثم إرساله أوريا إلى الحرب وقتله ظلما وعدوانا، بوضعه في الخط الأمامي، ثم زواج داود من زوجه بعد ذلك رسميا فولدت له الملك والنبي سليمان. (ص ث ٢٤-١٢). ومثله تفضيله ابنه سليمان من يتشبع محبوبته على ابنه البكر وإجلاسه على كرسي الملك خلافا لشريعة موسى عليه السلام.

٩- ابشالوم ونساء أبيه داود عليه السلام: ذكر محرر التوراة أن ابشالوم ابن النبي داود عليه السلام تسلط على نساء أبيه وأخضعهم لمشيئته.

فنصبوا لابشالوم الخيمة على السطح ودخل أبشالوم بن داود إلى سراري أبيه أمام جميع إسرائيل ص ث ١٦-٢٢، وذلك بأمر إلهي (هكذا قال الرب: ها أنذا أقيم عليه الشر في بيتك وآخذ نساءك أمام عينيك وأعطيهن لقريبك "ابنك" فيضطجع مع نسائك في عين هذه الشمس) ص ث ١٢-١٧.

١٠- أمنون وأخته: وذكر محرر التوراة، أن أمنون بن داود عليه السلام قد أخضع أخته (ثامار) لشهوته واضطجع معها (ص ثم ١٥-١٣).

١١-**النبي سليمان عليه السلام**: حيث اتهم محرر التوراة بارتداده عن عبادة (يهوة) ونصبه الأصنام والتماثيل والأوثان فوق الجبال وفي معابد زوجاته.

١٢- (يهوة) يأمر بالسلب: وجاء في التوراة أن نساء بني إسرائيل حينما عزمن على الخروج مع أزواجهن من مصر مع موسى عليه السلام ذهبن إلى جاراتهن المصريات وزعمن أنهن ورجالهن يحتفلون بالعيد في الصحراء على بعد ثلاثة أيام من مدينتهم وسألنهن حليهن ليتزين بها في احتفالهن بهذا العيد فأخذن حلي جاراتهن وهربن بالحلي إلى سيناء وكانت هذه الجريمة قد طلبت بأمر من النبي موسى عليه السلام على أثر توصية من الله وأعطى الرب نعمة للشعب في عيون المصريين حتى أعاروهم فسلبوا المصريين (خروج ١٦/١٢)[١].

اللغات التي ألفت بها أسفار العهد القديم:

لقد ثبت من الدراسات التي تمت عن تدوين أسفار العهد القديم بأن تلك

---

(١) بين التوراة والقرآن خلاف، ص١٢-١٦، وانظر دراسات في التوراة، ص٣٢٣-٣٢٧.

الأسفار قد دونت بلغة واحدة، وهي اللغة العبرية[1] وإن كانت تراكيب بعض مفرداتها تختلف باختلاف هذه الأسفار. أما الشريعة (الوصايا العشر) فلقد وجد بأنها كتبت بالهيروغليفية[2] وفي فترة تسبق فترة التكوين التوراة. وكان كل سفر يدل على العصور التي ألف فيها، ولا يستثنى في ذلك إلا أجزاء يسيرة ألفت ابتداء باللغة الآرامية. وهي اللغة التي حلت محلها اللغة العبرية في أواخر القرن الرابع قبل الميلاد. ويدخل في هذا القسم أجزاء من سفري عزرا Erdas ودانيال وفقرة واحدة في سفر آرمياء Jereme وكلمتان اثنتان من سفري التكوين وردتا باللغة الآرامية، ويرجح الباحثون أن ما ألف باللغة الآرامية مباشرة في سفر عزرا يرجع تاريخ تدوينه إلى سنة ٣٠٠ ق. م وأن ما ألف بها من سفر دانيال يرجع تاريخ تدوينه إلى سنة ١٦٧ أو ١٦٦ ق.م[3].

اللغات التي ترجمت إليها أسفار العهد القديم والزيادات التي ظهرت في بعض هذه الترجمات: إن "أقدم ترجمة للعهد القديم هي الترجمة اليونانية التي اشتهرت باسم (الترجمة السبعينية) Version de Septante وهي التي تمت في سنتي ٢٨٢ و ٢٨٣ ق.م، على يد اثنتين وسبعين حبرا من يهود مصر في عهد بطليموس فيلادلف[4].

وتشتمل الترجمة السبعينية على عدة أسفار لا توجد في الأصل العبري الذي وصل إلينا. وهذه الأسفار هي: سفر طوبيا Tobie وسفر الحكمة لسليمان Sagesse de Salomon وأسفار المكابيين وعددها أربعة أسفار و سفر يهوديت وسفر الكهنوت أو سفر الحكمة ليسوع بن سيراخ. ونشيد الأطفال الثلاثة وسفر سوزان وسفر بل والتنين وثلاثة أسفار منسوبة لعزرا زيادة على السفر المثبت في الأصل العبري. وفصول

---

(١) د. علي عبد الواحد وافي، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، ص١٦.

(٢) التوراة الهيروغليفية، ص٣.

(٣) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، ص١٦.

(٤) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، ص٢٢-٢٣.

في آخر سفر استير زائدة على الفصول المثبتة في الأصل العبري وبعض زيادات في سفر دانيال.

وعن الترجمة السبعينية ترجمت أسفار العهد القديم إلى اللغة اللاتينية. ومع أن هذه الترجمة اللاتينية كانت ترجمة للسبعينية اليونانية، فإنها لم تأت مطابقة كل المطابقة لها. فقد اشتملت على سفرين اثنين فقط للمكابيين بينما كانت أسفار المكابيين في السبعينية أربعة أسفار. كذلك حذف منها أسفار عزرا الثلاثة التي زيدت في السبعينية على الأصل العبري، وفيما عدا ذلك لا يوجد بين الترجمتين خلافات مهمة.

وفضلا عن الأسفار والأجزاء التي تزيد بها الترجمات اليونانية واللاتينية عن الأصل العبري فإنهما في بعض المواضع لا تنطبقان على هذا الأصل تمام الانطباق[1].

وفضلا عن الترجمتين اليونانية واللاتينية فإن العهد القديم قد ترجم إلى لغات أخرى كثيرة، فقد ترجمه أحبار اليهود إلى الآرامية الحديثة وهي إحدى لهجات الآرامية القديمة وكانت شائعة في منطقة فلسطين.. وساروا في ترجمتهم هذه على منهج خاص يختلف عن مناهج التراجم المعتادة، فكانوا يدونون الفقرة بنصها العبري ثم يتبعونها بترجمتها إلى اللغة الآرامية وقد أطلق على كتبهم هذه اسم الترجوم. ومن أشهرها ترجوم انقلوس وهي ترجمة للأسفار الخمسة الأولى. وترجوم يونانتان وهي ترجمة لبقية أسفار العهد القديم. وبدأت ترجماتهم هذه في الفترة الواقعة بين أوائل

(١) د. علي عبد الواحد وافي، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ص١٧-١٨، وقد أقرت الكنيسة الكاثوليكية المسيحية جميع الأسفار والأجزاء التي تزيد بها الترجمة عن الأصل العبري واعتبرتها كلها أسفارا وأجزاء مقدسة واعتبرتها من أسفار العهد القديم وأجزائه. لكن معظم البروتستانت من المسيحيين لا يعتبرون هذه الزيادات مقدسة ولا يعتبرونها من العهد القديم. وأما اليهود فإنهم يدخلون في القسم الذي يسمونه الأسفار الخفية (Apocryphe) جميع ما تزيد به الترجمتان عن الأصل العبري من أسفار وأجزاء والأسفار الخفية عندهم لا يدخل شيء منها في العهد القديم ولكن بعضها يمكن أن يكون مقدسا في نظرهم (نفس المصدر، ص١٩).

القرن الثاني وأواخر الخامس بعد الميلاد، وتم معظمها في القرنـين الرابـع والخـامس الميلاديين. وفي هذه الفترة نفسها ترجمت الكنيسة المسيحية السريانية العهدين القـديم والجديد إلى اللغة السريانية عن الترجمة السبعينية الآرامية الفلسطينية الحديثة التي كانت مستخدمة في فلسطين وما إليها. وترجموه عن الترجمة السبعينية اليونانيـة وجـاءت ترجمتهم هذه ترجمة حرفية. وقد استغرقت ترجمتهم للعهدين القديم والجديـد مـدة طويلة تمتد من القرن الثامن إلى الحادي عشر بعد الميلاد. وعن الـترجمتين اليونانيـة واللاتينية، ترجمت هذه الأسفار إلى معظم لغات العالم قديمها وحديثها(١).

ثانيا: التلمـود:-

وهو الشريعة الشفوية لليهود، ولم يعرف المؤرخون العرب القدماء أهمية كبـيرة لهذه الشريعة فيما مضى، رغم أنها توضح عقيدتهم أكثر من كتابهم المقدس (التـوراة)، حتى أن قسما كبيرا من فلاسفتهم وحكمائهم يعتبر الشريعة الشفوية أكثر أهمية مـن التوراة نفسها، إذ لا أهمية لليهودي بدون معرفة أحكام التلمود(٢)، والتلمود كلمـة مشتقة من كلمة "لوميد" العبرية التي تعني "دراسة" وهي شبيهة بكلمة تلميذ "العربيـة" وقد تألف من بحوث أحبار اليهود وربانييهم وفقهائهم المنتمين إلى فرقـة الفريسـيين (أشهر فرق اليهود كما سيأتي ذكر ذلك) في شؤون العقيـدة والشـريعة والتـأريخ المقدس وما إلى ذلك ثلاثة وستون سفرا الفت في القرنين الأول والثاني بعـد الميـلاد وأطلق عليها اسم "المشناه" بمعنى المثنى أو المكرر أي أنها تكرار وتسجيل للشـريعة. ثم شرحت هذه المشناه فيما بعد وأطلق على هذه الشروح اسم الجماراه أي الشـرح أو التعليق والفت هذه الشروح في فترة طويلة امتدت من القرن الثاني إلى أواخـر السـادس بعد الميلاد، وتالف من المتن والشرح (أي من المشنا والجمارا) ما أطلق عليـه لفـظ

---

(١) فضح اليهود، ص٢١ وما بعدها.

(٢)التلمود تاريخه وتعاليمه، ٢٩، وما بعدها.

(التلمود) بمعنى التعاليم. والمشنا كلمة مشتقة من فعل شانا العبري بمعنى يثني والفعل الآرامي (تانا) بمعنى يدرس، ويعني لفظ المشناه –الشريعة المكررة– أي تكرار شريعة موسى عليه السلام وهي أول لائحة قانونية وضعها اليهود لأنفسهم بعد (المقرا) أو (العهد القديم). كما وأنها خلاصة "القانون الشفوي" الذي تناقله الحاخامات منذ ظهور حركة الفريسيين، لكنهم يزعمون أنه نزل على موسى عليه السلام في طور سيناء وفي المعتقدات اليهودية أن الشريعة الشفوية لم يكن جائزا لأحد أن يكتبها طالما كان هيكل سليمان قائما، فلما تهدم الهيكل و لم يعد هناك مركز لليهود يجتمعون ويرجعون إليه، جاز لهم تدوين المشناه.

وتتكون المشناه من ستة مباحث تسمى سيداريم، أي أحكام، وهي كما يلي:

١- **زراعيم:** أي البذور والإنتاج الزراعي، ويتضمن إحدى عشرة رسالة في اللوائح الزراعية ونصيب الحاخام من الثمار والمحصول.

٢- **موعيد:** أي الأيام المقررة ويحتوي على اثنى عشر رسالة في لوائح الأعياد والصيام والسبت والأحكام الخاصة بها.

٣- **ناشيم:** أي المرأة ويتضمن سبع رسائل في قوانين الزواج والطلاق والنذور وعلاقة اليهود بالوثنيين.

٤- **نزيقين:** أي الأضرار، وهي عشر رسائل في القوانين المدنية والجنائية ويتناول الأحكام المتعلقة بالأشياء المفقودة والبيع والمبادلة والربا والغش والاحتيال كما يعنى هذا الكتاب بالحديث عن عصر المسيح ومحاكمته وصلبه. وهذا الكتاب موضع اهتمام الذين حاولا إرجاع ما يسمى بـ "الأخلاق اليهودية" إلى تعاليم التلمود.

٥- **قداشيم:** أي المقدسات وهي إحدى عشرة رسالة في قوانين الصلاة والشرائع الخاصة بالطقس القرباني وخدمة الهيكل.

٦- **طهاروت**: أي الطهارة، وهي اثنتا عشرة رسالة في قوانين الطهارة والنجاسة والحمام والمغاطس ونجاسة المرأة وأحكام المشناه. أما عامة مجهولة المصدر وتسمى "أحكام مقبولة" أو آراء الحاخامات (الحكماء اليهود) وهي المفضلة في حالة وقوع تعارض مع الأولى في مسالة ما[١].

أما **الجماراه**: فمعناها الإكمال وهي تفسير وشروحات للمشناه.

وهناك شرحان للمشناة، هما جمارا أورشليم وجمارا بابل، لذلك أطلق على التلمود اسم التلمود البابلي والتلمود الأورشليمي، لأن المشناه واحدة بينما الاختلاف في الجمارا.. أما شروحات التلمود الأورشليمي فقد نشأ في طبرية بين طبقة من العلماء يدعون (الأمورائيم) فكانوا يشرحون المشناه التي دونها قبلهم طبقة من المعلمين تدعى (التنائيم) والامورائيم أي الأستاذة المحدثون درسوا المشناة والقوا عليها شروحات وافية تتناول شرائح اليهود وتقاليدهم وطقوسهم وتاريخهم وقد جمعت هذه التعليقات والشروح في مجموعة أصبحت تعرف بالتلمود الأورشليمي. وكان الفراغ منه في أواخر القرن الثالث الميلادي، وقد فقد قسم كبير منه.

ولما اشتد ضغط الرومان على اليهود في فلسطين، لم يعد باستطاعة الرابيين الاستمرار على الدرس والبحث بحرية وأمان فاضطر عدد كبير منهم إلى الهجرة إلى العراق حيث أنشأوا مدارس كبرى للامورائيم أن يشرحوا المشناه شرحا أكثر تفصيلا وأتم موضوعا مما اضطلع به علماء فلسطين، فصارت مجموعة الشروح العراقية تعرف بالتلمود البابلي الذي تم وضعه سنة ٤٩٠م، وبها انتهى دور الامورائيم[٢].

---

(١) فضح التلمود ص٢٦-٢٧، التلمود تاريخه وتعاليمه، ص١٥-١٦.

(٢) د. أحمد سوسة، مفصل تاريخ العرب واليهود، ص٣٦٣-٣٦٤.

وكان موسى بن ميمون، الفيلسوف اليهودي القرطبي الأندلسي (١١٣٩-١٢٠٥م) الذي كتب مؤلفا بعنوان (دلالة الحائرين) قد استعان فيه بالمشناه وشروحها أي بالتلمود.

وكانت أول طبعة كاملة للتلمودين الفلسطيني والعراقي بعد ظهور وسائل النسخ تلك التي طبعت خلال سني ١٥٢٠-١٥٢٤م، في البندقية وقد أحرق في إيطاليا سنة ١٥٥٣م[١] (إذ أن المسيحيين حرموا تداوله سابقا حيث يسيء إليهم إساءة كبرى) ويبلغ التلمود في اللغة الإنجليزية بأصوله ومتونه وشروحه وتعليقاته ٣٦ مجلدا. وقد نقل الجزء الأول إلى العربية سنة ١٩٠٩ والعثور على نسخ كاملة من التلمود صعب للغاية نظرا لما حذفه المتأخرون من العبارات فقد قرر المجمع الذي انعقد في بولونيا سنة ١٦٣١م، بالإجماع أن العبارات التي تهين الأغيار يجب حذفها، وأن التعاليم التي تهين المسيحيين لا يجوز نشرها[٢].

وفي التلمود تأكيد على مبدأ الاستعلاء والتفوق العنصري اليهودي على بقية الشعوب وجعل الناس عبيدا لليهود باعتبارهم الشعب المختار وأن الله قد اصطفاهم من دون سواهم من شعوب الأرض. ويصور التلمود بأن اليهود خلقوا من طينة أرفع من طينة بقية الجنس البشري غير اليهودي.

وينص التلمود على أنه يجب على كل يهودي أن يبذل جهده لمنع تسلط باقي الأمم في الأرض حتى تصير السلطة لليهود وحدهم.

وجاء في التلمود كثير من العبارات التي تطعن وتشتم المسيحيين والسيد المسيح عليه السلام وأمه العذراء عليها السلام، واستباحته للدم البشري الذي يعجن بالفطير ويأكله

---

(١) Jowish Encyclopodie Handbooks, N.Y.Vol. I,p.218.

(٢) د. أحمد سوسة، المصدر السابق، ص٣٦٩.

اليهود في أعيادهم(١).

ويقول التلمود بالتناسخ وهو فكر تسرب من الهند إلى بابل وأخذه الحاخامات من المجتمع البابلي(٢).

والاعتراف بأحكام التلمود مسألة مختلف بها بين بعض الطوائف والفرق اليهودية، إذ أن هناك من نادى بعدم الاعتراف بها وسنأتي إلى ذكرها في الحديث عن الفرق اليهودية.

- **اللغات التي ألفت بها أسفار التلمود والتي ترجمت منها:**

لقد ألفت أسفار (المشناه) باللغة العبرية، وألفت شروحها المسماة (الجمارا) باللغة الآرامية فكان يدون المتن بلغته العبرية ثم يشرح بالآرامية. وتسمى اللغة العبرية التي ألفت بها أسفار المشناه باللغة الربانية لأن فقهاء اليهود الذين يطلق عليهم اسم (الربانيون) هم الذين استخدموها في تأليف هذه الأسفار. وهي تختلف اختلافا غير يسير عن اللغة العبرية التي ألفت بها أسفار العهد القديم، وذلك أن تأليف أسفار المشناه قد حدث بعد أن انقرضت العبرية من لغة التخاطب لدى اليهود وحلت محلها في ألسنتهم اللغة الآرامية واقتصر استخدام العبرية لديهم على ميادين الكتابة وخاصة في شؤون الدين ومن ثم تمتاز اللغة التي الفت بها المشناه بشدة تأثرها باللغة الآرامية كما يبدو من مظاهر التأثر ببعض اللغات الآرية -الهندية- الأوربية التي احتك اليهود بأهلها احتكاكا سياسيا أو ثقافيا وخاصة اللغات اليونانية واللاتينية والفارسية ولكن هذا لا ينقص شيئا من قيمتها اللغوية والتاريخية وذلك لأن ما بها من مفردات أجنبية لا يعد شيئا مذكورا بجانب ما استخدمته من المفردات العبرية التي لا يوجد بعضها في العهد القديم نفسه.

---

(١) أفاض مؤلف، الكنز المرصود في تفصيل ذلك، وننصح بمراجعته.

(٢) انظر د. أحمد سوسة، المصدر السابق، ص٣٦٦-٣٦٧.

وأما شروح المشناه المسماة (الجمارا) وهي التي ألفت باللغة الآرامية، فقد قامت بها مدرستان -كما مر علينا ذلك- أولاهما مدرسة يهود فلسطين، وقد ألفوا شروحهم باللهجة الآرامية -الفلسطينية الحديثة وهي اللهجة نفسها التي استخدمها هؤلاء في ترجمة العهد القديم- كما سبقت الإشارة إلى ذلك-.

والأخرى مدرسة يهود بابل، وقد ألفوا شروحهم هذه باللهجة الآرامية الجنوبية الشرقية (وهي إحدى لهجات اللغة الآرامية)، وعن اللغتين العبرية والآرامية ترجم التلمود إلى كثير من لغات العالم قديمها وحديثها[1].

ثالثا: القباله والزوهار:-

كان لسيطرة التلمود على اليهود بعد ميلاد السيد المسيح سيطرة كاملة أثره على ظهور التراث القبالي والحلول محله. إن **القبالة** تعني علم التأويلات الباطنية والصوفية عند اليهود وتعني كلمة القبالة في اللغة العبرية التراث. وكان يقصد بهذه الكلمة الشريعة الشفوية[2]، ثم أخذت تعني في أواخر القرن الثاني عشر الميلادي المعاني المتطورة للتصوف. وكذلك أصبحت تعني (العلم الحاخامي) في اليهودية والذي يعني بدوره المذاهب الباطنية.

وقد أطلق المقبليم أي القباليون على أنفسهم لقب (العارفين بالفيض الرباني). وتمثل القبالة تفكيراً أسطورياً، وتمكن الحاخامون من جعلها أعمق وأكثر نفعاً من التلمود حتى حلّت القبالة أو التفسير القبالي محل كل الكتب اليهودية المقدسة في القرن السادس عشر.

---

(١) د. علي عبد الواحد وافي، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، ص٢٤-٢٥.

(٢) اليهودية والصهيونية وإسرائيل ص٣٢، الموسوعة الفلسطينية، ص٩٣.

وتنقسم القبالة إلى قسمين، نظري يخص طريق المعرفة الباطنية والفيض الإلهي، وعملي أقرب إلى السحر الذي يستخدم التسبيح باسم الله ورموز الحروف والأرقام السحرية والتنجيم والسيمياء وعلم الفراسة وقراءة الكف وتحضير الأرواح وغير ذلك، ويصور العلم القبالي بأن لكل حرف ولكل نقطة قيمة عددية يمكن للإنسان أن يفصلها أو يجمعها وأن يستخلص منها معنى حقيقيا غير المعنى الظاهر(١).

(والزوهار) كلمة عبرية تعني الضياء أو الإشراق، ويعتبر كتاب الزوهار من أهم كتب التراث القبالي، وكان مكتوبا بالآرامية ثم ترجم إلى العبرية وينسب الكتاب إلى الحاخام سمعان بن يوشاي(٢) ولكن آخرين يذكرون أن الحاخام موسى الليوني (١٢٥٠-١٣٠٥م) قد كتبه في أواخر القرن الثالث عشر(٣).

وينقسم (الزوهار) إلى ثلاثة أقسام وتدعى:

الأول: قسم الزوهار الأساسي.

الثاني: الزوهار الذات.

الثالث: الزوهار الجديد.

ويعالج كتاب الزوهار طبيعة الخالق وأسرار الأسماء الإلهية وروح الإنسان وطبيعتها ومسيرها والخير والشر وأهمية التوراة والماشيح(٤) والخلاص ويتحدث الكتاب أيضا عن التاريخ والطبيعة والإنسان(٥).

---

(١) في أسطورة من أساطير الزوهار أن الاثنين والعشرين حرفا من الأبجدية العبرية، نزلت من السماء قبل الخليفة بستة وعشرين جيلا وأنها نقشت بنار متلهبة ، انظر د. أحمد سوسة، مفصل تاريخ العرب واليهود، ص٣٧٤.

(٢) عاش في القرن الثاني الميلادي، انظر اليهودية والصهيونية وإسرائيل، ص٣٣.

(٣) المصدر السابق ص٣٣، وانظر د. أحمد سوسة المصدر السابق، ص٣٧٤.

(٤) المسيح.

(٥) اليهودية والصهيونية وإسرائيل ص٣٣.

ويصور القباليون آراءهم في الخلق على أن الله قد خلق العالم عن طريق الفيض الإلهي (وفكرة الفيض تفترض وجود وحدة تنظيم كل المخلوقات بل وتنظيم الإنسان والخالق حتى يصبح الإله ومخلوقاته نفس الشيء). وقد خلق الله العالم عن طريق السحابة فترك فراغا، ثم خاض بالمراحل العشر (السفروت) وكان الكون كلا متكاملا ولكن الضوء الإلهي كان قويا لدرجة قوية حتى أن كل الأوعية والسفروت أو (المراحل) تحطمت مما أدى إلى تبعثر النور الإلهي والشرارات الإلهية في كل مكان وفي كل زمان وفي كل شيء (بما في ذلك الأشياء الشريرة) وأن يعود التكامل ولن تجمع الشرارات الإلهية المتناثرة المتبعثرة إلا بعودة الماشيح[1].

أما مسار التاريخ فيتجه كله نحو إعادة الشرارات إلى مكانها الأصلي[2] أما التاريخ في مفهوم الزوهار فيدور كله حول اليهودية فهو الذي يضيف الكمال إلى الكون بفعل طيبته، فهو إذن يساهم في استعادة الشرارات، ويزداد هذا الكمال بازدياد الحال اليهودية (الطيبة) حتى تصل إلى الكمال المطلق أو نهاية التاريخ وذلك حين تتطهر الشرارات ويختفي الشر عن الناس.

وقسم الزوهار المراحل العشرة إلى ما يلي:

١- التاج الأعلى.

٢- الحكمة.

٣- الذكاء.

٤- الحب.

٥- القوة أو العدالة الصارمة.

٦- الرحمة.

---

(١) الموسوعة الفلسطينية، ص٩٣.

(٢) اليهودية والصهيونية وإسرائيل، ص٣٣.

٧- الانتصار.

٨- الجلالة.

٩- الأساس.

١٠- الملكوت أو الوعاء الذي يفيض فيه الله من خلاله للعالم ويدعى أيضاً (الوجود الإلهي)[١].

فالوحدة بين الخالق ومخلوقاته هي وحدة متكاملة. والمراحل العشرة هي في الواقع شيء واحد متصل، ويعتبر القباليون أن الزوهار (كتاباً مقدساً) بل يدعون بأنه مرسل وكل من يشكك فيه كمن يشكك في وجود الله[٢].

(١) اليهودية والصهيونية وإسرائيل، ص٣٤.

(٢) المصدر السابق، ص٣٦.

المعتقدات اليهودية

١- الألوهية عند اليهود:

يظهر من التأمل في أقدم سفرين من أسفار التوراة وهما سفرا التكوين والخروج. إن فكرة الألوهية ظلت مضطربة في عقولهم إلى نهاية المرحلة التي تم فيها تدوين السفرين (أي إلى ما بعد موسى عليه السلام بأربعة قرون). فصوروا الله في صورة مجسمة ووصفوه بكثير من الصفات التي لا تليق به كالنقص والضعف والكذب والغفلة والجهل، فمن ذلك ما يرويه سفر التكوين بأن الله حين نهى آدم وحواء عن الأكل من شجرة المعرفة، أراد أن يمنعها من مشاركته أهم صفة من صفاته وهي المعرفة وإبقاءهما جاهلين فلما أغرى الشيطان حواء بالأكل من هذه الشجرة وأنساق معها زوجها أدركا ما كانا يجهلانه من قبل. فعرفا أنهما مكشوفا السوءتين وإنه لا يليق أن يقابلا ربهما على هذه الصورة. ولما قدم الإله نحوهما مخترقاً طرق الجنة وسمعا صوته وحركته في أثناء سيره اختبأ حتى لا يراهما عريانين وأخذا يخصفان على عوريتهما من ورق الجنة فناداهما ربهما وأخذ يستجوبهما، واستنتج من فعلتهما ومن استجوابهما أنه لا بد أن يكونا قد أكلا من شجرة المعرفة. وأن ذلك قد جعلهما يعرفان حقيقة أمرهما وأن الإنسان قد أصبح بذلك "أحد الآلهة" لتمييزه بين الحسن والقبح. وأنه قد أصبح لزاماً أن يطرد الإنسان من الجنة حتى لا تمتد يده إلى شجرة أخرى هي "شجرة الخلد" فيكفل لنفسه أرقى صفات الإله وهو البقاء[١]. ومن ذلك أيضاً ما يذكره سفر التكوين من أن لله تعالى أولاداً من الذكور وأن هؤلاء الذكور قد فتنهم جمال بنات الآدميين اللائي كان عددهن قد كثر في الأرض فاتخذوهن خليلات وولد لهم منهن

(١) الإصحاح الثالث من سفر التكوين.

نسل امتاز ببسطة كبيرة في الجسم وهم الجبابرة الذين سكنوا الأرض قبل الطوفان(١).

ومن ذلك ما يذكره سفر التكوين عن يعقوب عليه السلام وعن لقائه بالخالق ذات ليلة ومصارعته إياه حتى بزوغ الفجر وبسبب انتصار يعقوب عليه السلام عليه باركه الله وسماه منذ ذلك اليوم (إسرائيل) لأنه كان قويا على الله(٢).

ويستدل من أقدم أسفارهم كذلك على أنهم كانوا يعتقدون بتعدد الآلهة فكانوا يرون أن ثمة إلها خاصا بشعب إسرائيل يختلف عن آلهة الشعوب الأخرى(٣) وأنهم هم أولاده وأحباؤه. إلا أنه يتصف بصفات البشر فيجادل ويأمر وينهي ويتدخل في شؤون الأمة التافهة منها والهامة ويندم ويتذكر ويخاصم ويقهر ويعقد العقود والمواثيق ويشتد غضبه ويتشفى ويحقد ويفتقد ذنوب الآباء في الأبناء وفي أبناء الأبناء حتى الجيل الثالث والرابع من مبغضيه ثم يعفو ويصفح وقد يراه الناس بعيونهم ويعتريه الوهن والكسل والوسن والخمول الخ(٤).

وقد تطورت صفات الإله على يد الأنبياء المتعاقبين، فقد جاء في كتاب النبي أشعيا (أنا الأول وأنا الآخر ولا إله غيري، أنا الرب صانع كل شيء ناشر السموات باسط الأرض لا إله سواي مصدر النور خالق الظلمة صانع السلام خالق البشر أنا الرب صانع كل هذه أنا صنعت الأرض وخلقت الإنسان عليها، يداي أنا نشرت السموات).

وتطورت معاني الألوهية على يد النبي ارمياء الذي قال على لسان الرب (إذا اختبأ إنسان في أماكن مستقرة أما أراه يقول الرب أما املأ السماوات والأرض يقول الرب)(٥). وتطورت على يد النبي أيوب أكثر فقال (أنا الذي بيده أنفس كل حي

---

(١) الإصحاح السادس من سفر التكوين فقرات ١-٥.

(٢) الإصحاح الثامن عشر من سفر التكوين.

(٣) د. علي عبد الواحد وافي الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، ص٣٥.

(٤) فاروق الدملوجي، تاريخ الإله، الكتاب الثالث، في الديانة العبرية، ص٨٩.

(٥) المصدر السابق، ص٩١-٩٢.

وروح كل البشر١١/١٢) وقال النبي حزقيال (النفس التي تخطئ هي تموت، الابن لا يحمل من إثم الأب والأب لا يحمل من إثم الابن بر البار عليه يكون وشر الشرير عليه يكون ١٩/١٨) وأخيراً جاء في سفر ملاخي (أليس أب واحد لكلنا، أليس الله واحد خلقنا ١٠/٢ ملاخي).

وقد تطور معنى الألوهية عند اليهود في عقليات مفكريهم وفلاسفتهم، فجاء في كتاب (دلالة الحائرين) الذي ألفه الفيلسوف موسى بن ميمون ذاكراً أركان الدين اليهودي والتي هي:

١- أنا أؤمن إيماناً تاماً أن الخالق تبارك اسمه: موجود وخالق ومدبر كافة المخلوقات وهو وحده صنع ويصنع كل الأعمال.

٢- أنا أؤمن إيماناً تاماً أن الخالق تبارك اسمه، وحيد ليس لوحدانيته مثيل على أي وجه كان.

٣- أنا أؤمن إيماناً تاماً أن الخالق تبارك اسمه، ليس جسداً، وهو منزه عن أعراض الجسد وليس له شكل مطلقاً.

٤- أنا أؤمن إيماناً تاماً أن به وحده تليق الصلاة والعبادة ولا تليق بغيره.

٥- أنا أؤمن إيماناً تاماً أن الخالق تبارك اسمه، هو الأول والآخر.

٦- أنا أؤمن إيماناً تاماً أن كلام الأنبياء حق (أنبياء بني إسرائيل).

٧- أنا أؤمن إيماناً تاماً أن نبوة سيدنا موسى عليه السلام حقيقة وأنه كان أباً للأنبياء الذين كانوا قبله والذين بعده.

٨- أنا أؤمن إيماناً تاماً أن الشريعة الموجودة الآن بأيدينا هي المعطاة لسيدنا موسى عليه السلام.

٩- أنا أؤمن إيماناً تاماً أن هذه الشريعة لا تتغير.

١٠- أنا أؤمن إيماناً تاماً أنه هو عالم بكل أعمال بني البشر وأفكارهم.

١١- أنا أؤمن إيماناً تاماً أنه يكافئ الذين يحفظون وصاياه ويعاقب الذين يخالفونها.

١٢- أنا أؤمن إيمانا تاما بمجيء المسيح (المنتظر) ولو تأخر، إني انتظر مجيئه.

١٣- أنا أؤمن إيمانا تاما أنه ستكون قيامة الأموات[١].

٢- النبوة عند اليهود:

يتبين من التوراة أن أكثر الرسل قد اختيروا من بني إسرائيل، وبنوا إسرائيل أمة صغيرة ضعيفة لم تكن لها منزلة كبرى بين الأمم.. وكان عدد أنبياء اليهود كبيرا، وكان معظمهم رجالا مصلحين أو نساء الملقن على أنفسهن صفة النبوة وذلك كوسيلة من الوسائل التي يلجأ إليها السياسيون لتخليص الدولة والشعب من الفوضى والتبلبل والتردي والانحلال السياسي والأخلاقي وقد زاد عدد الأنبياء عند انقسام الموسويين إلى دولتين يهوذا وإسرائيل فكان وجودهم قد ساعد في تثبيت الأمل وتقوية روح المقاومة ورفع النزاع بين الدولتين ورفع شأن أمتهم الضعيفة المتخاذلة[٢] أمام الدول الكبرى في بابل وصيدا ومصر.

ويؤكد المرحوم العقاد أن اليهود تعلموا معنى النبوة من العرب فهم كانوا يستخدمون لفظ الآباء Patriarchs عليهم، و لم يفهموا من كلمة النبوة في مبدأ الأمر إلا معنى الإنذار، فكانوا يسمون النبي بالرائي أ الناظر أو رجل الله وقد سمي إبراهيم عليه السلام رئيس الآباء. ويعتقد كثير من علماء الأديان الغربيين أن الموسويين قد اقتبسوا كلمة النبوة من العرب[٣]. وعندما أطلق اليهود لفظ نبي على عاموس قال لهم "لست أنا نبيا ولا أنا ابن نبي، بل أنا راع وجاني جميز فأخذني الرب من وراء الضأن وقال

---

(١) موسى بن ميمون، من كبار مفكري اليهود وأحد أحفاد الحاخام المقدس يهوذا هناسي الذي كتب المشناة، ولد في مدينة قرطبة بالأندلس في عام ١١٣٥م، هرب أيام الموحدين إلى مصر وتعلم فيها الكلدانية واليونانية ودرس في الفسطاط اليهودية والفلسفة كنيته (أبي عمران)، وقيل بأنه اعتنق الإسلام في نهاية حياته، يقدسه اليهود كتقديسهم للنبي موسى عليه السلام ومن كتبه الهامة دلالة الحائرين المترجم إلى معظم لغات العالم و(يد حزاقة) وتوفى عام ١٢٠٤م، راجع التلمود تاريخه وتعاليمه، ص٩٦-٩٧.

(٢) فاروق الدملوجي، المصدر السابق، ص١٤٧.

(٣) د. أحمد سوية، مفصل العرب واليهود في التاريخ، ص٤٩٤.

الرب اذهب تنبأ لشعبي إسرائيل"[1].

٣- المسيح المنتظر:-

يؤخذ من مجمل تفسيرات التلمود التي تعود لنصوص التوراة أن المسيح المنتظر هو إما من نسل داود وإما من نسل يوسف عليه السلام ويعتبر اليهود أن مجيئه تحديدا للعالم فلا بد أن يسبق مجيئه عودة للفوضى وسيعم السلام ويختفي البكاء والأنين من العالم عند مجيئه ويرى البعض أن فكرة المسيح المنتظر برزت في الفكر اليهودي في وقت متأخر و لم تظهر إلا بعد سقوط دولة يهوذا وترحيل اليهود إلى بابل[2]. جاء في التوراة "يولد لنا ولد ونعطى ابنا وتكون الرياسة على كتفه ويدعى اسمه عجيبا ويكون إلها قديرا وأبا أبديا رئيس السلام، لنمو رياسته يجلس على كرسي داود وعلى مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن وإلى الأبد، غيرة رب الجنود تفعل هذا"[3].

وقد رسم اليهود الصورة التي تخيلوها للمسيح المنتظر فذكروا أن الناس في ظله لن يعيشوا وحدهم في العالم الجديد في سلام وسعادة فحسب بل يشاركهم في ذلك كل أنواع الحيوانات... ويكون في ذلك اليوم أن السيد يمد يده ليقتني بقية شعبه التي بقيت من آشور ومن مصر ومن ... ويرفع راية للأمم ويجمع منفيي إسرائيل ويضم مشتتي يهوذا من أربعة أطراف الأرض"[4].

وقد رفض اليهود الاعتراف بعيسى بن مريم عليه السلام مسيحا، بل وحاربوه وأتباعه، فكلمة المسيح لا تعني عندهم ما تعني عند المسيحيين من أنه (ملكوت الله وابن الله وأحد الأقانيم الثلاثة المتجسد لحمل خطيئة البشر) بل هو القائد الذي يخلصهم من الذل ويعيد إليهم كرسي داود وسليمان وملكهم ومجدهم الغابر، فكانوا

---

(١) عاموس (٧/ ١٤-١٥).

(٢) د. أحمد سوسة: المصدر السابق، ص٣٧٥.

(٣) أشعيا (٩/٦-٧).

(٤) د. أحمد شلبي، مقارنة الأديان اليهودية، ص٢١٩، ٢١٢-٢١٣.

ولم يزالوا ينتظرون مثل هذا المسيح المخلص الزمني[1].

---

(١) فاروق الدملوجي تاريخ الآلهة، اليهودية ص١٨٠، وقد أوردت التوراة البشارة بالرسول الكريم محمد ﷺ في مواضع كثيرة والتي نص عليها القرآن الكريم ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ﴾ [الأعراف١٥٧].

بشارة التوراة (البشارة الأولى): جاء في سفر التثنية ١٥/١٨ (يقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من أخوتك مثلي له تسمعون.. أقيم لهم نبيا من وسط أخوتك مثلك، وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به) هذه البشارة صريحة جدا في محمد ﷺ، لأنه لم يقم نبي مثل موسى ومن وسط اليهود، ومن أخوتهم (بني إسماعيل)* [لأن العم كالأب تماما فأبناؤه يسمون بلا شك أخو لهم، ومن ذلك أبناء عمهم (عيسو) أخوة لهم كما في (تث/٢/٤،٨) ولو كان المراد بهذه البشارة المسيح عليه السلام لقال: أقيمه منكم أو م نسلكم أو من بينكم لام أخوتكم)] وكان أميا يوحى إليه القرآن فيحفظه ويبلغه للناس مصداقا لقوله (أجعل كلامي في فمه).

البشارة الثانية: جاء في سفر حجي/٢/٦ (لأنه هكذا قال رب الجنود، هي مرة بعد قليل فازلزل السموات والارض والبحر واليابسة وازلزل كل الأمم، ويأتي (مشتهى) كل الأمم فأملأ هذا البيت مجدا قال رب الجنود.. مجد هذا البيت الأخير يكون اعظم من مجد الأول، قال رب الجنود وفي هذا المكان أعطي السلام يقول رب الجنود).

وإن كلمة (مشتهى) هنا بالعبرية (حمدوت) أي محمود كل الأمم وهذا صريح في محمد ﷺ ولا ينطبق على أحد سواه.

وفي النسخ العبرية الحالية المشكولة تجد الترجمة الحرفية لهذا النص هكذا: (وأحمد كل الأمم يأتون) بالجمع، ثم وقع التحريف للعهد القديم من قبل لجنة من اليهود في طبرية حين جمعت النسخة العبرانية للعهد القديم من القرن السادس إلى الثاني عشر للميلاد، فحرفوا هذا النص حين ظهر محمد ﷺ لكيلا ينطبق عليه.

وفي قوله: أعطي السلام، إشارة لتحية المسلمين. وفي قوله: يكون مجد هذا البيت في القدس أعظم من مجد الأول، فتشير بقية الهامش(٤) إلى تعظيم المسلمين له بعد أن تسلمه المسلمون زمن عمر رضي الله عنه وأعادوا إليه مجدا أعظم من مجده الأول، حتى صار يعظمه اليهود والنصارى والمسلمون الذين عاشوا حوله في أمن وسلام في حمى الإسلام. ويفدون عليه من كل الجهات مع اختلاف أديانهم لزيارته وتكريمه، فعمر على يد المسلمين بعد أن رعوه جزءا من دولتهم، أما زمن السيد المسيح عليه السلام فلم يزدد قدرة بل انحط بعده حتى خرب ودمر حجرا على حجر، ولما جاء النصارى زادوا في إهانته وإلقاء القاذورات فيه عنادا لليهود حتى طهره المسلمون، وكانت المجازر الرهيبة والإبادة الجماعية لكل من اليهود والنصارى فيه حتى حرره المسلمون فصار كعبة للناس مسلمين ومسيحيين ويهود للعالم أجمع وحل فيه السلام والأمن، فهل كان للبيت مجد أعظم مما بوأه الإسلام. وأما قول حجي (ازلزل السماوات والأرض والبحر واليابسة وازلزل كل الأمم) إشارة إلى حروب المسلمين وانتصاراتهم السريعة الباهرة وإنقاذ اليهود والنصارى من ظلم بعضهم البعض فيه وفي أورشليم وتأمين الحياة بسلام للناس أجمعين.

أما المسيح فلم يزلزل السماوات والأرض والبحار والأمم: بل أهين وصلب وقتل -على زعمهم- ولم يعط السلام في البيت إذ بشر اليهود بخراب البيت وهدمه حجرا على حجر وإهراق الدماء (متى ٢٤/٢). انظر: دين الله في كتب أنبيائه ص١٢٠-١٢٢).

٤- البعث والقيامة في التوراة وفي المعتقدات اليهودية:

لم تذكر التوراة نصا يدل على فكرة البعث والنشور في حياة أخرى أو لدار العقاب ودار الثواب في العالم الآخر، فالثواب والعقاب زمني في الدار الدنيا جاءت بعض نصوص في التوراة تدل على ذلك منها مثلا:

أ- "وفي الظلام يذهب واسمه يغطي بالظلام"[(١)].

ب- "أليس إلى موضع واحد يذهب الجميع"[(٢)].

استخدم التوراة لفظ (سلاه) بمعنى (الهاوية) فجاء منها "الذي ينزل إلى الهاوية لا يصعد" (أي: ٧/٩) وجاء فيها (سلاه أبعدت عني معارفي جعلتني رجسا لهم، أغلق علي فما أخرج (مز ٨٨: ٨).

= **الشارة الثالثة:** جاء في سفر حبقوق ٣/٣ (الله جاء من تيمان والقدوس من حيل فاران سلاه، جلاله غطى السموات والأرض، امتلأت من تسبيحه، وكان لمعان كالنور.. قدامه ذهب الوباء، وعند رجليه خرجت الحمى، وقف وقاس الأرض، نظر فرجف الأمم ودكت الجبال الدهرية وخسفت أكام القدم، مسالك الأزل له ، رأيت خيام كوشان تحت بلية رجفت شقق أرض مديان).

فتيمان هي بلاد العرب ومعنى كلمة تيمان-الصحراء الجنوبية، لأنها جنوب بلاد الشام، ولا يزال إلى الآن على طريق القوافل بين دمشق ومكة قرية تسمى (تيماء)، وتيماء أيضا اسم قبيلة إسماعيلية تسلسلت من تيماء وكانت تقطن بلاد العرب (تكوين ٢٥/١٥ أو ١/٣٠) كما في قاموس الكتاب المقدس العربي.

أما جبل فاران فهو في البرية التي سكنها إسماعيل أبو العرب.

وكان حبوقوق أشار بعبارته هذه إلى مسكن رسول الله ﷺ وهو بلاد العرب أو (التيمان)، وإلى مسكن أصله أو جده إسماعيل وهو برية فاران، وهي في شمال برية سيناء.

أما كوشان فهو ملك كوش وهي بلاد السودان والحبشة. ومديان هي الأرض التي تمتد من شبه جزيرة سيناء إلى الفرات، والمعنى إن سكان هذه الجهات المشهورين بالقوة والشجاعة ترتجف أمام النبي وتخضع له، ولفظ كوش أيضا تطلق أحيانا على جميع أفريقية الواقعة جنوبي مصر، وقد انتشر الإسلام فيها وفي شمال وأواسط وغرب وشرق أفريقيا وبسرعة عجيبة. فهذه البشارة لا تنطبق إلا على محمد ﷺ فهو الذي ملأ الأرض بحمد الله وتسبيحه والصلوات له كثيرا، ودانت له ملوك أفريقية وغيرها وخرج من بلاد العرب، وكان من نسل إسماعيل.

وقوله (قدامة ذهب الوباء، وعند رجليه قد خرجت الحمى) لعل فيه إشارة إلى الطاعون الذي ظهر في بلاد الشام زمن عمر رضي الله عنه، وكان النبي ﷺ أخبر أصحابه به. كما رواه الإمام أحمد عن معاذ بن جبل.

انظر: دين الله في كتب أنبيائه، للدكتور محمد توفيق صدقي ص١٢٢-١٢٤.

(١) جا (٦/٤).

(٢) جا (٦/٦).

وظهرت جماعة من اليهود كانت تنكر البعث والنشور والقيامة وهم الصدوقيون إلا أن فكرة العقاب عند اليهود وخاصة الفريسيين نشأت في وقت لاحق فقال بعضهم بوجود سبع دور متناوبة الدرجات ورأى بعضهم إن للعقاب دارين دارا عليا وأخرى سفلى واحدة لعقاب الجسد في هذه الحياة وأخرى لعقاب النفس في الآخرة، وهذه سبع دركات متفاوتة حسب تفاوت الذنوب، ومنهم من قال أن الناس يقسمون بعد الموت ثلاث فرق، فرقة صالحة حسناتها تربو على سيئاتها تتمتع بالسعادة الأبدية حالا وفرقة طالحة تزيد سيئاتها على حسناتها تعذب عذابا أبديا، وفرقة ثالثة بين بين، تعذب في جهنم مدة حتى تطهر من ذنوبها فتصعد إلى السماء[1].

٥- الشعب المختار وأرض الميعاد:

يعتقد اليهود أنهم شعب الله المختار الذي اصطفاه الخالق لنفسه وفضله على العالمين جميعا، ولئن غضب الله عليه مدى من الزمن، فإنه لا ينساه[2] وجاءت أسطورة الشعب المختار من نصوص التوراة التي تحدثت عن العهد الذي قطعه الله مع إبراهيم عليه السلام والذي كان يتضمن الاعتقاد بإله واحد قدير اختار بني إسرائيل من بين الأمم لحمل رسالته ووعده أرض كنعان لنسله تقول التوراة "وقال له أنا الرب الذي أخرجك من أور الكلدانيين ليعطيك هذه الأرض وترثها"[3] وقال له "أنا الله القدير، سر أمامي وكن كاملا فاجعل عهدي بيني وبينك وأكثرك كثيرا جدا"[4].

والبشر بعقيدة اليهود بهائم (اليهود بشر، لهم إنسانية، أما الشعوب والأمم الأخرى، فهي عبارة عن حيوانات)[5].

---

(١) د. أحمد سوسة، المصدر السابق، ص٤٢٥.

(٢) فاروق الدملوجي، تاريخ الآلهة، اليهودية، ص١٦٩.

(٣) تكوين ١٥-٨.

(٤) تكوين ١٧/٨، انظر: بين التوراة والقرآن خلاف، ص١٩-٢٠.

(٥) كتاب (اليهود ص١٦٧، نقلا عن كتابي التلمود والكابالا المقدسين لدى اليهود).

(إن المرأة اليهودية التي تخرج من الحمام، عليها أن تستحم ثانية إذا وقع نظرها الأول على نجس كالكلب والحمار والمجنون وغير اليهودي والجمل والخنزير والحصان والأبرص)[1] وانظر إلى هذه النصوص:

(إذا جرؤ غير اليهودي على أن يضرب اليهودي فإنه يستحق الموت)[2].

والتوراة كتابهم المقدس يعلن مقاطعة الضيف وعدم الكلام معه إن كان غير يهودي (إذا أنزل عند غريب في أرضكم فلا تكلموه). (لاويين ١٩/٣٢). (يجوز لكم-اليهود) أن تتظاهروا بصفاء النية وحسن الجوار، ويجوز لكم أيضا أن تدينوا بدينهم في الظاهر حتى يستنيموا إليكم فإذا تثقلوا في النوم تجعلون المباتر في أيديهم وتقوموا إليهم، وتضربون الأوتاد في أصداغهم حتى تنفذ إلى الأرض) "قضاة/ ٤/ ١٨-٢١" وهدم معابدهم (فيعتبر عملا طيبا إذا أحرق كل يهودي معبدا للأغيار أو دمره أو أزال أي شيء يخص هذه المعابد، ثم يذري في الجهات الأربع أو في الماء ما أحرق...).

فليس عجيبا إحراقهم المسجد الأقصى عام ١٩٦٩ ومحاولتهم إحراقه ثانية في ١٩٧١ من قبل يهودي أمريكي وحيل دون انتشار الحريق واستباحة أعراض (الأغيار، الكوييم) فيعلق التلمود على نص التوراة:

لا تشته امرأة قريبك، ومن يرتكب الفحشاء مع امرأة قريبة يستحق الموت) بما نصه (لم يحرم على اليهودي ارتكاب الفحشاء إلا مع امرأة قريبة اليهودي فقط. أما نساء الأجانب فمباحة له[3]. وتوراتهم تبيح لهم التآمر على سيادة الدول وثرواتهم (أما أنتم فتدعون كهنة الرب، تسمون خدام الهنا، تأكلون ثروة الأمم وعلى مجدهم

---

(١) فضح التلمود/١٧٢ (عن نص التلمود).

(٢) كتاب اليهود، ص١٣٨.

(٣) اليهودية ص١٦٩، عن نصوص التلمود، زوهار، ١١/٦٤ ب.

تتآمرون)[1]. بل إن قتل الأغيار عقيدة مقدسة[2] (من يسفك دم الكفار بيده يقــــدم قربانا مرضيا لله)[3] بل إن الذبائح البشرية لتعجن دماؤهم بخبز الفطير ليأكله اليــهود في (عيد الفطائر الممزوجة بالدماء البشرية) و (مراسيم ختان أطفالهم) وكـــذا في عيــد (البوريم) وعيد (الفصح).

(١) التوراة، أشعيا، ٦١/٤-٧.

(٢) اليهود، ص١٧٠.

(٣) المصدر السابق.

الأعياد اليهودية

لليهود أعيادهم الدينية كبقية أصحاب الشرائع، إلا أن كثيرا من أعيادهم قد كان لها أساس في الديانات الوثنية الكنعانية والفينيقية، تلك الأديان التي أثرت كثيرا في جوهر الديانة اليهودية، وقد أثبتت الحقائق التاريخية أن كثيرا مما ورد في التوراة من شرائع وتقاليد وطقوس دينية مقتبس من الشرائع الكنعانية والبابلية وإن التحقيقات الآثارية قد أكدت ذلك التأثير المتبادل بين الكنعانية واليهودية ودخلت كتب اليهود المقدسة كثير من نصوص الشرائع الكنعانية وثبتوا في توراتهم الطقوس والشعائر وأخذوا يمارسونها فعلا قبل الترحيل البابلي.

فالأسفار الشعرية كالمزامير والأمثال مقتبسة من الكنعانيين وكانت تتلى في عهد الملوك باللغة الكنعانية، ثم ترجمت إلى العبرية، وأدخلت في التوراة عند تدوينها. ومن المسلم به أن جميع الأعياد اليهودية ما عدا عيد الفصح كانت من الطقوس الدينية في كنعان.

ولليهود أعياد كثيرة منها ماله خلفية تاريخية ومنها ما يمثل العقيدة الدينية وقد وردت أكثر هذه الأعياد في الإصحاح الثالث والعشرين من سفر اللاويين وسنتناول بعضها بشيء من الإيجاز:

١- السبت (شبات)[١]:

وهو من الأيام المقدسة عند اليهود ويجب مراعاة حرمة هذا اليوم، إذ لم يكن عند اليهود خطيئة أعظم من عدم حفظ يوم السبق إلا عبادة الأوثان، فعلى اليهود أن

---

(١) مقارنة الأديان اليهودية، ص٣١٢.

يصوموا عن الكلام في ليلة السبت ولا يوقدوا النار في منازلهم وأن يمضوا نهار السبت عاطلين عن العمل كليا منقطعين إلى الصلاة.

و(شبات) في العبرانية بمعنى الراحة، لأنه اليوم الذي استراح فيه الرب -في عقيدتهم- وقد جاءت تسمية هذا اليوم والعادة المتبعة فيه من البابليين، إذ كانوا يطلقون على أيام الصوم وأيام الدعاء (شبتو)، وجاء في التوراة في تقديس السبت (أذكر يوم السبت لتقدسه، ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلهك، لا تصنع عملا ما أنت وابنك وعبدك وأمتك وبهيمتك ونزيلك الذي داخل أبوابك، الآن في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها واستراح في اليوم السابع لذلك بارك الرب يوم السبت وقدسه (خروج ٢١/٨-١٢).

٢- عيد رأس السنة(١):

أو عيد رأس هيشا، أي عيد رأس الشهر، وهو اليوم الأول من تشرين الأول، وهو اليوم الذي أمر الله تعالى إبراهيم الخليل أن يذبح ولده، (وعندهم أن الذبيح هو إسحاق عليه السلام)، ومظاهر الاحتفال بهذا العيد أن اليهود ينفخون في قرن حمل أحياء لذكرى نزول التوراة ودعوة الناس إلى التوبة من الذنوب.

كذلك يعتبر اليهود مساء رأس السنة إلى اليوم العاشر من تشرين الأول أيام توبة وتكفير، وهم يصومون ويصلون في جميع تلك الأيام عدا اليوم التاسع منه وإذا جاء اليوم العاشر (يوم الغفران) المسمى (يوم هاكيريم) يمتنعون عن الأكل أو الشرب أو القيام بأي عمل من مطلع الشمس إلى مغيبها ويتجهون فيه إلى معابدهم للصلاة استغفاراً للذنوب، وفي هذا اليوم يعود اليهودي طاهراً تغفر له سيئاته وذنوبه.

---

(١) موجز تاريخ الديانتين اليهودية والمسيحية، ص٤٠.

٣- عيد المظال (العرازيل)(١):

وهو ثمانية أيام من الخامس عشر من تشرين الأول وحتى الثاني والعشرين منه وهو يوم حج لهم يجلسون خلاله تحت ظلال سعف النخيل وأغصان الزيتون ويسميه يهود العراق (عيد العرازيل) وهي الخيام المصنوعة من سعف النخيل أو القصب تخليدا لاضلال الله لأجدادهم في أيام التيه عند خروجهم مع موسى في سيناء.

٤- عيد صوماريا (الصوم العظيم)(٢):

ويسمى (الكيبور) ومدة الصوم فيه خمسة وعشرين ساعة تبدأ قبل غروب الشمس في التاسع من شهر تشرين وينتهي ساعة بعد غروب اليوم العاشر، ويسمونه أيضا (العاشور) ولا يفطر اليهودي إلا عند رؤيته لثلاثة كوكب معينة، ولا يجوز أن يقع هذا اليوم خلال يوم الأحد أو الثلاثاء أو الجمعة، وفي هذا العيد يغفر الله جميع ذنوبهم عدا الزنا بالمحصنة وظلم الرجل لأخيه وجحوده لربوبية يهوة.

أما الذنوب التي تغفر فهي اضطهاد الجار، اقتراف الخطأ في سفاح القربى، الفسق والفجور، الاجتماع لاقتراف الزنى الجماعي، شهادة الزور ، العنف، الربا، الابتزاز، الاغتصاب، الغطرسة، التكبر، الوقاحة، المشاكسة، خيانة الجار، الجحود والكذب، منح الرشاوي، الافتراء، القسم بأيمان كاذبة، الاختلاس والسرقة(٣).

٥- عيد الفصح اليهودي (السدر)(٤):

ويسمى (عيد الفطير)، يقع في الرابع عشر من نيسان وعدته ثمانية أيام، يأكل

---

(١) مقارنة الأديان، اليهودية، ص٣١٣.

(٢) موجز تاريخ الديانتين اليهودية والمسيحية، ص٤٠.

(٣) راجع كتاب التلمود لظفرالله خان إذ أفاض في تفصيل ذلك.

(٤) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ص٣٠، وانظر مقارنة الأديان، اليهودية، ص٣١١.

اليهود فيه الفطير، ولا يستبقون خبز الخمير في بيوقم: ويعتقدون أن الله خلص فيها الموسويين من يد فرعون وأغرقه في هذه الأيام، وكانوا يأكلون اللحم والخبز الفطير ويسرعون في أكلهم الخبز الفطير وأوساطهم مشدودة وينتعلون أحذيتهم ويمسكون عصيهم في أيديهم، ولا يخرجون في النهار تشبها بقوم موسى ثم يحرقون ما فضل من عشائهم.

ويسمى هذا العيد في التلمود (عيد البكور) لأن يهوة كان يقضي على بكور المصريين ويرش الدماء على بيوت اليهود، ويعتبر اليوم الأول من هذا العيد أهم الأيام إذ يرأس كل أب أداء الصلاة لأسرته المجتمع عنده ويؤدي مراسيم تذكرهم بأيام موسى عليه السلام العصيبة.

٦- عيد الأسابيع (العنصرة)(١):

ويسمى أيضا (عيد الخطاب) ويقع بعد سبعة أيام من عيد الفصح، وهو اليوم الذي تجلى الله لموسى على الجبل في سيناء ونزلت فيه الشريعة والوصايا العشرة.

وهناك أعياد أخرى لهم لم يرد ذكرها في التوراة منها:

٧- عيد الحنكة أو (التكريس)(٢):

ومدته ثمانية أيام من الخامس والعشرين من تشرين الأول وحتى الثاني من تشرين الثاني، وكان اليهود يوقدون في كل ليلة على أبواهم سراجا، حتى تصبح ثمانية سروج في الليلة الثامنة، ويسمونه (الحنكة) أي التنظيف لأنهم نظفوا الهيكل من أقذار احد الجبابرة الذين سيطروا على بيت المقدس وقتل الكثير من اليهود. واعتدى على

---

(١) موجز تاريخ الديانتين اليهودية والمسيحية، ص٤٢.

(٢) المصدر السابق.

أبكارهم، لذلك يسميه البعض عيد (التبريك) لأن فيه استتمام نزول التوراة، وسلمت إلى الحاخامات لتوضع في الهيكل بعد تنظيفه من الدنس.

٨- عيد الفوز[١]:

يقع في الرابع عشر من شهر آذار ويعتقدون بأن موسى قد ولد فيه وتوفي فيه، ومن مظاهر هذا العيد عندهم تبادل الزيارات واللهو والمجون.

٩- الحج إلى بيت المقدس[٢]:

وهو فرض على كل يهودي ذكر رشيد، إذ عليه أن يحج بيت المقدس مرتين في العام وأن يستقر بها أسبوعا كل مرة ابتداء من يوم الجمعة، وتقام خلاله احتفالات يحضرها الحجاج ويقودها الكهنة من اللاويين.

وقبلة السامريين جبل يقال له (عزيزيم) بين بيت المقدس ونابلس، وقالوا أن يهوة أمر داود أن يبني بيت المقدس بجبل نابلس وهو الطور الذي كلم الله موسى فيه فتحول داود إلى المقدس وبنى البيت فيه مخالفا أمر الرب، وهم يتوجهون إلى تلك القبلة مخالفين بذلك بقية اليهود.

ويتبين من خلال ما تقدم أن الأعياد المذكورة لم تكن من تعاليم النبي موسى عليه السلام بل أنها شرعت من قبل الحاخامات لأنها تمس حدثا معينا من أحداث العصور التي مر بها الموسويون واليهود.

---

(١) موجز تاريخ الديانتين اليهودية والمسيحية، ص٤٢.

(٢) مقارنة الأديان، اليهودية ، ص٣١٠.

الفرق اليهودية

واليهود كغيرهم من الأقوام لا بد وأن يتوزعوا شيعا وفرقا تختلف أحدها عن الأخرى قليلا أو كثيرا.. سواء بالعقيدة أم بالأساليب والممارسات، ولكن الغالب في الاختلافات تلك تدور حول الاعتراف بأسفار العهد القديم وأسفار التلمود.

وعرف عن اليهود -بضعة فرق مهمة هي: فرقة الفريسيين وفرقة الصدوقيين، وفرقة السامريين، وفرقة الحسيديين وفرقة القرائين وفرقة الإصلاحيين.

أولا:- فرقة الفريسيين(١):

يذكر المؤرخ اليهودي يوسفوس، إن هذه الفرقة قد تكونت في عهد يوناثان الذي كان صديقا حميما لداود عليه السلام، وتعتبر هذه الفرقة أهم فرقة يهودية وأكثرها عددا.. وأهم مميزات هذه الفرقة التي كانت تميل إلى السلم ومعاشرة الناس بالحسنى:

١- تعترف بجميع أسفار العهد القديم والتلمود، وأن الربانيين -وهم فقهاء هذه الفرقة- هم الذين جمعوا وألفوا أسفار التلمود.

٢- تؤمن بالبعث والحساب واليوم الآخر.

٣- تؤمن بالمسيح المنتظر وتزعم أنه سيأتي لينقذ الناس ويدخلهم في ديانة موسى.

٤- أما بالنسبة للألوهية فهم يقولون بأن الله واحد وهو رب العالم أجمع.

ثانياً:- فرقة الصدوقيين(٢):

الفرقة المهمة الثانية عند اليهود وتكاد تكون مغايرة للفرقة الأولى الفريسية في معتقداتها فهي:

---

(١) مفصل العرب واليهود في التاريخ ص٨٦٢.

(٢) مفصل العرب واليهود في التاريخ، ص٨٤٨.

١- لا تعترف إلا بالعهد القديم وترفض الاعتراف بالتلمود.

٢- إنها لا تؤمن بالبعث ولا باليوم الآخر، وتعتقد بأن العقوبات والمثوبات تحصل في الحياة الدنيا.

٣- وفي تصورهم للألوهية، فإنهم كانوا يقولون بأن لإسرائيل ربهم الخاص (يهوه) فهو الذي اختارهم، وهم شعبه، وكانوا يميلون إلى سياسة العنف مع الشعوب الأخرى.

ويذكر ابن حزم بأن مؤسس هذه الفرقة رجل كان يقال له صدوق[١].

ثالثاً:- فرقة السامريين[٢]:

وهي فرقة تؤمن بنبوة موسى ويوشع عليه السلام فقط ويبطلون كل نبوة أخرى، وهي فئة قليلة من اليهود.. لا تعترف من العهد القديم إلا بالأسفار الخمسة الأولى، أسفار موسى عليه السلام وينسبون إلى السامرة، وكانوا يسكنون شكيم (نابلس حالياً) وعندهم نسخة قديمة من الأسفار الخمسة ترجع إلى ما قبل عهد المسيح. ولا زالت بقية قليلة لهذه الفرقة في نابلس في الوقت الحاضر، أما بقية الفرق اليهودية فلا تعترف بالسامريين كفرقة يهودية.

رابعاً:- فرقة الحسيديين:

ظهرت هذه الفرقة حوالي القرن الثاني قبل الميلاد وتختلف عن بقية فرق اليهود اختلافاً كبيراً سواء في العقيدة أم العبادة أم النظم أم التقاليد. ومن أهم مميزات هذه الفرقة:

١- أنها تحرم الأضحية والقرابين على عكس بقية الفرق التي تجعل ذلك من المقدسات.

---

(١) ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج١، ص٨٢.

(٢) انظر: د. علي عبد الواحد وافي، ص٥٨، مفصل العرب واليهود في التاريخ، ص٢٦٥. وقد جرت محاولات كثيرة في الوقت الحاضر لإخراجهم من حضيرة اليهود وعدم الاعتراف بهم وبفرقتهم الدينية.

٢- تميل إلى السلم مع بقية الناس.

٣- تحرم هذه الفرقة الملكية الفردية وتدعو إلى جعل الملكيات جماعية.

٤- تحرم الاشتغال بالتجارة وصناعة الأسلحة والتعامل بالذهب والفضة.

٥- تميل إلى الزهد والتقشف والبعد عن متع الجسد لذلك كانت تدعو إلى التبتل والابتعاد عن الزواج قدر الإمكان(١) وبالنظر لما كانت عليه هذه الفرقة من خطر كبير على مستقبل الديانة اليهودية، فإن هذه الفرقة بقيت حبيسة القرن الذي ظهرت فيه وانقرضت في أواخر القرن الأول الميلادي(٢).

وتسمى هذه الفرقة الأسينيين أو المغتسلين(٣)

خامسا-: القراؤون:

تنسب فرقة القرائين إلى عنان ن داود(٤)، الذي أسسها في بابل في القرن الثامن للميلاد، ومن أهم معتقداتها:

١- عدم الاعتراف بالتلمود كمصدر من مصادر التشريع اليهودي.

٢- كانوا يخالفون الربانيين في جانب التشريع فقط وليس في الجانب العقائدي.

٣- التمسك بظواهر النصوص، وتحريمهم للتأويل.

٤- يتميزون بالتعنت والتصلب في طقوس العبادة.

٥- يميلون إلى الجبر في مسائل القضاء والقدر

---

(١) ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل ج١، ص٨٢.

(٢) د. علي عبد الواحد وافي، ص٥٨-٦١.

(٣) مفصل العرب واليهود في التاريخ، ص٨٠٢.

(٤) العرب واليهود في التاريخ، ص٨٦٥.

سادسا: -الإصلاحيون:

من الفرق الحديثة التي نشأت على يد موسى مندلسن في ألمانيا في القرن الثامن عشر. وكان يدعو إلى ترك المحرمات القديمة كتحريم الخنزير وتقديس السبت ويميل إلى التخفيف في الطقوس الدينية، ودعا إلى استخدام اللغات المحلية في الصلوات كبديل عن اللغة العبرية، وأنكر جمع من الإصلاحيين أية قيمة للتوراة والتلمود في مجال التشريع[1].

---

(١) موجز الديانتين اليهودية والمسيحية ص٢٧-٢٨.

الفصل الثاني

الديانة الصابئية

- توطئـــــــة.
- الصابئة في القرآن الكريم.
- آراء فقهاء الإسلام في الصابئة.
- الصابئة المندائيون.

توطئة:

لقد كتب الكثير من الباحثين عن الصابئة وعقائدهم.. وتتناقض أقوالهم بعض الشيء.. وذلك لتعذر ترجمة الأدبيات المندائية القديمة، وما ترجم منها لا يمثل إلا النزر اليسير، وقد اعتمدنا في بحثنا هذا على المصادر المتوفرة عن هذه الطائفة سواء المترجم منها عن اللغات الأجنبية أو المنشورة من قبل أبناء الطائفة، ويتوجب القول بأن ما يبذله شيخ الطائفة الحالي في بغداد من جهود اجتماعية تجعلنا نتأكد من كون الديانة الصابئية ديانة سماوية.. حيث بدأت الطائفة ولأول مرة التقرب من دوائر الإعلام وإصدار النشرات الأدبية عن طائفتهم والتي تبين إيمان الطائفة بالنبي يحيى عليه السلام وإن كانت عقائدهم ذات صلة بتأريخ أعمق.. وطالما ينسب أبناء الطائفة أنفسهم إلى يحيى عليه السلام كآخر الأنبياء لهم فقد وضعناها الديانة الثانية بعد اليهودية، وأن جميع شعائرهم التي بدأت (ولأول مرة) تعرض في التلفزيون أو في صحفهم الأدبية تعكس إيمان الطائفة بالتوحيد والتزامهم بالعبادات المثيلة في الأديان السماوية وإيمانهم الذي يشبه ما في عقائد أصحاب الديانات السماوية الأخرى.

إن ما بدئ بترجمته من كتابهم المقدس (كنزه ربه) –والذي سنأتي إلى ذكره–، يشبه معاني التوحيد التي يؤمن بها الآخرون، ولهذا أخذت الطائفة مكانها بين أصحاب الديانات الأخرى في العراق، وتمارس شعائرها الدينية بحرية اجتماعية تامة.

وسينصب بحثنا هنا على آراء المسلمين والغربيين العلمية والتي تعطي لطائفة الصابئة حقها أو تناقشه نقاشا علميا بحتا.. إذ أن إساءة الفهم للطائفة وعقائدها جعل الكثيرين ينسبون عقائدهم إلى (الغنوصية) أو الفئات المشركة. والتي لا نرى لها حقيقة في شعائر وعقائد الصابئة والتي بدأ الناس بالتعرف عليها حالياً كما سبق ذكره.

الصابئة في القرآن الكريم

اختلفت آراء المفسرين في تفسير كلمة "الصابئين" التي وردت في القرآن الكريم اختلافاً كبيراً. وقد أورد ابن كثير في تفسيره[1] جملة آراء من سيقه ومن عاصره من المفسرين وقد جاءت -باعتباره من المفسرين المتأخرين-[2] كثيرة ومختلفة نوجزها فيما يلي:

قال مجاهد: الصابئون قوم بين المجوس واليهود والنصارى ليس لهم دين.

وقال أبو العالية، والربيع بن أنس، والسدي، وجابر بن زيد، والضحاك، وإسحاق بن راهويه: الصابئون فرقة من أهل الكتاب يقرؤون الزبور[3] ولهذا قال أبو حنيفة وإسحاق لا بأس بذبائحهم ومناكحتهم.

وروى عن الحسن البصري أنه قال فيهم: أنهم كالمجوس وفي رواية أخرى عنه أنه قال: هم قوم يعبدون الملائكة.

وقال أبو جعفر الرازي: بلغني أن الصابئين قوم يعبدون الملائكة ويقرؤون الزبور ويصلون للقبلة.

وأخبر ابن أبي الزناد أن أباه قال فيهم: هم قوم مما يلي العراق وهم يؤمنون بالنبيين كلهم ويصومون من كل سنة ثلاثين يوماً ويصلون إلى اليمن كل يوم خمس صلوات.

---

(١) تفسير القرآن العظيم، انظر: ج١، ص١٠٤.

(٢) أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي المتوفي سنة ٧٧٤هـ.

(٣) المزامير: عدة أبواب من التوراة ينسب ٧٣ منها إلى داود عليه السلام ولذلك عرفت بمزامير داود وقد وردت في القرآن الكريم بلفظ الزبور والزبر قال تعالى: ﴿ وإنه لفي زبر الأولين﴾ (الشعراء،١٩٦)، ﴿وأتينا داود زبورا﴾ (النساء،١٦٣).

وسئل وهب بن منبه عن الصابئي فقال: الذي يعرف الله وحده وليست له شريعة يعمل بها و لم يحدث كفراً.

وقال عبد الرحمن بن زيد: الصابئون أهل دين من الأديان كانوا بجزيرة الموصل يقولون: لا إله إلا الله وليس لهم عمل ولا كتاب ولا نبي إلا قول لا إله إلا الله.

قال: و لم يؤمنوا برسول فمن أجل ذلك كان المشركون يقولون للنبي ﷺ وأصحابه: هؤلاء الصابئون يشبهوهم بهم يعني في قولهم: لا إله إلا الله.

وقال الخليل: هم قوم يشبه دينهم دين النصارى إلا أن قبلتهم نحو مهب الجنوب يزعمون أنهم على دين نوح عليه السلام.

وحكى القرطبي: أنهم قوم تركب دينهم بين اليهود والمجوس ولا تؤكل ذبائحهم ولا تنكح نساؤهم.

وقال أيضاً: والذي تحصل من مذهبهم فيما ذكره بعض العلماء: أنهم موحدون ويعتقدون تأثير النجوم وأنها فاعلة.

واختار الرازي أن الصابئين قوم يعبدون الكواكب بمعنى أن الله جعلها قبلة للعبادة والدعاء أو بمعنى أن الله فوض تدبير أمر هذا العالم إليها.

قال: وهذا القول هو المنسوب إلى الكشرانيين الذين جاءهم إبراهيم عليه السلام راداً عليهم ومبطلاً لتوهم.

وبعد أن أورد ابن كثير هذه الآراء وغيرها رجح رأي مجاهد ومتابعيه ورأى وهب بن منبه وهو: "أنهم قوم ليسوا على دين اليهود ولا النصارى ولا المجوس ولا المشركين، وإنما هم قوم باقون على فطرهم ولا دين مقرر لهم يتبعونه ويقتفونه.

قال: ولهذا كان المشركون ينبزون من أسلم بالصابئ أي أنه قد خرج عن سائر أديان أهل الأرض إذ ذاك.

وقال الطبرسي في تفسيره[1]:

"والصابئون جمع صابئ وهو من انتقل إلى دين آخر وكل خارج من دين كـــان عليه إلى آخر غيره سمي في اللغة صابئا.

قال أبو زيد: صبأ الرجل في دينه يصبأ صبؤا، إذا كان صابئا وصبأ ناب الصـــبي يصبأ صبئا إذا طلع، وصبأت عليهم تصبأ صبئا إذا طلعت عليهم.. فكان معنى الصـــابئ التارك دينه الذي شرع له إلى دين عيره كما أن الصابئ على القوم تـــارك لأرضـــه ومنتقل إلى سواها والدين الذي فارقوه هو تركهم التوحيـــد إلى عبـــادة النجـــوم أو تعظيمها.

قال قتادة: هم قوم معروفون ولهم مذهب يتفردون به ومن دينهم عبادة النجـــوم وهم يقرون بالصانع، وبالمعاد، وببعض الأنبياء.

ثم أورد آراء كل من مجاهد، والحسن والخليل وابن زيد، التي سبق ذكرها مـــن تفسير ابن كثير[2].

وقد تفرد سيد قطب في تفسيره[3] برأي مخالف لكل الآراء السابقة حيث قـــال: والصابئون: الأرجح أنهم تلك الطائفة من مشركي العرب قبل البعثة الذين ســـاورهم الشك فيما كان عليه قومهم من عبادة الأصنام فبحثوا لأنفسهم عن عقيدة يرتضونهـــا فاهتدوا إلى التوحيد وقالوا: أنهم يتعبدون على الحنيفية الأولى، ملة إبراهيم واعـــتزلوا عبادة قومهم دون أن تكون لهم دعوة فيهم، فقال عنهم المشركون: أنهم صبـــأوا- أي مالوا عن دين آبائهم -كما كانوا يقولون عن المسلمين بعد ذلك ومن ثم سموا الصابئـــة وهذا القول أرجح من القول بأنهم عبدة النجوم كما جاء في بعض التفاسير"، تلـــك

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، ج١، ص١٢٦.

(٢) انظر المصدر السابق وتفسير ابن كثير ، ج١، ص١٠٤.

(٣) في ظلال القرآن، ج١، ٩٤.

هي مجمل آراء المفسرين في التعريف بالصابئين وهي كما ترى متضاربة متناقضة لا يستطيع الباحث أن يخرج منها بفكره واضحة عن حقيقة دين الصابئين الذين عناهم القرآن الكريم ولكن الذي يتأمل النص القرآني نفسه مع غض النظر عن آراء المفسرين يستطيع أن يستلهم منه أن الصابئة أو فريقا منهم لم يكونوا مشركين.

تأمل في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [الحج:١٧] تجد أن النص قد فرق بينهم وبين المشركين وهذا واضح من عطف الذين أشركوا على ما قبله وفيهم الصابئون والعطف يقتضي المغايرة كما هو معروف في اللغة كما أهم ليسوا يهوداً ولا نصارى ولا مجوساً والعطف يقتضي المغايرة كما هو معروف في اللغة كما أهم ليسوا يهودا ولا نصارى ولا مجوسا للسبب نفسه وكذلك ليسوا هم تلك الطائفة من مشركي العرب التي ساورها الشك في عبادة الأصنام فبحثوا لأنفسهم عن عقيدة يرتضوها فاهتدوا إلى التوحيد لأن أول من سن للعرب عبادة الأصنام هو عمر بن لحي سنة ٤٠٠ قبل الإسلام ٢٠٠م[١].

والصابئية كدين كانت معروفة قبل الميلاد بزمن طويل[٢] نعم هناك فئة من مشركي العرب زهدوا في عبادة الأصنام فتهود بعض وتنصر بعض آخر وبحث بعض لأنفسهم عن عقيدة يرتضوها، فاهتدوا إلى التوحيد ملة إبراهيم ودعوة إسماعيل كورقة بن نوفل وزهير بن أبي سلمى، وعبد الله الفضاعي، فالتقوا مع الصابئة الحنفاء[٣].

وتأمل أيضا في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ

---

(١) انظر كتاب الأصنام لابن الكلبي ، ص٦،٨، تحقيق أحمد زكي والدين المقارن لأبي الفيض المنوفي، ص١٤٦.

(٢) سيأتي بيان ذلك عند الحديث عن أصل الصابئة.

(٣) الحنفاء جمع حنيف وهو المؤمن بإله واحد والحنيفية ملة إبراهيم عليه السلام ﴿ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [البقرة:١٣٥].

﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [البقرة:٦٢].

تجد أن الله قد طمأن من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً من الصابئين.

وهذا إشارة واضحة إلى أن الصابئة ليسوا كفرة وليسوا ملحدين وإنما هم مؤمنون بالله واليوم الآخر.

فمن هم الصابئة الموحدون الذين عناهم القرآن الكريم؟ وهل لهم وجود الآن؟ وما سبب الاختلاف الكبير في أقوال المفسرين؟ هذا ما سيتضح لنا من ثنايا البحث.

آراء فقهاء الإسلام في الصابئة

كما اختلف المفسرون في تفسير كلمة "الصابئين" وفي حقيقة دينهم كذلك اختلف الفقهاء في المركز التشريعي للصابئة نتيجة اختلافهم في حقيقة دينهم بعد أن فرق الإسلام في المعاملة بين الطوائف الدينية غير الإسلامية التي لها دين سماوي تدين به وكتاب منزل تعمل به كاليهود والنصارى، وبين الطوائف التي ليس لها دين ولا كتاب كعبدة الأوثان، والكواكب والدهرية[(١)].

فروى عن أبي حنيفة[(٢)] أنه عدهم من أهل الكتاب وقال أبو يوسف ومحمد[(٣)]، ليسوا من أهل الكتاب.

ووضع أبو الحسن الكرخي[(٤)] سبب اختلاف أبي حنيفة وصاحبيه بقوله: الصابئون الذين هم عند أبي حنيفة من أهل الكتاب إنما هم قوم ينتحلون دين المسيح ويقرأون الإنجيل وأما الصابئون الذين يعبدون الكواكب فإنهم ليسوا بأهل كتاب عندهم جميعا.

وروى عن أحمد بن حنبل[(٥)] أنهم جنس من النصارى كما روى عنه أنهم من اليهود وقال ابن قدامة المقدسي[(٦)]: ينظر فيهم فإن كانوا يوافقون أحد أهل الكتابين في نبيهم وكتابهم فهم منهم وإلا فليسوا من أهل الكتاب.

---

(١) الدهرية أو الدهريون هم الذين ينكرون وجود الله وينكرون الخلق ويردون كل ما يحدث في العالم إلى فعل القوانين الطبيعية وقد عبر القرآن الكريم عن فلسفتهم بقوله تعالى ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾ [الجاثية:٢٤].

(٢) هو النعمان بن ثابت الكوفي صاحب المذهب الحنفي (٨٠-١٥٠هـ).

(٣) أبو يوسف ومحمد صاحبا أبي حنيفة وأبو يوسف هو يعقوب بن إبراهيم الأنصاري (١١٣-١٨٢هـ) كان من أصحاب الحديث ثم غلب عليه الرأي، أخذ الفقه عن ابن أبي ليلى ثم عن أبي حنيفة، أما محمد فهو محمد بن الحسن الشيباني (١٢٩-١٨٧هـ).

(٤) أبو الحسن الكرخي هو عبيد الله بن الحسين بن دلال بن دلهم أحد فقهاء الأحناف.

(٥) أحمد بن حنبل (١٦٤-٢٤١هـ) صاحب المذهب الحنبلي ومن أئمة الحديث.

(٦) هو عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي ثم الدمشقي (٥٤١-٦٢٥هـ).

الصابئة المندائيون *

في العراق وعلى ضفاف الرافدين وبخاصة في المناطق السفلى من النهرين فيما يسمى "البطائح"(١)، وفي إيران على ضفاف نهري كارون والدز تعيش طائفة من الناس يقدر عدد أفرادها بخمس عشرة ألف نسمة- لها لغة دينية خاصة، وتعاليم دينية تستقل في بعضها وتشارك في كثير منها أهل الأديان الأخرى، يطلق عليها من جاورهم -قديماً وحديثاً- اسم "الصابئين أو الصابئة أو الصبة" وتسمي نفسها "منداي أو مندائي"(٢).

وعلى الرغم من أن طائفة المنداي تقيم في هذه المناطق منذ زمن بعيد فإن المتنعم في سماهم العامة كطول القامة، وقوة البدن، وإسبال شعر الرأس وإرخاء اللحى وانفرادهم -عن الأقوام المجاورين لهم- في العادات والتقاليد يدرك أنهم شعب غريب نزح إلى هذه المناطق واستوطنها، واحتفظ بمميزاته وتقاليده.

فمن هم المندائيون؟ ومن أين جاءوا؟ وما هي حقيقة دينهم؟ وما أهم عقائدهم وطقوسهم، وشعائرهم الدينية، وكيف يتعبدون؟

١- أصل الصابئة المندائيين ونشأة دينهم ومصدره:

لم نعثر على مصدر يبسط لنا الحديث في تاريخ الصابئة وفي نشأة ديانتهم

(*) ويطلق عليهم اسم "أصحاب الروحانيات".

(١) البطائح: جمع البطيحة تطلق على مسيل الماء المتسخ الذي على المجرى الأدنى للوافدين دجلة والفرات فيما بين واسط شمالا والبصرة جنوبا ويقال أحيانا: بطائح واسط أو بطائح البصرة نسبة إلى هاتين المحافظتين المتجاورتين.

(٢) مندايي أو مندائي: كلمة مشتقة من لفظة مدعا أو مندا الآرامية وتعني "العارف" ومنها جاءت ثلمة مندا ادهيبي وهي اسم أحد الملائكة الصالحين عند المندائيين ويعتقدون أنه أول من نطق بجملة أكه هيي، وأكه ماري، ومعناها: يوجد حي يوجد الد "انظر: غضبان رومي، تعاليم دينية لأبناء الصابئة، ص٨.

ومصدرها، وتطوراتها.. وإنما وجدنا إشارات مقتضبة جداً مبثوثه في بطون الكتب، وهي في الوقت نفسه لم تخل من التناقض والاختلاف، مما يصعب معه الوقوف على أصلهم، وموطنهم، وحقيقة دينهم ومصادره الأولى.. ولكن المحقق من أمرهم أنهم يرجعون إلى أصل قديم، لأن استقلالهم باللغة الدينية، والكتابة الأبجدية لم ينشأ في عصر حديث[1].

يقول الصابئة: أن دينهم من أقدم الأديان إن لم يكن اقدمها، وينسبون كتابهم المقدس "كنزه ربه" ومعناه: الكتر العظيم إلى آدم عليه السلام ويعتقدون أن "سام" هو جدهم الأعلى[2].

والواقع أن لهذا القول ما يبرره ويشهد له فقد قيل أن تعاليم "هرمس أو أدريس" -الذي هاجر وأتباعه من بابل إلى مصر وهو يحمل عقيدة التوحيد- قد أثمرت وصار له اتباع هناك وأنهم كانوا يسمون "الصابئة"[3] وقيل أن كلمة صابئة قد أطلقت على الذين حرفوا تعاليم إدريس واصطنع فريق منهم عبادة الكواكب وفريق عبادة الأصنام[4]. وفي كتاب "حران كويثا"[5]- أن حران السفلي أو الداخلية- إشارة إلى

---

(١) العقاد، أبو الأنبياء، ص١٠٨، وانظر غضبان رومي، مقدمة كتاب الصابئة المندائيون ص٢٠.

(٢) انظر: غضبان رومي، مقدمة كتاب الصابئة المندائيون،ص١٢.

(٣) اختلف العلماء في مكان ولادة إدريس.. فقيل أنه ولد في مصر بمدينة "ادفو" وقيل في "منف" وقيل أنه ولد في بابل -وهو الأرجح- وقالوا: أنه أخذ بتعاليم "شيت" ابن آدم جد جد أبيه، فهو إدريس بن يارد بن مهلائيل بن قيفان بن أنوش بن شيت ابن آدم، وأنه قد بلغ في الحكمة والعلوم الإلهية والطبيعية والفلك مبلغا عظيما حتى أن بعض الأمم الهته فيما بعد انظر: عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء،ص٢٥. وسنية قراعة، الرسالات الكبرى، ص٢٣ والهاشمي، الأديان في كفة الميزان، ص٢١.

(٤) يعتقد الصابئون المعاصرون بأن المصريين القدماء كانوا على دينهم ومن اللطيف جداً أنهم ما زالوا يقيمون وجبة طقسية سنوية على أرواح المصريين الذين غرقوا في البحر الأحمر وهم يتتبعون النبي موسى واليهود في قصة خروج اليهود من مصر المعروفة وهم يعتقدون بأن بين أولئك الذين غرقوا قسما كبيراً يدين بالديانة الصابئية، انظر: أساطير صابئية، ص٢٧.

(٥) اسم كتاب صابئي باللغة المندائيةوقد ترجمته الليدي دراور إلى الإنكليزية وهو كتاب المفروض فيه أنه تاريخي غير أن الحكاية فيها مزيج من التأريخ والأسطورة والنبوة وهو أحد الكتب المقدسة عند المندائيين وقد احتفظوا به مكتوبا لصفته الجدالية.

أن أسلاف الصابئين الأوائل قد انحدروا من مصر إلى جبل "مـــاداي" أو "ميديـــا" في منطقة حران.

فهل الصابئة مصريون أصلاً قد هاجروا من مصر إلى فلسطين ثم إلى حــــران.. ثم إلى البطائح في جنوب العراق؟

أم أهم عراقيون أصلاً قد هاجروا مع إدريس إلى مصر.. ثم عادوا مــــن حيــث نزحوا مارين بفلسطين فحران؟

وهل أن إدريس عليه السلام هو مؤسس ديانتهم؟

الاحتمال الأخير غير وارد بالمرة لأهم ينسبون كتاهم المقدس "كنزه ربه" إلى آدم وليس إلى إدريس.. والحق أنه ليس للدين الصابئي مؤسس معروف، ولم يدعوا هـــم نسبته إلى واحد معين وأن أقرب ما تشبه به هذه الديانة أها، كمـــا يقـــول العقـــاد: "كالحوض الذي تصب فيه مسارب الماء من كل مورد، فإذا أخذت مـــاءه فحللتـــه وجدت فيه أثراً من كل مسرب، ولكنها توجد فيه على امتزاج ولا بد مـــن الجـــهد لتصفيتها والرجوع بكل جزء من أجزائها إلى ينبوعه الذي صـــدر منـــه في اصلـــه البعيد[1].

وأما الاحتمال الأول والثاني فقائمان ولعل في قصة إبراهيم الخليـــل عليه السلام مـــا يوضح هذين الاحتمالين ويشد من أزر الاحتمال الثاني، فكل من تكلم عـــن عـــهد إبراهيم ومن علماء التاريخ والآثار والأديان أشار إلى وجود الصابئة في عصره وأنـــه اصطدم هم وجادلهم طويلاً، ولم يتبعه إلا القليل منهم وأما أكثرهم فقـــد تمســـكوا بصابئيتهم متذرعين بأهم إنما يتبعون تعاليم إدريس[2].

وقد مر بنا نص الشهرستاني وهو: "كانت الفرق في زمان إبراهيم الخليل راجعـة

---

(١) أبو الأنبياء، ص١١٤.

(٢) انظر: المصدر السابق، ص٢٢٨ وقراءه، الرسالات الكبرى، ص٣٣.

إلى صنفين: أحدهما الصابئة، والثاني، الحنفاء "ونص الفخر الرازي: "لما بعث الله إبراهيم عليه السلام كان الناس على دين الصابئة فاستدل إبراهيم عليهم في حدوث الكواكب كما حكى الله عنه في قوله : "لا أحب الآفلين"[(١)].

فإذا عرفنا أن عصر الخليل يرجع إلى القرن التاسع عشر قبل الميلاد وأنه ولد ونشأ في "أور" تلك المدينة التي لا تزال آثارها قائمة في نفس المنطقة التي كانت وما زالت موطن الصابئة الرئيس وأنه وأتباعه اضطروا إلى الرحلة الدائمة من أور إلى آشور إلى فلسطين إلى مصر ثم إلى فلسطين ثم إلى صحراء شبه الجزيرة العربية ثم إلى فلسطين حيث أنه استقر[(٢)].

إذا عرفنا ذلك ترجح لدينا أنهم أصلا من هذه المنطقة وأن جنس أسلافهم قد غادروها لأسباب متعددة ثم عاد خلفهم إليها، وأنهم لانطوائهم وانعزاليتهم وتشددهم في نقاوة دمائهم وأنسابهم بعدم الزواج من غير جنسهم أو تزويجهم قد حافظوا على سماتهم المميزة وعاداتهم الخاصة وتقاليدهم الموروثة في حين تطور من حولهم من أقوام وتحضروا، لهذا يبدو الصابئة غرباء في موطنهم.

ولكن هذا الترجيح يبدو ضعيفا نتيجة رفض المندائيين الاعتراف بأن موطنهم الأصلي هو جنوب العراق، واعتقادهم أنهم من الشمال، وقد يكون هذا الرفض وذلك الاعتقاد راجعين إلى سبب ديني، وهو اعتقاد المندائيين بأن الشمال موطن الأسلاف الإلهيين وأنه مصدر النور والمعرفة، يستقبلونه في صلاتهم ويوجهون إليه بعد مماتهم وأما الجنوب فهو مصدر الشر والظلام جاء في كتابهم المقدس "كنزه ربه".. أن عوالم الظلام تقع في الأرض المنخفضة في الجنوب، وأولئك الذين يسكنون في

(١) الملل والنحل ج٢، ص٣٥،٣٦، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ص٩٠.

(٢) انظر العقاد، أبو الأنبياء، ص١٠٨، ٢٢٢، والدكتور أحمد سوسه، العرب واليهود في التاريخ ،ص٢٥٦، وتؤكد إحدى أساطير الصابئة على أن إبراهيم كان صابئياً، لقد كان إبراهيم على ملتنا، وندعوه "بهرام" أجل لقد كان من المندائيين بل كان ناصورائي" ص٢٨، من أساطير وحكايات شعبية صابئية، الليدي دراور.

الشمال هم بيض البشرة، أما أولئك الذين يسكنون في الجنوب فهم سود ومظهرهم قبيح كالشياطين(١).

وإذا صح أن جنوب العراق -حيث يقيمون اليوم- ليس موطن المندائيين الأصلي وأنهم قدموا من الشمال، فيكونون عندئذ غرباء حقا، غرباء في السمات، غرباء في العادات والتقاليد، ولكن متى؟ ولماذا؟ وكيف وفدوا إلى هذه المنطقة؟

أجاب كتاب "حران كويثا" على هذه الأسئلة وأفاد أن المندائيين كانوا يقيمون في فلسطين وأنهم اضطروا -بعد وفاة يحيى عليه السلام بستين عاماً- إلى الهرب من اضطهاد اليهود لهم في أورشليم، فأخذوا يبحثون لهم عن مأوى في جبال" ميديا" ومدينة حران في تلك الجبال... وفي حران وجدوا إخوانا لهم في الدين "الصابئة الحرانية".. ثم من هناك بدأت هجرتهم الثانية تحت رعاية الملك "اردوان" إلى القسم الأدنى من بلاد ما بين النهرين حيث أقاموا لهم مراكز بين واسط وخوزستان في مكان يسمى "الطيب"، -في الجنوب الشرقي من مدينة العمارة- وفي الكتاب إشارة إلى الفتح العربي الإسلامي لتلك المنطقة وذكر أن وفدا من المندائيين برئاسة أحد كبار كهنتهم ويدعى "دانقا" قد ذهب لمقابلة القائد العربي وعرض عليه أمر الصابئة، وأن القائد العربي قد أقرهم على دينهم وأعطاهم الأمان وتكمن أهمية هذه الوثيقة التأريخية في تأكيدها للرواية الشفوية التي تناقلها المندائيون اليوم وهي: أنهم هاجروا إلى موطنهم الحالي في العراق من حران وكانوا قبل ذلك في فلسطين(٢).

يبدأ الكتاب بالتالي:

".. واستقبلتهم "حران" المدينة التي كان فيها "الناصورائي"(٣) ولهذا فليس من

(١) الليدي دراور، مقدمة الكتاب السابق، ص١٣.

(٢) انظر بدوي وورومي، مقدمة الكتاب السابق، ص١٣.

(٣) الناصورائي: تطلق على المتمكن من أمور الدين والعالم بأسراره الخفية وليس له صفة كهنوتية.

سبيل لملك اليهوطايي "اليهود" وكان على رأسهم الناصورائي –ملك اردوان– وقد عزلوا أنفسهم عن العلامات السبع[1] ودخلوا في جبل ما داي، حيث أصبحوا أحرارا من تسلط جميع الأجناس، وأقاموا المنادي[2] وسكنوا هناك بأمر الحي وبقوة ملك النور السامي.

ويشير المخطوط إلى ولادة يسوع باختصار فيقول:

"لقد حرف كلمات النور وأبدلها بالظلم، وغير دين أولئك الذين كانوا على ديني، وبدل جميع الشعائر.

وبعد ذلك تحدث عن ولادة يحيى وتنشئته في "الجبل الأبيض" وتعميده وتعليمه وإدخاله الكهنوتية في جبل ماداي، ثم الاتيان به إلى مدينة أورشليم حيث توجد مجموعة من سكان جبل ماداي:

(ثم جاء به "انوش اوثرا"[3] إلى مدينة أورشليم حيث الجماعة التي أوجدها "الروهة"[4] وكلهم كان من اتباعها وأتباع أبنائها عدا أولئك الذين هم في جبل ماداي).

---

(١) لعل العلامات السبع هي أبناء الروهة –روح الشر–السبعة وهي الكواكب السبعة التي كان يعبدها الحرانيون وهي: الشمس، القمر، المريخ، المشترى وزحل وعطارد والزهرة.

(٢) المنادي: جمع مندى، والمندى هو بيت عبادة الصابئة الذي تحفظ فيه كتبهم يقوم عادة على الضفاف اليمنى من الأنهر الجارية ويبنى من حزم القصب والبواري، وبطلي من داخله بالطين الحر ويحاط بسياج من قصب وطين وتكون له نافذتان وباب واحد يقابل الجنوب ليستقبل الداخل إليه نجم القطب القائم تحت عرش الرب في عالم الأنوار ولا يجوز لغير رجال الدين الدخول إليه خلال ساعات العمل الديني ويدعى الصابئة أن المندى قديم قدم الصابئة وأنه كان معروفا منذ عهد آدم عليه السلام وكان يبنى من البلور فلما طردوا من القدس صاروا يبنونه من القصب والبواري. علما بأن مندى الصابئة اليوم في بغداد بعيد عن هذه الصفات. فهو مبني من الآجر الاعتيادي ويتوسط المدينة بعيدا عن النهر.

(٣) انوش أوثرا: ملك النور السامي الخير.

(٤) الروهة: الروح – ملك – الشريرة التي تجسد المادة والحياة الطبيعية

ويصف المخطوط يحيى عليه السلام بأنه معلم، ومعمد، وشافي:

"لقد علم حواريين وجعل الكسيحيين يسيرون على أرجلهم.."

ثم ذكر اضطهاد اليهود للناصورائي مما اضطر من بقي منهم إلى الهرب واللجوء إلى جبال ميديا وذهب أنوش اوثرا" وأحرق مدينة أورشليم وخربها، وقتل بني إسرائيل وكهان أورشليم وجعلها أكواماً من الخرائب.

ثم أرخ المخطوط استيطان الناصورائي للطيب –جنوب مدينة العمارة في جنوب العراق– وبعد ذلك تحدث عن فتح العرب وذكر قدوم الوفد الصابئي على الملك العربي "الرسول" وأوضح له أن لدى الصابئة كتبا مقدسة ودينا قديما "وهكذا حصل الصابئة على الأمان" وعاشوا في ظل المسلمين كأهل كتاب "لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين" وقد علقت الليدي دراور –التي كان لها فضل ترجمة هذه المخطوطة من اللغة المندائية إلى اللغة الإنجليزية– على هذه الوثيقة التاريخية بقولها:

"ومهما كان الأمر فالأسطورة والتقليد وحران كويثا كلها تذهب باتجاه واحد هو أنه في زمن ما كانت جماعة لها نفس عقائد الصابئين تقريباً قد استوطنت بلاداً جبلية شمالية وإن هذه البلاد لها ما يربطها بحران وأن فئة دينية من أورشليم هاجرت بعد ذلك إلى الجنوب وكان لها نفس المعتقدات وأن لفظ المادای أو المندائي لا علاقة له بالدين[١].

وهناك حكاية يتناقلها الصابئة المندائيون، وهي خليط من كتاب دراشة أديهيا[٢] وكتاب "كنزه ربه" وكتاب "حران كويثا" تذهب إلى أبعد من تاريخ الصابئة في مصر وانتقالهم إلى فلسطين ثم هروبهم إلى جبل ماداي في حران وهجرتهم بعد ذلك إلى جنوب العراق حيث استقروا حتى يومنا هذا والجديد في الحكاية أنها تجعل موطن

(١) الليدي دراور، الصابئة المندائيون، ص٤٥-٥١.

(٢) قصة وتعاليم يحيى عليه السلام.

الصابئة الأول هو جزيرة سيلان.

وخلاصة هذه الحكاية هي: أن المندائيين الأول كانوا يعيشون في جزيرة سرنديب "سيلان" و(قد قضى عليهم جميعا الطاعون ما عدا زوجا واحدا همـا "رام" و "رود") وتكاثروا من جديد ولكن نارا اشتغلت وقضت عليهم ما عدا زوجا واحدا أيضا هما "شوربي وشرحبيل" و"صار لهذين أبناء وتكاثروا واصبحوا شعبا مرة أخرى". حتى عصر الطوفان. (وأخيرا أوصلت الريح السفينة إلى مصر حيث رست.. نزل سام وعانق زوجته وأباه وحمد "بيت الحياة" على سلامتهم. ثم أنه خرج وبنى بيتا من الطين ليسكنه هو وزوجته بينما ذهب نوح يمتع نفسه بالدنيا وجاءت "الروهة" وشاهدت نوحا وتنكرت له بزى زوجته وحيته قائله: "إنا زوجتك الهوريتا" فاحتضنها وحملت منه وولدت ثلاثة أبناء هم: حام وسام ويافث. وكان هؤلاء أبناء للجنس البشري فقد أصبح حام أبا للسود وسام أبا للشعوب البيضاء ولإبراهيم ولليهود ويافث أبا للغجر. إلا أن سام وزوجته" انهر" هما اللذان أنجبا المندائيين.. وفي أورشليم شاركت "الروهة" موسى نبي إسرائيل بمملكتها وكان موسى عدوا للمندائيين وكان يتنازع معهم حين كانوا في مصر وكان الملك "اردوان" المندائي قد رأى رؤيا سمع فيها صوتا آتيا من "بيت الحياة" يقول: انهض واترك هذا المكان من أجل سلامتك، فنهض وأخذ معه المندائيين وخرجوا من مصر.. حتى وصلوا أخيرا إلى "طوره اد مدائي")[1].

هذا جل ما عثرنا عليه من تاريخ الصابئة المندائيين ولعله يكفي في إلقاء ضوء على التعريف بهم وبأصلهم وموطنهم وتنقلاتهم وعلاقاتهم السياسية والدينية بأهل الأديان الأخرى.

وقد وضح من خلال وثائقهم، وأساطيرهم وحكاياتهم أن اليهود كانوا أشد

---

(١) الليدي دراور، أساطير وحكايات شعبية صابئية ص٢٠-٢٢ والصابئة المندائيون ص١٥٤.

الناس عداوة لهم فهم يصفونهم كلما مر ذكرهم بأنهم "خبثاء" وأنهم كانوا حليفي "الروهة" -روح الشر والظلام- بل أنهم جندها المطيعون.. (.. كان المصريون على ديننا، وقد تعلم موسى الذي تربى مع الملك فرعون[(١)] شيئا من معارفنا وكان اليهود بصفة عامة يعبدون الروهة وأبناءها وبخاصة "يوريا"[(٢)]. ويجهلون النور وتعاليم أبناء النور)[(٣)].

وأما المسيح عليه السلام فإن المندائيين يعتقدون أنه كان على دينهم ولكنه (حرف كلمات النور وأبدلها بالظلام وغير دين أولئك الذين كانوا على ديني، وبدل جميع الشعائر وأقام هو وإخوانه في جبل سيناء، ودعوا لأنفسهم جميع الناس وجلبوهم لدينهم وأطلقوا عليهم اسم "كريستيانا" وسموا على اسم مدينة الناصرة..)[(٤)].

وأما محمد عليه الصلاة والسلام فإن المندائيون يحترمونه ويلقبونه بملك العرب وبالقائد العربي، وذلك لعدم اعتقادهم بالنبوة والأنبياء، وإنما يعتبرونه ﷺ ومن أخذوا عنهم كشيت وإدريس وإبراهيم ويحيى عليهم السلام عبادا صالحين.. وصلوا برياضة النفس والإخلاص في العبادة إلى مقام الزلفى والإلهام، كما يحترمون بيت الله الحرام في مكة ويعتقدون أن إدريس هو الذي أنشأه أول مرة، وأنه بيت زحل أعلى الكواكب السيارة[(٥)].

ويتضح من جميع ما سبق أن المندائيين لم يكونوا هودا ولا نصارى، كما أنهم

---

(١) أشار الشهرستاني إلى أن فرعون كان على دين الصابئة ثم صبا عنه ودعا إلى نفسه قائلا: أنا ربكم الأعلى" النازعات آية ٢٤ "ما علمت لكم من إله غيري" القصص،٣٨ انظر الملل والنحل، ج٢،ص٩٢.

(٢) يوريا: قوة من قوى عالم الظلم وهو الذي منح اليهود قوتهم في اعتقاد المندائيين انظر الليدي دراور، الصابئة المندائيين، ص٢٧.

(٣) انظر المصدر السابق، ص٢٥-٢٦.

(٤) انظر المصدر السابق، ص٤٦، وهامش أساطير وحكايات شعبية صابئية ص٣٠.

(٥) انظر: العقاد، أبو الأنبياء، ص١١١، وغضبان رومي، مقدمة الصابئة المندائيون، ص١٥.

ليسوا بمسلمين لأن ديانتهم أسبق ظهورا من هذه الأديان، وتتميز ببعض العقائد والطقوس التي لا توجد فيها إلا أن احتكاك هذه الأديان بدين الصابئة ومخالطة أهلها لهم قد تركا أثرا بالغا في المندائيين وشعائرهم الدينية -كما سيأتي بيانه-.

إن المندائيين هي الفرقة التي تترسم خطى الصابئة الذين استجابوا لدعوة إبراهيم الخليل والذين انضموا تحت لواء الحنفية. والنصوص التالية تدل على هذا الرأي :

١- من جملة ما يقوله المندائي حتى اليوم في التعميد وفي الرشامة(الوضوء) بالذات وأثناء رش الماء على الرأس: "إنا .. صببنا أبمصبته ادبهرام ربه، روربي مصبتي تناظري، وتشق لريش اشمه ادهبي واشمه ادمندا ادهيي مدخرالي".

ومعناه: أنا -فلان بن فلانة- تعمدت بعماد بهرام-إبراهيم- الكبير ابن القدرة وعمادي يحرسني لارتفع به إلى العلا اسم الحي واسم مندا ادهيي -ملك صالح- منطوقان علي[1].

٢- ومن جملة ما يقوله المندائي حتى اليوم أيضا في الراخة "الصلاة":

"اسوثه وزكوثه هوياخ ملكا مندا ادهيي يرنيضبتون"

اسوثه وزكوثه هويلخ ملكا هييل زيوا.

اسوثه وزكوثه هو يلخ بهرام ربه[2].

ومعناه: السلام عليك أيها الملك الذي عرفنا بالحي.

السلام عليك أيها الملك جبريل.

السلام عليك يا سيدي إبراهيم العظيم.

٣- تتردد كثيرا في كتب المندائيين وحكاياتهم الشائعة بينهم عبارة أن إبراهيم

(١) غضبان رومي، تعاليم دينية لأبناء الصابئة، ص٢٤-٢٦.

(٢) المصادر السابق ،ص٢٨-٣٣.

كان على ملتهم، وأنه كان ناصورائيا.

ولكن بعد ما عثرت على النص الكامل للحكاية التي ترد فيها تلك العبارة وجدتهم يقولون: أن إبراهيم قد خرج عن ملتهم وأخذ يناصبهم العداء وأنه تحالف مع "يوريا" أحد قوى الظلام واستمد منه قوته(١).

وهكذا نجد أن من اطلع من الباحثين على إحدى شعائر الصابئة التي يشتركون فيها -مثلا- مع المجوس كتوجههم في العبادة إلى قطب الشمال وإلى الكواكب عامة. قال: أن الصابئة مجوس أو فرقة من المجوسية.

ومن رأى احترامهم وتعظيمهم للكواكب لما فيها من ملائكة -حسب اعتقادهم- قال عنهم: أنهم عبدة كواكب كالحرانية(٢) سواء بسواء.

ومن لحظ شعيرتهم التي يشتركون فيها مع البراهمة .. كتحرجهم من ملامسة

---

(١) تتلخص هذه الحكاية في أن إبراهيم كان من المندائيين وكان أخوه رئيس القوم وملكهم وكانت عائلتهم عائلة كهنوتية وأن إبراهيم ابتلى بدمل اضطر معه إلى إجراء عملية ختان لنفسه وتألم كثيرا لذلك فهو والحالة هذه لا يستطيع أن يقوم بعملية الذبح ولا أن يصبح كاهنا لأن المندائيين يعتبرونه ناقص الأعضاء والمشوهين غير طاهرين.. ولما اكتشف أخوه ما حدث قال له: في عقيدتنا أنك لا يمكن أن تصبح كاهنا بعد الآن بأي حال من الأحوال ومما لا شك فيه أن منشأ مرضك كان من عالم الظلام وأنت قد اقترفت ذنبا فالطاهر النقي لا يمكن أن يصيبه مرض. قال إبراهيم لأخيه: من الأحسن أن أذهب بعيداً عنكم إلى البراري.. وهكذا غادر إبراهيم البلد وأقام له مركزا في الصحراء وذهب معه جميع الأنجاس من بين الصابئين: المجذومين ومبتوري الأعضاء وأسرهم وبدأ إبراهيم بعبادة "يوريا" وجاء إليه يوريا مع الريح وشرع يوجهه وقومه بما يجب عليهم عمله وكانوا مطيعين لأوامره وتكاثر قوم إبراهيم وقويت شوكتهم. لقد منح يوريا السلطة في هذه الدنيا فمنح هو إبراهيم قوة سحرية يقهر بها النار فلا تحرقه.. وقال إبراهيم للمندائيين: تعالوا معنا وكونوا على ملتنا وإلا فهي الحرب بيننا.. واعلموا أن لدى قوة مستمدة من يوريا أستطيع بها قهر أعدائي. أجاب المندائيون: نحن لا نحارب لأن قتل الأنفس حرام. قال لهم إبراهيم: إذن سنأخذكم عنوة. وصار يلقي القبض عليهم في الطرقات والبراري ويختنهم عنوة وبهذا يجعلهم ناقصي القيمة أنجاسا وإذا ما قاوموا قتلهم..". انظر: الليدي دراور، أساطير وحكايات شعبية صابئية، ص٢٨-٢٩.

(٢) أطلق الباحثون الإسلاميون لفظ الصابئة على الحرانيين "عبدة الكواكب" حين نزل المندائيون معهم في حران. والحقيقة أنه لا علاقة للمندائيين بالحرانيين إطلاقاً. والحرانيون ليسوا صابئة.

غيرهم وتطهرهم عندما يلمسون غريبا في حالة من حالات العبادة قال عنهم: أنهم براهمة أو فرقة من البرهمية.

ومن شاهد شعيرتهم التي يشتركون فيها مع النصارى وهي التعميد والصوم واحترام يحيى عليه السلام قال عنهم: أنهم فرقة من المسيحية.

ومن ادرك التشابه بينهم وبين اليهود في تعليمات الذبائح وشعيرتهم في العهد الكبير الذي يكرصون فيه في منازلهم ويحرمون العمل فيه حتى إعداد الطعام وغسل الأواني والملابس قال عنهم: أنهم فرقة من اليهود.

ومن ركز على الجانب الإلهي في التفكير الصابئي المندائي ورأى أنهم يميلون إلى التوحيد وينبذون الشرك وعبادة الأصنام وأنهم لا يعبدون الكواكب وإنما يعظمونها فقط وأدرك أن هذا التعظيم لا لذات الكواكب وإنما باعتبارها مقرا للملائكة وعلم أنهم يحترمون إبراهيم عليه السلام ويعظمونه في بعض شعائرهم. قال عنهم: أنهم أحناف أو كالأحناف.

ومن لحظ اشتراكهم في بعض الشعائر بين أكثر من دين، قال عنهم: أنهم بين هذا الدين وذاك. كمجاهد الذي قال: الصابئون قوم بين المجوس واليهود والنصارى[(١)] والقرطبي الذي قال: أنهم قوم تركب دينهم بين اليهود والمجوس[(٢)].

والغريب في الأمر أن الصابئة: علماء ومثقفين يلتزمون الصمت -قديما وحديثا- تجاه تلك الآراء فلا يدحضون ما يرونه مخالفا لعقيدتهم منها كما أنهم لا يؤيدون أو يصححون ما يستحق التأييد أو التصحيح منها. متذرعين بأن ما يقال عنهم وعن دينهم -سواء كان صوابا أم خطأ- لا يهمهم ما داموا يتمتعون بالحرية الدينية التي تمكنهم من ممارسة شعائرهم حيث يعيشون كما هو واقع الحال.

---

(١)ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج١، ص١٠٤.

(٢) نفسه.

٢- أصول الدين الصابئي:

عرفنا أن الصابئية دين قديم له مميزات وفلسفته الخاصة وأن لاتباعه طقوسهم وشعائرهم المميزة ولغتهم الدينية المستقلة. وأن اشتراك هؤلاء الأتباع مع أصحاب الديانات الطبيعية (الوضعية) كالمجوسية والهندوسية في كثير من الشعائر والطقوس لا يعني تبعية دينهم لهذه الديانات أو تفرعه عنها أو عن إحداها.

وعرفنا أيضا أن تشابه بعض شعائرهم مع كثير من شعائر أصحاب الأديان المنزلة كالحنيفية "ملة إبراهيم" واليهودية، والمسيحية، والإسلام أمر طبيعي لتجاورهم وتعايشهم ولكنه لا يعني اندراج دين الصابئة تحتها أو تبعيته لها أو لأحدها أو تفرعه عنها أو عن أحدها.

فقد اتضح لنا أنه أقدم منها جميعا رغم تأثره بها جميعا وليس ببعيد أن يكون بعضها قد تأثر به أيضا.

وبهذا يتضح لنا خطأ كثير من الباحثين الذين الحقوا الصابئة بأهل تلكم الأديان والمذاهب الطبيعية أو المنزلة ودعواهم أن دين الصابئة قد تفرع عن هذا الدين أو ذاك أو تركب من هذا الدين وذاك.

وأصدق دليل على ذلك هو القرآن الكريم: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ ﴾.(١)

فإن من ينعم النظر في هذه الآية الكريمة يدرك أن الله تعالى قد اعتبر الصابئية دينا مستقلا.. حيث لم يلحقه بغيره من الأديان الخمسة المذكورة في الآية وأنه سبحانه قد فرق بين الصابئة كأهل دين وبين أهل الأديان الأخرى، طبيعية "الذين أشركوا"

---

(١) الحج، ١٧، وانظر الآية ٦٢ من سورة البقرة وآية ٦٩، من سورة المائدة.

ومنزلة "كالمسلمين و "الذين هادوا" و "النصارى".

وقد يستنتج من الآية أن المقصود بالصابئين فيها هم "المندائيون". لأن الصابئين المندائيين ليسوا مشركين للمغايرة نفسها، وللعطف بالواو الذي يقتضيها في اللغة.

ومما يقوى هذا الاستنتاج استقبال الرسول ﷺ لوفد المندائيين الذين عرضوا عليه دينهم، وأخبروه بما في كتبهم وإعطاؤه الأمان لهم، وإيصاؤه بهم خيرا فيما يروى عنه: "سنوا بهم سنة أهل الكتاب" وأيضا تمييز المسلمين بينهم وبين المشركين في المعاملة وإجماع فقهائهم على اعتبارهم من أهل الذمة، رغم اختلافهم في اعتبارهم من أهل الكتاب، فأبو حنيفة اعتبرهم من أهل الكتاب واعتبرهم الأوزاعي ومالك بين اليهود والنصارى والإمام أحمد: أنهم من النصارى أو اليهود(١).

وأما أصول الدين الصابئي: فهي -كما هو مدون في كتبهم الدينية -تتلخص في أنهم يؤمنون بالله وينزهونه غاية التنزيه ويصفونه بأرفع الصفات. ويؤمنون باليوم الآخر والحساب والجزاء والنعيم والعذاب في عالم النور أو عالم الظلام، ويعتقدون بالملائكة وبأنهم مخلوقون لله وأن مقرهم الكواكب ولذا يعظمون تلك الكواكب ويؤمنون بأنه لا بد من متوسط روحاني "ملك" يهدي الناس إلى الحق ويكون شفيعا ووسيطا لهم عند الله -تعالى- وهم يتطهرون ويصلون ويصومون عن أكل اللحوم حوالي خمسة أسابيع متفرقة أيامها على طول السنة، ولهم طقوس كثيرة أهمها: احترام النجوم واستقبال نجم القطب وتكريم الكواكب السيارة ولديهم شعائر كثيرة أهمها: الارتماس في الماء الجاري ولأجله التزموا الإقامة على ضفاف الأنهر وبقرب المياه الجارية ولهذا أيضا أسماهم من جاورهم "المغتسلة والسابحة" إشارة إلى تلك الشعيرة المهمة.

وقد بين لهم دينهم الحلال والحرام في القول والفعل والعمل وشرع لهم أحكام

---

(١) انظر: د. عبد الكريم زيدان، أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام ص١٣-١٥.

الأسرة من زواج وطلاق وميراث.[1]

يقول الشهرستاني تحت عنوان "مذهب أصحـــاب الروحانيـــات"[2] ويذهـــب هؤلاء: أن للعالم صانعا فاطرا، حكيما، مقدسا من سمات الحدثان، والواجب علينـــا معرفة العجز عن الوصول إلى جلاله وإنما يتقرب إليه بالمتوسطات المقربين إليه وهـــم الروحانيون المطهرون المقدسون جوهرا وفعلا وحالة.

أما الجوهر:

فهم المقدسون عن المواد الجسمانية المبرؤون عن القوى الجسدانية المنـــزهون عن الحركات المكانية والتغييرات الزمانية. قد جبلوا على الطهارة وفطروا على التقديـــس والتسبيح ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[3].

يقولون: وقد أرشدنا إلى هذا معلمنا الأول عاذ يمون وهرمس "شيت وإدريـــس" عليهما السلام.

فالواجب علينا أن نطهر نفوسنا عن دنس الشهوات الطبيعية وتذهب أخلاقنا عـــن علائق القوى الشهوانية والغضبية حتى تحصل مناسبة ما بيننا وبين الروحانيات. فحينئـــذ نسأل حاجاتنا منهم، ونعرض أحوالنا عليهم ونصبوا في جميع أمورنا إليهم، فيشفعون لنـــا إلى خالقنا وخالقهم ورازقنا ورازقهم، وهذا التطهير والتهذيب لا يحصل إلا باكتســـابنا ورياضتنا وفطامنا أنفسنا عن دنيات الشهوات استعدادا من جهة الروحانيات.

والاستعداد هو التضرع والابتهال بالدعوات وإقامة الصلوات وبذل الزكـــوات

---

(١) انظر: العقاد، أبو الأنبياء، ص١١٢، والسيد عبد الرزاق الحسني، الصابئون ص٣٥ والدكتور يحيى هويـــدي، محاضرات في الفلسفة الإسلامية ٤٦، والشيخ محمد الخضر حسين، محمد رسول الله ص٢٤، وبدوي وروميـــي، مقدمة الصابئة المندائيين ص٢١، والليدي دراور، الصابئة المندائيون، ص٢٧.

(٢) الملل والنحل، ج٢، ص٦٤-٦٦ وانظر: محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، ج٥، ص٤٢٦.

(٣) التحريم، ٦.

والصيام من المطعومات والمشروبات وتقريب القرابين والذبائح وتبخير البخورات وتعزيم العزائم فيحصل لنفوسنا استعداد واستعداد من غير واسطة بل يكون حكمنا وحكم من يدعي الوحي على وتيرة واحدة.

قالوا: والأنبياء أمثالنا في النوع وأشكالنا في الصورة يشاركوننا في العادة يأكلون مما نأكل ويشربون مما نشرب ويساهموننا في الصورة. أناس بشر مثلنا فمن أين لنا طاعتهم؟ وبأية مزية لهم لزمت متابعتهم؟﴿ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴾[1].

٣- عقائد المندائيين:

لا شك في وجود صلة ما وتشابه أو اشتراك في بعض العقائد والشعائر بين من يدعون صابئة حران "الحرانيين" وصابئة بطائح العراق "المندائيين" إذ لم يكن من قبيل المصادفة أن يشير ذلك الشيخ الحراني على بني قومه أن يقولوا: نحن صابئون. وذلك عندما شدد عليهم المأمون الخناق وخيرهم بين أحد أمرين:

أما أن ينتحلوا دين الإسلام أو دينا من الأديان التي ذكرها الله في القرآن أو يتعرضوا للقتل عن آخرهم[2].

وكذلك لم تكن من قبيل المجاملة تلك العبارة التي وردت في كتاب المندائيين المقدس "حران كويثا" وهو يؤرخ خروج المندائيين من فلسطين إلى جبال ميديا.." وفي حران وجدوا إخوانا لهم في الدين".

ولعل أهم تشابه بينهما هو تعظيم الكواكب.. ولكن مع فارق جوهري فبينما نجد الحرانيين يعبدون الكواكب مباشرة لتشخص الله فيها _عندهم- ويبنون لها

---

(١) المؤمنون، ٣٤.

(٢) انظر: ابن النديم، الفهرست، ص٣٢.

الهياكل ويجعلونها مدبرات هذا العالم.. نجد المندائيين يحترمونها فقط لكونها مقرا للملائكة فالتعظيم والاحترام إذن إنما هو للملائكة لا للكواكب ذاتها.

والواقع أن هذا التشابه مع عدم تحسس ذلك الفارق الجوهري دفع الكثير من الباحثين قديما وحديثا إلى التسوية بين الفرقتين في الحكم ونعت الصابئة عموما بعبادة الكواكب.

والحق أن شعائر المندائيين المعاصرين لم تخل من تقديس الكواكب كالاتجاه إلى نجم القطب في العبادة وممارسة بعض رجال الدين منهم التنجيم. وقد دفع ذلك المرحوم العقاد وهو يتحدث عن عقيدتهم ويصف الصابئة بأنها ملتقى التوحيد القديم والوثنية القديمة: "فإن بقايا التنازع بين المعتقدات ظاهر في العقائد الصابئية يكاد يعضها أن يدون ردا على البعض الآخر فلا وثنية ولا إيمان بالكواكب من جهة ولا خلاص في الوقت نفسه من الوثنية والإيمان بالكواكب على صورة من الصور..".[1]

أ- عقيدتهم في الله:

يعتقد المندائيون أن الله واحد أزلي أبدي لا أول لوجوده ولا نهاية له منزه عن عالم المادة والطبيعة لا تناله الحواس ولا يفضي إليه مخلوق وأنه لم يلد ولم يولد وهو علة وجود الأشياء ومكونها.[2]

وقد أجاب أحد المندائيين المعاصرين على سؤال: من هو الله؟ بقوله "هو الحي الأزلي خالق السموات والأرضين وكل ما فيها وما عليها ورب الجميع.

ومن صفاته: أنه ملك عالم الأنوار السامي رب الحق ذو الحول الشامل، الذي لا شبيه له النور النقي الذي لم ير، ولم يسمع الغفور التواب الرحمن الرحيم العارف بكل

---

(١) أبو الأنبياء، ص١١٤، وانظر: بدوي وورومي، مقدمة الصابئة المندائيين، ص٢١.

(٢) السيد عبد الرزاق الحسني: الصابئون، ص٤٣، ومجلة لاعرب العدد ١١٢ عام ١٩٦٨م.

شيء الحكيم العليم لا شريك له بسلطانه..[1].

ب- عقيدهم في الروحانيات:

يعتقد المندائيون بأن الملائكة مخلوقون لله وأهم منـزهون عن المادة قد فطـروا على الطهارة وجبلوا على التقديس والطاعة ويعتقدون أن فريقا من جنسهم قـد أوكـل إليهم مساعدة الخالق -تعالى- في عملية الخلق وتدبير الكون وإدارة شؤون العالم.

منهم: "هيبل زيوا" و "أباثر" و"بثاهيل" وأن هؤلاء يعلمون كل شيء ويعرفـون الغيب ولكل منهم مملكة في عالم الأنوار "ألمي دهورا" ولذلـك فـهم يلـون الله في المنـزلة والأهمية والإجلال والتعظيم[2].

ويعتقد المندائيون بالأرواح الخبيثة ويسموها "مولخون" ويقولون أهـا مختلفـة الأديان فمنها صابئة ومنها يهود ونصارى ومسلمون ومن هذه الأرواح ما هـو موكـل بعذاب النفوس في "المطراثي" ومنها ما هو مغري بتجربة البشـر واسـتدراجهم إلى المعصية ومنها ما دأبه إلحاق الأذى بالناس. فهم بمنـزلة الجن عند غيرهم من أصحاب الأديان الأخرى[3].

جـ- عقيدهم في النبوة:

النبوة بمعنى أن يزود الله إنسانا بالدين والمعرفة وينـزل عليه صحفا أو كتبـا أو يوحى إليه بشرع ويبعثه ليعلم الناس ويهديهم ويرشدهم إلى الشرع والدين مرفوضـة عند المندائيين لأن الله لا يكلم أحدا من البشر ولأن المبعوث مشارك للمبعوث إليـه في

---

(١) غضبان رومي، تعاليم دينية لأبناء الصابئة، ص٩.

(٢) انظر: الليدي دراور، الصابئة المندائيون، ص١٣٣، وأساطير وحكايات شعبية، صابئية، ص١٥، والحسـني، الصابئون، ص٤٣.

(٣) الحسني، الصابئونن ص٤٤، والليدي دراور، الصابئة المندائيون، ص٢٧.

المادة والصورة فمن أين لنا طاعته؟ وبأي مزية لزمت متابعته، قالوا: ولئن أطعتم بشراً مثلكم أنكم إذا لخاسرون.

وهم في الوقت الذي ينفون فيه نبوة أحد من البشر يقولون: لا بد من مخلوق متوسط بين الرواحانية والمادية يهدي الناس إلى الحق، يستمد المعرفة من الحضارة القدسية ويفيض الفيض على الموجودات السفلية فكلام الله لا يصل إلى الناس إلا بواسطة مخلوق بين النور والتراب. ويذهبون إلى أن الإنسان الذي يلهو نفسه ويهذب أخلاقه ويروض نفسه على الطاعة والعبادة يحصل لنفسه استعداد واستمداد من غير واسطة ويكون حكمه وحكم من يدعي الوحي "النبي" على وتيرة واحدة. ومن هذا القبيل -في نظرهم- آدم وشيت وإدريس ويحيى عليهم السلام فهم ليسوا أنبياء بالمفهوم والمعروف للنبوة عند أهل الأديان المترلة من الكشف إلى المعارف العليا. وتذوقوا تلك المعارف تذوقا مباشراً ولذلك يصفوهم في كتبهم المقدسة بأهم معلمون معرفيون.. وإذا ما وصفوهم بالأنبياء فإنما يقصدون ذلك أي أهم معلمون يستمدون معارفهم بطريق الكشف والتذوق المباشر لا بطريق الوحي ولا بواسطة الاستنتاج والاستدلال. والتشريعات والكتب التي ينسبها المندائيون إلى هؤلاء المعرفيين لم يدعوا أهما منزلة عليهم من الله وإنما هي من معارفهم بواسطة الكشف والفيض الإلهي ليس غير.

تقول الليدي دراور في عقيدقم في يحيى عليه السلام:

"الصابئون لا يدعون بأن دينهم أو شعائرهم التعميدية قد جاء بها يوحنا، بل أن كل ما ينسب إليه هو أنه كان معلما عظيماً وأنه كان يمارس وظيفة التعميد ككاهن وأن تغييرات دينية معينة تنسب إليه كتقليل أوقات الصلاة، وعددها من خمسة إلى ثلاثة يوماً فهو كان بالنسبة لتعاليم الصابئين" ناصورائيا" أي ضليعا في العقيدة، ذا معجزات تعالج بصورة رئيسية شفاء أبدان الناس وأرواحهم فهو يفضل علمه "ناصورثة" لا يفله الحديد ولا تحرقه النار ولا يغرقه الماء.

وعيسى عليه السلام بالنسبة للاهوتيين الصابئين "ناصورائي" أيضا إلا أنه خرج على الدين وقاد الناس إلى دين آخر وباح بالعقائد الباطنية وجعل الدين أكثر يسرا[1].

وجاء في كتاب "حران كويثا" أن المسيح كان على ملة الناصورائيين المندائيين وأنه بعد أن تعمد على يد "يوحنا المعمدان" خرج على ملتهم واتخذ له ملة جديدة[2].

ومر بنا أهم يقولون: أن إبراهيم الخليل عليه السلام كان على ملة المندائيين (بل قد كان "ناصورائيا") وأنه خرج على ملتهم وأخذ يناصيهم العداء.

وجاء في كتاب "كنـزه ربه" أنه كان قبل ظهور يحيى ملك يسمى "دارا ملكه" ولما مات تشتت الصابئة وتبعثرت كتبهم بفعل الحروب التي دارت بينهم وبين اليهود، فلما ظهر يحيى جمع ما تبقى من هذه الكتب وصنف كتباً أخرى وزعها على أتباعه كما استعاد الصابئين الفارين من ظلم اليهود وأمرهم بالرجوع إلى كتبهم القديمة فمنهم من لبى الطلب ومنهم من رفضه[3].

إن كتب المندائيين لم تخل من كلمتي النبوة والرسالة وأنها وصفت بعض الناصورائيين بهما. فقد جاء في كتاب "حران كويثا" و "دراشه أديهيا" أن يوحنا كان نبيا ورسولا ومثل هذا الوصف ووجوده هاتين الكلمتين في كتبهم يساعد المندائيين على مجاراة أهل الأديان المنـزلة المعايشين لهم على إدعاء أن لهم أنبياء ورسلا كما لغيرهم وأن دينهم ذو جذور سماوية ومما يقوي ادعاؤهم هذا إيمانهم بإله واحد.

د- عقيدتهم في الموت والحياة الأخرى والجنة والنار:

يعتقد المندائيون أن الموت انتقال من العالم المادي -الذي هو بمثابة سجن ومنفى مؤقت للروح التي سرعان ما تحرر بالموت وتنتقل- إلى العالم الروحي وتخلد هناك،

(١) الصابئة المندائيون، ص٤٢.

(٢) بدوي ورومي، هامش أساطير وحكايات شعبية صابئية، ص٣٠.

(٣) الحسني، الصابئون، ص٦٤.

لأن عندهم الجسد فان والروح خالدة ولكن بعد أن تحاسب حسابا عسيرا بأن تـوزن أعمال صاحبها فإن رجحت حسناته فإن روحه تذهب إلى عالم الأنوار "الجنة" وتتنعم هناك بما يتنعم به القديسون والروحانيون. وإن رجحت سيآته فإن روحه تقاد إلى المطهر "المطراثه" في عالم الظلام "النار" حيث تتعذب فيه بدرجات متفاوتة إلى أن تتطهر من ذنوبها ثم ترسل إلى عالم الأنوار[1].

المحرمات عند المندائيين[2]: يحرم دين الصابئة كثيرا من الأمور أهمها:

١- القتل والقتال إلا في حالة الدفاع عن النفس .

٢- احتساء الخمر حتى السكر . ولعب الميسر مطلقا.

٣- الأكل والشرب والاشتغال قبل الاغتسال من الجنابة.

٤- قطع الطريق وسلب المارة.

٥- الاشتغال في الأعياد وفي أيام الأحد .

٦- الفتنة والغيبة والنميمة.

٧- الحبس عن دين مهما كانت مدته.

٨- حلق الذقن والشارب أو الأخذ منها.

٩- حلف اليمين وإن كان صدقا.

١٠- الزنا واللواط.

١١- الختان.

١٢- مؤاكلة أصحاب الأديان الأخرى.

١٣- لبس الأزرق.

١٤- النظر إلى المحصنة بريب.

---

(١) غضبان الرومي، تعاليم دينية لأبناء الصابئة، ص١٠، وبدوي ورومي، مقدمة كتاب ، الصابئة المندائيون ص١٩، والحسيني، الصابئون، ص١٣٠ و١٣٨.

(٢) الحسني، الصابئون، ص١٣٩.

١٥- شهادة الزور.

١٦- الربا وربح الربا.

١٧- خيانة الأمانة.

١٨- أكل لحم كل ذي ذنب.

أعياد المندائيين:

تبدأ السنة عند المندائيين بشهر نيسان وتحتوي على ٣٦٥ يوما فقط وليس فيها سنة كبيسة وهي تقسم إلى أشهر في كل شهر ٣٠ يوما ويعتبرون خمسة الأيام الزائدة شهرا منفردا يسمونه عيد الخليفة أو "البنجة" وتقع بين الثلاثين من شهر "شمبلتة "أيلول واليوم الأول من شهر "قينة" تشرين أما بدء التاريخ عندهم فينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: بدء الخليقة وهبوط آدم وهو أول تاريخ تضبط به السنين.

الثاني: عام طوفان نوح وهو الأمد الثاني لتحديد السنين.

الثالث: ولادة يحيى عليه السلام وهي لا تفرق في المدة عن ولادة ابن خالته السيد المسيح عليه السلام إلا بستة شهور لذلك فهم يتفقون في بداية تاريخهم الأخير مع التاريخ الميلادي ويتخذون منه تاريخا لأمورهم الدينية وشؤونهم الشخصية(١).

وهم يعظمون يوم الأحد -كالنصارى- ويقدسونه كثيراً ويعطلون فيه أشغالهم كافة أما أعيادهم فهي:

أ- **العيد الكبير**: وهو عيد رأس السنة ويسمونه "دهفة ربه" ويعرف باسمه الفارسي أيضاً "نوروز ربه" ويسميه العامة "عيد الكرصة" ومدته يومان.. وفي آخر يوم من السنة يبدأ الاستعداد لاستقبال العيد فيذبحون الخراف والدجاج.. ويخبزون

---

(١) انظر: غضبان رومي، تعاليم دينية، ص٣٧، والدكتور أحمد الخشاب، الاجتماع الديني، ص٣٠٥، والحسني، الصابئون، ص١١٦، والليدي دراور، الصابئون، ص١٤٣.

الخبز والفطائر "الكعك" ويطهون الخضر بعناية ويحفظون ذلك غذاء لهم خلال فترة الكرصة ومدتها ٣٦ ساعة تبدأ من مطلع العام الجديد كما أنهم يغسلون الملابس ويجلون الأواني ويجلبون من ماء النهر ما يكفيهم لتلك المدة وقبيل غروب شمس آخر يوم يغتسل أفراد المندائيين رجالا ونساءا صغارا وكبارا بالارتماس في النهر ثلاث مرات وتزغرد النساء ابتهاجا ويعود الجميع إلى بيوتهم حيث يجب أن يكرصوا فيها ولا يخرجون منها ولا يقومون بأي عمل فيها حتى انقضاء ٣٦ ساعة ويبقى أفراد الطائفة يقظين يلعبون الألعاب ويقصون الحكايات.

وإذا مس طعامهم أو شرابهم حيوان أو طير أو زاحفة أو نحلة منع تناوله أما إذا عض أحدهم كلب أو أفعى أو لسعته نحلة أو عقرب.. فإنه يعزل عن أهله ويمنع عن الأكل أو الشرب والاختلاط بأحد ما حتى إذا انتهت مدة الكرصة عمدوه في الماء الجاري ستين مرة. وبعد انتهاء مدة الكرصة مباشرة.. يرتمسون في الماء الجاري وفي الصباح يخرجون من دورهم يتزاورون ويبتهجون ويعيد بعضهم بعضا[(١)].

ب- العيد الصغير: ويسمونه" دهفة حنينة" وأحيانا "دهفة طرمة" ومدته يوم واحد ويقع في اليوم الثامن عشر من شهر "تورا" ايار ولكنه يستمر يومين آخرين لإتمام شعائره وتقام خلاله مراسم التعميد وقراءة الفواتح وتقديم القرابين على أرواح الموتى ويكثر المندائيين خلاله من أعمال البر والإحسان ويقيمون الأفراح ويقام هذا العيد احتفالا بعودة "هيبل زيوا" [(٢)] إلى عالم الأنوار من عالم الظلام[(٣)].

جـ- عيد الخليقة: ومدته خمسة الأيام الكبيسة "بروانايا" أو البنجه وفيه يقام

---

(١) انظر: دراور، الصابئة المندائيون، ص١٤٥،١٤٦. والحسني، ص١١٧.

(٢) يترجم رجال الدين المندائيين هذا الاسم بـ "واهب النور" وهو أسهل وأكثر الأسماء النورانيين استعمالا.

(٣) انظرك دراور، الصابئة المندائيون، ص١٥، والحسني، الصابئون، ص١١٧.

أكبر عيد عمادى نهري ويكرس كل يوم من الأيام الخمسة لروح نوراني[1] وفيه تفتح أبواب عالم الأنوار وتظل مفتوحة أثناء الليل وأطراف النهار، ولهذا تجوز إقامة الصلوات والمواسيم في الليل أيضا في حين أنهما لا يجوزان في سائر أيام السنة إلا نهارا وفيه يتقبل الله دعوات المؤمنين الصالحة إذا كانت خارجة من قلوب مفعمة بالإيمان وخصوصا إذا صادفت ليلة النعم "ليلة القدر" التي هي إحدى الليالي الخمس.

والبنجة احتفال ديني أكثر منه عيد بهجة وفرح ففيه يجري تعميد أبناء الطائفة جماعات ووجدانا رجالا ونساء يشخص فيه المندائي من كل مكان بعيد إلى حيث يقيم رجال الدين لغرض التعميد والمشاركة في الفاتحة والصدقة المباركة والذكرى من أجل الموتى[2].

د- عيد ميلاد يحيى: ويسمونه "دهفة اد إيمانه" ومدته يوم واحد ويأتي بعد البنجه بستين يوما وهو من أقدس الأيام عندهم وهو احتفال بتعميد آدم عليه السلام وفيه يجب على الاتقياء أن يتعمدوا كأسلافهم وفيه كانت ولادة يحيى عليه السلام وبما أنه يقع في الصيف فهو أنسب المواسم لتعميد الأطفال لأول مرة ومن يتعمد فيه من أبناء الطائفة في ملابس جديدة فإنه ينال أجر ستين عمادا[3].

كتب المندائيين المقدسة:

الكتب المقدسة هي المصادر الوحيدة لأديان العالم. وليس من أمة على وجه البسيطة لا تستمد ديانتها من كتب تعتقد بصدورها من مصدر سماوي.

ويرى الصابئة المندائيون أن كتبهم المقدسة قد توارثوها بصورها الموجودة لديهم

(١) اليوم الأول لـ "أنوش اثر" والثاني "شيشلام ربه" والثالث "يوخاشاركنه" والرابع "نابوت زيوا" والخامس "بهرام ربه" ويقولون، أن هؤلاء قد خلقوا في أيام البنجة وسموا بأسمائهم فيه.

(٢) انظرك المصدرين السابقين، ص١٥٣، وص١٢٢.

(٣) انظر: دراور، الصابئة المندائيون، ص١٥١، ١٥٢. والحسني، الصابئون، ص١٢١.

من آدم أبي البشر عليه السلام ومنه انحدرت إلى نوح عليه السلام وبعد الطوفان إلى سام ثم إلى ولده رام ومنه إلى إبراهيم الخليل عليه السلام فموسى الكليم عليه السلام فيحيى بن زكريا عليه السلام.

والذي يلفت الأنظار بنوع خاص أن الصابئة يحرصون على منع الغير من الاطلاع على كتبهم المقدسة منعا شديداً لأنهم يرون في هذا الاطلاع أمراً محرماً يأثم الفاعل عليه ولهذا لا يكاد الإنسان يستطيع الوقوف على أحدها إلا بشق الأنفس. وقد حاول فريق من المستشرقين أن يحصلوا على بعض هذه الكتب وبذلوا في سبيل ذلك مبالغ طائلة فأخفق أكثرهم. ووفق نفر قليل منهم في الحصول على بعضها وقاموا بترجمتها إلى لغات عالمية مختلفة.

أما لغة هذه الكتب فهي "المندائية" وهي لغة سامية قريبة من "السريانية" وكانت مشهورة في قديم الزمان غير أن "المندائيين" يعتقدون بأنها اللغة التي كان يتكلم بها آدم عليه السلام[1].

وأهم كتب المندائيين المقدسة هي:

أ- **كنزه ربه**: أي الكنز العظيم ويسمى أيضا "سدره ربه" أن الكتاب العظيم أو كتاب آدم وقد يكتفون بقولهم "السدره" بوجه الإطلاق ويعتقد المندائيون أنه "صحف آدم" نفسها[2] وهو مخطوط كبير يقع في قسمين:

الأول: يحتوي على فقرات كثيرة موضوعها: نظام تكوين العالم وحساب الخليقة والتطورات البشرية وصفات الخالق ووعظ وإرشاد وأدعية وحكايات.

والقسم الثاني: يعالج شؤون الميت.

---

(١) د. أحمد الخشاب، الاجتماع الديني، ص٣٠٢، والحسني، الصابئون، ص٦٩، ٧٠.

(٢) ترجمات وتعليقات في فترات مختلفة بلغت ذروتها في ترجمة الأستاذ ليدز بارسكي النفيسة إلى اللغة الألمانية وقد طبعت عام ١٩٢٥م.

ب- دراشه أديهيا[1]: ويسمى أيضاً "سدره أديهيا" أي تعاليم يحيى أو كتاب يحيى وإرشاداته الدينية.

وهو يحتوي فقرات موضوعها: النبي يحيى بن زكريا ولادته.. نشأته.. تربيته الدينية ثم دروسه وإرشاداته وتعاليمه ثم وفاته وكيفيتها وصعوده إلى السماء.

جـ- سدرة اد نشماته: أي كتاب التعميد وسر المعمودية المقدس، ويعتقد المندائيون أنه أنزل على آدم أبي البشر عليه السلام وأنه أساس دين الصابئة.

وهو يحتوي فقرات موضوعها كالمراسم التي ينبغي اتباعها في الجنائز وتلقين الأموات وكيفية دفنهم وأسباب تحريم البكاء أو إعلان الحداد عليهم وكيفية خروج الروح من الجسد وتنقلاتها حتى تستقر في عالم الأنوار وما إلى غير ذلك مما يتعلق بالموت والمعاد. كما يحتوي نصوص الصلاة التي قرأها رجل الدين في حفلات التعميد[2].

د- سفر ملواشه: أي سفر البروج وهو مخطوط لأغراض التنجيم والفلك ويستخدمه رجال الدين لمعرفة أحداث السنة المقبلة ومعرفة البرج الذي ولد فيه الشخص فيستنبطون اسمه المقدس. "الملواشه" ويعينون به طالع المولود. كما يحتوي الكتاب على أذكار وأوراد منوعة يستعين المندائي بها على طرد النوائب وأبعاد الأمراض[3].

هـ- تفسير بغره: وهو يبحث في علم تشريح جسم الإنسان وفي الأسرار الكامنة وراء الوجبات الطقسية.

و- انياني: أي كتاب الأناشيد أو الأذكار الدينية.

---

(١) ترجم الأستاذ ليدز بارسكي هذا الكتاب إلى اللغة الألمانية عام ١٩١٥م.

(٢) ترجم الأستاذ ليدزبارسكي القسم المختص بطقوس التعميد من هذا الكتاب إلى اللغة الألمانية، عام ١٩٣٠م.

(٣) نشرت الليدي دراور هذا الكتاب بنصه المندائي عام ١٩٤٩م، ثم نشرته مترجما إلى اللغة الإنكليزية.

ويحتوي الأذكار التي تتلى في الصلاة اليومية وبعض المراسم التي تتبع في دفن الموتى والطهارة الصغرى، الوضوء، الرشامة.

ز-ديوان طقوس التطهير والتكريس بأنواعه كتكريس رجل الدين وتكريس المندى وتكريس الأستاذ "كنز فره".

ح- دواوين الرقى والتعاويذ وتسمى "قماهي" و "زرستي"[1] وهي عبارة عن تعزيمات شتى يضمها درج كبير ويدعي المندائيون أن من يحمل شيئا منها كحجاب فإنه لا يؤثر فيه شيء لا سلاح ولا نار. وهم يحرصون عليها كل الحرص ولا يسمحون لمن هو على غير دينهم أن يمس الدرج الذي يحتويها حتى لا تتنجس أو تفقد مفعولها.

ط- قلستا: أي كتاب عقد الزواج:

ويحتوي رسوم الزواج وشعائره والاحتفالات التي تقام أثناء عقده وكيفية تحليل النكاح الشرعي وإجراء الخطبة وما إلى ذلك.

ي- حران كويثا: أي حران الداخلية أو السفلى.

وهو كتاب تاريخي أسطوري قصصي.

ك- وللمندائيين كتب أخرى عدا ما ذكرنا وهي تتعلق بعقائدهم وطقوسهم وشعائرهم الدينية وآدابهم وعاداتهم الاجتماعية منها كتاب "ترسر ألف شياله" أي كتاب الاثنى عشر ألف سؤال و"ديوان أباثر" وهو في محاسبة الإنسان ووزن أعماله في الحياة الأخرى.

---

(١) قما: باللغة المندائية تعني "يقمط" وزرس: تعني "يقي أو يصون".

الفصل الثالث

الديانة النصرانية

- تاريخ الديانة النصرانية:
  - الكنيسة حتى عام ٣١١م
  - الكنيسة بعد ظهور قسطنطين
  - الكنيسة في العصور الوسطى
- الحروب الصليبية.
- الإصلاح الديني.
- نشأة البابوية.
- المعتقدات الكنسية.
- المجامع الكنسية.
- الفرق المسيحية.
- الكتب المقدسة عند المسيحيين.

نشوء الكنيسة

أولا: الكنيسة حتى عام ٣١١م

من المعلوم أن الدعوة المسيحية لم تتوجه إلى الأميين (وهم الأقوام غير اليهودية) في البداية. وإنما كانت دعوة إصلاحية إلى اليهودية، وكان السيد المسيح عليه السلام قد وجه بكل اهتمامه إلى هذا الهدف (إنما بعثت إلى خراف بني إسرائيل الضالة) ورغم أن الإنجيل يحدثنا عن دعوة السيد المسيح عليه السلام هذه لقوله "فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس"(١).. إلا أن تاريخ الكنيسة يذكر لنا بأن (الحواري بطرس) كان الأول الذي توجه إلى الأميين لدعوقم للانضمام إلى الدين الجديد. والذي اصبح عالميا بعد أن انتشر الحواريون والمعلمون والتلامذة في كل بقاع الأرض وكان الأكثر أهمية في نشر الديانة المسيحية بين القبائل الوثنية هو "بولص الرسول"(٢). والذي عمل من أجل نشر الديانة المسيحية بصورة متميزة.

وكان اليهود قد وصلوا في عهد الاحتلال الروماني لفلسطين وكثير من بقاع الشرق الأوسط، إلى حياة الذل والشقاء. حيث لم يكتف الرومان باضطهادهم، بل نصبوا لهم تماثيل آلهتهم في الأماكن العامة والمقدسة مما أشعر اليهود بانتقاص عقائدهم. ولعل ما زاد في شعور اليهود بالذل. رؤيتهم أعضاء مجلسهم الأعلى "السنهدرين" قد اتجهوا لجمع وفرض السيطرة السياسة على أبناء ملتهم وأهملوا رعاية "الهيكل" بأن

(١) انجيل متى، ٢٨/١٩-٢٠.

(٢) يقول ويلز في كتابه The out line of History Voly 3p.679، أن يسوع الناصري هو نواة المسيحية أكثر منه مؤسسا. فشاؤول، الذي سمي فيما بعد بولص، هو في الحقيقة مؤسس المسيحية. راجع أحمد شلبي، المسيحية، ص٧٥.

حولوه إلى سوق تجارية عامة[1]. فراح الكثير من اليهود ينتظر بفارغ الصبر ظهور الزعيم الذي بشرهم به أشعيا ودانيال. ذلك الفارس سليل داود عليه السلام ليعيد ملكوت الله فيملأ الأرض عدلا ويوقظ دولة الأجداد لتمتد من الفرات إلى النيل تحت حكم التوراة[2]. ولقد ظهر النبي يحيى عليه السلام يؤذن في الناس قرب ظهور المسيح. وكان يعمد الناس. بأن يسكب على رؤوسهم زيتا وماء ليكونوا صالحين. وقد عمد يوحنا بنفسه شخص المسيح عيسى بن مريم عليه السلام وأخبره بأنه يعلم أنه المسيح المنتظر. وأخذ المسيح عليه السلام يبشر برسالته بين أصحابه. وكان يتحسس مفاسد رجالات الديانة اليهودية.

فبدأ يقود حربه ضدهم، وابتدأ رسالته الجديدة. وقد تبعه في البداية اثنا عشر رجلا هم الحواريون. فعلمهم تعاليمه وأرشدهم إلى ما يحب عمله. وراح ينشر دعوته في القرى والمدن الصغيرة، فهيأ أذهان عامة اليهود لتقبل دعوته ونقل دعوته بعد ذلك إلى المدينة المقدسة. فأصبح لزاما عليه أن يواجه السلطتين الدينية وهم الحاخامات أو السنهدرين والسلطة السياسية وهم الحكام الأجانب. وبعد مجادلات لم تدم طويلا بتحريض من رجال السنهدرين. قبض عليه وصلب ثم قام ورفع إلى السماء كما تقول الأناجيل المسيحية أو اختفى وتوفي بعد ذلك أو رفع إلى السماء كما يفهم من القرآن الكريم[3]. قال تعالى ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ [آل عمران:٥٥]وقد ناقشها الدكتور أحمد شلبي في كتابة المسيحية من (الأديان المقارنة) ورغم انتظار اليهود للمسيح المنقذ فإنهم وقفوا منه موقفا سلبيا و لم يدافعوا عن حياته. ولعل ذلك يرجع إلى عدة أمور منها:

١- إنهم كانوا ينتظرون قائدا قويا سيأتي على رأس جيش يقارع الأعداء بصلابة

(١) قصة الديانات، سليمان مظهر، ص٣٩٩.

(٢) تاريخ الرسل والملوك الطبري، ص١٦، وانظر .Religionen S.296

(٣) انظر قصص الأنبياء، ص٢٧٣، وكذلك .Religionen Sp26F

ليثبت جدارته، بينما جاء المسيح عليه السلام شخصا مسالما يدعو إلى تعاليم تناقض ما عهده اليهود من العنف والوحشية والقوة. وكانوا يتوقعون زعيما يقودهم ضد الرومان ليؤسس بالقوة ملكوت الله، إذا به يدعوهم "أحبوا أعداءكم باركوا لاعينكم، أحسنوا إلى مبغضيكم، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطرونكم". "متى ٥:٤٤"[١].

٢- إنه وقف موقفا مناهضا لأعضاء السنهدرين أصحاب السطوة الدينية دون قوة تسنده وهاجم الأغنياء فألبهم على نفسه.

٣- إن عامة الناس لم يفهموا منحى تعاليمه بصورة جيدة ولم يدركوا طريقة قلب النظام السياسي القائم آنذاك والذي توقعه أن يقوم به[٢].

٤- أنه لم يستمر طويلا في نشر دعوته. فبينما قضت اليهودية فترة طويلة في التاريخ تكتب وتطور عقيدتها. لم يقض السيد المسيح أكثر من ثلاث سنوات في نشر تعاليمه قضى معظمها في القرى والأرياف. ولم يأت إلى القدس للدعوة إلا قبيل انتهاء رسالته بفترة قصيرة ومحدودة جدا.

وعلى كل حال فإن النهاية التي انتهى إليها السيد المسيح (والتي صورها لنا الإنجيل) كانت سببا في هروب أنصاره إلى المدن الكبرى حول العالم لينقلوا تعاليمه إلى شعوبها. فابتدأ عهد جديد في تلك الرسالة بأنها تحولت من رسالة محلية إلى بني إسرائيل إلى رسالة بقية الأمم لتكون ديانة عالمية ولقد كتب بعضهم مذكراته عن السيد المسيح ضمنها الكثير من أقواله وأفعاله. ولكن (بولص الرسول) جمع الكثير من

---

(١) وفي النقيض من هذا الكلام، توسع الإنجيل في مجال التعامل الإنساني حسب الظروف بنصوص فيها شدة أحيانا وردعا للشر أحيانا أخرى ومن هذه النصوص "لا تظنوا إني جئت لألقي سلاما على الأرض. ما جئت لالقي سلاما بل سيفا (متى: ١٠٢٤-٢٥). كما يدعو إلى التسلح (من ليس له ثوب فليبع ثوبه وليشتري سيفا) لوقا: ٣٥/٣٢.

(٢) المسيحية د. أحمد شلبي، ص٨٢.

المعلومات فكتب رسائل وأعمالا كثيرا يتحدث عنها الكتاب المقدس مما رسم أمورا ميزت ديانة المسيح بمميزات جديدة. فصارت بعد ذلك ديانة تدعى الديانة (النصرانية) أو المسيحية وقد كان بولص يهوديا حارب المسيحية بضراوة وقتل الكثيرين من أتباع السيد المسيح عليه السلام، إلا أنه ادعى بأنه التقى بروح السيد المسيح عليه السلام وهو في طريقه إلى دمشق. فهداه المسيح عليه السلام إلى نوره فخصص ما تبقى من حياته في خدمة الدين الجديد.

وكما قلنا فإن بولص الرسول ضمن المسيحية أفكارا مميزة نسبها إلى شخص السيد المسيح عليه السلام، فصار المسيح عليه السلام ابن الله. نزل إلى الأرض ليقدم نفسه قربانا ويصلب تكفيرا عن خطيئة البشر(١). وعلى كل حال فإن الديانة الجديدة تميزت بمعتقدات مهمة هي:

١- إنها انفتحت على بقية الشعوب و لم تبق مغلقة لليهود.

٢- أصبح (يهوة) إله بني إسرائيل واليهود إلها عالميا متميزا بأقانيمه الثلاث. الله الأب. وابنه المسيح الذي أرسله لتخليص العالم من خطيئة آدم الأولى. والروح القدس الذي يربط ما بين الاقنومين.

٣- أن السيد المسيح سيعود إلى الأرض مرة أخرى.

ولقد ساعدت أفكار بولص المسيحية على الانتشار بصورة واسعة في البلاد الغربية الأوربية بينما انحسرت في الشرق. لأن الشرقيين قد تعودوا على الوحدانية

---

(١) المصدر السابق ، ص٨٩، وفي الهامش رقم (٨) صلة وانظر Die Riligionin Geschichte und Gegenwart S.630.

في حين نجد نصوصا أخرى تقول على لسان السيد المسيح عليه السلام "أجز عين هذه الكاس، ولكن ليكن لا ما أريد أنا بل ما تريد أنت" (مرقص: ١٤/٣٧).

وما كان المسيح عليه السلام سعيدا ساعة صلبه لأنه كان يقول "نفسي حزينة جدا حتى الموت" (مرقص:١٤/٣٧) وكان ينادي ربه بفزع: "ايلي.. ايلي.. لماذا تركتني" (متى: ٢٧/٢٨).

والنبوات التي دعت إلى إله واحد. بينما جاملت عقيدة بولص التثليثية عقليات الوثنيين في الغرب[1]. إذ أن أديان قبائل أوربا الوثنية آنذاك كانت متبادلة التأثير مع الأديان المصرية التي كانت تجعل من الإله الأعلى عائلة من ثلاثة أقانيم. هو الأب والزوجة والابن[2].

وقد واجهت الكنيسة بعد غياب السيد المسيح عليه السلام وخلال القرون الثلاثة الأولى اضطهادا كبيرا لا يوصف. وقد عانى قادة الكنيسة الأوائل كثيرا من العنف والتعذيب والاضطهاد بسبب إيمانهم. حيث عذب وسجن كل من بطرس ويوحنا من كتبة الأناجيل أكثر من مرة. فقتل كل من القديس اصطيفان والقديس جيمس. وحاول اليهود أن يوقعوا ببولص، إلا أنه نجا منهم، وكان نيرون الذي ابتدأ حكمه عام ٦٤ للميلاد. أول إمبراطور مارس تعذيب المسيحيين. وقام بحرق روما لمدة ستة أيام واتهم نيرون المسيحين بهذا الحريق. ألقى القبض على كثير منهم.فصلب الكثير منهم لهذا السبب ورمى الكثير منهم إلى الحيوانات المتوحشة وسط ساحات الألعاب ليقضوا بها نحبهم، وقتل بولص وبطرس في روما صلبا وتعتبر روما من أشد المناطق التي حصلت فيها الاضطهادات في هذه الفترة[3].

أما الاضطهاد الجماعي فقد حدث خلال الأعوام ٦٨-١٦١. حيث قتل خلال هذه الفترة كثير من قادة الكنيسة منهم أغناطيوس (٦٧-١١٠) بطريارك أنطاكيا. وبوليكارب بطريارك سميرنا وجستين (١١٠-١٦٦) الفيلسوف الكاتب المدافع عن الكنيسة وعن أتباعها.

وقد استمر الاضطهاد في عصر الإمبراطور ماركوس أوريليوس (١٦١-١٨٠).

---

(١) راجع مختصر تاريخ الكنيسة ص١٤٦، وانظر المسيحية، د. أحمد شلبي، ص٨٦-٩٤.

(٢) الأديان، دراسة تاريخية مقارنة (فصل الديانة المصرية).

(٣) راجع. The Church in History, pp7 كذلك، تاريخ الموازنة، ص١٧.

حيث أصدر أمرا بشرعية السيطرة على كل أملاك المسحيين. فأصبحت أملاك المسيحيين فيه مشاعة وتعطى لمن يقتل صاحبها المسيحي. وكان المسيحي من مواطني روما يعاقب بقطع الرأس. أما الأجانب فكانوا يرمونهم إلى الوحوش الضارية. وكانت جثث القتلى المسيحيين تحرق ويرمى رمادها في نهر الرون.

وبعد أوريليوس. تنفست الكنيسة بعض الراحة. إلا أن سبتيموس سفيروس الذي حكم بين (٢٠٠-٢١١م) قد أعاد الاضطهاد إلى الكنيسة وكانت الإسكندرية هي أعنف الأماكن التي شهدت الاضطهاد هذه المرة. وقتل راهبها أوريجون والد أشهر علماء الكنيسة وفقائها.

وقتل (ارينيوس) في هذه الفترة، وهو مؤلف أشهر كتب عن الكنيسة واسمه "ضد الكفر أو ضد الهرطقة" وأصدر الإمبراطور ديسيوس (٢٤٩-٢٥١) أمرا بسحق المسيحيين وتدمير الكنيسة. ثم أكمل خلفه فاليريان هذا الاضطهاد من بعده. وفي سنة ٣٠٣. بدأ الامبراطور ديوكليشان اضطهادا جديدا ضد الكنيسة أكمله من بعده كلاريوس الذي مضى باضطهادها حتى عام ٣١١.

وقد قتل سايبريان وأوريجون على يديه. وتخفى الكثير من المسيحيين في عهده في مجاري المياه والقبور والممرات السرية التي كانت قد حفرت في روما(١).

وكان الاضطهاد في عهد ديوكليشان وكلاريوس من أشد أنواع الاضطهاد الذي واجهته الكنيسة، وفي عام ٣١١م دعا الإمبراطور (كلاريوس) إلى إيقاف كل عمليات التعذيب ضد المسيحيين. وأصدر أمرا بالسماح للمسيحيين بالقيام بتعبداتهم بصورة علنية. ولكن أمر كلاريوس هذا لم يكن يعتبر انتصارا كبيرا تنتصره الكنيسة.

وقد اشتهر هذا العصر الممتد ما بين الميلاد وحتى عام ٣١١م، بأعمال الحواريين والمعلمين الأوائل وتلاميذهم والقديسيين ومفكري وفلاسفة الديانة المسيحية من الذين

(١) A History of the Christian Church Pp. 32-37.

كانوا يتصدون للكفر والزندقة والرد على اتهاماتهم. وكان منهم ايرانيوس وترتوليان وجستين وكلمنت الاسكندري. وقد تثبتت بعض المصطلحات التي أخذت الكنيسة باستخدامها كالقانون المسيحي Canon والعقيدة المسيحية Creed والتنظيم المسيحي أو الرعية Organization[1]. كما وقد أصبح للكنيسة رجالها الذين يعملون فيها[2].

وكان لهذه الفترة فضل في تثبيت العقيدة المسيحية. ولعب البطريارك سايبريان المولود في قرطاج حوالي سنة ٢٠٠ للميلاد دوراً في تسجيل هذه العقائد والتي يمكن تلخيصها بما يلي:

١- أن الإله واحد.

٢- أن المسيح (أبو الكنيسة) هو شخص واحد.

٣- أن الكنيسة واحدة ولا خلاف فيها.

٤- أن السلطة الكنيسة يجب أن تقاد من قبل شخصية معنوية واحدة.

٥- لا مغفرة خارج الكنيسة، ومن يخالف مسؤول الكنيسة الشرعي لا يعتبر مسيحياً.

وكانت أفكار سايبريان هذه قد انتشرت في خضم الاضطهاد الذي عانت منه الكنيسة[3].

---

(١) The Church in Historhy Pp. 7-28.

(٢) تتوزع الوظائف في الكنيسة الكاثوليكية بصورة هرمية على رأسها البابا الذي ينتخبه مجلس الكرادلة. ويلي البابا في الرتبة الكاردينال. ثم رئيس الأساقفة فالأسقف فالقس. ويسمى هذا الصنف من الموظفين الكنسيين بالموظفين المدنيين Secular أما الطبقة الأخرى من الموظفين الكنسيين هي الرهبان والراهبات والمتزهدين الذين عاشوا في الأديرة واهتموا بإعداد الناس للآخرة وسموا برجال الدين الاعتياديين Regular (تاريخ أوربا من عصر النهضة وحتى الثورة الفرنسية ١٥٠٠-١٧٨٩ ص١٧١).

(٣) The Church is History Pp. 18-21, A History. Of the Christian Church pp.37-39.

٢- الكنيسة بعد ظهور قسطنطين:

ولقد كانت الإمبراطورية الرومانية تعاني من الانقسام. وكانت أوربا الغربية تناهض الإمبراطور ماكسنيوس الذي بقي يحكم إيطاليا وشمال أفريقيا. أما أجزاء الإمبراطورية الأخرى فقد عين لها قسطنطين الأول إمبراطوراً عام ٣٠٦ في بريطانيا فأصبحت له آنذاك السلطة على كل من فرنسا وإسبانيا.

وحاول ماكسنيوس إخضاع أوروبا الغربية إليه. ونادى بإسقاط قسطنطين، لذلك فقد بدأ قسطنطين بالإعداد لمواجهة ماكسنيوس. فتهيأ الطرفان للحرب. فسار إليه قسطنطين. فالتقى جيشاهما في منطقة (ساكساروبرا) التي تبعد عن روما بعشرة أميال. وكان جيش ماكسنيوس ثلاث أضعاف جيش قسطنطين.

ويروي لنا تاريخ الكنيسة بأن قسطنطين قد تراءى له ليلة الحرب صليباً في السماء مكتوباً عليه (انتصر بهذا الشعار). وفي الثامن والعشرين من أكتوبر سنة ٣١٢م، بدأت الحرب وانكسر جيش ماكسينوس وهرب الأخير، إلا أنه غرق في نهر التيبر فأصبح قسطنطين بعد هذه الموقعة إمبراطوراً للإمبراطورية الرومانية جمعاء.

وكان أول مرسوم يصدره أثناء تولية العرش قد صدر في ميلانو سنة٣١٣م. اعتبر المسيحية إحدى الأديان المسموح بممارستها[1]. فوضع هذا المرسوم حداً لعمليات الاضطهاد التي واجهها المسيحيون. ويعتبر هذا المرسوم نصراً كبيراً للكنيسة.

وجعل المسيحيون في عهد قسطنطين يوم الأحد يوماً مقدساً ومنعوا أتباعهم من العمل فيه.

وبطبيعة الحال. فإن الحرية التي وضعها قسطنطين للكنيسة جعلت المنافقين يتدافعون لاعتناق المسيحية ودخول هذا الدين إرضاء للحكام الذين بدأوا يبدون ميلاً

(١) The Church in History Pp. 24-25, Comparative Religion 253. م/٧.

له. وهكذا فإن (الكثرة) التي دخلت الكنيسة في هذه الفترة قد أضاعت (النوعية) المطلوبة للإيمان وهذا ما اعتبرته الكنيسة آنذاك انتكاساً وليس انتصاراً(١).

وقد أعلن قسطنطين دخوله إلى الدين الجديد عام ٣٢٥م، عند رئاسته للمجمع المسكوني الذي عقد في مدينة نيقية. وفي مقابل هدايته ودخوله الدين الجديد وإعطائه الحرية السياسية للمسيحيين. فإنه قد طلب أن يسمح له بالتدخل في شؤون الكنيسة. وكان لهذه العلاقة التي نشأت بين الدولة والكنيسة الأثر السلبي في تاريخ الكنيسة بعدئذ(٢).

وفي سنة ٣٦١م اعتلى (جوليان) ابن أخ قسطنطين كرسي الامبراطورية وكان مجبراً على الانتماء إلى الكنيسة. إذ لم يعتقد بها اعتقاداً صحيحاً. لذا فإنه حاول إعادة الدولة إلى الوثنية حال اعتلائه العرش(٣). لكنه لم يفلح بذلك إذ أن الوثنية قد ماتت تماماً في عهد قسطنطين. إذ أنه ما إن قويت المسيحية في عهد قسطنطين ورجحت كفتها شلت كفة أعدائها. حتى انقضت على أعدائها تفتك وتفني. فتأسست الجمعيات الثورية باسم الدين. وكان أشهرها "جمعية الصليب المقدس في تورينو" التي أخذت على عاتقها استئصال شأفة الملحدين من بقايا الرومان الوثنيين، وقد سفكت الدماء وأزهقت الأرواح، وقد وصف هارتمان هذه الحركة بأنها أفظع المجازر البشرية التي سجلها التاريخ(٤).

وقتل جوليان في معركة خاضها مع الفرس عام ٣٦٣م.

وقد تعرضت الكنيسة ابتداء من منتصف القرن الرابع إلى هزات عنيفة بسبب الهجمات القبلية التي قامت بها قبائل أوربا الجوثية والجرمانية والبربرية والهانز

---

(١) تاريخ الموازنة، ص١٩.

(٢) The Church in History Pp. 43-45

(٣) تاريخ الموازنة، ص١٩-٢٠.

(٤) انظر المسيحية، أحمد شلبي، ص٦٥.

والانكلوساكسونية. فالجوثوين (الغوثيون) قد بداوا هجماهم لاحتلال المدن الأوربية عام ٣٧٦م. واستطاعوا أن يقتلوا الإمبراطور الروماني (فالينز) واستمروا في صراعهم مع روما حتى استطاعوا احتلالها عام ٤١٠م. وتعرض رجال الكنيسة والمؤمنين بها إلى القتل والتعذيب على أيديهم وسالت الدماء حتى غطت شوارع روما.

أما البرابرة. الذين تسببوا في انقسام الإمبراطورية الرومانية، فإنهم تركوا شرقي البلاد ليحكموا غربيها. فقامت بعدهم الإمبراطورية البيزنطية.

و لم يستقر البرابرة في مكان معين، بل كانوا يتركون بصمات الدماء والإرهاب أينما حلوا.

أما (الهانز). وهم من القبائل الجرمانية. فقد استطاعوا احتلال شمال أفريقيا إذ أنها ظلت محتفظة بجزيرة البلقان وآسيا الصغرى وسوريا وفلسطين ومصر واتخذت (القسطنطينية) عاصمة لها[1].

أما الإمبراطورية الغربية الرومانية، فكانت ممثلة بإيطاليا وكانت تدين لحكم البرابرة لها (الفيزيغوث والجرمان)، أما شمالي إسبانيا وفرنسا فكانتا تدينان لحكم الغوثيون واستقروا فيها بعد اهتدائهم للمسيحية. أما الفاندالز والبور غنديون فقد احتلوا شرق فرنسا وشمال أفريقيا وآمنوا بالعقائد الآرية[2] (أي أنهم أصبحوا ضد سلطة الكنيسة الرومانية).

أما الفرنك فقد احتلوا شمال فرنسا وبريطانيا وبلجيكا وجنوبي هولندا.

والفريسيون قد احتلوا شمال غربي هولندا. أما شرق هولندا فقد كان محتلا من قبل الأنجلوا ساكسونيون والذين استطاعوا احتلال بريطانيا (وكانوا وثنيين).

وقد لعب الباب جريجوري العظيم الذي حكم الكنيسة منذ (٥٩٠-٦٠٤)م

---

(١) ملخصة عن كتاب The Church in Hisotyr Pp. 29-58.

(٢) راجع مؤتمر نيقية حول مفهوم العقيدة (الآريوسية). ص٢٧٨ من هذا الكتاب.

دورا كبيرا في هداية الأنجلو ساكسونيين والقبائل الجرمانية والهولندية إلى المسيحية وكان جريجوري العظيم شخصية قوية. إذ أنه استطاع تسييس الدين وسيطر على جميع الأفراد.

وصار يعين الأمراء ويقصيهم. وأصبحت كل أوربا تحت سيطرته وقد اعتبر البطاركة الرومانيون خلفاء الحواري بطرس. أي أن كلمتهم لا بد وأن تكون مسموعة ومقدسة من الجميع وكانت سببا في تثبيت العقائد المهمة الثلاثة للكنيسة وهي:

١- إن العشاء الرباني أن هو إلا تأكيد على تضحية المسيح عليه السلام[١].

٢- إن القديسين ذوو تأثير على حياة الناس، أي أهم شفعاء لهم.

٣- إن طهارة المرء واجبة (عن طريق الإيمان)[٢].

٣- الكنيسة في العصور الوسطى:

لم تكد الكنيسة أن تنتقض من هجمات البرابرة والأقوام الجرمانية والانجلو ساكسونية والغوثيون، حتى بدأت هجمات أخرى عليها أقضت مضاجعها. إذ أن ظهور الإسلام قد لعب دورا في الزحف على الكثير من الأراضي التي دخلت الكنيسة والتي تقع تحت سلطة الإمبراطورية الرومانية واستعادها العرب لتضم إلى الإمبراطورية الإسلامية التي تأسست منذ بعثة محمد ﷺ وتوسعت بعد وفاته عام ٦٣٢م[٣].

فقد زحف جيش المسلمين على فارس وأراضي الهند. واستعادوا سوريا وفلسطين وفتحوا مصر شمال أفريقيا. وفي سنة ٧١١م، بدأوا فتحهم للأندلس (إسبانيا) والتي أصبحت تحت سيطرتهم التامة عام ٧١٨م، وحاول المسلمون الصعود

---

(١) كان العشاء الرباني ليلة صلب المسيح (حسب عقيدة الكنيسة) ويخبرنا الإنجيل بأن التضحية لم تكن برغبة من السيد المسيح نفسه (إيلي..إيلي..لماذا تركتني) "متى:٢٧/٢٨" (هذا ما تريده أنت لا ما أريده أنا) "مرقص: ١٤/٣٧".

(٢) The Church in History p.58.

(٣) The Church in History Pp.61-68.

إلى فرنسا. إلا أن حاكم فرنسا شارلز مارتيل دعا جميع الفرنجة إلى الالتفاف حوله لصد المسلمين. فانضم إليه جيش كبير واشتبكوا مع المسلمين في مدينة (تولوز) عام ٧٣٢م. وتمكن الفرنجة من الوقوف في وجه التقدم الإسلامي. وعاد العرب يفصلهم عن الفرنجة جبال البايرنيز، وأصبح شارلز مارتيل بطلا قوميا لفرنسا والكنيسة ودعى منذ تلك المعركة بـ (شارلز المطرقة)(١).

وفي انتصارات الإسلام وتوسعه. أخذت الكنيسة تخسر الكثير من مواقعها. ففي الهند آمن ملايين الناس بالإسلام وأصبحت فارس جميعها مسلمة، وأصبح الإسلام حاجزا منيعا في وجه التوسع المسيحي. وبقيت المسيحية حبيسة أقطار معينة.

وكما آلت كثير من أراضي الإمبراطورية الرومانية إلى الإمبراطورية الإسلامية. فإن القارة الإفريقية شهدت إقبالا على دخول الإسلام لا زالت الكنيسة تعاني منه إلى اليوم الحاضر.

وفي سنة ١٤٩٢م. عادت إسبانيا إلى العالم المسيحي بعد سقوط آخر مدينة إسلامية في الأندلس وهي غرناطة وفي هذه الفترة فتحت القسطنطينية من قبل المسلمين بقيادة محمد الفاتح. فتحققت بذلك بشارة الرسول ﷺ "لتفتحن القسطنطينية ولنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش" وفي عام ٧٥١م أعلن ببين (Pepin) ابن تشارلز مارتيل (المطرقة) نفسه ملكا على الفرنجة. فحصل على تأييد البابا زكريا على تنصيب نفسه ملكا وبالمقابل طلب البابا من القبائل الوثنية التي اهتدت إلى عقيدة آريوس الموحدة.. وقد هزم اللومباردز بعد معركة قادها ببين ضدهم.. ومنذ ذلك اليوم بدأت الكنيسة في التدخلات السياسية للدولة وبدأت الدول الأوربية يطلق عليها اسم الدول المسيحية أو دول الكنيسة وهي بداية سيطرة البابا السياسية على الدول المسيحية فأصبح البابا منذها ليس فقط حاكما دينيا(٢). بل حاكما زمنيا أو مدنيا.

---

(١) بحث مختصر في تاريخ الكنيسة ص١٤٨.

(٢) المصدر السابق، ص٧٠-٧١.

واستمرت البابوية بذلك حتى عام ١٨٧٠م، حينما تأسست دولة إيطاليا الجديدة وأصبحت دولة الكنيسة جزءا منها. وبعد أن توفي ببين خلفه ابنه كارلومان الذي ما لبث أن توفي عام ٧٧١م، فخلفه أخوه شارل. وفي عام ٨٠٠م، انحنى شارل أمام البابا في كنيسة القديس بطرس فتوجه إمبراطورا للإمبراطورية الرومانية. فأقسم بالحفاظ على قانونية الكنيسة وتراثها والدفاع عن المسيحية. وأطلق عليه اسم شارلمان. وتقاسم أحفاد شارلمان عام ٨٤٣م الدولة الرومانية فأصبحت ثلاثة إمبراطوريات هي مملكة غرب فرنسا ومملكة إيطاليا ومملكة شرق فرنسا(١).

ونشأ في هذا العصر ما يسمى بالإقطاع Feudalisim وقد عاش الشعب في العصور الوسطى تحت نظام الإقطاع وللوقوف في وجه الغزوات البربرية فقد قسموا دولهم إلى ولايات يترأسها القادة المحاربون ليصبحوا ملوكا تابعين إلى الأباطرة أحفاد شارلمان. وقد قسم الملوك دولهم أو ولاياتهم إلى مقاطعات سمى رؤساؤها النبلاء. والنبلاء قسموا مقاطعاتهم إلى مدن يحكمها محافظون. وأولئك الذين وزعت عليهم الأراضي من الحكام كانوا يدعون الإقطاعيين. وقد جعلوا أمور إدارة الأراضي بيد (السراكيل).

وبنفس الطريقة أعطيت الأراضي إلى الكنائس لتصبح هي الأخرى إقطاعية.

وقد نشأ نظام الإقطاع بعد سقوط روما واضمحلال النظام الاجتماعي الغربي وقيام الفوضى والعنف والاضطراب في كل مكان. واستولى الأقوياء على ما قدموا عليه وشيدت الحصون المنيعة التي كان أصحابها من اللوردات يخرجون للغزو ويشتبكون مع غيرهم من اللوردات. وكان على الفلاحين طبعا أن يتحملوا القسم الأوفر من الشقاء. وهذه الفوضى هي التي تمخضت عن نظام الإقطاع.

لم يكن الفلاحون منظمين. فلم يقووا على الصمود أمام هؤلاء اللوردات، ولم

(١) المصدر السابق، ٧١.

تكن هناك حكومة مركزية تحمي الفلاحين، فوجدوا أن الأصلح لهم أن يصالحوا هؤلاء اللوردات أصحاب الحصون المنيعة الذين سلبوا أموالهم. واضطر الفلاحون أن يقدموا ثمنا للمصالحة جزءا مما تدره الأرض إلى اللورد وأن يقوموا بخدمته بشق الطرق حتى لا يسترسل بنهبهم ومضايقتهم وحتى يقوم هو بحمايتهم من أمثاله من اللوردات وقد تعاهد هذا اللورد بدوره مع لورد آخر يملك حصنا أكبر من حصنه. ولما لم يكن اللورد الصغير يستطيع أن يقدم للورد الكبير محصولا زراعيا لأنه لم يكن مزارعا. فإنه تعهد بتقديم الخدمة العسكرية أي القيام بالحرب في سبيل اللورد الكبير كلما دعت الحاجة إلى ذلك. وكان اللورد الكبير يقدم للورد الصغير الحماية. وعرف اللورد الأكبر بالمتبوع واللورد الأصغر بالتابع. وهكذا كان النظام يتدرج حتى وصل إلى قمة الهرم الإقطاعي حيث يكون الملك. والواقع أن هذا النظام نما من الفوضى الضاربة أطنابها في أوربا آنذاك ولنذكر أنه لم تكن هناك حكومة مركزية ولم يكن هنالك شرطة أو ما يشابه ذلك. بل كان صاحب الأرض هو سيدها ومالكها وسيد كل ما دب عليها. وكأنه ملك صغير يقدم الحماية لأتباعه مقابل تقديمهم الخدمة[1].

ولم يكن رجال الكنيسة بعيدين عن النظام الإقطاعي، بل كانوا بالإضافة إلى رئاستهم الدينية. أسيادا إقطاعيين، وقد نتج عن ذلك إن أصبحت نصف أراضي أوربا وثروتها تقريبا في أيدي الأساقفة والقسس، وأصبح البابا نفسه سيدا إقطاعيا[2]، ولقد أخافت قوة الأتراك السلاجقة دول أوربا وخصوصا القسطنطينية لأنها كانت أقرب من غيرها إلى الخطر، وقد أثارت القصص التي أشاعها المسيحيون عن معاملة الأتراك السيئة للحجاج المسيحيين في القدس غضب الأوربيين وحماسهم فأصدر البابا ومجلس الكنيسة نداءا إلى جميع نصارى أوربا ناشدهم فيه أن يهبوا لإنقاذ بيت المقدس وهكذا بدأت الحملات الصليبية عام ١٠٩٥م. وكان لقيامها جملة أسباب سنأتي إلى ذكرها.

---

(١) جواهر لال نهرو، لمحات من تاريخ العالم، ص٣٨-٣٩.
(٢) المصدر السابق، ص٤٠.

الحروب الصليبية (١٠٩٦-١٢٧٠م)

هناك عدة عوامل وراء قيام الحروب الصليبية. ومنها:

١- العامل الديني:

وهو العامل المحرك الرئيس الذي كان وراء الدعوة إلى الحروب الصليبيـــة. إذ أن الإسلام كان خطراً يهدد أوربا دائماً. لذلك فـــإن إرســـال المســيحيين إلى العـــالم الإسلامي وإشغال المسلمين بهذه الحملات سيوقف من توجهات المسلمين نحو احتلال أراضٍ أوربية ويساعد في استعادة الأقطار التي كانت تدين بالمسيحية سابقاً ودخلـــت الإسلام[١].

والعامل الديني يتمثل في الحقيقة بسببين رئيسيين:

الأول: أن بني إسرائيل واليهود يعتقدون أن أرض الميعـــاد بحدودهـــا التوراتيـــة أعطاها إياهم ربهم بعهود ومواثيق عن هدى توراتهم وأنهم أنكروا نبوة السيد المســـيح عليه السلام. لذا فإن تلك العهود صارت إلى المسيحيين الذين صدقوا المسيح عليه السلام فصـــارت أرض الميعاد (ومنها فلسطين) ملكاً أبدياً لهم وذراريهم حتى قيام الساعة (فإن كنتـــم للمسيح فأنتم إذن نسل إبراهيم وحسب الموعد ورثة) أي ورثة اليـــهود في أحقيـــة تملكهم لأرض الميعاد.

فالمسيحيون من كل أمة ولسان لهم وحدهم فلسطين دون اليهود ودون المسلمين كدين ودون العرب كقوم. ولهم وعدهم الإلهي والحق الإلهي في تملك فلسطين.

---

(١) جواهر لال نهرو، المصدر السابق، ص٥٠-٥٣.

وإن إنكار اليهود للمسيح عليه السلام يخرجهم من الإيمان إلى الكفر كما يخرجهم من أبوة إبراهيم عليه السلام لأن النسب المسيحي هو نسب العقيدة. مهما كان القوم والوطن وكانت اللغة. ذلك أن إبراهيم عليه السلام أب لكل مؤمن(... أجابوا "اليهود" وقالوا له "للسيد المسيح": أبونا هو إبراهيم، ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني.. الذي من الله يسمع لكلام الله. لذلك أنتم لستم تسمعون. لأنكم لستم من الله)[1].

وتعتبر المسيحية أن الأرض الموعودة قد تحققت تماماً. بمجيء المسيح، أي أن فلسطين تكون حقاً مقدساً مشروعاً للمسيحيين وحدهم. دون المسلمين واليهود. لذا كانت الحروب الصليبية المقدسة أما القدس فحسب العقيدة المسيحية لا تكون لليهود ولا للمسلمين ولا للعرب. وإنما تكون مدولة. أي لجميع الأمم. ولقد أقر البابا (بولص السادس) بوجوب تدويلها. اعتماداً على نص الإنجيل (تكون مدوسة من قبل الأمم، حتى تكمل أزمنة الأمم) أي حتى نزول السيد المسيح ثانية قبل قيام الساعة وفناء العالم.

٢- العامل الاقتصادي: فلقد كانت أوربا تعاني من الكساد التجاري وهو الذي دفعهم نحو الشرق لفتح طرقات تجارية جديدة لهم. ورغم أن قسماً ممن شارك في هذه الحروب قد جاء لأهداف دينية. إلا أن بين من جاء كان مجرماً عريقاً أو سياسياً أو سجيناً[2]. وكانت خزائن أوربا تعاني من كثرتهم. فلذلك بادرت البابوية إلى إرسالهم في تلك الحملات تخلصاً من أعبائهم الاقتصادية مقابل حريتهم في الشرق.

٣- العامل السياسي: إذ كادت الثورة القومية في كل أوربا أن تنهي سلطة البابا. وكانت هناك صراعات سياسية بين الحاكم والمحكوم. وكان نداء البابا في هذه الفترة قد ركز سلطته أولاً وتخلص بذلك من منافسيه السياسيين.

---

(١) العهد الجديد، أنجيل يوحنا، ٨/٣٧-٣٩.

(٢) جواهر لال نهرو، المصدر السابق، ص٥٠-٥٣.

وقد كان مجموع الحملات الصليبية الرئيسية ثمانية هي:

الحملة الأولى: (١٠٩٦-١٠٩٩): أرسلت إلى الشرق تحت عذر حماية الحجاج المسيحيين إلى الأراضي المقدسة حيث اعتدى على بعضهم من قبل الجند السلاجقة. وقد تطوع لهذه الحملة الكثير من الفقراء المعدمين طمعاً في أن يجدوا أرضاً تؤيهم ويرتزقون منها. كذلك ضم إليها مجرمو أوربا الذين كانت السجون تعج بهم. إضافة إلى الجند الرسميين للبابا والممالك الأوربية الخاضعة لحكمه.

انقسمت هذه الحملة إلى قسمين. اتجهت الأولى منها نحو القسطنطينية واصطدم جنودها بأهالي المدن التي مروا بها إضافة إلى صدام آخر مع الجند السلاجقة أبادها عن آخرها. أما القسم الثاني فقد وصلت إلى نيقية والرها وأنطاكيا والقدس وأسقطوا الأخيرة بعد حصار دام أربعين يوماً.. فذبحوا سبعين ألفا من أهاليها العرب ونصبوا ملكاً من بينهم على القدس وغيرها من البقاع.

الحملة الثانية: (١١٤٧-١١٤٩): تمكنت هذه الحملة من إخضاع عسقلان ودمشق ومصر إلا أن مصر سرعان ما ردهم وأخرجتهم.

الحملة الثالثة: (١١٨٩-١١٩٢): قامت على أثر استرداد المسلمين لمدينة القدس فتزعم هذه الحملة ريتشارد قلب الأسد ملك انجلترا وفيليب أوجست ملك فرنسا إلا أنهما فشلا أمام صلاح الدين الأيوبي في الاحتفاظ بمدينة القدس واكتفيا معه بمعاهدة ضمن حمايته للحجاج المسيحيين.

الحملة الرابعة: (١٢٠٢-١٢٠٤): وفيها عدد كبير من الفتيان. لم يستطيعوا الوصول إلى الأرض المقدسة. حيث قضى معظمهم نحبه جوعاً وفتكت بهم الذئاب وسرقهم اللصوص قبل وصولهم مدينة جنوا الإيضالية. أما بقية الفتيان فقد باعهم قائدهم الملك فردريك الثاني عبيداً في أسواق الرقيق بمصر وتونس.

الحملة الخامسة: (١٢١٩-١٢٢١): قادها إيطاليا لتوسيع تجارها مع الشرق

ودخلت إلى مصر بدلاً من فلسطين إلا أنها ما لبثت أن فشلت ورجعت من حيث أتت.

الحملة السادسة: (١٢٢٨-١٢٢٩): وقد خالف قائدها فردريك الثاني أوامر البابا فعقد صلحاً مع السلطان الكامل فحرم البابا على المسيحيين زيارة القدس طالما كان فيها فردريك. ولكن الأتراك تمكنوا من احتلالها وقتل من فيها.

الحملة السابعة: (١٢٤٨-١٢٥٤): قادها لويس التاسع ملك فرنسا دخلوا مصر فأسر المصريون قائدها. ثم عقدوا معهم معاهدة أطلق الأسرى بموجبها لقاء فدية ورحلوا إلى أوربا بعد ذلك.

الحملة الثامنة: (١٢٩٧-١٢٧٠): قادها لويس التاسع ملك فرنسا إلا أنه مات قبل الوصول إلى الأرض المقدسة وبفشل هذه الحملة أجلى الصليبيون عن كل الأراضي العربية الإسلامية وصور وصيدا وبيروت وطرطوس.

وكانت حملات أخرى قد حصلت كحملات سيجفارد جورسالفار ملك النرويج (١١٠٧-١١١١) وحملة يوحنا هوتباري (١٤٤٣)[١] إلا أن جهودهم ذهبت أدراج الرياح ولم ينتصروا في أي منها.

وكان للعثمانيين فضل كبير في رد الحملات الصليبية المتأخرة وتطهير الأراضي العربية والإسلامية من خطرهم.

ومن الطريف أن نذكر أن قائد الحملة الفرنسية على الشام حين دخلها بعد سقوط الدولة العثمانية -وهي الامتداد الطبيعي للحروب الصليبية. اتجه نحو قبر صلاح الدين الأيوبي ورفس قبره برجله ثم ناداه:

"قم يا صلاح الدين وأنقد أمة محمد".

---

(١) ملخصة عن كتاب "المستشرقون" تأليف نجيب العقيقين ط٣، دار المعارف بمصر، ١٩٦٤.

ويذكر "كوبر" مؤلف كتاب (الكنيسة عبر التاريخ) قوله بأن المسيحيين لم يستعيدوا فلسطين من أيدي المسلمين منذ عام ١٢٠٠ للميلاد إلا بعد الحرب العالمية الأولى حين دخلها الإنجليز فاتحين[١].

وهكذا يربط الفكر المسيحي الغربي والفاتيكان ما بين الحرب الصليبية وعودة فلسطين إليهم... فلا عجب إذن أن لا نرى اهتماماً كبيراً بفلسطين والفلسطينيين في نداءات السلام التي يوجهها قادة الكنائس الغربية ويركزون فيها فقط على استقلال الأماكن المقدسة وحرية الأديان. ورغم أن أوربا فشلت من الناحية العسكرية في الحروب الصليبية التي دامت قرنين متتاليين. إلا أنها أفادت كثيراً من هذه الحروب. فمن النتائج التي أفادت منها أوربا. كان الاحتكاك والتلاقي بين أوربا وحضارة العالم الإسلامي الزاهرة آنذاك. كذلك أفادت منها في أنها غيرت نظرتها تجاه الكثير من المفاهيم السائدة في بلادها في العصور الوسطى بعد أن احتكت بالنظام الإسلامي وبالفكر الإسلامي والحضارة الإسلامية وهذا ما جعلها تغير الكثير من أسلوبها الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والفكري، وهذا بدوره اثر في ظهور مفاهيم جديدة أدت إلى ظهور عصر جديد هو عصر النهضة الأوربية. كما أن أثر الحروب الصليبية كان قد تجلى في إيطاليا عندما برزت فيها النهضة الإيطالية التي قدمت إنتاجاً رائعاً. ظهر هذا الإنتاج مباشرة في أعقاب الحروب الصليبية. وكانت نهضة أوربا ترتكز في الأساس على دعائم الرخاء المادي الذي كانت الحروب الصليبية سبباً في إقامته. وهكذا فإن امتزاج أوربا التي أول ما ظهرت كانت في المدن الإيطالية بخاصة المدن الإيطالية التجارية[٢].

(١) Church in History P.121.

(٢) تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، دكتور عبد الفتاح، حسن ص١١٩.

الإصلاح الديني

لقد شعر الناس بوجود مساوئ كثيرة في الكنيسة من فساد القسس وفرض الضرائب الكثيرة على الناس باسم الدين، وجمود الأفكار الدينية، الأمر الذي جعل الناس تفكر بضرورة تغيير نظام الكنيسة. وكانت سلطات البابا الواسعة، هي إحدى أسباب الثورة، حيث لم يأخذ البابوات بمشاعر الناس والاهتمام بهم إضافة إلى تدخل رجال الكنيسة بشؤون الناس الشخصية.

كانت الكنيسة الكاثولوكية قد نظمت بشكل هرمي على رأسه البابا الذي ينتخبه مجلس الكرادلة، ويلي البابا في الرتبة الكاردينال ثم رئيس الأساقفة فالأسقف فالقس.. ونظراً للاهتمامات الدنيوية كالتملك والضريبة التي كانت قد انشغلت بها الكنيسة فقد انقسم رجال الدين إلى قسمين، القسم الأول يسمى الموظفين الدنيويين Secular والقسم الثاني كانوا رجال دين اعتياديين Regular، وأصبح نظام الكنيسة أشبه بنظام الحكومة من حيث التقسيمات الوظيفية وكان مجلس الكنيسة قد حاول عام ١٤١٤ و ١٤١٣ و١٤٣٨، تقييد سلطات البابا إلا أنهم فشلوا بذلك وقد تعددت سلطة البابا لتشمل[1].

١- أنه السلطة العليا لإصدار القوانين الخاصة بالكنيسة ولا يجوز إصدار أي تشريع يعارضها.

٢- أن البابا هو الحكم الأعلى لكل المنازعات الكنسية وكلمته هي الكلمة القاطعة.

٣- أن البابا هو السلطة العليا في تعيين الموظفين الإداريين والروحيين في الكنائس الكاثوليكية.

---

(١) تاريخ أوربا من عصر النهضة وحتى الثورة الفرنسية، ص١٧٢-١٧٣.

Ahort History of Christianity Chapter IV.pp.99.

٤- أنه المخول بتتويج الأباطرة والملوك للدول الخاضعة لكرسي البابوية وكذلك خلعهم.

٥- له صلاحيات إلغاء القوانين المختلفة في أية مملكة أو مقاطعة خاضعة للكنيسة الكاثوليكية.

٦- الصلاحيات المالية المطلقة للكنيسة[١].

وهناك مساوئ تنسب إلى الكنيسة، فالبابا اسكندر السادس (١٤٩٢-١٥٠٣) والبابا جوليس الثاني (١٥٠٣-١٥١٣) نسبت إليهم مفاسد كثيرة، وكذلك اهتم آخرون كالبابا ليو العاشر (١٥١٣-١٥٢١) بالبناء والإعمار. وبهذا ابتعدوا عن العامة ومشاكلهم وخاصة المشاكل الاقتصادية حيث اهتم رجال الدين بجمع الأموال واستغلال الكبير منهم للصغير في الاوتاوات والضرائب. وكان نشوء الطبقة الوسطى عاملاً في إثارة الناس على رجال الكنيسة والبابوية إضافة إلى نشوء طبقة من المثقفين بدأت بالكتابة في نقد الكنيسة واستغلال شكاوي الفلاحين والحرفيين لدفعها في طريق الثورة.

وكانت هنالك جملة أسباب يمكن تلخيصها لإعلان الثورة الإصلاحية ضد البابوية ومن ذلك:

١- نشوء الفكر القومي في كل البقاع الأوربية التي كانت تعارض سلطات البابا الإيطالي وسيطرة الإيطاليين على مقاليد الأمور السياسية والاقتصادية في أوربا.

٢- جمود الأفكار الدينية وعدم الانفتاح على التطورات الفكرية التي بدأت تنتشر في أوربا.

٣- اتجاه البابوات نحو الاهتمامات الدنيوية كالإعمار والتملك وجمع الأموال بمختلف الوسائل الشرعية وغير الشرعية مما ألب الطبقات المتوسطة والفقيرة على الكنيسة.

---

(١) The Church in Histor Pp. 75-85.

٤- ظهور رجال إصلاحيين في الكنيسة كانوا يطالبون بإصلاح النظام الديني في الكنيسة إضافة إلى مطالبتهم بتبسيط التعاليم الدينية وترجمة الإنجيل إلى اللغات التي تفهمها عامة الشعوب الأوربية بعد أن كانت ترجمته محرمة.

٥- بيع صكوك الغفران في الكنيسة.. ولصكوك الغفران وقعتها إذ أن البابا ليو العاشر قد سن سبيل التكفير عن الأخطاء فقال بأن ذنب الخاطئ يكفر أن حج إلى روما وزار الرسل هناك. ثم تطور هذا المفهوم تدريجياً عندما قال بعض البابوات أن التكفير يمكن أن يتم عن طريق دفع أموال إلى الكنيسة لتنفقها على الأمور الدينية، ويمكن إرسال هذه الأموال إلى روما مباشرة أو عن طريق دفعها إلى مصارف في المدن الأوربية والمصارف بدورها تحولها إلى البابا في روما مقابل أن يمنح الفرد المخطئ صكاً دعي بصك الغفران. ونلاحظ هنا أن العملية تحولت من كونها مسألة دينية فيها صدق التائب عن الذنب بعد أن يقوم بالصلاة والزكاة والصوم وإعلان شعوره عن الندم إلى أن أصبحت المسألة عبارة عن قضية تجارية الغاية منها جمع الأموال من المسيحيين عن طريق رجال الدين والمصارف. ونلاحظ كذلك أن ترتب على هذه العملية نتائج خلقية لأنه لا مانع أن يرتكب الفرد الأوربي الخطأ ويكفر عنه بدفع الأموال وبعدها يدخل الجنة مقابل وصول الأموال إلى الكنيسة(١).

٦- الانقسامات الكنيسة سواء انقسامات عقائدية كعقيدة أريوس والبيجنس الذي كان يقول بأن في الكون قوتين متنازعتين ومتنافستين هما قوة الخير والشر وقد استخدمت الكنيسة محاكم التفتيش للقضاء على هذه الحركة.

---

(١) تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، د. عبد الفتاح حسن أبو علية ودكتور إسماعيل باغي، الرياض، المملكة العربية السعودية ١٩٧٩، ص٩٥.

وقد تعددت محاكم التفتيش وتلونت أشكالها وأهدافها ودخلت الكنيسة الكاثوليكية في حرب ضد الإصلاحيين من البروتستانت لفترة طويلة. ولما عجزت عن إرجاع الأوضاع فإنها دخلت عصراً جديداً للالتفاف حول الإصلاح البروتستانتي. فاشتغلت حرباً ضد مسيحي أوربا الذين لا زالوا تحت سلطتها وعملت إصلاحاً معاكساً أو مغايراً للإصلاح البروتستانتي فقد بدأت بإصلاح في داخل الكنيسة الكاثوليكية من أجل أن تستمر في وجودها وعدم انهيارها.. مما حدا بها إلى استخدام الأساليب العنيفة ضد المسيحيين وخصوصاً أولئك الذين وقفوا ضدها أو ساندوا الثورة الإصلاحية التي كان يمثلها لوثر وزونجلي وغيرهما.

وكانت قد ظهرت هناك جماعات مختلفة خلال العصور الوسطى انشقت عن الكنيسة الكاثوليكية واتهمت بالهرطقة لرفضها بعض معتقدات الكنيسة أشهرها جماعة والدنس في إيطاليا والالبيجيون في جنوب فرنسا وجون ويكلف في إنكلترا وجون هس في بوهيميا. وكانت أغلب الانشقاقات بدافع سياسي واقتصادي وقلما نبذت تعاليم الكنيسة. وكان الصراع بين الأباطرة والبابوات أو الملوك والبابوات في العصور الوسطى أحد أسباب الانشقاقات التي أضعفت الكنيسة الكاثوليكية(١).

وكان البابا بول الثالث قد أصدر أمراً بتأسيس محاكم التفتيش سنة ١٥٤٢م، وكانت هذه المحاكم سلطة فعلية في محاكمة من يسميهم بالهراطقة الملحدين الخارجين عن طاعة الكنيسة وسلطتها. وهذه المحاكم هي امتداد للمحاكم الأسقفية التي كانت تعمل على تعقب الهراطقة في القرن الثالث عشر الميلادي. وهي كذلك امتداد لمحاكم التفتيش التي قام بها جماعة الدومينيكان والفرانسيسكان وقبل أن تختفي هذه المحاكم قامت إسبانيا وطالبت بإدخال محاكم التفتيش في بلادها لمكافحة المسلمين واليهود في ايبريا (إسبانيا والبرتغال) وقد وافق البابا سكستوس الرابع على ذلك في نوفمبر سنة

---

(١) تاريخ أوربا من عصر النهضة وحتى الثورة الفرنسية.د. محمد محمد صالح ص١٧٩-١٨٠.

١٤٧٧م، وفي سنة ١٤٩٧ خرجت محاكم التفيش من سلطة البابوية في إسبانيا لتشرف عليها المملكة الإسبانية.

وفي سنة ١٥٤٢م، أصدر البابا قراراً يأمر فيه بإنشاء محكمة تفتيش مقدسة للكنيسة العالمية تتألف من ستة كرادلة أعطوا سلطات واسعة بوصفهم مفتشين في كل أنحاء أوربا الكاثوليكية. وجعل أعضاء هذه المحكمة اثنى عشر عضواً وأصبحت هذه المحكمة ترسل المفتشين من قبلها إلى الجهات الكاثوليكية لمكافحة الخارجين على البابوية.لقد نجحت محكمة التفتيش الرومانية التي أسست سنة ١٥٤٢م، في القضاء على البروتستانتية في إيطاليا، كما نجحت في إذكاء روح التعصب الديني في الكنيسة. وكان تأسيسها هو بداية الإصلاح الديني الكاثوليكي في أضيق معانيه. وهذا الإصلاح كان قد استند على استخدام وسائل العنف والشدة والقوة التعسفية من أجل إرجاع الكنيسة كما كانت عليه في أول عهدها. وذلك عن طريق القضاء على الذين شقوا عصا الطاعة على البابوية(١).

- **نشأة البابوية**

في الحديث عن نشأة البابوية، لا بد من الرجوع إلى فترة ما قبل مؤتمر نيقية (والذي سنأتي على ذكره) الذي عقد سنة ٣٢٥ للميلاد فكان نقطة تحول في تاريخ الكنيسة.

كانت الكنيسة قبل ذلك التاريخ تمثل ملتقى للعبادة، يجتمع إليه المسيحيون في المناطق التي يتواجدون فيها. وكانت معظم الكنائس قبل ذلك التاريخ سرية... وكان أكبرها في أية منطقة تتواجد، تمثل الرئاسة الدينية لتلك المنطقة فكانت رتبة البطريارك أكبر رتبة موجودة في الكنائس. فهناك بطريارك روما وبطريارك أنطاكيا وبطريارك

(١) تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، المصدر السابق، ص١١٨-١١٩.

القدس وشمال أفريقيا وغيرهم وكانوا متساوين في الرتبة والمسـؤولية. إلا أن دخـول قسطنطين إلى روما منتصرا عام ٣٢١ للميلاد. قد غير تاريخ المسيحية الكثـيرة، إذ لم يلبث أن أعلن دخوله في الدين الجديد بعد أن أعلن بعد ذلك ألا إيمان بدون الكنيسـة، فأصبحت المسيحية الديانة الرسمية الوحيدة في البلاد[1] كما سبق أن ذكرنـا وكـان لقرب موقع الكنيسة الرومية من السلطة السياسية أثر في نمو مركزها الديني وأن تكون أهميتها مختلفة عن بقية الكنائس، وكان قرب تلك الكنيسة من مركـز الإمبراطوريـة سببا في منافسة الكثير من الكنائس لها... فزاد هذا الحسد والمنافسة مـن الخلافـات الكثيرة التي نشأت منذ انتشار المسيحية. فصارت قمة الخلافات في الكنيسة حول مـن يملك سلطة القيادة والتوجه الديني.

وكانت القسطنطينية من اكبر الكنائس منافسة لروما وذلك لما تملك من سـلطة على مسيحيي الشرق من جانب وللمكانة التي يحتلها بطريارك كنيسـتها.. فمـال الغربيون نحو روما بينما اعتصم الشرقيون بالقسطنطينية باحثين عن خلافات عقائديـة لتغطية الخلافات الزمنية وذلك ما هدد وجود الكنيسة برمتها.. فبـادر المسـيحيون لعقـد مؤتمر خلقدونية المسكوني "العالمي" المنعقد سنة ٤٥١ للميلاد. والذي خـرج بقرارات تولت روما بموجبه قيادة مسيحي الغرب كما وتولت القسطنطينية توجيـه مسيحيي الشرق وجعل كل من بطريارك روما وبطريارك القسطنطينية مسـتاويين في الرتبة والمكانة أي أن تكون لهما سلطتان متساويتان...[2] وبذلك جنبـوا الكنيسـة انقساما أكبر... إلا أن ذلك الانقسام في الإدارة الدينية كان بداية لانقسامات أكـبر وأخطر. ولقد ترك مؤتمر خلقدونية تأثيرا سيئا على بطريارك روما الذي أحس بضعف في مركزه.. لذلك فقد عمل على رفع مكانة كنيسته بأن أطلق عليها الكنيسة العالميـة أو الكاثوليكية. أما لقبه فقد أبدل من البطريارك إلى لقب "البابا" والذي يعـني "الأب"

(١) The Churrch in History, pp.77-79

(٢) المصدر السابق، ص٧٦.

وبذلك فرض أبوته على بقية الكنائس وسمي البابا نفسه "ليو الأول" والذي توفي عام ٤٦١ للميلاد[١].

- **البابا والسلطة السياسية:**

وبعد أن اصبح رئيس الكنيسة الرومية "بابا" أو رئيسا للكنائس الكاثوليكية كلها.. فقد بدأ نفوذه الديني يقترب من النفوذ السياسي، إذ أخذ الأمراء والملوك والقادة المسيحيون بتقديم ولائهم للكنيسة مما أدى تباعا إلى تحويل السلطة الكنسية إلى سلطة سياسية. فصار مصير الدول المسيحية وقادتها عالقا على قبول ورضا بابا روما فلم يعد هنالك من ملك أو أمير يتوج إلا على يد البابا الذي يلبسه التاج بيديه. وكثيرا ما أقصى البابا ملوكا وأمراء عن مناصبهم وعين آخرين يرتضيهم.

وكانت أقوى حادثة في تأريخ الكنيسة السياسي هي أقصاء البابا جريجوري السابع أو "هلدبراند" لإمبراطور ألمانيا هنري الرابع من منصبه سنة ١٠٧٦م فاضطروه إلى القدوم من ألمانيا إلى روما مشيا على الأقدام ووقوفه على باب الفاتيكان ثلاثة أيام بلياليها بانتظار أن يأمر البابا بفتح الباب له... وعندما سمح له البابا بالدخول قبل قدميه وطلب منه المغفرة، فعفا عنه وأعاده إلى منصبه.

وكانت السلطة السياسية قد أثرت تأثيرا كبيرا على نشوء الفكرة القومية في أوربا. فقد اعتادت كنيسة روما على انتخاب (بابا) إيطاليا.. فكان جميع الأمراء والشباب الأوربي في الأقطار الأوربية المختلفة يشعرون بتبعية إجبارية لإيطاليا.. لذلك فقد حاول الكثير من مفكري العصور الوسطى الخروج على البابا إلا أنه كان يصدر مرسوما بقتلهم أو حرقهم في شوارع المدن الأوربية، وكان أخطر حادث من هذا النوع حرقه للمفكر الهنكاري "جون هس" والذي دفع الشعور القومي الأوربي إلى الغليان. أما فرنسا. فقد كان الملك فيليب ملك فرنسا يشعر بانتقاص الإيطاليين

---

(١) كوبر، الكنيسة عبر التاريخ، ص١٠٩.

لشخصه وللفرنسيين لذلك ثار على إيطاليا وذلك بجعله مدينة "افينيون" عام ١٣٠٩ الفرنسية مقرا للبابوية بدلا من روما[١] ثم عين بابا فرنسيا للكنيسة تكريسا للمشاعر القومية ودام ذلك حتى عام ١٣٧٦ وسميت عملية تغيير مقر البابوية بالسبي البابلي للكنيسة حيث شبه المسيحيون احتطاف البابوية إلى افينيون بسبي البابليين ليهود فلسطين عام ٥٨٦ق.م حيث جيء باليهود إلى بابل وذلك للتخلص من الشغب الذي كانوا يثيرونه في فلسطين. وفي سنة ١٣٧٨م، قامت إيطاليا بتعيين "بابا" إيطاليا للكنيسة فأصبح هناك "بابا" إيطالي وآخر فرنسي. فسمي هذا العصر الذي دام حتى عام ١٤١٧ بعصر الانقسام العظيم للكنيسة.

وفي سنة ١٤١٧ للميلاد استطاع المسيحيون في مؤتمر كونستانس أن يقضوا على هذا الانقسام وأن يوحدوا البابوية ويعود للكاثوليك "بابا" واحدا بدلا من اثنين.. وعادت السلطات إلى البابا مع عودته إلى روما... ولكن الغليان القومي قد اشتد في أقطار أوربا خاصة وأن عهدا جديدا سمي عهد النهضة (في النصف الثاني من القرن الخامس عشر) قد ساعد على الثورة القومية بشكل إيجابي وجدي.. فقد دخلت إلى الكنيسة الأمور الدنيوية وطغت على الجانب الديني. فأخذت الكنيسة بشراء وامتلاك الأراضي والاستيلاء عليها وتعيين رجالات الكنيسة سادة يسخرون "العبيد" للعمل في تلك الأراضي واستغلال جهودهم.. إلى جانب ارتفاع الكنائس في عمارات لا زالت تشهد عليها أوربا. بما فيها من زخرفة ورسوم وتماثيل.. وكانت الأموال التي تصرف على بناء هذه الكنائس تجيء من الأراضي أولا ومن خلال بيع صكوك الغفران التي انتشرت في كل أوربا[٢]. وصكوك الغفران هي شهادات تمنح إلى من يدفع كمية من المبالغ إلى رجال الدين في مقابل آمال لأن تغفر ذنوبهم يوم القيامة. أن تحول رجال الكنيسة إلى إقطاعيين ورجال مال وسياسيين يستعبدون الناس قد جعل

(١) المصدر السابق، ص١٣٧-١٣٨.

(٢) انظر: الأديان تأليف شوبز، ص٣٢٧، وما بعدها.

النقمة الشعبية في كل أوربا تصل إلى ذورتها فامتلأت السجون بـــالمعتقلين وتطـــور الأوضاع السياسية فقد استغلت السلطات البابوية حادثة قد أثير حولها الغبار الكثير في ضواحي مدينة القدس في فلسطين[1].. فقد هجم بعض الجنود السلاجقة علـــى حجـــاج أوربيين مسيحيين إلى بيت المقدس فقتلوا منهم عددا من الرجال وسرقوا أموالهـــم.. وكان ذلك الحادث فرصة كبيرة للبابا ليعيد بسط قوته وسيطرته على أوربا.. فقد أوعـــز إلى رجال الكنيسة أن يصرخوا في صلواتهم لطلب نجدة المسيحيين لنصرة الكنيسة وتحريـــر القدس من المسلمين.. وقد تم لهم ذلك فعلا.. إذ تطوع الكثير من المســـيحيين وخاصـــة الفقراء منهم تحت إغراء خيرات الشرق والغنى إلى جانب العامل الديني للذهـــاب إلى فلسطين وتحريرها من المسلمين... وقد ضم جميع السجناء في أوربا إلى هذه الحملـــة (عام ١٠٩٦) مقابل حريتهم للمشاركة في -الحرب المقدسة- كما ذكرنا.

وكان عدد الحملات الصليبية الرئيسية ثمانية، نجـــح بعضـــها في الدخـــول إلى فلسطين وتأسيس ممالك مسيحية متفرقة في الأراضي العربية بعد أن شـــرد العـــرب منها.. وظلت تلك الممالك قائمة في الأراضي العربية أكثر من مائة عـــام (١٠٩٦-١١٨٧م) حيث قيض الله للعرب قائدا عظيما هو صلاح الدين الأيوبي ليخـــوض وإيـــاهم حملة طاحنة أخرجهم من الأرض العربية واسترد فلسطين وغيرها من البقاع منهم.

وكانت آخر الحملات الصليبية قد باءت عام ١٢٧٠ بالفشل الذريـــع[2] وقـــد أثبتت تلك الحملات الصليبية على الأراضي العربية زيف الإدعاءات البابوية بتحريـــر فلسطين -والقدس بالذات- من الأيادي التي كانت تمنع حجاجهم من أداء الزيارة إلى أنهم كانوا يبغون طرد السكان العرب الأصليين من أراضيهم بإقامة ممالك مســـيحية يحكمها الأجنبي وتخضع للبابوية في سلطاته السياسية.

(١) راجع بحث مختصر في تاريخ الكنيسة، ص١٥٠، وما بعدها.

(٢) كوبر: الكنيسة عبر التاريخ، ص١١٦، وما بعدها.

- **ما بعد الحروب الصليبية:**

وقد انشغلت البابوية في الفترة التي أعقبت الحروب الصليبية بإصلاح أحوالها في الداخل، فشنت حملاتها على كل المناهضين لها فأسست محاكم التفتيش والتي لاقى المسيحيون أنفسهم منها الأمرين.. فقتل الكثير منهم وشرد آخرون.. وحاولت البابوية عن طريق ذلك إعادة سلطاتها وقوتها على شعوب أوربا.

إلا أن الحركة القومية وغليان الثورة قد بدأ بالتفجير في ألمانيا والنمسا وإنجلترا وغيرها.. فقامت على أثر ذلك الكنيسة الاحتجاجية أو البروتستانية التي قاد ثورتها مارتن لوثر في ألمانيا وزفنجلي في النمسا وجون نوكس في إنجلترا.. ومنذ ذلك الوقت وحتى انتهاء الدولة البابوية.. لم تعد هنالك من الأمور الهامة المتعلقة بالبابوية مما يذكرها التاريخ، لأن البابوات قد انشغلوا في الحقيقة في إصلاح كنائسهم ومعتقداتهم وإتباع أساليب جديدة في سياستهم المحلية. ويمكن أن نذكر أن مؤتمر روما عام ١٨٦٩م، قد أعلن عصمة البابا عن الخطأ وبذلك فقد أعطاه صفة أعلى من صفة البشر.

- **البابوية في القرن العشرين**

لقد كادت الدولة البابوية أن تنتهي بإنشاء الدولة الأوربية المعاصرة إلا أن الدولة الإيطالية ضمت لها الفاتيكان عام ١٨٧٠ ووافقت على إعطائها مساحة معينة من أراضيها ضمن عاصمتها -روما- وأطلق عليها اسم دولة الفاتيكان. والتي أصبح البابا فيها حاكما شبه سياسي، مستقل في إدارة دولته عن إيطاليا.. إلا أن للفاتيكان دورها السياسي والديني الذي لا يمكن إغفاله، لذلك نرى تسابق جميع رؤساء العالم إلى مقابلة البابا أو دعوته أو أخذ تصريح منه بقضية معينة، إذ أن العامل الديني لا زال يلعب دوره عالميا وتصريحات البابا لها دور كبير في تحوير ذلك العامل الديني.

المعتقدات الكنسية

أولا: تجسد السيد المسيح

إن الأساس العام للعقيدة المسيحية أن لله ثلاثة أقانيم كما سيأتي ذكر ذلك. الأقانيم الثلاثة الأب والابن والروح القدس، كلها واحد.. فالله قد حل في مريم وتجسد إنسانا بشكل يسوع كما تذكر الأناجيل. والآراء في تصوير جسده كثيرة متضاربة فقيل أن المسيح لم يكن إلها بل كان إنسانا ولد بالطبيعة من يوسف النجار ومريم[1]. نادى بذلك (ابيون) في أورشليم في القرن الأول، وكذلك (كيرنثوس). وفي القرن الثالث نادى بذلك (بولص السميساطي) الذي أضاف إلى هذا القول أن المسيح قد حلت فيه الحكمة الإلهية. أما (فالنتينوس) فقال: أن المسيح نزل من السماء بجسد واجتاز من العذراء كما يجتاز الماء في القناة وقال (مركيون) أن المسيح أتى إلى عالمنا بهيئة جسد وقال (ماني) بأن المسيح لبس جسدا خياليا. وعندما صلبه اليهود صلبوا الجسد الخيالي. وقال (أبوليناريوس)[2] في القرن الرابع بأن اللاهوت مارس وظيفة الروح وامتزج بالناسوت واحتمل معه الصلب والموت. وقال اتباع (أبوليناربوس) من بعد أن جسد المسيح كان مساويا في الجوهر للاهوت الكلمة. وعبد البعض مريم العذراء لحلول الروح القدس عليها وتجسد الكلمة فيها.

---

(١) أن نسبه إلى يوسف النجار غير مقبول من الوجهة الإسلامية إضافة إلى أن الإنجيل ينسبه بنسب حدد بستة وستين نسبا إلى آدم ﷺ ويمر بفارص ولد الزنى من يهوذا بكنته وهذا مرفوض كذلك في العقيدة الإسلامية. والمفروض أن والده في هذا النسب هو الله حسب العقيدة المسيحية. (انجيل متي، الإصحاح الأول١/١٧٧).

(٢) كان كل منهم يمثل طائفة له اتباع.

وهناك رأي يمزج الطبيعتين. فاستحال الناسوت وتلاشى في اللاهوت. ورأي آخر يفصل طبيعته اللاهوتية عن الناسوتية (وهذه هي العقيدة النسطورية) وحرمت كنيسة الإسكندرية في القرن الخامس فصل الطبيعتين واعتبرت النسطورية كفراً وهرطقة. فالمسيح اقنوم واحد وليس اقنومين. وكان هنالك رأيان آخران حول تجسد المسيح وألوهيته. أحدهما يقول به الكاثوليك.. وهو اتحاد الطبيعتين لفظاً إله تام وإنسان تام. مولود بحسب اللاهوت من الأب وبحسب الناسوت من مريم العذراء. وهو معروف واحداً بطبيعتين متحدتين بلا اختلاط ولا ابتذال ولا انقسام ولا انفصام.

أما الرأي الثاني فهو قول الأرثوذوكس الذين ينادون باتحاد الطبيعتين لفظاً وفعلاً وتنادي بهذا الرأي الكنيسة القبطية والسريانية والأرمنية وجميع الكنائس الأرثوذوكسية. ويختصر ذلك بالقول (وجود طبيعة واحدة للكلمة المتجسدة) مستفيدين من قول بولص الرسول: "يسوع المسيح هوهو. أمس واليوم وإلى الأبد" وقول البابا كيرلس الإسكندري إلى ثيودوسيوس الملك "إننا نعري الناسوت من اللاهوت. ولا نعري الكلمة من الناسوت بعد ذلك الاتحاد الغامض. الذي لا يمكن تفسيره، بل نعترف بأن المسيح الواحد هو من شيئين اجتمعا إلى واحد مؤلف من كليهما، لا يهدم الطبيعتين ولا باختلاطهما بل باتحاد شريف في الغاية"(١).

ثانياً: المجامع الكنسية

فيما يلي أهم المؤتمرات والمجامع الكنسية والتي أصبحت مقرراتها عقائد ملزمة للمسيحين، ويمكن تلخيصها بل يلي:

---

(١) قصة الديانات، ص٣٨٠-٣٨٤.

أ- مجمع نيقية:

وقد عقد هذا المؤتمر سنة ٣٢٥م، بأمر من قسطنطين، وكان (اريوس) يقول بأن المسيح ليس إلهاً بل مخلوقاً عظيما يفوق الآخرين وأن المسيح لم يكن أزلياً. وليس هو الجوهر كالأب الإله.. وكان (اثينسيوس) أحد المفكرين المسيحيين يرد على آريوس بأن المسيح يعتبر إلهاً أزلياً وهو من نفس جوهر الإله الأب وهو ابن الله، وبعد أن عقد هذا المؤتمر لفظ النزاع بين الكاهنين. خرج المؤتمرون بالقول بعقيدة اثينسيوس المؤيدة لأقوال بولص الرسول منقذاً. فلن تكون منزلته أقل من منزلة الإله.. وعلى أثر هذا المؤتمر أعلن أن أريوس واتباعه كفرة، فطردوا واضطهدوا من قبل الكنيسة الكاثوليكية وبقية الطوائف فيما بعد[1].

ومن المعلوم أن الأناجيل قد كثرت وصار عددها يربو على الثلاثمئة انجيل. وكان منها أنجيل برنابا الذي يشير إلى نبوءة محمد ﷺ وأناجيل أخرى تدعو إلى التوحيد كان يعتمدها الأريوسيون. إلا أن المؤتمر قد اقتصر على المتشابه من الأناجيل والتي تؤيد العقائد (البولصية) وهي الأربعة الحالية وأمر المجمع بإحراق جميع الأناجيل الأخرى واعتبرها هرطقة وكفراً ومنع تداولها.

ب- مجمع القسطنطينية (المنعقد سنة ٣٨١م):

ولم يعرض مجمع نيقية الذي عقد عام ٣٢٥م، للعنصر الثالث من عناصر الألوهية في العقيدة المسيحية الحاضرة وهو (الروح القدس). ولم يبين حقيقة طبيعته أهو إله أم مخلوق، ومن ثم نشأ خلاف بين المسيحيين حول هذا الموضوع فظهرت فرق تقول بأن روح القدس ليس بإله. وإنما هو محدث مخلوق وكان من أشهر هذه الفرق اتباع (مقدونيوس) الذي كان بطريارك القسطنطينية في القرن الرابع الميلادي فاجتمع من

(١) تاريخ الموازنة ص١٨-١٩، وانظر حرب في الكنائس ص٤٤-٤٦.

أجل ذلك في القسطنطينية سنة ٣٨١م، مجمع آخر اشتهر باسم المجمع القسطنطيني الأول. وكان عدد أعضائه مائة وخمسين أسقفاً.

وانتهى المجمع بإقرار الرأي القائل بألوهية روح القدس[1]. وكانت كنيسة الإسكندرية من أشد الكنائس تعصباً لهذا الرأي. كما كانت من أشدها تعصباً للرأي القائل بألوهية المسيح. ولذلك كان لأقوال بطريارك الإسكندرية والحجج التي أدلى بها في هذا المجمع أثر كبير في توجيهه إلى هذا القرار. ويصف ذلك ابن البطريق فيقول "قال ثيموثاوس بطريارك الإسكندرية في هذا المجمع: ليس روح القدس عندنا بمعنى غير روح الله وليس روح الله شيئاً غير حياته. وإذا قلنا أن روح القدس مخلوق فقد قلنا أن روح الله مخلوق. وإذا قلنا أن روح الله مخلوق فقد قلنا أن حياته مخلوقة. وإذا قلنا أن حياته مخلوقة فقد زعمنا أنه غير حي وإذا زعمنا أنه غير حي فقد كفرنا. ومن كفر به وجب عليه اللعن واتفقوا على لعن مكدونيوس فلعنوه هو وأشياعه. ولعنوا البطاركة الذين يكونون بعده ويقولون بمقالته". ويوضح ابن البطريق نص القرار الذي اتخذه هذا المجمع بشأن ألوهية روح القدس في العبارة الآتية:

"زادوا في الأمانة التي وضعها الثلاثمائة والثمانية عشر أسقفا من الذين اجتمعوا في نيقية (ويشير إلى ما قرره مجمع نيقية الأول بشأن ألوهية المسيح) الإيمان بروح القدس الرب المحيي. واثبتوا أن الأب والابن وروح القدس ثلاثة أقانيم وثلاثة وجوه وثلاثة خواص وحدية في تثليث في وحدية. كيان واحد في ثلاثة أقانيم" وقد تلخص عقيدة التثليث التي انتهت إليها قرارات المجمعين السابقين وما يتصل بها من الاعتقاد بصلب المسيح لتكفير الخطيئة الأزلية وبعثه ورفعه إلى السماء ومحاسبته الخلق يوم القيامة بما يلي:

١- بإله واحد أب ضابط الكل خالق السماء والأرض صانع ما يرى وما لا يرى.

---

(١) المسيحية والحضارة العربية، ص٢٦.

٢- وبرب واحد يسوع، الابن الوحيد المولود من الأب قبل الدهور من نور الله. إلـــه حق من إله حق. مولود غير مخلوق. مساو للأب في الجوهر الذي به كان كـــل شيء. الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خطايانا نزل من السماء وتجســـد في روح القدس ومن مريم العذراء. وصلب حياً على عهد بيلاطس. وتألم وقـــبر. وقام من الأموات في اليوم الثالث على ما في الكتب وصعد إلى السماء وجلـــس على يمين الرب. وسيأتي بمجد ليدين الأحياء والأموات ولا فناء لملكه.

٣- والإيمان بروح القدس، الرب المحيي[١].

جـ- مجمع أفيسوس:

عقد المؤتمر في سنة ٤٣١م لفض النـــزاع بين البطريارك (أوغسطين) وبين القس الإنجليزي (بيلاغيوس). حيث أعلن الأخير أنه لم تكن هنالك خطيئة سرت عـــن طريـــق آدم إلى الإنسان ولذلك فإن الطفل يبدأ حياته بريئاً لا مخطئاً وأن الأعمال الصالحة هـــي التي تجعل الإنسان مذنباً ولا تمحي الذنوب إلا برحمة ومغفرة الإله.

وقد تصدى له بالنقد والتجريح البطريارك أوغسطين تثبيتاً لعقيدة الإنجيل الـــتي تقول بأن الإنسان ولد عن طريق آدم وسرت الخطيئة الأولى في دمه، وقـــد صلـــب السيد المسيح -حسب عقيدة الإنجيل- وتعذب من أجل إزالة الخطيئة الأولى عن البشر ولن تزول تلك الخطيئة إلا عمن يؤمن بالكنيسة والسيد المسيح. وقد عقـــد المؤتمـــر المذكور للنظر في جملة الأمور هذه فانتهى إلى إدانة بيلاغيوس واعتبار كلامه كفـــراً. وثبتت الكنيسة معتقدات أوغسطين.

د- مؤتمر خلقدونية:

ولم تكن الكنيسة قد توصلت إلى فهم كامل لشخص المسيح، حيث أن الكتـــب

---

(١) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، ص١١٠-١١٢.

المقدسة قد وصفت المسيح بالألوهية إلى جانب كونه إنساناً. حيث أنه من الضروري لكي يكون منقذاً أن تكون له صفة إنسانية وصفة إلهية. وكانت هنالك جملة اختلافات في معتقدات الكنيسة عن العلاقة ما بين الطبيعتين. فلأجل التوصل إلى خطوط عامة مشتركة فقد عقد مؤتمر خلقدونية سنة ٤٥١م، فتوصل المؤتمرون إلى القول بأن للمسيح طبيعتين ومشيئتين إحداهما إلهية والأخرى بشرية وأنهما يجتمعان بشخصيته فقط دون اضطراب أو تغيير أو انفصام أو تفرقة وأن المسيح عليه السلام شخص واحد وليس شخصين.

هـ- مجمع روما:

عقد في سنة ٨٦٩م، فاتخذ عدة قرارات أهمها:

١- إن المؤتمرين اعتبروا الروح القدس منبثقاً عن الأب والابن.

٢- أن تكون الكنيسة في روما هي الحكم الفاصل في المنازعات المسيحية.

٣- أن البابا في روما هو صاحب الكلمة التي يخضع لها مسيحيو العالم.

وكان هذا المؤتمر سبباً في انقسام الكنيسة إلى شرقية وغربية. إذ أن الكنيسة الشرقية ترفض تحكيم روما في أية قضية. ولذلك اعتبرت بطريارك القسطنطينية موازياً لشخص بابا روما، وفي سنة ٨٧٩م، عقد مجمع في القسطنطينية عارض فيه القرار الأول الذي أصدره مجمع روما عام ٨٦٩م بأن الروح القدس منبثق عن الأب فقط.

د- مجمع روما لسنة ١٢١٥م:

أعلن فيه المجتمعون أن للبابا حق منح الغفران من الذنوب لاتباع الكنيسة.

و- مجمع كونستانس عام ١٤١٧م:

الذي أنهى الانقسام البابوي وإعادة وحدة الكنيسة وتعيين (بابا) واحد لها في

روما بدلا من اثنين كما حصل على أثر السبي البابلي للكنيسة والذي مررنا على ذكره.

ز- مؤتمر روما لعام ١٨٦٩م، والذي أعلن فيه المؤتمرون عصمة البابا عن الخطأ.

حـ-مؤتمر روما لعام ١٩٦٠م (والذي يسمى الفاتيكان٦)

ويعتبر هذا المؤتمر من أخطر المؤتمرات لاحتوائه موضوعاً سياسياً رغم ارتدائه ثوباً عقائدياً. فقد عملت الصهيونية العالمية المستحيل من اجل إصدار وثيقة من الفاتيكان بتبرئة اليهود من دم السيد المسيح. حيث هم متهمون فيه تاريخياً. وتعتبر الوثيقة التي أصدرها هذا المؤتمر تحت زعامة البابا بولص السادس من البدايات المهمة التي عبدت طريق المؤتمرات اليهودية والمسيحية لإيجاد صيغ للتفاهم والوئام ما بين الدينين وتتوجت تلك الصيغ لقيام البابا بحج الأماكن المقدسة بمدينة القدس بشطريها عام ١٩٦٤م(١).

وقبل أن ننتقل إلى بعض المعتقدات المسيحية الأخرى لا بد من عرض وجهة نظر الإسلام واليهودية في المسيحية وفي طبيعة السيد المسيح.

فالمسلمون يختلفون في نظرهم إلى المسيحية عن اليهود. فالمسيحية الأصل في نظرهم دين توحيد مطلق. وأنها تعترف أن الله وحده الإله الخالق المقتدر فالتوحيد المطلق الذي لا تشوبه شائبة هي السمة العامة للأديان السماوية جميعاً.

وعيسى عليه السلام هو رسول الله ليس غير واعتقاد المسلمين هذا جاءهم من الأدلة القرآنية. قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ﴾(٢).وقال: ﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ

---

(١) المسيحية. د. أحمد شلبي، ص١٦٦-١٦٧، وانظر بحث مختصر في تاريخ الكنيسة ص١٥٥-١٥٨.

(٢) سورة المائدة ٧٢.

﴿ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ﴾[1] ولا يتفق المسلمون مع المسيحيين في عقيدة الأقانيم الثلاثة. إذ يقول الله تعالى ﴿ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ ﴾[2].

"كما يعتقد المسلمون أن المسيحية بعد المسيح بعدت جداً أو قل اختلفت كل الاختلاف بل تبدلت عن مسيحية المسيح. وبخاصة عندما دخلها بولص أو ادعى دخولها فحطم اتجاهاتها الصحيحة. وقال فيها بالتثليث. وقال بألوهية المسيح. وبهذا بعدت الشقة بينهما وبين الأديان السماوية حتى يمكن القول بأن بولص هو واضع الديانة المسيحية المعروفة اليوم[3]. أما المسيح عليه السلام في المعتقدات الإسلامية فقد حدثنا القرآن الكريم عن قصة مريم. فأخبرنا بأن الله قد بشرها بغلام فقالت﴿ قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ٢٠ ﴾[4].

ولكن الله سبحانه وتعالى أراد أن يجعل حملها هذا آية للناس ورحمة منه وأنه كان أمراً مقضياً.

وجاءت بعيسى عليه السلام ليصبح نبياً ورسولاً للعالمين. ويعلل الأستاذ أبو زهرة ولادة عيسى عليه السلام بدون أب بقوله (إن ذلك كان لحكمة رائعة. فاليهود كانوا قوماً ماديين ربطوا الأسباب بمسبباتها. وسادت عندهم الفلسفة التي تقول أن خلق الكون كان من مصدره الأول كالعلة من معلولها. فأراد الله سبحانه أن يوضح لهم أن قدرته هي التي ربطت الأسباب بمسبباتها، وأنها تستطيع أن تتجاوز هذا القانون فيوجد

---

(١) سورة المائدة ٧٥.

(٢) سورة المائدة ٧٣.

(٣) أحمد شلبي، المسيحية، ص٥٩-٦٠.

(٤) سورة مريم ٢٠.

المسبب دون أن يجد السبب. فخلق الله عيسى من غير أب لهذا فأراد الله أن يخلق إنساناً دون أن تكون المادة أساساً له[1].

وحدثنا القرآن الكريم بأن الله قد أرسله إلى بني إسرائيل وأيده بمعجزات ليست من اختصاص البشر. قال تعالى: ﴿ وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ ﴾[2].

وكما ذكرنا أن حكماء اليهود قد عادوا المسيح ولم يستمعوا له وخافوا من تقوض سلطانهم على يديه. فأغروا به الحاكم الروماني. ولكن الرومانيين لم يكونوا على استعداد للدخول في الخلافات الدينية بين اليهود ولم تكن دعوة المسيح عليه السلام التي أعلنها إلا إصلاحاً خلقياً ودينياً فلم تتصل دعوته بالسياسة. ولم تمس الحكومة من قريب أو من بعيد ولذلك لم يستحق غضب الرومان. وأن اليهود تتبعوا عيسى عليه السلام لعلهم يجدون منه سقطة تثير عليه غضب الرومان. فلما لم يجدوا تقولوا عليه وكذبوا فأغضبوا الحاكم الروماني على عيسى عليه السلام فأصدر أمره بالقبض عليه وحكم عليه بالإعدام صلباً، فأخذ جند الرومان يبحثون عنه لتنفيذ الحكم فيه. وأخيراً عرفوا مكانه فأحاطوا به ليقبضوا عليه. وكان من أصحابه رجل منافق يشي به. فألقى الله عليه شبه عيسى عليه السلام وصوته. فقبض عليه الجنود فنفذ فيه حكم الصلب أما المسيح عليه السلام فلم يستطع الكفار ولا اليهود أن يمسكوه. قال تعالى: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ ﴾[3].

---

(١) محاضرات في النصرانية ص١٥.

(٢) سورة آل عمران، ٤٩.

(٣) سورة النساء، ١٥٧.

يؤمن المسلمون بأن المسيح عليه السلام قد رفع إلى السماء وقد قال تعالى: ﴿ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾[1] ولكن دارت بينهم المناقشات فيما إذا كان قد رفع بروحه بعد أن توفاه الله أم أنه رفع بروحه وجسده"[2].

ولكن الاعتقاد برفعه جسداً وروحاً اعتقاد متأثر بالاتجاه المادي في الإنسان ومتأثر كذلك بالفكر المسيحي. فكيف يوفقون بين هذا وبين قوله تعالى ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ﴾[3].وكانت دعوة عيسى المسيح عليه السلام كما يقول الشهرستاني، ثلاث سنين وثلاثة أشهر وثلاثة أيام"[4].

المسيح في اليهودية:

أما المسيح عند اليهود فقد ورد ذكره في التوراة، ولا يزال اليهود ينتظرون ظهوره إذ هو في رأيهم غير المسيح عيسى بن مريم عليه السلام فكما ذكرنا فإن التوراة تبشر بظهور فارس قوي من نسل داود يملكونه عليهم وأنه سيجعل لهم السلطان على الأرض فيجعل كلمتهم هي العليا. وجنسهم هو الجنس الأعظم بين أجناس البشر. أما المسيح عيسى بن مريم عليه السلام فهو عندهم رجل عادي ثار عليهم فلقي جزاء ثورته. وهو لا يستحق في نظرهم أن يذكر في تاريخهم. إذ أن موقعه في الديانة اليهودية هو موقع رجل منشق على ديانتهم عاقبوه بالقتل. ويقال بأن مسألة قتل المسيح كانت موجودة في التلمود. ولكن اليهود أخرجوها حتى لا يعثر عليها أحد من الأمم

---

(١) سورة آل عمران ،٥٥.

(٢) للدكتور أحمد شلبي بكتابة المسيحية ص٥٢، مناقشة مهمة في الموضوع ننصح بالرجوع إليه.

(٣) سورة الأنبياء، ٣٤.

(٤)الشهرستاني، الملل والنحل، ج١/٢٠٩.

المسيحية التي كان يقيم بها اليهود[1]. وعلى كل حال فإنه لا يوجد في تاريخ اليهود الديني ولا في كتبهم المقدسة أي ذكر لعيسى بن مريم عليه السلام ولا لدعوته ولا لأحداث القبض عليه. والمسيحية عندهم شأنها شأن الإسلام، هي أديان أممية[2] لا يعيرونها أهمية، لأن دينهم حسب معتقداتهم هو دين الشعب المختار. وأن المسيح الذي تحدثهم به التوراة هو غير عيسى بن مريم عليه السلام ولا زالوا ينتظرونه ليملكهم الأرض ويجعلهم سادة الأرض فاليهود إذن لم يعترفوا بأن عيسى عليه السلام هو ذلك المسيح، فهم يعتبرونه

(١)انظر قصص القرآن، عبد الوهاب النجار، ص٤٣٠. م/تاريخ الديانتين.

(٢) غير أن الإسلام يختلف عن المسيحية في عالميته. فالإسلام عالمي لأنه هداية من الله تعالى إلى الجنس الإنساني حتى قيام الساعة **﴿تبارك الذي أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً﴾ ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾**.

أما المسيحية التي دعا بها السيد المسيح عليه السلام فكانت محصورة في بني إسرائيل فقط، دون غيرهم من البشر، يؤيد ذلك الإنجيل (ما بعثت إلا إلى خراف بني إسرائيل الضالة) ولكن بولص الرسول غير الأهداف المسيحية وأخرجها إلى العالمية.

ثم أن الإسلام هداية إلى دين الفطرة والعقل والخلق القويم، في حين أننا نرى في العهدين القديم والجديد- وهما كتاب المسيحيين، المسى بالكتاب المقدس ما يناقض ذلك في صفات الله وذاته وسلوك كثير من الأنبياء وفي طبيعة التوجيه الخياني.

والإسلام إضافة إلى كل ذلك بوأ للعرب المسلمين منزلة عزيزة فكان آل بيت النبوة والصحابة الأوائل من المهاجرين والأنصار قد حازوا رضي الله (رضي الله عنهم ورضوا عنه)، وهم جميعاً القدوة وما زال للعرب الثقاة منزلة مرموقة لدى المسلمين من غير العرب. في حين أن المسيحية ليس فيها هذا الاتجاه. اقرأ معي هذا النص الإنجيلي في مكانة الكنعانية المؤمنة بالسيد المسيح التي كانت تستغيث بالسيد المسيح أن يشافي ابنتها إذ هي مجنونة جداً فرفض علاجها، لأنها ليست إسرائيلية، بل هي عربية كنعانية مسيحية. وأجابها (لم أرسل إلا إلى خراف بني إسرائيل الضالة، فأتت وسجدت له قائلة: يا سيد أعني فأجاب وقال: ليس حسناً أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب. فقالت: نعم يا سيد، والكلاب أيضاً تأكل من الفتات الذي يسقط من مائدة أربابها. حينئذ أجاب يسوع وقال لها: يا امرأة عظيم إيمانك، ليكن لك ما تريدين. فشفيت ابنتها من تلك الساعة) "انجيل متى، ١٥/٢١-٢٩".

وللإسلام لغة واحدة هي لغة القرآن التي كانت الأمة المسلمة زمن قوة العقيدة وقوة الحكم الإسلامي لغتها لخمسة قرون أو يزيد، أي أن الإسلام عرب المسلمين جميعاً، وجعلهم عقيدة واحدة وفكراً واحداً وخلقاً واحداً أو هدفاً واحداً ولغة واحدة.

أما المسيحية فليست اللغة العربية تجمعها، وإنما هي لغات شتى لمن دان بها، فالعقيدة المسيحية هي الميزان، وليس للغة العربية أية مكانة مقدسة فيها.

يهودياً مرتداً عابداً للأوثان ويقول التلمود عنه إن يسوع الناصري موجود في لجـات الجحيم بين القار والنار، وقد أتت به أمه من العسكري باندارا عن طريق الخطيئة أمـا الكنائس النصرانية فهي قاذورات، الواعظون فيها أشبه بالكلاب النابحة وقتل المسيحي من التعاليم المأمور بها، والعهد مع المسيحي لا يكون عهداً صحيحاً يلزم اليهود القيـام به. ومن الواجب أن يلعن اليهود ثلاث مرات رؤساء المذهب النصراني وجميع الملـوك الذين يتظاهرون بالعداوة لبني إسرائيل.

أما المسيح الذي ينتظره التلمود فيقول فيه "عندما يأتي المسـيح تطـرح الأرض فطيراً وملابس من الصوف وقمحاً كل حبة في حجم كلاوي الثيران الكبيرة وحينئـذ ترجع السلطة لليهود وكل الأمم تخدم ذلك المسيح وتخضع له. وفي هذا الوقت يكـون لكل يهودي ألفان وثمانمائة عبد يخدمونه وعشرة أكوان تحت سلطته".

"ولكن المسيح لن يأتي إلا بعد القضاء على حكم الأشرار من الخـارجين علـى دين بني إسرائيل. لذلك يجب على كل يهودي أن يبذل جهده لمنع اشتراك باقي الأمم في الأرض كي تظل السلطة لليهود وحدهم. ويستمر ضرب الذل والمسـكنة علـى اليهود حتى ينتهي حكم الأجانب من غير بني إسرائيل. وقبل أن يحكم اليهود نهائيـاً باقي الأمم يجب أن تقوم الحرب ويهلك ثلث العالم ويبقى اليـهود سـبع سـنوات متواليات يحرقون الأسلحة التي كسبوها بعد النصر، وفي ذلك اليـوم تكـون الأمـة اليهودية غاية في الثراء لأنها تكون قد ملكت كل أموال العالم. وستملأ كنوزهـم بيوتـاً كبيرة لا يمكن حمل مفاتيحها وأقفالها إلا على ثلاثمائة حمار ويدخل النـاس كلـهم أفواجاً في دين اليهود ويقبلون جميعاً عدا المسيحيين فإنهم يهلكون لأنهم مـن نسـل الشيطان"(١).

---

(١) قصة الديانات، ص٣٤٣-٣٤٤.

ثانياً: أسرار الكنيسة السبعة.

أما ما يسمى بالأسرار الكنيسة، فهي علامات ظاهرة تقول الكنيسة بأنها قد وضعت من قبل السيد المسيح عليه السلام لأجل الحصول على العناية الإلهية والرحمة وهي:

١- **التعميد Baptism**: وهو سكب الماء المقدس على الشخص الذي يروم الدخول إلى المسيحية أو الطفل. وهي علامة على تطهيره من الخطايا.

٢- **التثبيت Confirmation**: أي حلول روح القدس في الشخص الذي دخل المسيحية.

٣- **التوبة Penance**: وهي نيل المغفرة من الخطايا التي يرتكبها المسيحي بعد التعميد. ولكي تكون التوبة صحيحة يزور المسيحي الكنيسة ويؤدي بعض الأدعية ويدفع فدية أو صدقة يوافق عليها القسيس.

٤- **التناول The Holy Euchorest**: أي تناول الخبز والنبيذ تشبهاً بالعشاء الرباني الأخير والخبز يرمز إلى لحم السيد المسيح والنبيذ إلى دمه.

٥- **مسحة المرضى Transubstantiation**: وهي مسح المريض عندما يشرف على الموت لتقوية الإيمان.

٦- **الكهنوت Holy Orders**: أي تبريك الأسقف لرجال الدين الذين يدخلون هذا السلك أي منحهم البركة والرحمة والعزيمة في أداء واجبهم الديني المقدس.

٧- **سر الزواج Matrimony**: لأن الزواج صلة مقدسة يجب ألا تنفصم بالوسائل البشرية(١).

---

(١) تاريخ أوربا من عصر النهضة وحتى الثورة الفرنسية، ص١٧٤-١٧٥.

الفرق المسيحية

وحين الحديث في الفرق المسيحية، لا بد من تقسيم الفرق إلى:

١- **الفرق الموحدة:** أي التي ترفض عقيدة التثليث أو ما تسمى بعقيدة (بولص) وهي فرق قديمة حرمتها الكنيسة واعتبرت أصحابها هراطقة أي كفارا. يجب مقاطعتهم وحرمانهم بل وقتلهم.

٢- **الفرق الخاضعة لقوانين الكنيسة:** والتي تلتزم بعقائد المجامع التي مر ذكرها والتي بنيت على أساس التثليث أي بأن الله له ثلاثة أقانيم هي الأب والابن والروح القدس وسوف نقسمها إلى فرق قديمة وفرق معاصرة.

أولا: الفرق الموحدة.

والفرق التي اتسمت أفكارها وعقائدها بالتوحيد هي فرقة أبيون وفرقة بولص السميساطي وفرقة آريوس.

١- **أما فرقة أبيون Ebion** فكانت تقر جميع شرائع موسى عليه السلام وتعتبر عيسى عليه السلام هو المسيح المنتظر الذي تحدثت عنه أسفار العهد القديم وتنكر ألوهية المسيح وتعتبره مجرد بشر رسول. وكان لهذه الفرقة في تفاصيل عقائدها هذه إنجيل خاص مدون باللغة الآرامية. وتم انقراض هذه الفرقة في أواخر القرن الرابع الميلادي[1].

٢- **وأما فرقة السيمساطي Paul de Somosate** والذي كان أسقفا لأنطاكيا سنة ٢٦٠م، فإنه أنكر ألوهية المسيح وقرر أنه مجرد بشر رسول وقد عقد

(١) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ص١٠٨.

بأنطاكيا من سنة ٢٦٤-٢٦٩، ثلاثة مجامع للنظر في شأنه وانتهى الأمر بحرمانه وطرده وقد بقي لمذهبه اتباع على الرغم من ذلك حتى القرن السابع الميلادي. ويذكر ابن حزم في كتابه (الفصل في الملل والأهواء والنحل) عن بولس هذا أنه كان بطرياركاً بأنطاكيا وكان دينه التوحيد المجرد الصحيح وأن عيسى عليه السلام خلقه الله في بطن مريم من غير ذكر. وأنه إنسان لا آلوهية فيه وكان يقول: لا أدري ما الكلمة (أي الابن) ولا (روح القدس). ويقول ابن البطريق في بيان مذهبه: (أن المسيح إنسان خلق من اللاهوت كواحد منا في جوهره وأن ابتداء الابن من مريم (أي أنه محدث وليس قديما). ويقول أن الله جوهر واقنوم واحد ولا يؤمنون بالكلمة (أي الابن) ولا (بروح القدس). وهي مقالة بولس السيمساطي وقد يدعى أتباعه البوليقانيون)[1].

٣- وأما الأريوسيون، فهم أتباع (آريوس) Arius -الذي سبق لنا ذكره- وكان قسيساً في كنيسة الإسكندرية. وداعياً قوي التأثير واضح الحجة جريئاً في المجاهرة برأيه. وقد أخذ على نفسه في أوائل القرن الرابع الميلادي مقاومة كنيسة الإسكندرية فيما كانت تذهب إليه من القول بألوهية المسيح ونبوته للأب. فقام يقرر أن المسيح ليس إلهاً ولا ابناً لله وإنما هو بشر مخلوق وأنكر جميع ما جاء في الأناجيل من العبارات التي توهم ألوهية المسيح، ويلخص ابن البطريق مذهبه فيقول "كان يقول أن الأب وحده الله والابن مخلوق مصنوع وقد كان الأب حيثما لم يكن الابن"وقد تبعه مشايعون كثيرون. فقد كانت كنيسة أسيوط على هذا الرأي وعلى رأسها (ميليتوس). وكان أنصاره في الإسكندرية نفسها كثيرين في العدد أقوياء في المجاهرة بما يعتقدون. كما تبعه خلق كثير في فلسطين ومقدونيا والقسطنطينية. وذلك على الرغم من حكمها عليه بالطرد من الكنيسة. وقد أصبح مذهباً لدول مسيحية قوية في شمال

---

(١) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، ص١٠٨.

أفريقيا وجنوب أوربا. إلا أن المذهب هذا أخذ يضمحل ويتناقص عدد أتباعه أواخر القرن الخامس الميلادي[١].

ثانيا: الفرق القائلة بالتثليث

أ- الفرق الكنسية القديمة:

والفرق القديمة المشهورة في الديانة المسيحية هي (اليعقوبية) أصحاب يعقوب و(النسطورية) أصحاب نسطوريوس أو نسطور و(الملكانية) أي الذين كانوا على دين الملوك الرومانيين.

وقد اتفقت هذه الفرق الثلاث على "أن الخالق الإله جوهر واحد ثلاثة أقانيم. وأن أحد هذه الأقانيم أب والآخر ابن والثالث روح القدس".. وهي نفس عقيدة الفرق الكنسية المعاصرة. تقول اليعوبية والنسطورية بأن الأقانيم الثلاثة هي الجوهر والجوهر هو الأقانيم. أما الملكانية فتقول أن القديم جوهر واحد ذو ثلاث أقانيم وأن الأقانيم هي الجوهر والجوهر هو الأقانيم[٢].

واختلفوا في المسيح والاتحاد، فزعمت النسطورية أن المسيح إله وإنسان (أي ماسح وممسوح) اتحدا فصارا مسيحا واحدا ومعنى اتحدا أنه صار من اثنين واحد. والصحيح عندهم على الحقيقة جوهران اقنومان. جوهر قديم لم يزل وهو الكلمة التي هي أحد أقانيم الإله. وجوهر محدث كان بعد إن لم يكن وهو يسوع المولود من مريم، ويقال بدل كلمة "اتحد" تجسد أو تأنس أو تركب.

وذهبت الملكانية إلى أن للمسيح جوهران أحدهما قديم والآخر محدث. وزعم أكثر اليعقوبية أن المسيح جوهر واحد إلا أنه من جوهرين أحدهما جوهر الإله القديم

---

(١) المصدر السابق، ص١٩٠، المسيحية والحضارة العربية، ص٢٦-٢٧.

(٢) المسيحية والحضارة العربية، ص٢٨-٣٢.

والآخر جوهر الإنسان فاتحدا وصارا جوهرا واحدا اقنوما واحدا وقال بعضهم صارا طبيعة واحدة. أي أن الجوهر العام اتحد بالإنسان الكلي.

واختلفوا في الصلب والقتل بعد اتفاقهم على وقوع الصلب والقتل ذاته فزعمت النسطورية أن الصلب وقع على المسيح من جهة ناسوته لا من لاهوته (أي أن من صلب هو الإنسان لا الإله).

وزعم أكثر الملكانية أن الصلب وقع على المسيح بكماله، والمسيح هو اللاهوت والناسوت. كذلك ذكرت أكثر اليعقوبية أن الصلب والقتل وقعا في الجوهر الواحد الكائن من الجوهرين اللذين هما الإله والإنسان. لأن المسيح في الحقيقة هو الإله وقد اتفقت الفرق الثلاثة أن المسيح يعبد ويستحق ذلك فمنهم من قال بأنه يعبد بكماله ومنهم من قال أنه يعبد من جهة لاهوته.

ب- الفرق المعاصرة:

ويمكن اختصارها بما يلي:

١- **الكاثوليك**، والكنيسة الكاثوليكية هي الكنيسة الغربية أو اللاتينية أو البطرسية أو الرسولية ومعناها (الكنيسة العالمية) ويقول قادتها بأنهم المسؤولون عن نشر الدين والتبشير به بين الناس وتتبع هذه الطائفة النظام البابوي الذي يرأسه البابا وهنالك مجلس أعلى يضمه النظام البابوي يسمى (مجلس الكرادلة) له حق إصدار أنظمة الكنيسة. وأصبح البابا ممثلا للسيد المسيح أو لله في الأرض. وفي نهاية القرن التاسع عشر. صدر مرسوم عن المؤتمرات الكنيسة يقول بعصمة (بابا روما) لذلك أصبحت كلمته ملزمة.

٢- **الكنيسة الشرقية أو (الأثوذوكس)**: اتباعها في البلدان الشرقية كروسيا واليونان ومسيحيو البلاد العربية والشرقية. انفصلت عن كنيسة روما منذ عام

١٠٥٤م، ولها عدة كنائس مستقلة في إدارتها وهنالك أسباب كثيرة لنشوء هذه الكنيسة منها:

أ- محاولة الشرقيين الحفاظ على عدم الامتزاج بأفكار الوثنيين في أوربا والتي جاملتهم فيها الكنيسة الكاثوليكية. إلا أنها لم تنج منها وبقيت خلافاتهما شكلية وسياسية (أي إدارية لشؤون الكنيسة) فقد كان الغرض تثبيت سلطة الدولة البيزنطية التي انفصلت عن الامبراطورية الرومانية. أي أن أحد أسباب نشوء هذه الكنيسة كان سببا سياسيا.

ب- وكان من أسباب بقاء وتوسع الكنيسة الشرقية هو عدم رغبتهم في الخضوع إلى إرادة البابا في روما والذي كان يصر على أن يتبعه كل المسيحيين في العالم.

ج- ومن الأسباب العقائدية أن الكنيسة الغربية كانت تقول أن روح القدس قد نشأ عن الأب والابن معا. بينما ترى الكنيسة الشرقية أنه نشأ من الابن وحده. كذلك فإن الكنيسة الشرقية تجعل الأب أفضل من الأب بينما كانت الكنيسة الغربية ولا زالت تجعل منه مساويا للأب. أما المشيئة فإن الكنيسة الشرقية تعتقد بأن للمسيح طبيعة واحدة ومشيئة واحدة. بينما تصر الكنيسة الغربية على أن له طبيعتين ومشيئتين[1].

٣- **الكنيسة البروتستانتية (الاحتجاجية)**: أو الكنيسة الإنجيلية. أي الذين يعتبرون الإنجيل هو المصدر الوحيد للديانة المسيحية. وبمعنى آخر فإنها تستغني عن القرارات التي يصدرها البابا وقد تأسست هذه الكنيسة بعد الثورة الإصلاحية. ولهذه الكنيسة اتباع كثيرون في إنجلترا وهولندا وألمانيا وسويسرا والنرويج وأمريكا الشمالية والدانمارك[2].

---

(١) المسيحية ، أحمد شلبي، ص٢٠٥-٢٠٦.

(٢) المصدر السابق، ص٢٠٧.

أهم المبادئ التي حققتها الثورة الإصلاحية:

إن الثورة الإصلاحية التي انتهت بخلق طائفة البروتستانت قد حققت جملة مبادئ منها:

١- أن يكون الكتاب المقدس هو المصدر للمنازعات. وأن يكون الحكم في كل تشريعات الكنيسة.

٢- أصبح من حق كل مسيحي أن يقرأ الكتاب المقدس ويفسره. بعد أن كانت الكنيسة الكاثوليكية تحرم عليه ذلك.

٣- إلغاء رئاسة الكنائس فلكل كنيسة بروتستانية رئاستها. ولرئيسها حق الإرشاد والتوجيه.

٤- ليس للكنيسة أن تغفر الذنوب.

٥- من حق الناس أن يترجموا الكتاب المقدس بأية لغة يفهمونها.

٦- لم يعد العشاء الرباني سرا مقدسا، بل عادة تذكر الناس بالسيد المسيح.

٧- إلغاء الرهبنة وإباحة الزواج لرجال الكنيسة.

٨- لم يعد للتماثيل أهمية مقدسة. لذلك لم يعد السجود لها أمرا ضروريا[1].

وقد حمل لواء الإصلاح الديني في الكنيسة البروتستانتية جملة من المفكرين ومن رواد الفكر المسيحي.

ويمكن أن نتطرق إلى بعض من شخصيات الإصلاح المذكورين وهما مارتن لوثر وجون ويكلف وجون هس وإلى حركتي الدومنيكان والفرنسيسكان.

١- مارتن لوثر (١٤٨٣-١٥٤٦):

ولد مارتن لوثر في بلدة ابشلين في مقاطعة سكسونيا بألمانيا من أبوين فقيرين. أتم

---

(١) أحمد شلبي، المسيحية، ص٢١٨.

دراسته في دير القديس أوغسطين في أرفورت سنة ١٥٠٥م، وحصل على شهادة الماجستير. وبذلك استطاع التدريس في نفس الدير، وزار روما عام ١٥١٠م، واطلع على انحرافات البابا هناك، ثم عاد إلى ألمانيا ليعلن مبدأه القائل بعقيدة التبرير بالإيمان. فالإيمان في رأيه هو الذي يرجع الناس إلى فضل محبة الإله، لذلك قال "السلام بالإيمان وحده والعمل الصحيح هو العمل الذي يستند على الكتاب المقدس لا على الأعمال التي يطلبها رجال الدين في روما من مسيحي أوربا" وقد اصطدم لوثر بفكرة بيع صكوك الغفران إذ يقول بأن النجاة والقصاص لا تأتي عن طريق شراء الصكوك أو عكسها وإنما تأتي عن الإيمان بالله. وقام بتعليق نشرة احتجاجية على مساوئ الكنيسة الكاثوليكية ورفع شعاره القائل "أن الغفران مرتبط بالإيمان برحمة الله لا عن طريق شراء صكوك الغفران" وأن الكتاب المقدس وحده هو القانون الذي يجب الاعتماد عليه في تفسير العقائد وفي المسائل المختلف فيها، وأنكر أن المجامع الكنسية منزهة عن الخطأ وأبدى رغبته بالزواج ودعا إلى زواج الرهبان.

أصدر البابا قرارا بحرمان لوثر أي مقاطعة الكنيسة والناس له وعدم منحه حق حرية الحياة في أي مكان.

وكاد البابا أن يحرقه لولا مساندة حاكم المقاطعة له.

ولم يرفض لوثر عقيدة (الخطيئة) التي تقول الكنيسة بأن الإنسان توارثها عن آدم. ولكنه عارض الكنيسة في الخلاص منها. فهو يرى أن الخلاص من الخطيئة والذنب لا يأتي إلا عن طريق الإيمان. وإن الله هو وحده صاحب الصفح. ويرى لوثر أن الإيمان هو الثقة الشخصية في المسيح وفي الخلاص الذي يقدمه للإنسان. وقال أن القسيس اغتصب مكان المؤمنين ويجب عكس هذه العملية. لذا فإن مركز البابوية والمناصب الدينية الكبرى لا تتطلب بالضرورة كهنة. بل أن العلمانيين يقومون بدورهم هذا لذا ركز على السلطة العلمانية.

ومن هنا فإن حركة مارتن لوثر كانت حركة سياسية بقدر ما هي حركة دينية دعت إلى المساواة بين المسيحيين وإلغاء الامتيازات التي يتمتع بها الكهنة على غيرهم من أبناء الدين الواحد ويطالب بتسليم الأمور الدينية إلى رجال عاديين ليسوا كهنة. وإن إلغاء امتيازات رجال الدين سبيل لانخراطهم في المجتمع الذي يعيشون فيه لأن هذه الامتيازات حالت بينهم وبين مجتمعاتهم التي ينتمون إليها.

ونلاحظ هنا أن لوثر بعمله هذا ركز على الشعور الوطني والقومي وأنه بنى أفكاره على أساس التصور السياسي للدولة الحديثة في أوربا.

أوعز البابا للإمبراطور شارل الخامس بمعاقبة لوثر لأنه هرطقي كافر ملحد فطلب الإمبراطور منه أن يحضر مجلس ديني يعقد لدراسة أفكاره فادين عام ١٥٢٠م، وأصبح مهدور الدم. فطلب من (فردريك) حاكم منطقته مساعدته فقدم له الحماية فأخفاه سنة كاملة في أحد الأديرة حيث عكف على ترجمة الأسفار المقدسة إلى الألمانية.

وكان لترجمة الكتاب المقدس وأفكار لوثر أثر في ثورة الشعوب الأوربية على السلطة البابوية. ومكن الحركة الاحتجاجية (اللوثرية البروتستانتية) أن تحصل على مركز قانوني[1].

٢- جون ويكلف (١٣٢٠-١٣٨٤):

- جون هس (١٣٦٩-١٤١٥.

ولم يكن مارتن لوثر أو زوينجلي الذي جاء من بعده في سويسرا أول من نادى بالإصلاح الكنسي، ولكنهما نسبيا في إخراج الكثير من المسيحيين من ولائهم لكنيسة روما وتأسيس الكنيسة الاحتجاجية (البروتستانتية).

وكان هناك من سبق لوثر في المطالبة بالإصلاح، وكانوا سببا في انشقاق الكنيسة. ولكن ثوراتهم على النظام البابوي لم تؤد إلى نشوء كنيسة مستقلة كالكنيسة

---

(١) تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، ص٩٤-١٠٤.

الاحتجاجية وإنما ساعدت في شق عصا طاعة كنيسة إنجلترا على البابوية واستقلت عن سلطة البابا وربطت كل مقدراتها بيد ملك إنجلترا الذي أصبح رئيسا للكنيسة الإنجليزية إلى اليوم الحاضر.

وكان جون ويكلف قد لعب في هذا الأمر دورا مهما، أما جون هس فقد كان له دوره هو الآخر في تشيكوسلوفاكيا كما سيأتي ذكر ذلك. وكان أن قامت في أوربا حركات دينية إصلاحية غايتها الرجوع بالكنيسة إلى عهدها الأول. عهد النقاوة الدينية وعهد البساطة في الأسلوب والتطبيق. وقد تبنى هذا الإصلاح جماعة من المثقفين الكنسيين والعلمانيين كالأمراء المعادين والمعارضين لاتساع نفوذ البابا على حساب سيادتهم السياسية، وقد مثل هذا الاتجاه الأخير الإمبراطور فردريك الثاني إمبراطور الدولة الرومانية المقدسة. الذي ناصب البابا والبابوية العداء الطويل. ومع أن الإمبراطور فردريك خسر في نهاية الأمر وقضي على أسرته كأسرة حاكمة في أوربا إلا أن عمله هذا اعتبر نقطة تحول في التأريخ الأوربي. لأنه جرح الكنيسة وأسقط هيبتها وكان هذا العمل من أهم الأسباب التي أدت إلى انحلالها.

وظهرت هيئتان ديريتان من الرهبان المسيحيين الأوربيين. الفرنسيسكان والدومينيكان. كان همهم إصلاح الكنيسة عن طريق إزالة الأخطاء والمفاسد وعندها يقوى مركزها. يقول المؤرخ ولز: "لم تكن هيئتا الرهبان تلك إلا عاملين من بين العوامل الكثيرة الجديدة التي شرعت في المسيحية. أما لتأييد الكنيسة وأما لتمزيقها وهما أمران يرجع البت فيهما إلى تقدير الكنيسة". وقامت حركة إصلاحية في إنجلترا تطالب بإزالة ما علق بالكنيسة من شوائب ومفاسد وأخطاء.

ترأس هذه الحركة البروفيسور جون ويكلف (١٣٢٠-١٣٨٤م) بعد نصف قرن من حركتي الفرنسيكان والدومينيكان. إلا أن حركة ويكلف والويكليفيين كانت أكثر صراحة وأشد وقعا على البابوية وكان ويكلف من الأساتذة المشهورين بجامعة أكسفورد الإنجليزية، أخذ ينشر أفكاره الإصلاحية فأيده فقراء القسس وتبنوا نشر

أفكاره في إنجلترا. وساهم ويكلف بعمل إيجابي في طريق الإصلاح الديني يوم أن ترجم الإنجيل إلى الإنجليزية لغة الشعب المحلية. عندها أصبح في مقدور القارئ الإنجليزي أن يطلع على الحقيقة ويحكم على آراء ويكلف وعلى الانحرافات والمفاسد التي تمارسها الطبقة الأرستقراطية في الكنيسة. يقول ويلز: "كان ويكلف أوسع علماً وأكثر اقتداراً من كل من القديسين من فرنسيس ودومينيك. وقد كثر أتباعه بين أفراد الطبقة المثقفة الراقية. كما عظم عدد أتباعه بين الشعب. ومع أن روما ثارت ثائرتها سخطاً عليه وأمرت بحبسه. إلا أنه مات حراً طليقاً لم تمس حريته بسوء بيد أن الروح القديمة الشريرة التي كانت تدفع الكنيسة الكاثوليكية إلى مهاوي الدمار. لم تطق ترك عظامه هادئة في قبرها إذ صدر عن مجمع كونستانس سنة ١٤١٥م، مرسوم يقضي بنبش عظامه وحرقها. وهو قرار نفذه الأسقف فلمنج في عام ١٤٢٨م، بأمر من البابا مارتن الخامس[(١)].

وجدير بالذكر أن هذا التدنيس للحرمات لم يكن من عمل متعصب بمفرده. بل كان عملاً رسمياً صدر من الكنيسة وقامت حركة "جون هس" البوهيمي في بوهيميا الذي نادى بأن لا واسطة بين الإنسان والرب إلا عن طريق الإيمان والعمل بما جاء في الكتاب المقدس. وهنا يلتقي هس وجون ويكلف في هذا المبدأ وإن دل هذا على شيء عملياً فإنما يدل على أن الحركتين كانتا تهدفان في المقام الأول إلى تقليص سلطة البابوية وإلغاء الدور الذي يقوم به رجل الكنيسة كوسيط بين الناس وربهم. وقد زاد ويكلف على ذلك حين قال بأن الملكية الفردية هي نتيجة لخطيئة آدم. وإن ملكية الأرض لله وحده وإن لعباده الصالحين حق ملكية تلك الأراضي بتفويض إلهي يتمثل في أوامر شخص الملك الأوربي أو الأمير الأوربي أو الحاكم الأوربي. وطالب ويكلف الحاكم أن يحدد أملاك الكنيسة وأن يحتفظ بالباقي للدولة. وفي هذا الرأي مفهوم واضح وهو تقليص ملكية الكنيسة عن طريق تقليل أديرتها وأراضيها وإقطاعياتها

---

(١) تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، ص٢٣-٢٤.

الزراعية وبذلك يمكن تقليل مصادر الثروات التي تتدفق على البابوية وعندما تقل مصروفاتها ينتهي بالتالي بذخ وترف وتبذير الطبقة الأرستقراطية في الكنيسة. وعلينا أن نلاحظ أن مثل هذه الحركات التي كانت تنادي بإصلاح الكنيسة والتي كانت ترى تقليص سلطتها. كانت تلقي استجابة كبيرة من السلطة الزمنية التي رأت في هذه الحركات تقوية لنفوذها في الداخل. ومع أن البابوية قاومت الحركتين ونكلت بمؤسسيها وإتباعهما، فإن هذا الإجراء التعسفي أدى إلى ظهور جماعة مؤيدة لأفكارهما وحركتهما. ومن هنا ظهر الهسيون والويكلفيون وظل أبناء تشيكوسلوفاكيا ينظرون إلى هس بأنه رائد قوميتهم والمصلح الديني الكبير الذي أراد تطهير الكنيسة من شوائبها[1].

- **الكتب المقدسة عند المسيحيين:**

للمسيحيين ثلاثة مصادر رئيسية لعقيدهم الكنسية. تتمثل في الكتب المقدسة التالية:

أ- العهد القديم:

وقد سبقت الإشارة إليه في دراستنا لليهودية.. فمن المعروف أن السيد المسيح عليه السلام ما جاء إلا لإصلاح بني إسرائيل أولا. ولم يلغ قدسية العهد القديم. لذلك فباعتبار المسيحيين خلفاء اليهود في العقيدة وطوروا كثيرا من المفاهيم وألغوا مفاهيم أخرى. فإن الكتاب اليهودي المقدس قد جعل أول مصدر عقائدي من مصادر المسيحية وفي هذا الكتاب (الذي دعى القديم) اختلافات بسيطة في قبول بعض الأسفار أو رفضها أو عدم الاعتراف بشرعيتها... ولكن مع ذلك فإن نظرهم إليه وإن كانت مقدسة اعتقادا". إلا أن الكتاب لا يعني شيئا عند الكثيرين منهم. وعبر عنه البروفيسور (باهوف) بأنه ليس إلا كتابا أدبيا. يعتبر أدبه مقدسا حتى لا يجري تغيير فيه من جانب ومن الجانب الآخر فإن الكتاب جاء على لسان أشخاص أرسلهم الله

---

(١) تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، ص٢٣-٢٥.

إلى أرضه.. إلا أن الأناجيل -حسب رأيه- هي كتاب المسيح عليه السلام والذي يعتبر في الديانة المسيحية (إلهاً) أو (أقنوماً إلهياً)(1).

ب- العهد الجديد:

وهو كتاب المسيحيين المهم لأنه يحوي ماله علاقة بالعقيدة الجديدة التي جاء بها السيد المسيح. ويعتقد الكثير من المسيحيين بأن رسالة السيد المسيح موجودة بنصها فيها وإن كان قد روي عن طريق أشخاص روحانيين لهم كراماتهم وينقسم هذا الكتاب إلى أناجيل أربعة قانونية وشرعية معترف بها من قبل كل من المسيحيين.

وكان مؤتمر نيقية المنعقد سنة ٣٢٥م، قد أقر هذه الأناجيل وحرم ما يربو على السبعين أنجيل آخر.

ثم أقرت الكنيسة عام ٣٦٤م، مجموعة من رسائل الحواريين لتطلق عليها اسم رسائل الرسل وتضمها إلى الأناجيل الأربعة ليتشكل منها العهد الجديد من الكتاب المقدس(2).

أ- الأناجيل:

١- **إنجيل متي:** مؤلفهُ الرسول متي أحد الحواريين الإثنى عشر، وأنجيله أقدم الأناجيل. يعود تأليفه إلى سنة (٦٠) بعد الميلاد، ألف باللهجة الآرامية الفلسطينية الحديثة(3). أما الإنجيل الذي وصلنا فكان مترجماً باليونانية. وقيل أن مترجمة كان يوحنا صاحب الإنجيل الرابع.

٢- **إنجيل مرقص:** مؤلفه القديس مرقص. أحد التلاميذ السبعين ألفه سنة ٦٣ وقيل ٦٥ للميلاد باللغة اليونانية. وقد تم تأليفه تحت إشراف أستاذه بولص رئيس الحواريين وبإرشاده.

---

(١) المسيح في مصادر العقائد المسيحية، ص١٣-١٤.
(٢) المسيح في مصادر العقائد المسيحية الفصل الأول، ص١٥-٣٢.
(٣) الأسفار المقدسة، ص٧٦.

٣- أنجيل لوقا: مؤلفه القديس لوقا. أحد التابعين. ألفه حوالي ٦٣ وقيل ٦٥ للميلاد باللغة اليونانية. وقيل بأن القديس لوقا كان مصرياً وقيل يونانياً.

٤- إنجيل يوحنا: ألفه الرسول يوحنا أحد الحواريين الإثنى عشر باللغة اليونانية. وكان تأليفه حوالي سنة ٩٠ للميلاد لذلك يعتبر أحدث الأناجيل نظراً للفترة الزمنية التي تفصل تأليفه عن تأليف بقية الأناجيل(١).

وتشتمل الأناجيل الأربع على موضوعات خمس هي، القصص والعقيدة والشريعة والأخلاق والزواج. فتشغل القصص الحيز الأكبر في تأليفه، ومن تلك القصص. حمل مريم العذراء بعيسى عليه السلام وخطبتها ليوسف النجار. ثم قصة يوحنا المعمدان وتبشيره بظهور المسيح وصلب المسيح ورفعه إلى السماء وغير ذلك.

أما العقائد فتدور حول المسيح وألوهيته وبنوته للأب والأقاليم الثلاثة وصلب المسيح والخطيئة الأزلية وتوليه حساب الناس يوم القيامة.

وفيما يتعلق بالشريعة، فإقرار المسيحية بشريعة اليهود ووصيته في الجبل (خطبة الجبل) والتي ألغى فيها بعض تشريعات موسى عليه السلام كالطلاق وإلغاء ما اشتهر عن موسى عليه السلام من قول (العين بالعين والسن بالسن). فدعا الناس أن تعطي خدها الأيسر لمن يضربها على الأيمن وإلغاء حد الزنى (الرجم) والاكتفاء بأخذ العهد على عدم العودة إليه.

أما في الأخلاق، فقد تحدث السيد المسيح عن العفو ودفع السيئة بالحسنة وتقديم الخير للناس والدعاء لهم بالهداية وتقديم العون للمحتاج وغير ذلك من الأمور. وأما ما يتعلق بالزواج وتكوين الأسرة فقد فضلت الأناجيل العزوبية على الزواج مع التزام العفة.

وكانت هنالك فرق مسيحية كالمارسينيون، قد حرموا الزواج.

والأناجيل، وإن كانت تتفق في النقاط التي ذكرناها إلا أنه توجد فيها الخلافات

---

(١) المصدر السابق، ص٧٦-٧٩.

كنسب المسيح إذ تختلف الأناجيل في رواية نسبه حتى تصل في بعضها أن تجعله ابنا ليوسف النجار (كما جاء في متى). وهنالك خلاف في حادث القبض على السيد المسيح عليه السلام فيروي كل إنجيل رواية تختلف عن رواية الإنجيل الثاني[1].

ب- رسائل الرسل:

وتتضمن أعمال الرسل، والرسل عند المسيحيين هم الحواريون لأن الرب أرسلهم إلى الأمم لتعليمهم باسم الأب والابن والروح القدس، ويتفق هذا القسم من الكتاب المقدس مع الأناجيل الأربعة التي مررنا على ذكرها في أن موضوعها الرئيس موضوع تاريخ لأن الموضوع الأساس للإنجيل، هو تاريخ المسيح وتاريخ أنصاره من بعده.

ويتناول الكتاب شؤون العقيدة والشريعة عرضا، وبمقدار اتصالها بموضوعه التاريخي الذي ذكرناه[2].

وقد اعتمدت الكنيسة هذه الرسائل سنة ٣٦٤هـ.

جـ- رؤى يوحنا:

ويسميها الإنجيل رؤى يوحنا اللاهوتي وتألف من اثنين وعشرين إصحاحا وقد جعل آخر قسم من أقسام الإنجيل (العهد الجديد). ورؤى يوحنا تؤكد عقائد الكنيسة التي مررنا على ذكرها.

---

(١) تناول تلك الخلافات د. علي عبد الرازق وافي في كتابه الأسفار المقدسة، ص٧٦-٨٦، بصورة وافية.

(٢) الأسفار المقدسة، ص١٠٠.

مصادر البحث العربية والمترجمة

القرآن الكريم

الكتاب المقدس. إصدار دار الكتاب المقدس ١٩٦٥.IIM.٤٣ Arabic Bible

١- الأحمد: الدكتور سامي سعيد

- الإله زووس ، ط١، مطبعة الجامعة، بغداد ٩٧٠.

- الأسس التاريخية للعقائد اليهودية (من منشورات الجمعية العراقية للتاريخ والآثار) رقم(١) مطبعة الإرشاد بغداد، ١٩٦٩.

- اللغات الجزرية (من منشورات إتحاد المؤرخين العرب) بغداد١٩٨٢.

٢- ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد "ت٧٢٨"هـ.

- النبوات، ط١، المطبعة المنيرية بمصر ١٣٤٦هـ.

٣- ابن حزم: أبو محمد علي.

- الفصل في الملل والأهوال والنحل. مكتبو المثنى، بغداد(د.ت).

٤- ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل (ت٧٧٤هـ).

- تفسير القرآن العظيم، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٦٩.

٥- ابن الكلبي: أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب.

- كتاب الأصنام "تحقيق أحمد زكي" نسخة مصورة عن دار الكتب، ١٩٢٤.

٦- ابن النديم: أبو الفرج محمد (ت٣٨٥هـ).

- الفهرست (نسخة مصورة عن طبعة لايبزج ١٨٧٢) نشرة مكتبة خياط. بيروت، ١٩٦٤.

٧- أبو زهرة: الشيخ محمد.

- مقارنات الأديان، الديانات القديمة ، دار الفكر العربي القاهرة (د.ت).

- محاضرات في النصرانية. القاهرة (د.ت).

٨- أبو علية وياغي : عبد الفتاح ود. إسماعيل.

- تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، الرياض ١٩٧٩.

٩- أسود: عبد الرزاق محمد.

- الموسوعة الفلسطينية، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ١٩٧٨.

١٠- باقر: الدكتور طه.

- مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة. القسم الأول: تاريخ العراق القديم، ط٢، بغداد، ١٩٥٥.

- القسم الثاني، حضارة وادي الرافدين، ط٢، بغداد، ١٩٥٦.

١١- الباقلاني: أبو بكر محمد بن الطيب.

- كتاب التمهيد، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٥٧.

١٢- برستيد: جيمس هنري.

- تطور الفكر والدين في مصر القديمة "ترجمة زكي سوس" دار الكرنك للنشر والطبع والتوزيع، القاهرة، ١٩٦١.

١٣- براناتيس: الأب أي بي.

- فضح التلمود، تعاليم الحاخامين السرية "ترجمة زهدي الفاتح" بيروت ١٩٨٥.

١٤- البغدادي: عبد القاهر بن طاهر بن محمد (ت٤٢٩هـ).

- الفرق بين الفرق" تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. مطبعة المدني بمصر (د.ت).

١٥- بوتيرو: جان.

- الديانة عند البابليين "ترجمة وليد الجادر" ط١، بغداد ١٩٧٠.

١٦- الجرجاني: علي بن محمد علي الزين.

- التعريفات، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر ١٩٣٨.

١٧- جرجيس: صبري.

- تاريخ الصهيونية ج١، بيروت ١٩٧٧.

١٨- الجسر: الشيخ نديم.
- قصة الإيمان، مطابع المكتب الإسلامي ط٣، بيروت، ١٩٦٩.
١٩- جعفر: الدكتور محمد كمال إبراهيم.
- في الدين المقارن، دار الكتب الجامعية، ١٩٧٠.
٢٠- الجندي: أنعام.
- دراسات في الفلسفة اليونانية العربية ط١، بيروت (د.ت).
٢١- حسن: محمد علي.
- بين التوراة والقرآن خلاف. بغداد، ١٩٨٣.
٢٢- حسين: الشيخ محمد الخضر.
- محمد رسول الله مطبعة العلم بدمشق، ١٩٧١.
٢٣- الحسني: عبد الرزاق.
- الصابئون، ط٤، مطبعة العرفان، صيدا، بيروت ١٩٧٠.
٢٤- الحلو: عيسى.
- عصور ما قبل التاريخ وتاريخ بابل القديم، دار الطليعة، بيروت.
٢٥- الحيني: الدكتور محمد جابر عبد العال.
- دراسات إسلامية في العقائد والأديان، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧١.
٢٦- خان : ظفر الله.
- التلمود، تاريخه وتعاليمه ط٢ بيروت، ١٩٧٢.
٢٧- الخشاب: الجكتور احمد.
- الاجتماع الديني مكتبة القاهرة الحديثة، ط٣/١٩٧٠.
٢٨- دراور: الليدي.
- الصابئة المندائيون "ترجمة نعيم بدوي وغضبان رومي" مكتبة خياط، بيروت، ١٩٦٤.

- أساطير وحكايات شعبية صابئية، مطبعة الأديب البغدادية (د.ت).
٢٩- الدملوجي: فاروق.
- تاريخ الآلهة "سبعة أجزاء" بغداد ١٩٥٤.
٣٠- دي بور: الأستاذ ت.ج.
- تاريخ الفلسفة في الإسلام "نقله إلى العربية د. محمد عبد الهادي أبو ريدة" ط٤، ١٩٥٧.
٣١- ديورانت: ول.
- قصة الفلسفة "ترجمة د. فتح الله محمد المشعشع" ط٢، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٧٢.
٣٢- الرازي: الإمام فخر الدين.
- اعتقاد فرق المسلمين والمشركين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٨.
٣٣- رزقانة: د. إبراهيم (وآخرون).
- حضارة مصر والشرق القديم، دار مصر للطباعة (د.ت).
٣٤- رستم: د. أسد.
- حرب في الكنائس. بيروت، ١٩٦٧.
٣٥- زيدان: د. عبد الكريم.
- أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام، ط١، مطبعة البرهان، بغداد، (د.ت).
٣٦- السامرائي: نعمان عبد الرزاق.
- دراسات في التوراة مستلة من العدد الرابع، مجلة الشريعة ١٩٦٧-١٩٦٨.
٣٧- الساموك: د. سعدون محمود الساموك.
- موجز تاريخ الديانتين اليهودية والمسيحية. محاضرات ألقيت على طلبة الصف الرابع، كلية الشريعة، جامعة بغداد، ١٩٨٥.
- مختصر تاريخ الكنيسة، مجلة كلية الآداب، القسم الثاني العدد٢١، لسنة ١٩٧٦.

- تاريخ الديانتين اليهودية والمسيحية، جامعة بغداد، ١٩٨٨.
- محاضرات في اليهودية والنصرانية، بغداد، ١٩٩٨.

٣٨- سوسه: د. أحمد.
- العرب واليهود في التأريخ ط٢، العربي للإعلان والنشر والطباعة.

٣٩- شلبي: د. أحمد.
- مقارنة الأديان "أربعة أجزاء" ط٤، القاهرة، ١٩٧٣.

٤٠- الشنتناوي: أحمد.
- الحكماء الثلاثة، ط١، القاهرة ١٩٥٣.

٤١- الشهرستاني: محمد عبد الكريم أحمد.
- الملل والنحل "تحقيق د. عبد العزيز محمد الوكيل، مؤسسة الحلبي وشركاؤه". القاهرة، ١٩٦٨.

٤٢- صالح: د. محمد محمد.
- تاريخ أوربا من عصر النهضة وحتى الثورة الفرنسية (١٥٠٠-١٧٨٩). بغداد، ١٩٨٢.

٤٣- ضو: د. بطرس.
- تاريخ الموازنة الديني والسياسي والحضاري، بيروت ١٩٧٧.

٤٤- الطبري: أبو علي الفضل بن الحسن.
- مجمع البيان في تفسير القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤٥- عاشور: د. سعيد عبد الفتاح.
- أوربا، العصور الوسطى، ج١، التاريخ السياسي، القاهرة، ١٩٧٢.

٤٦- العامري: أبو الحسن محمد بن يوسف (ت٣٨١هـ).
- كتاب الإعلام بمناقب الإسلام "تحقيق د. أحمد عبد الحميد غراب" دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٧.

٤٧- عبد الباقي: محمد فؤاد.

- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مطابع الشعب مصر، ١٣٧٨هـ.

٤٨- عبد الوهاب: د. أحمد.

- المسيح في مصادر العقائد المسيحية، القاهرة، ١٩٧٨.

٤٩- عبده: الشيخ محمد.

- رسالة التوحيد، دار الهلال، عدد ١٤٣، القاهرة، ١٣٨٢هـ.

٥٠- العقاد: عباس محمود.

- الله كتاب في نشأة العقيدة الإلهية، دار المعارف بمصر.

٥١- العقيقي: نجيب.

- المستشرقون، القاهرة، (د.ت).

٥٢- عليان: د. رشدي.

- العقل عند الشيعة الإمامية، ط١، دار السلام، بغداد ١٩٧٣.

٥٣- عليان والساموك: د.رشدي ود. سعدون محمود.

- الأديان دراسة تاريخية مقارنة، بغداد ١٩٧٨.

٥٤- علي: د. فؤاد حسنين.

- التوراة الهيروغليفية، القاهرة (د.ت).

٥٥- غردبة: لويس و(ج قنواتي).

- فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية (نقله إلى العربية د. صبحي الصالح والدكتور فريد جبر) ط١، دار القلم. بيروت، ١٩٧١.

٥٦- فريزر: سير جيمس.

- الغصن الذهبي، دراسة في السحر والكهانة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر (ترجمة د. أحمد أبو زيد وآخرون) القاهرة ، ١٩٧١.

٥٧- الفندي: محمد ثابت والشنتاوي (أحمد وخورشيد) وآخرون.

- دائرة المعارف الإسلامية "نقلاً عن الإنجليزية، ط١٩٣٣.

٥٨- الفيروز آبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب (ت٨١٦هـ).

- القاموس المحيط، ط٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، ١٩٥٣.
٥٩- الفيومي: محمد.
- المصباح المنير، القاهرة، (د.ت).
٦٠- القاضي: عبد الجبار.
- المغني في أبواب التوحيد والعدل، ج٥، القاهرة، ١٩٨٥.
٦١- قراعة: سنية.
- التوحيد من عهد آدم والرسالات الكبرى، دار ومطابع الشعب، القاهرة، (د.ت).
٦٢- قطب: سيد.
- في ظلال القرآنن ط٥، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٦٧.
٦٣- قنواتي: الأب الدكتور جورج شحاته.
- المسيحية والحضارة العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٤.
٦٤- كاير: جوزيف.
- حكمة الأديان الحية "ترجمة حسين الكيلاني" ط١، بيروت، ١٩٧٤.
٦٥- كراوس: بول.
- رسائل فلسفية لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي، مطبعة بول بارين، مصر.
٦٦- مظهر: سليمان.
- قصة الديانات، القاهرة، ١٩٨٤.
٦٧- المسيري: عبد الوهاب.
- اليهودية والصهيونية وإسرائيل "المؤسسة العربية للدراسات والنشر"، بيروت، ١٩٧٥.
٦٨- المنوفي: السيد محمود أبو الفيض.
- الدين المقارن، بحث في سائر الديانات العالمية، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ط١، القاهرة، ١٩٧٠.

٦٩- موسى: د. محمد يوسف.

- الإسلام وحاجة البشرية إليه، الشركة العربية للطباعة والنشر، ط٢، القاهرة، ١٩٦١.

٧٠- موداك: مانوراك.

- الهند، شعبها وأرضها "ترجمة العميد محمد عبد الفتاح إبراهيم طه" ط١، القاهرة، ١٩٦٤.

٧١- ناصر: محمد علي.

- أصول الدين الإسلامي، منشورات المكتبة العصرية، صيدا-بيروت.

٧٢- النجار: عبد الوهاب.

- قصص الأنبياء، ط٣، مكتبة وهبة، مصر (د.ت).

٧٣- النشار: الدكتور علي سامي.

- نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ط٣، ١٩٦٥.

٧٤- نهرو: جواهر لال.

- لمحات من تاريخ العالم، ط٢، بيروت، ١٩٥٧.

٧٥- هاولز: وليام.

- ما وراء التاريخ، دار نهضة مصر للطبع والنشر "ترجمة د. أحمد أبو زيد) القاهرة ١٩٦٥.

٧٦- الهاشمي: العميد الركن طه.

- تاريخ الأديان وفلسفتها، منشورات دار مكتبة الحياة. بيروت.

٧٧- الهاشمي: محمد فؤاد.

- الأديان، في كفة الميزان. مطابع دار الكتاب العربي بمصر.

٧٨- هويدي: د. يحيى.

- محاضرات في الفلسفة الإسلامية، ط١، القاهرة، ١٩٦٦.

٧٩- وافي: د. علي عبد الرزاق.

- الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، القاهرة، ١٩٧١.

٨٠- وجدي: محمد فريد.
- دائرة معارف القرن العشرين، ط٣، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧١.
٨١- ويد جيري: "الباان ج".
- المذاهب الكبرى في التاريخ، من كونفوشيوس إلى تويني "ترجمة ذوقان قرقوط" دار العلم، ط١، بيروت، ١٩٧٢.
٨٢- آل ياسين: الدكتور جعفر.
- فلاسفة يونانيون، ط١، مطبعة الإرشاد، بغداد ١٩٧١.

ثانيا: المصادر الأجنبية

١. Archtbald G.Baker, A Short History of Christianity. Chicago ١٩٤٤.

٢. Bouquet, A.C. Comparative Religion Baltimore. Maryland ١٩٦٩.

٣. Campenhausen, U. Anderson, Die Reiliginen in Geschichte Und Gegenwart, Dritte Auflage ١١١ Tubingen ١٩٥٩.

٤. Braden, Charles, World Religions, Detroit, U.S.A. ١٩٥٤.

٥. Hitti, History of Syria.

٦. Jewish Encyclopedic Handbooks, ١.

٧. Kuiper, B.K., The Church in Historhy, Michigan ١٩٦٤.

٨. Ottly, R.L., A short History of the Hebrews to the Roman Period,. New York ١٩٠٥.

عبد الرزاق رحيم صلال الموحي

موسوعة الأديان والمعتقدات القديمة

الجزء الثاني

الأحكام التشريعية



موسوعة الأديان والمعتقدات القديمة
الجزء الثاني
الأحكام الشرعية

بسم الله الرحمن الرحيم

دار المناهج
للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م

رقم الإجازة المتسلسل لدى دائرة المطبوعات والنشر ٢١٦٩/١١/٢٠٠١

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبات والوثائق الوطنية ٢٣٥٠/١١/٢٠٠١

عمان - الأردن - شارع الملك حسين - بناية الشركة المتحدة للتأمين

هاتف ٤٦٥٠٦٢٤ فاكس (٠٠٩٦٢٦) ٤٦٥٠٦٢٤

ص.ب - ٢١٥٣٠٨ عمان ١١١٢٢ الأردن

موسوعة

الأديان والمعتقدات القديمة

الجزء الثاني

الأحكام الشرعية

تأليف

عبدالرزاق رحيم صلال

أستاذ الشريعة الإسلامية

كلية شط العرب - الجامعة

دار المناهج للنشر والتوزيع

الإهداء

إلى والدي الذي لم يسعفني الدهر أن أحضر وداعه الأخير. عرفاناً لتربيته وجميلاً لإحسانه سائلاً المولى القدير أن يرحمه ويتغمده بفسيح جنانه.

إنه نعم المجيب

المؤلف

عبد الرزاق رحيم

المحتويات

الباب الأول

الأحكام التشريعية في الأديان

الفصل الأول

الأحكام التشريعية في الأديان القديمة

الفصل الثاني

الأحكام التشريعية في الديانة اليهودية

الفصل الثاني

أحكام الزواج في الشريعة اليهودية

الفصل الثالث

أحكام الزواج في الشريعة المسيحية

الباب الثالث

الطلاق في الأديان

الفصل الأول

الطلاق في الشريعة اليهودية

الفصل الثاني

انحلال الزواج في الشريعة المسيحية

مقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد،

فثمة إجماع بين الأديان على أن هناك خطأ في حياة الإنسان دخلها فأفسد نقاءها الأصلي، وإن إصلاح هذا الخطأ ممكن وواجب. وهذا النوع من الخطأ ليس من نوع المغالطات المنطقية أو الأخطاء الذهنية بل هو من نوع الخطيئة والشر والفساد. ومعنى ذلك يشمل أبعاد النفس الإنسانية جميعاً وليس بعدها العقلي، فالشعور بالخطيئة يحرك الإنسان من الأعماق وكذلك الشعور بالخلاص.

إن كل مظهر للمقدس هو بالنسبة لمؤرخ الأديان ذو محصلة فكل طقس أو أسطورة وكل معتقد أو صورة إلهية يعكس تجربة المقدّس فمن الصعب أن نتصور كيف يمكن للنفس البشرية أن تتحرك دون الاقتناع بوجود شيء حقيقي لا يمكن انقاصه في هذا العالم ومن الصعب التصور كيف يمكن للشعور أن يبدو دون أن يضفي دلالة لانطباعات ولتجارب الإنسان.

إن الشعور بعالم حقيقي وذي معنى مرتبط حميمياً بالكشاف المقدس، وبتجربة المقدس أدركت النفس البشرية الفارق بين ما ينكشف كما لو أنه حقيقي قوي وغني وبين ما هو مجرد عن هذه الخصائص [1].

وفي ظل المستويات التاريخية القديمة فإن العيش بصفة كائن بشري هو في حد

---

(١) انظر كتاب الحنين إلى الأصول، ميرسيا إلياد، ص٧، طبعة ١٩٦٩.

ذاته عمل ديني، لأن كل مفردات الحياة من عمل وتغذية وحياة جنسية وغيرها ليس لها قيمة مرتبطة بالأسرار، أي بعبارة أخرى أن تكون إنساناً يعني أن تكون (متديناً).

والدين مؤسسة اجتماعية لا تستغني عنها أية جمعية بشرية مهما كانت بدائية إذ أن فكرة الدين اندمجت مع الإنسان منذ أول نشأته وهذا ما دلت عليه التنقيبات الأثرية في أدوار ما قبل التاريخ التي أثبتت تأثر الإنسان بفكرة الدين، فقد كان البشر ما قبل التاريخ يدفن موتاه باتجاه معين ضمن طقوس تشير إلى أنه كان يلتمس من وراء ذلك الخير ويتقي الشر، ونجد هذا المعنى واضحاً وجلياً حين علم الغراب قابيل كيف يدفن أخاه هابيل فبدأت فكرة الدفن لإخفاء السوأة .

ومن الجلي أن فكرة الدين هذه كانت ساذجة تتصف بالخوف والرجاء الخوف من مظاهر الطبيعة المخيفة والرجاء في مظاهرها الخيرة. ولكن الفكر الإسلامي بوضحها بعدم السذاجة. فالإنسان الأول في القرآن أن اتبع هدى الله (الخالق) فاز ونجى من المهالك وإلا فالعذاب والآلام مصيره قال تعالى ﴿ قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكى ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾[1].

لقد قضى الإنسان قروناً لم ينفك خلالها من معرفة منشأه ومصيره وكان في طريقه إلى هذه المعرفة يقف حائراً تارة ويهرول تارة أخرى مسرعاً متحمساً ويضل الطريق طوراً فيقع في الهاوية ويسعى إلى الخروج منها ويمشي آونة خائفاً وجلاً يقدم رجلاً ويؤخر أخرى إلى أن بلغ به الرقي الفكري نصيباً من التكامل وقد أشار القرآن الكريم رمزياً إلى فكرة تطور الدين عندما استعرض ووصف إيمان خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام بقوله تعالى:

---

(١) سورة الأعراف ٢٤

﴿وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من المؤمنين فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين. فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين﴾ (١).

وما من شك أن موضوع تاريخ الأديان موضوع شائك قد يضر بالقارئ ما لم يحسن دراسته وتفهمه وهذا يتطلب منه أولاً تفهم أمور دينة وأن يحيط بحيثياته ومسائله بتمعن وروية وأن يكمل بعض الدراسات التي من شأنها تفهم موضوع الأديان وإلا فقد يسيء ذلك إلى معتقداته لذا لا يمكن لدارسي تاريخ الأديان تفهم الغاية منه ما لم يكن لهم وقوف تام على أحكام دينهم.

وعلماؤنا الأقدمون يمنعون تدريس بعض المباحث في هذا العلم قبل أن يتهيأ لها الطالب مثل علم الكلام وعلم المنطق. وفي الغرب المسيحي يدرس تاريخ الأديان عادة في أقسام الإستشراق وأقسام الدين وكليات الإلهيات وفي الكليات الدينية الخاصة بالمؤسسات الدينية.

ويبحث علم الأديان عن منشأ الأديان وكيفية تطورها إذ يتشعب إلى شعبتين: تاريخ الأديان وفلسفة الأديان. فتاريخ الأديان يبحث عن تطور المعتقدات الدينية التي طرأت على البشر، وفلسفة الأديان تبحث بين الأسس التي تستند إليها الأديان المختلفة إن تاريخ الأديان وفلسفة الأديان يؤلفان كلاً لا ينفصلان عن بعضهما وتبدو

(١)سورة الأنعام، الآية ٧٥-٧٩.

هذه العلاقة واضحة في الإسلام فالتصوف مثلاً ينهل من معين فلسفة الدين الإسلامي. أما علم الكلام فله صلة وثقى بفلسفة الدين الإسلامي لهذا ليس لتاريخ الأديان غنى عن فلسفة الأديان.

ولا يتسنى لتاريخ الأديان البحث عن ظواهر الدين وطقوس العبادة وأشكالها وملامح هيئاتها ما لم يعرف مفهوم ذلك الدين لأن الغرض من تأريخ الأديان معرفتها ونظراً لأن كل الأديان تجعل الخلاص والنجاة في الإيمان وفعل الصلاح لكن ثمة جانباً مهماً من سعي الإنسان إلى الخلاص يتجلى خارج الإيمان الذهني أو القلبي بعقيدة معينة والتقيد بقواعدها في السلوك والأخلاق هذا الجانب يتناول مجموعة من الممارسات الدينية يطلق عليها الطقوس وجزء كبير منها متعلق بالتطهر كالاغتسال بالماء مثلما يعمد الهندوس عندما يستحمون في نهر الغانج والصابئة عند مصاب الأنهر والمسيحيون عند العماد الذي يليه المسح بالزيت، والمسلمون عند الغسل الواجب والوضوء، وكذلك الصوم الذي يوقعونه في أوقات معلومة أو غير معلومة وبكيفيات متفاوتة من الامتناع والحرمان والعذاب.

ولكن هناك ثمة خطراً كبيراً ملازماً للطقوس هو ممارستها حسب أهوائهم ورغباتهم متى شاؤوا ومتى أرادوا وفق ما وضعه لهم الرهبان والقساوسة، يمدون بها حيناً ويقصرونها حيناً آخر متناسين التشريع الأصلي المنزل بحقها وكأنهم يمارسون تلك الطقوس إعجاباً بشكلها لا بمضمونها أو أنهم يؤذونا حتى يرضوا الجماعة التي ينتمون إليها اسمياً من غير إيمان بفحواها ووظيفتها في ضوء العقائد الدينية وهذا الأمر الخطير راجع بالأساس إلى التشريع ا لذي ألزمهم بتعبد هذه الشعائر بهذه الكيفية غير المحددة بالأطر والزمان. ومرد هذا الوضع راجع إلى أمرين:

أولهما: عدم الحفاظ على الشريعة المنزلة من السماء، وما لحقها من التحريف مما دفعهم ذلك إلى إيجاد أنماط متعددة من الشعائر تتجدد وتتغير كل حين وزمان.

وثانيهما: ابتعادهم عن نمطية تلك الشعائر التي رسمها الخالق جل شأنه معتقدين أن تكرارها في اليوم والليلة على هيئة واحدة أمراً مملاً لا يدخل الإيمان في قلوبهم ويقويه !! فأضاعوا بذلك الطريقين. فعندما يصور لنا المجمع الديني الكنسي إن الإتيان بالصلاة لا يلتزم بهيئة معينة أو بوقت من الأوقات متى ما شعر المرء أنه بحاجة إلى الصلاة فليصل، متى شعر أنه يحتاج أن يصوم فليصم فكأن الإنسان هو الذي يشرع لنفسه طقوساً وشعائر يأتي بها متى شاء وكيفما شاء وكأن تعبداته منوطة برغباته الشخصية الذاتية.

إن إقامتنا لفروض العبادة مرتبط بالإيمان لواحد أحد الذي جعل العبادة علة للخلق والإيجاد قال تعالى ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾[(١)] وصور العبادة كثيرة يمكن إجمالها بالأركان الأربعة (الصلاة، الزكاة، الصيام، الحج) وبالمعاملات والعمل فالأركان الأربعة هذه مشتركة بين كافة الأديان سواء كانت تشريعاً أو وضعاً، والأديان كلها تجعل العمل مختبراً للإيمان ففي المسيحية مثلاً أن من يكتفي بالإيمان بالله الواحد دون العمل الصالح لا يساوي شيء ولن يزيد فضله على فضل الشياطين الذين (يؤمنون ويقشعرون... إن الإيمان بدون أعمال ميت)[(٢)]. وفي الإسلام قال الحق تبارك وتعالى ﴿خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾[(٣)].

من هنا تبلورت فكرة موسوعة الأديان المصغرة التي عالجت مسألة الإيمان بالعقيدة الإلهية من خلال معرفة الخالق الأزلي عبر مراحل التاريخ البشري، وتبيان صور التعبد للمعبود في الطقوس التي اشترك الإنسان في تقديمها لموجوده ومبدعه الأول والأخير ربنا الله الفرد الصمد، إذ جاء هذا الجزء الثاني من الموسوعة في ثلاثة أبواب

---

(١) سورة الذاريات، الآية ٥٦.

(٢) يعقوب ٢/١٩-٢٠.

(٣) سورة الملك، الآية٢.

أوضحت في أوله مفهوم العبادات عبر الأحقاب الزمنية القديمة لشعوب متعددة اندثر بعضها مع طقوس عباداته وبقي قسم آخر حياً بطقوسه وتعبداته -وهو الأعظم نسبة- محافظاً على الشريعة لا يحدوا عنها. وفي الباب الثاني تحدثت فيه عن أهم عقود التي أبرمها الإنسان في حياته وهو عقد الزواج لماله من أهمية عظمى باعتباره يمثل النواة الأولى لتأسيس المجتمعات، ونظراً لخطورته فقد أوليته في التشريعات الوضعية والسماوية اهتماماً حتى يتبين للقارئ عظم هذا العقد وخطورته، واستكمالاً له وللبحث تحدثت في الباب الثالث عن الطلاق في الأديان الوضعية الحية منها والمندثرة وكذلك السماوية (اليهودية والمسيحية) لما له من متعلقات ذو أهمية بالغة بعقد الزواج، أما ما يخص ديننا الحنيف (الإسلام) فإني مشرع في الكتابة فيه مع أستاذي الفاضل الدكتور سعدون محمود الساموك كجزء ثالث من هذه الموسوعة التشريعية والفقهية.

ولا يسعني بهذا الخصوص أن أشير إلى اليد الفضلى لدار المناهج ممثلة بصاحبها وراعيها الأستاذ الفاضل (فايز أبو شيخة) الذي أخذ على عاتقه نشر هذه الموسوعة خدمة لإعلاء كلمة (لا إله إلا الله) جاهراً بصوت التوحيد والإيمان الحق بأن الدين عند الله الإسلام.

وآخر القول أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين، أبا القاسم محمد عليه وعلى آله وصحبه السلام والتسليم.

المؤلف

عمان في الخامس عشر من

شعبان الأغر لسنة ١٤٢٢

الباب الأول

الأحكام التشريعية في الأديان

الفصل الأول

الأحكام التشريعية في الأديان القديمة

المقدمة

المبحث الأول: الأحكام التشريعية والفقهية في الأديان المندثرة:

الفرع الأول: الشعائر الدينية والعقيدية عند العراقيين القدماء.

الفرع الثاني: الطقوس التعبدية عند المصريين القدماء.

الفرع الثالث: طقوس الديانة اليونانية بين الأسطورة والفلسفة.

الفرع الرابع: محور الشعائر التعبدية في المعابد الرومانية.

المبحث الثاني: الأحكام التشريعية في الأديان الحية:

الفرع الأول: العقيدة الصينية القديمة ونظام العبادات.

الفرع الثاني: الأحكام التشريعية في الديانة الهندوسية.

الفرع الثالث: نظام العبادات والتشريع عند الديانة الزرادشتية.

الفرع الرابع: الأحكام الفقهية في الديانة الصابئية.

المبحث الأول

الأحكام التشريعية في الأديان المندثرة

الفرع الأول: الشعائر الدينية العقيدية عند العراقيين القدماء

إن مبدأ المعتقدات الدينية يتجلى بوضوح بالطقوس التعبدية التي تمارسها الشعوب والأمم على اختلافها، ويتحكم مبدأ التطور في جميع النتاجات البشرية وبضمنها صور العبادات التي لا بد وأن تكون متشعبة عن المعتقدات التي سادت خلال الحضارات الموغلة في القدم، وأن دراسة المعتقدات الدينية للشعب العراقي القديم يفرض علينا التوغل في معتقداته ابتداءً من أول ظهور مقنن للحضارة بصورها الاقتصادية، الزراعية، التي انتشرت في الأقسام الشمالية من العراق خلال الفترة ما بين ٨٠٠٠-٥٠٠٠ ق.م.

ومن خلال الآثار التي خلفتها لنا هذه الحضارات الزراعية تأكد لنا بأن سكانها قد عبدوا الخصوبة وكل ما من شأنه أن يساعد على وفرة الإنتاج في الحياة وقد رمزوا لهذه العبادة بالدمى المصورة للآلهة الأم. والسبب الذي يعزو إليه الباحثون في عبادة العراقيين للخصوبة يرجع إلى أنها كانت العامل المهم والأساسي الذي يتحكم في حياتهم، ولما كان المطر عامل الحسم في زيادة النمو الإنتاجي الزراعي وما يرافقه من مظاهر طبيعية أخرى تدىم عليهم نعمة الزرع اتجه العراقيون إلى عبادة تلك المظاهر وأعطوها صفة المقدس الإلهي، وهي الشعور العميق بقوتها الخارقة وأن لها السيطرة الأبدية[1].

---

(١) الديانة عند البابليين، جان بوتير، ترجمة د. وليد الجادر، ص١٢، مطبعة الجمهورية، بغداد، ١٩٧٠.

ولم يتساءل أبناء الرافدين عن نوعية القوة التي تمتلكها وتختزنها تلك المقدسات بل اعتبروا وجودها من الأمور الأزلية التي لا تحتاج إلى نقاش وأن هذه المقدسات التي أصبحت فيما بعد آلهة هي التي قامت بخلق الكون والإنسان، وسبب هذا الإيمان راجع إلى تحسسهم لمقدار التأثير على حياتهم وقوتهم، ولكنهم في حقيقة الأمر لا يعلمون كيف تكونت في الأصل فحولوها إلى آلهة واعتبروها أزلية أيضاً.

وتوجه العراقيون إلى عبادة آلهة كثيرة، وأنهم لم يعرفوا التوحيد ولكنهم نعتوا كبير الآلهة بـ (رب الأرباب) وهو ما يعرف (بالتفريد).

وأشهر آلهتهم التي عبدوها الإله (آنو) والإله (أنليل) والإله (أنكي) والإله (أوتو) وطرأت تغيرات عدة على عبادة العوامل الطبيعية بعد انتقالها إلى القسم الجنوبي من العراق ويمكن اعتبارها ثورة ثقافية بالمفهوم الحديث لأنها شذبت بعض الطقوس وما يتلائم منها مع بيئة الجنوب.

وتوضح لنا الملاحم والأساطير التي صاغها العراقيون القدامى مقدار ما خلفوه من شعائر تعبدية نسجت خيوطها من واقع الحياة التي عاشوها فرسموها لنا على جدران الكهوف والمعابد، ولكن يبقى محور عباداتهم يدور حول الآلهة التي هي الأخرى مرت بمراحل عدة حتى تكتمل في صورتها النهائية المحددة ككائنات سماوية تشيد القوى الموجودة في الكون والقادرة على التأثير على مجمل الظواهر الكونية الطبيعية والتي كانت من أصول عباداتهم والعمل على تسخيرها بالسحر القائم على مبدأ التشبيه[1].

وأهم ركن في تعبداتهم هو محاورة الآلهة أولاً وإقامة الصلوات لها والاحتفال بها في مواسم الأعياد وتقديم القرابين على اختلافها وهذا يؤكد إيمانهم بهيمنتها الإلهية عليهم، فالقرابين تذبح أما بواسطة الكاهن يتبعها حرق البخور وبعض الصلوات، أو

---

(١) انظر الفكر الديني القديم، تقي الدباغ، ص٤٣. دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٢م.

يقوم الفرد ذاته بذبحها والدعاء وطلب الاستغفار من الإله بأن يحميه ويوسع عليه الرزق، وتتنوع طقوس التغير تبعاً للطقس الذي يقام في المعبد -بصورته الجماعية الاحتفالية- أو في البيت لوحده، ومع أفراد عائلته.

لقد جسدوا آلهتهم بصور بشرية وحيوانية رمزية كما أنهم عمدوا إلى تأليه ملوكهم الناتج من عملية الزواج المقدس نتيجة تقمصهم شخصية الآلهة مضيفين إلى أسمائهم علامات تدل على الألوهية(١).

ويقدم المصلي نفسه للآلهة عند تقديم فرض الطاعة لها ويركع أمامها ويقبل أقدامها ثم يرفع يديه بالدعاء تارة، ويرفع يده اليسرى إلى الأعلى والأخرى توضع على الصدر أو أنه يرفع يداً واحدة للدعاء تارة أخرى. وتقام الصلاة في المعبد صباحاً(٢).

وكان تطور المعابد في حياة العراقيين القدامى أثر كبير في تقنين طقوس العبادة. وهذا الظهور مرتبط بنجاح مكرس التقديس المعتمدة سواءً للقوى الطبيعية أم للآلهة فيما بعد، ومما زاد في قدسيتها أن وضعت فيها صور الآلهة -كتماثيل- تعيش في السماء، ثم تطورت الفكرة فأسكنوها في المعبد. وتجري معظم طقوس التعبد مجتمعة فالصلاة تقام مع تقديم القرابين وحرق البخور. كما ارتبطت الصلاة بالأعياد كعيد الزواج المقدس بين الآلهة أو بين الكاهن والكاهنة وعيد رأس السنة(٣).

وارتبط عيد ظهور القمر بالصلاة وهذا بدوره مرتبط بتقسيم السنة حسب مدار

---

(١) حضارة العراق، تأليف نخبة من الباحثين العراقيين، الجزء الأول، ص١٨٢ وما بعدها. دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٤٠٦هـ-١٩٨٥.

(٢) المدخل إلى تاريخ العالم القديم، د. سامي سعيد الأحمد ١٠/٢٠٦-٢٠٧، مطبعة جامعة بغداد ١٩٧٨ الديانة عند البابليين،ص١٤٧.

(٣) الديانة عند البابليين ص١، الأعياد في وادي الرافدين، راجحة خضر عباس. رسالة ماجستير، آلة طابعة، مقدمة إلى قسم الآثار، جامعة بغداد، ١٩٧٦.

القمر إلى اثني عشر شهراً مضافاً إليه شهراً واحداً لموازنتها مع السنة الشمسية وكل شهر لديهم مقسم إلى ثلاثين أو تسعة وعشرين يوماً.[1]

وفي صلواتهم الجماعية يبتهلون للآلهة بأن تبعد عنهم شبح الكوارث والأمراض وأن تجلب لهم الخير، ودعواهم هذه غالباً ما تكون على شكل تراتيل دينية مصحوبة بالموسيقى التي يعزفها الموسيقيون وجلّهم من الأسارى في الحروب ويعتبر الزواج المقدس من أهم احتفالاتهم التعبدية ويقام عادة في (يوم رأس السنة، يوم الطقوس) و(يوم القمر الجديد) حيث يبدأ بوصول موكب الملك إلى المعبد وقد احتشدت الجماهير لاستقباله. والعروس الكاهنة تستعد لهذا الزواج بالاغتسال وتطييب جسمها بالماء والدهن والعطور وفمها بالعنبر وتزين عينها بالكحل وترتدي أجمل الثياب وعند التقائهما تطلب الزوجة من الآلهة أن تمنحه شارات الملوكية وأن تسبغ نعمها وخيراتها على الناس وفي السهول والأهوار والغابات. والهدف الأساسي لهذه الشعيرة التعبدية هو تقرير المصير للملك والبلاد على يد الآلهة إذ يؤمن العراقيون القدامى أن الآلهة (أنو وأنليل) يقررون شؤون الملوكية والبلاد وأقدار الناس مرة كل سنة وأن ما تقرر الآلهة سوف يتحقق وغير قابل للتغيير[2] وتختتم مراسيم الزواج المقدس عادة بإقامة احتفال كبير يشارك فيه عامة الناس وتعزف خلاله الموسيقى وتردد الأغاني وتقدم المأكولات والمشروبات.

والزكاة لديهم تتمثل بالصدقة الموجبة للعطاء سواء للآلهة أو للفقراء والمعوزين ولآلهة الخصب والزراعة دور كبير في حث الناس على التصدق ومساعدة الآخرين رغم أن قسماً وفيراً من الصدقات يذهب للكهنة خدمة المعبد والمتمثلة بالأموال والقرابين وجميع ما يقدم للآلهة من النذور.

---

(١) المدخل إلى تاريخ العالم القديم د. سامي سعيد الأحمد، ص٢٧٩.

(٢) حضارة العراق، ١/٢١٤.

وأطلق العراقيون لفظ (شيتو)[1] على الصيام، وهو لديهم شعيرة تطوعية وليس فرضاً ملزماً فيمسكون فيه عن الطعام والشراب من شروق الشمس إلى شفق غروبها ويفطرون على غير اللحوم من الألبان والنباتات إلا ما حرم منها. ومدة صيامهم ثلاثون يوماً التي يقسموها إلى ثلاثة أقسام:

١- القسم الأول يصومون فيه أربعة عشر يوماً متتالية في فصل الشتاء موافقة لأعداد الكواكب السبعة المشهورة وأفلاكها.
٢- قسم يصومون فيه سبعة أيام في الربيع.
٣- قسم يصومون فيه تسعة أيام في أواخر الصيف[2].

وكانت احتفالاتهم الدينية وأعيادهم بصورة خاصة تعتبر مواسم حج معتمدة لديهم إذ تجري الاحتفالات في المعابد الحاوية لتماثيل الآلهة برعاية الملك والملكة حيث تتسم هذه المراسيم بمظاهر الفرح والسرور ويحضرها عادة جمهور غفير من عامة الناس. ويصحبها الصلاة وتقديم القرابين والنذور والصدقات إلى خدمة المعبد، وتصدح الموسيقى بالألحان تفخيماً وتعظيماً لآلهتهم التي غالباً ما يقصدها الناس في غير مواسم الاحتفالات لطلب العفو أو حاجة ما أو رفع مكروه أو استجلاب خير أو أي طلبة يتمنى المتعبد تحقيقها.

الفرع الثاني: الطقوس التعبدية عند المصريين القدماء.

تدل الآثار التاريخية القديمة على أن الشعب المصري القديم تنوعت فيه مظاهر العبادة نظراً لعمق الموروث الحضاري فيه وتراكم طقوس العبادة تبعاً للآلة المعبود وما يوجبه هذا التنوع من قدسيات متباينة لهذه الإله الأكبر أو ذاك الذي دونه ويستتبع

---

(١) انظر كتابنا (العبادات في الأديان السماوية) ص٢٨، دار الأوائل، دمشق،٢٠٠١.

(٢) الحراب في صدر البابية والبهائية، محمد فاضل، ص٨٨، دار التقدم، ١٣٢٩هـ.

ذلك كله ما أفرزه خيال الكهنة والرهبان من تجليات متنوعة تتبع نمطية العبادات التي ابتدعوها لكل معبود في المدينة، ناهيك عن عدد الآلهة المعبودة إذا كانت الآلهة عند المصريين القدامى تتداعى من القمة إلى السطح حين يبزغ نجم آلهة أخرى في مدينة ما وكان للحالة السياسية للبلاد تأثيراً كبيراً في ذلك التداعي.[١]

إن خيال الكهنة والملوك ساعد على توضيح مراسيم تعبدية تعمق قيم الإيمان والانقياد للإله المعبود، وجلّ هذه التخيلات مستمد من الأساطير التي توارثوها من أجدادهم. وكانت كافة التشريعات التعبدية والممارسات الطقسية تجري وتنفذ باسم الملك وتأخذ طابع القدسية عند حجرة قدس الأقداس مركز الإله.

وتنوعت طقوس العبادة من منطقة لأخرى لاختلاف صفات المعبود ولكن المصريين بعبادتهم لمظاهر الطبيعة وخاصة قرص الشمس أوجدت لديهم نمط محدد من العبادة استمر لفترة طويلة. مما دعى الآلهة الصغيرة إلى أن تستمد طقوس تعبدها من مراسيم وضعت بالأصل للآلهة الكبار.

وازدادت الشعائر التعبدية تنوعاً عندما انتشرت أسطورة وعبادة (أوزيريس) التي صيغت لها عدة طقوس ذكرت في مجملها أن (أوزيريس) الميت قد بعث للحياة بواسطة ابنه (حورس) الذي وهب والده عينه ليأكلها ليعيده إلى الحياة الثانية[٢].

وتتحدد صعوبة تقنين العبادات المصرية القديمة إلى أسباب عدة لعل من أهمها عدم وجود كتاب مقدس موحد للمصريين رغم أن لهم كتابة مقدسة تحفظ في (بيت الكتابات المقدسة)[٣].

---

(١) الأديان، د. رشدي عليان، د. سعدون الساموك، ص٦٢، دار الحرية، بغداد، ١٩٧٦م.

(٢) الديانة المصرية القديمة، ياروسلاف تشرني، ترجمة د. أحمد قدري، ص١٣٦، دار الشروق الطبعة الأولى، القاهرة، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

(٣) مصر والشرق الأدنى القديم، نجيب ميخائيل، ص٦٢، مؤسسة المطبوعات الحديثة، ط٣، مصر.

ويجمل القول أن نمط العبادات لديهم يدور حول محور الآلهة وخدمتها وتقديم القرابين والنذور وإقامة الشعائر الاحتفالية والأعياد لطلب النصر أو عند حدوثه أو لاستجلاب الخير ودفع الشرور عن البلاد.

وكانت الخدمة الدينية أهم ما يميز المعبد الفرعوني إذ تنوعت وتوزعت بين الكهان كل حسب مكانته ومركزه الإيحائي الجالب لخيال الأسطورة فكان على الكاهن أن يطهر نفسه في البحيرة المقدسة الملحقة بالمعبد وعند دخوله للمعبد يشعل النار ويملأ المبخرة بالبخور ثم يتقدم إلى قدس الأقداس حيث يوجد الإله محيياً إياه راكعاً على الأرض، مرتلاً الصلاة له، وينشد له نشيداً أو نشيدين اثنين مبجلاً إياه، ثم يقدم له العسل ويحرق مزيداً من البخور ويدور بعد ذلك حول الإله أربع مرات وأخيراً يقوم بتنظيف التمثال وينزع عن الملابس القديمة ويمسحه بالزيت المقدس(1).

أما المراسم التي يجريها الملك للتطهر فقد كانت تجرى في (بيت الصباح) إذ يرش الملك بالماء من البحيرة المقدسة بواسطة كاهنين اثنين ويصاحب هذا الطقس ترتيل كلمات وصيغ مناسبة لتغمر الملك بالحياة والحظ الطيب ويبخر الملك بالبخور ثم تقدم له أربع كرات من النترون لمضغها ويدهن الملك ويزود بأدوات الزينة وعلامات السلطة الملكية.(2)

وتترافق الصلاة كفريضة تعبدية مع احتفالات المعبد والأعياد في صور متباينة توضح ابتهالاتهم وتبجيلهم للآلهة أو للملوك وقوفاً تارة، وجثوا تارة أخرى.

والصيام كان فريضة يتقربون بها من أرواح الموتى، ونظراً لأن الموتى محرومون من طعام الدنيا فإنهم يؤمنون أن صيام الأحياء سوف يرضي الموتى وهو في الوقت نفسه تضامن معهم(3).

---

(1) الديانة المصرية القديمة، ص١٣٩.

(2) الديانة المصرية القديمة، ص١٤٠.

(3) الصوم في القديم والحديث، ناصر الدين أبي الفتوح الكرملي، ص٣٦، مطبعة الكونكورد.

وتمتزج عندهم فريضة الصيام مع الطقوس المبهمة التي رسمها لهم الكهنة الذين شرعوا لهم الحلال والحرام من المأكولات.

وللكاهن صيام خاص به إذ يمر بمراحل معينة فيصوم عشرة أيام في التكريس الأول عن أكل اللحم وشراب النبيذ. وفي التكريس الثاني يصوم عشرة أيام بعد تلقيه واجباته المقدسة، ويصوم ما شاء له صوم رغبة لا فرض عليه في الثالثة ويعتقد الكهنة أن وسم صيامهم بالأسرار المبهمة يعطيهم نوع من القدسية شأنهم في ذلك شأن الصلاة التي وضعوا لها تراتيل مبهمة ولم يسمحوا للناس بفهم مضامينها ليضمنوا لأنفسهم نوعاً من التبجل والاحترام طمعاً في كسب المزيد من واردات المعابد[١].

وصيامهم يبدأ من طلوع الشمس إلى غروبها ويمتنعون عن تناول الطعام ومعاشرة النساء[٢].

وقبل أن يشرع الكاهن بالصيام عليه أن يخدم المعبد سبعة أيام متتالية من غير أن يشرب الماء وقد تمتد إلى اثنين وأربعين يوماً[٣].

ويصوم عامة الشعب أربعة أيام من كل عام عندما يحل اليوم السابع عشر من الشهر الثالث من فصل الفيضان[٤].

ويصومون تطوعاً في احتفالات موسم الحصاد وكذلك في الأعياد كوفاء للنيل، ولديهم صيام سبعين يوماً يمتنعون فيه عن أكل كل شيء من الطعام خلا الماء والخضر[٥].

---

(١) انظر الفكر الديني القديم، تقي الدباغ، ص٨٥، دار الشؤون الثقافية، بغداد ١٩٩٢.

(٢) مقارنة الأديان، أحمد شلبي، ص١٤٩، مطبعة السنة المحمدية، ط٤، مصر ١٩٧٣.

(٣) الصيام من البداية حتى الإسلام، د. علي الخطيب، ص١٠٥، المكتبة العصرية، صيدا، ط١، ١٩٨٠.

(٤) الصيام من البداية حتى الإسلام، ص١١٤.

(٥) الصيام من البداية حتى الإسلام، ص١١٥.

وتعتبر الأعياد لديهم مواسم حج حيث تقام المراسم الاحتفالية أثناء زيارتهم لأماكن تواجد الآلهة في معابدهم المنتشرة في المدن وأشهرها معابد (إيزيس) و(نتح) في مدينة منفيس، و(آمون) في مدينة طيبة. ويقدمون الأضاحي والنذور لكهنة المعبد معبرين عن سرورهم وفرحتهم، ويرون أن من يولد في أيام الأعياد سوف يكون طالعه سعيداً بهيجاً.

الفرع الثالث: طقوس الديانة اليونانية بين الأسطورة والفلسفة

امتزج نمط السلوكيات الطقسية في الديانة اليونانية القديمة بتأثير الأساطير والسحر والتخريف الذي رافق خوفهم من مظاهر الطبيعة فنسجوا لهم شعائر ممزوجة بالطلاسم والأسرار لا يفهما عادة إلا الكهان لأنها من صنعهم وتأليفهم ليوهموا العامة بجملة من العبادات والطقوس التي تقربهم زلفى من الإله المعبود ليصونهم من العذاب ويحفظهم من الشرور ويمدهم بأسباب القوة والخير.

وهناك عبادتان مميزتان من بين العبادات التي مارسها اليونانيون القدماء اللتان ترمزان إلى عبادة خاصة بإله العالم واغتصابه للعذراء (كوري) وقصة الآفات التي حلت بالأرض آنذاك. وما يرافق ذلك من احتفال عظيم يبدأ في شهر سبتمبر حيث يبدأ بالحث على البعث الروحي والتعميد في البحر حيث تقام مراسم الترسيم وينتهي الاحتفال بزواج مقدس(١).

ونظراً لولوغها في القدم فإن العبادات اليونانية القديمة قد مرت بمراحل متلاحقة كونت لها رصيداً من الطقوس والشعائر المستوحاة من خيال وأساطير كهنتها وفلاسفتها تنم عن مسحة فلسفية على حساب المعتقد مما جعل تفسير تلك الطقوس

---

(١) المعتقدات الدينية لدى الشعوب، سلسلة عالم المعرفة إصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، عدد ١٧٣، ص٧٣.

أمراً محيراً للباحثين في الفكر الديني القديم ويدلل على ذلك ما اكتشف من آثار في جزيرة (كريت) للحضارتين المينية والمسينية[1].

وانتشرت عبادة الآلهة الأنثى في اليونان لأنها تمثل قوة الخصوبة في الطبيعة فهي (الأم) و(الأم العظيمة) و(الأم الآلهة) وغالباً ما يكون لهذه الآلهة الأم زوج أو رفيق، إله شاب يموت فتحزن عليه ثم ينهض من جديد أو يبقى حياً بمعجزة[2] وروض اليونانيون القدماء هذه الآلهة الأم وجعلوا منها ربة للطبيعة البرية وصائدة عذراء، وارتبطت صورة الإله بالحيوانات والطيور والثعابين كما ارتبطت بالعمود والشجرة والسيف والفأس وصارت لها السيطرة على جميع مجالات الحياة والموت. وللزواج المقدس جانباً مهماً من الطقوس التعبدية اليونانية القديمة. وارتبط جانب كبير من الديانة اليونانية بالتطهر والقداسة: فالمحراب أو قاعة الأسرار الدينية مفصولة معزولة على حدة. ولا يدخلها إلى الكهنة فحسب وعامة الناس يدخلوها في السنة مرة واحدة.

وكان الدنس تهمة بشعة وخير ما صورها لنا الأدب اليوناني في مأساة أوديب الذي قتل أباه وتزوج أمه. ويعد كبش الفداء صورة من صور التطهر، ففي عيد الإله أبوللو تلقى خطايا الجماعة على عاتق فرد واحد يسمى (فارماكوس) ثم يطرد من المدينة، ومن أساليب التطهر التضحية بخنزير أو كلب أو ديك أو الاغتسال في ماء البحر ثم تطورت هذه الأساليب إلى مجالات أوسع كلها تهدف إلى التطهر أو القضاء على المرض[3].

وقد طور الكهنة والسحرة الأساطير والخرافات وجعلوها جزءاً من المعتقدات

---

(١) الحضارة المينية أنشأها سكان جزيرة كريت والجزر المجاورة لها ما بين (٢٧٠٠-١١٠٠ ق.م) والحضارة المسينية تنسب لأقوام شبه جزيرة اليونان وجزر بحر أيجة في الفترة ما بين عام ١٦٠٠-١١٠٠ ق.م، راجع الفكر الديني القديم، د. تقي الدباغ، ص٢٩.

(٢) المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ص٦١.

(٣) المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ص٧٢.

اليونانية الدينية القديمة فأصبح عملهم هذا عملاً إيداعياً محضاً بطريقــــة لا شــعورية وأشهر آلهتهم المعبودة (زووس) الذي تقدم إليه القرابين والنذور، كما أهم يصلون بين يديه صلاة مصحوبة بأصوات الموسيقى من ناي وطبلة وقيثارة، وعبدوا أيضاً (الربــــة الحية ربة المنــزل الحساسة) ويستشعر اليوناني وهو يتعبد أنه قد اتحد مع الإله عنــــد تأديته للطقوس فيقوم بالمشي على القدمين مسافة طويلة في المواكب الاحتفالية والأعياد الدينيــــة الرسمية المرافقة لشعيرة الصوم والتطهر الممزوجة بالفرح والرقص وشرب الخمر(١).

و لم تفارق شعيرة الذبائح وتقديم النذور للآلهة الصــــلاة، بــل أن الفريضتـــين ممتزجتين معاً، ففي حوار وضعه أفلاطون يحمل سقراط محدثه علـــى التصريــح "أن التقوى وضمان خلاص العائلات والمدن في معرفة ما يرضي الآلهة إما بتأدية الصلاة أو في تقديم الذبيحة)(٢).

والرسوم التاريخية القديمة تشير إلى أهم أدوا الصلاة واقفين وجثــوا إلى الأرض أو امتداداً عليها محصوباً بالدعوات والتراتيل الدينية، و لم يكن للصلاة وقت محدد بل إهـم يأتون بها عندما يرومون الذهاب إلى المعبد أو عندما يقدمون الذبيحة للآلهة، أو عندمـا يستشفعون آلهتهم باستنــزال الخير أو دفع المكروه أو أي بغية يتمنون تحقيقها.

ووضع الكهنة للصيام طابعاً خفياً وقسموا أسراره إلى أسرار صغـــرى وأســـرار كبرى (فالأولى تقام في فصل الربيع بالقرب من "أثينا" ويغمر فيها طـــلاب الأســـرار أنفسهم بالماء فيستحموا ويصوموا، وعند طلب الأسرار الكبرى وهي الفترة التي تــدوم أربعة أيام لمن حاز الأسرار الصغرى، يعاد عليهم الاستحمام والصيام والذين ســبقوهم في الأداء في مثل ذلك الموعد من العام الماضي كانوا يؤخذون إلى بهو الاندماج حيــث الاحتفال السري، وهناك يفطر المبتدئون والصائمون، بأن يتناولوا عشاءً ربانياً إحيـــاءً

---

(١) الفكر الديني القديم، ص٢١٢ و ٢١٤-٢١٦. الأديان ص٧٤.

(٢) الفكر الديني القديم، ص٢٢١.

لذكرى "رملتر" الإله)[1]. ويصوم أهالي "تورنتم" كل عام شكراً على النجـــاة مــن حصار نزل بهم فلما زال عنهم الحصار بقوا على صيامهم[2].

ويصوم اليونانيون عندما يجدوا حاجة لذلك. فهم قبل الحرب يصومون رجـــاءً للنصر، ورجال الدين في جزيرة كريت يصومون مدى الحياة عـــن أكـــل اللحـــوم والأسماك والطيور[3].

ويصوم الشعب عشرة أيام قبل الحرب استترالاً للنصر. وتقوم المحصنات الاثينيات بالصوم وهن حافيات أياماً تسبق تنقيح القوانين التي كانت تنقح كل سنة. وأصبحـت وظيفة رجل الدين تهدئة الضمير بالطقوس لإحيائه بالتحذير.[4]

والترغيب للصيام هو أمر نفسي يعمد إليه رجال الدين لإقناع العامة بممارســـته وآمنوا أن الصائم يستطيع عمل المعجزات من قتل الأفعى إذا ما تفل في فيها[5].

وتمثل أعيادهم الاحتفالية والقصد إلى المعبد أو الآلهة المنتشرة بكـــثرة في مدنهـــم حجاً غير ملزم إرضاءاً لها وطلباً لترحمها في حفظهم من المخاطرة والمكاره وجلباً لكـل خير، وأشهر أماكنهم التي يؤومونها للحج هيكل (ديانا) في مدينة (افسوس)[6].

---

(١) قصة الحضارة، ٢٤٢/١، الصيام من البداية حتى الإسلام، ص١١١.

(٢) الصيام من البداية حتى الإسلام، ص١١١.

(٣) مقارنة الأديان (الإسلام، ص١٤٩، ط٤.

(٤) انظر كتابنا (العبادات في الأديان السماوية) ص٣١-٣٢.

(٥) الصيام من البداية حتى الإسلام، ص١١٢.

(٦) مجلة معهد الإسكندرية الديني السنة الأولى، العدد الأول، ص١٤٢، مطبعة الأزهر.

الفرع الرابع: محور الشعائر التعبدية في المعابد الرومانية

حاول الرومان أن يوفقوا في طقوسهم التعبدية بين ما ورثوه من اليونانيين وما هو موجود لديهم من شعائر محلية، ويدور محور طقوسهم حول الآلهة والمعبد ونظرا لكثرة الآلهة المعبودة تباينت قدسيتها حتى قيل أن الروماني يبتهل في دعاء واحد إلى آلهة كثيرة بل لم يكن في وسعه التمييز بين تمثال قيصر وتمثال الآلهة.[1]

واتخذ الرومان عائلة الإمبراطور الحاكم رموزا إلهية وألحقوا بهم الأبطال والأمراء فعبدوهم إلى جنب الآلهة.[2]

إن الطقس الأساسي عندهم الذي يقيم اتصالا بين الرب والناس هو التضحية بالحيوانات (الماشية والخنازير والغنم) وتتضمن شعائرهم التعبدية التحضير والصلاة للمتلقي والقربان معا، فيقومون برش رأس الضحية بالذرة والنبيذ بعد ذبحها. ويقوم بالذبح متخصصون من طبقة أدنى نيابة عن الكاهن، وترفع أحشاء الذبيحة من قبل العراف الذي من خلاله تقبل الآلهة أو ترفض الأضحية، ثم تطهى الذبيحة وأخيرا تعاد الأحشاء إلى الإله والبقية يأكلها المشتركون في الحفل، وإذا ما رفضت الأضحية يبحث عن أضحية أخرى حتى توجد المقبولة منها ومن شعائر القرابين عند التطهر سير المشاركون حول المنطقة المراد تطهيرها في موكب يضم الأضاحي والمشاركين، وتقدم الأضاحي للإله (جوبيتر) خاصة في أيام النصر على الأعداء[3].

والطابع المميز لشعائرهم التعبدية هو الجمع بين الصلاة والذبيحة ومن طقوسهم أيضا أنهم يرشون الخمر على الأضحية وتنثر عليها فتات الكعكة المقدسة ثم يقوم

---

(١) مدخل إلى تاريخ الرومان وآداهم وأثارهم، أ.بتري. ترجمة يوئيل يوسف عزيز، مطبعة دار الكتب، جامعة الموصل، ١٩٧٧.

(٢) الرومان. و.هـ.ب ترجمة عبد الرزاق يسري ص٥٢، نهضة مصر، ص١٩٦٨.

(٣) المعجم الموسوعي. د. سهيل زكار، ٥٧٥/٢.

مساعد الكاهن بذبحها ثم تفحص الأجزاء الداخلية فحصا دقيقا وخاصة الكبد[١].

وتعاد طقوس تقديم الذبيحة إذا ما حصل خطأ في تلك الشعائر. ويقوم الكاهن بالصلاة أمام جمهرة الناس من المصلين فيرتل تراتيل وأدعية بصوت خافت في حين يقوم أحدهم بالغناء على المزمار. وجميع الحضور يستمعون بصمت عميق وهم وقوف.

ونظرا لكثرة معبوداهم المتنوعة المصدر فقد ساد شعور لدى الناس بالسخرية من طقوس العبادة مما حدى بالإمبراطور قسطنطين أن يسمح بفتح روما للمبشرين المسيحيين[٢].

ويؤدي الروماني صلاته في البيت جثوا أو وقوفا، رافعا يديه إلى الأعلى طالبا العفو والرحمة والقوة من معبوده، وتصاحب الموسيقى الصلاة في الاحتفالات الرسمية أو الشعبية.

وغالبا ما تعطى الهبات والصدقات إلى خدمة المعبد من الكهان والعاملين في خدمة المعبد لأن الناس يضنوهم وسطائهم في التقرب إلى الإله المعبود ليقبل هباهم وصدقاهم.

والصيام عندهم مزيد من تعاليم محلية وهندية ويونانية جسدت الجوع وعذاب الجسد كوسيلة للخلاص من الخطايا والذنوب، وأخذوا من الهنود الصوم بمعنى الحرمان القسري المتواصل طمعا في الوصول إلى الصفاء الروحي والقرب من الإله المعبود وهو ما عمد إليه فقهائهم أمثال (ليكوزموس) مشرع (أسبرطة) وفيتاغورس العالم الرياضي[٣].

ونظرا لدور الكهنة في التأثير على معتقدات الناس فقد اهتمت الدولة الرومانية

---

(١) انظر: مدخل إلى تاريخ الرومان وأداهم وآثارهم. أ.بتري ص٩٧، اليونان والرومان، ص٣٦٢.

(٢) الأديان، ص٨٣.

(٣) الصيام من البداية حتى الإسلام، ص١٠٧.

بهم وأنشأت لهم مدارس خاصة للعلوم الدينية مهيأة لهم جميع مستلزمات الدرس والتحصيل. وأنشأت في (أثنيا وولفي وأيلوزيس) مدارس خاصة في التعمق الروحاني الصوفي لتحقيق الغاية في وصول أرواحهم إلى الاتصال المباشر بالإله عن طريق النسك.

واعتنت الدولة كذلك بالمنجمين من الكهان وأفردت لهم وظيفة رسمية في روما مقرها في البلدية[١].

أما الكاهنات في المعبد فيصمن ثلاثة أيام إلا عن ورق الغار ليمضغنه، وتجلس الكاهنة الصائمة على نضد عال مستنشقة أبخرة منتنة من مقعد مشتعل فتضطرب اضطرابا شديدا بصورة لها الكهنة بأن من عمل الآلهة، إلى أن تصل إلى حالة الهذيان فتهذي بكلمات يتناولها الكهنة ويحرصوا على تأويلها بعدة وجوه من التفسير وقد يصيغونها شعرا يذيعونه على طالب النبوءة مقابل مبلغ من المال[٢].

و لم يعرف الرومانيون الحج بالمفهوم الحصري وإنما كان الحج لديهم مزيجا من الاحتفال بالآلهة ضمن مواكب كبيرة يقدمون فيها القرابين والنذور ويعمدون إلى الابتهالات الدينية والتراتيل وإحراق البخور وطلب المغفرة والنصر من الإله المعبود .

---

(١) الصيام من البداية حتى الإسلام، ص١٠٩.

(٢) المصدر ذاته، ص١١٣.

المبحث الثاني

الأحكام التشريعية والفقهية في الأديان الحية

الفرع الأول: العقيدة الصينية القديمة ونظام العبادات

كانت العقائد الصينية القديمة تؤمن بأنه لم يكن هناك شيء قبل خلق العالم على الإطلاق، ثم ظهر شيء ومن هذا الشيء خلق (يان كو) وعندما مات تجمعت أنفاسه فصارت ريحاً وسحباً، وأضحت أناته الأخيرة الرعد وأصبح الدم في عروقه الأنهار وعظامه الصخور وأسنانه المعادن وشعره الغابات والأشجار ولحمه الأرض ورأس الجبال، وأصبحت عينه اليسرى القمر، وكانت الحشرات تعلق في جسمه ثم تحولت إلى آدميين وهكذا نمت قصة الخلق، وظهر كونفوشيوس أكبر الحكماء ليكون أعظم القديسين لديهم.

وتمثلت في كونفوشيوس جميع العقائد الصينية القديمة، وبرغم ابتعاده –ومريديه أيضاً– عن ذكر تعاليم تتعلق بالسماء أو الطقوس أو الآلهة، وهو إذا كان قد تجاهل هذه الأسس التي يفترض أنها أسس كل ديانة ومظهراً من مظاهرها الرئيسية فهو لم يفعل ذلك عن جهل أو استخفاف ولكنه كان يرى أنها ليست من جوهر الدين، فعقيدته التي عمل من أجلها ونشر تطبيقها تدخل بالفعل ضمن ما يسمى بالمذهب الإنساني.

وكان يقول: أن الإنسان لا يصل إلى مراتب التقدم عن طريق التعبدات بل يصلها عن طريق ذاته بالمعرفة الصحيحة(١).

ورد كونفوشيوس على سؤال وجه إليه عن أهمية الطقوس الدينية فقال: إن خدمة الإله تصبح لا معنى لها إذا أهملت خدمة الناس(٢).

ورغم أن الكونفوشيوس خمسة كتب مقدسة إلا أنه لم يتطرق فيها إلى نمط

---

(١) الأديان في القرآن، محمود بن الشريف، ص١٠٨.

(٢) المعتقدات الدينية لدى الشعوب، سلسلة عالم المعرفة، رقم ١٧٣، ص٢٨٨.

العبادات بل إنه دعا في كتابه (المراسيم) الناس إلى عدم الإقبال على الطقوس الدينية بل عليهم تطهير نفوسهم وتنزيهها بالعمل الأخلاقي والابتعاد عن السقوط في الخطايا والآثام، ولكنه مع ذلك اتخذ لنفسه طريقاً تأملياً في العبادة، فالصلاة كانت لديه صمتاً دون كلام يتأمل في عقله كل معاني الإنسانية الحقة التي ترنوا إلى حب الخير ومساعدة الآخرين ومساعدة الروح في صفائها ورقيها. إذ كان يؤدي الصلاة وهو جالس لا يتحرك، وغالباً ما كان يذهب إلى المعبد لتقديم القرابين والنذور، وأوجب على مريديه الاستحمام قبل التوجه إلى الصلاة وكان يقول: (المخطئ في حق السماء ليس له من يتوجه إليه إلا بالصلاة)[1].

ونظراً لكون تعاليم كونفوشيوس مبادئ إنسانية أخلاقية فقد اهتم كثيراً بإبداء الصدقة (الزكاة) للمحتاجين إليها من الفقراء والمعوزين وكان يقول[2]: فعل الخير.. هو الرغبة في العمل لصالح الشعب، والاستقامة وهي ألا تفعل للآخرين ما لا تحب أن يفعلوه لك. تلك هي الفضيلة الكاملة وكان يرى أن مساعدة الآخرين هو الطريق. الأمثل لإصلاحهم والأخذ بيدهم ليكونوا عناصر فاعلة خيرة في المجتمع، وأن تركهم وعدم تقديم يد العون إليهم يسبب تعطل المجتمع وفساده لأنهم سيصبحون أداة شريرة تدمر النفوس البريئة والعاقلة. فالإحسان للغير جزاءه راحة النفس. والإحساس جزاء الإنسان.

أما الصيام فكان نظامه لامحدوداً عند الصينيين القدماء وإنما يعتمد ذلك على طاقة المتعبد وتحمله ورأوا فيه تطهيرا للنفوس وصفائها ونقائها.

وكانت زياراتهم لعظمائهم من الكهنة والقديسيين تعتبر بمثابة حج مقصود إذ لم

---

(١) انظر ذيل الملل والنحل المطبوع مع الملل والنحل ٢/٢١، للشهرستاني أبو الفتح محمد بن عبد الكريم. مطبعة الحيدري، بمبي، ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦١م.

(٢) قصة الديانات، سليمان مظهر، ص٢١٥، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

يشرع لديهم تحديد مكان مقدس خاص يحجون إليه، ونظراً لتوالي الحضارات وتراكم المعتقدات فقد شاعت في أوساطهم مزارات كثيرة ولعل أهمها زيارة قبر كونفوشيوس وهذه العادة تولدت لديهم عندما زار أول إمبراطور صيني ضريح كونفوشيوس في (شوفو) عام ١٩٤ق.م، وفي عام ٧٢ كرمت الأسرة الحاكمة اثنين وسبعين من أتباع الكونفوشيوسية. وبعد ذلك بمائتي عام صدر مرسوم بوجوب تقديم القرابين العظيمة للكونفوشيوس أربع مرات كل عام، وقام أهل بلدة كونفوشيوس بناء معبد تمجيداً لذكراه وفي عام ٥٥٥م صدر مرسوم يقضي بإقامة معبد لكونفوشيوس في جميع المدن الكبرى من كل ولاية من الولايات[(١)].

ومن أشهر أماكنهم المقدسة قديماً (هيكل تيان) الذي يمثل رفات أحد أشهر قديسيهم[(٢)].

ويعتبر الحداد والقرابين المستمرة عناصر أساسية لدى نحل الأسلاف الصينية التقليدية، وغالباً ما تكون مراسمها تستتبع منزلة المتوفى في العائلة وفي النسب كما يشير إلى ذلك قانون كونفوشيوس والهدف الأساسي منه هو مساعدة الروح للنفس في رحلتها الخطيرة إلى العالم السفلي وتحولها إلى روح في لوح الأجداد، والروح الجديرة فقط هي التي يمكنها أن تصعد إلى السماء وروح الباو (PO) التي تسكن عادة في القبر يجب أن تدعم أيضاً وتسكَّن حتى تصبح شبحاً خطيراً[(٣)].

---

(١) قصة الديانات، سليمان مظهر، ص٢٢١.

(٢) مجلة معهد الاسكندرية الديني، العدد الأول، السنة الأولى، ص١٤٢، مطبعة الأزهر.

(٣) المعجم الموسوعي للديانات والعقائد والمذاهب تعريب وتصنيف وتقديم د. سهيل زكار، ٥٧٤/٢، دار الكتاب العربي، دمشق، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

الفرع الثاني: الأحكام التشريعية في الديانة الهندوسية

لإعطاء تجليات واضحة حول الأحكام التشريعية في الديانة الهندوسية يجب الرجوع إلى كتاب (منو دهرماساسترا) الذي يحتوي على الشرائع التي تتبعها الطوائف الهندوسية، يقول ناشر الكتاب: أنه مؤلف عتيق لا يعرف مبدأه ولا مؤلفه، وقيل أنه من تأليف أول عارف على الأرض وضعه بإلهام من الله في زمن غارق في القدم، وقد ورد ذكره في المؤلفات التي يرجع عهدها إلى القرن السابع قبل الميلاد مما يدل على أن بعض أجزائه كتبت قبلها وهو على العموم يحوي الشرائع التي لا يحيد عنها الهندوس المتدينون حتى الآن، ونستشف من ذلك أن ليس هناك مؤسس للهندوسية يمكن الرجوع إليه كمصدر لتعاليمها وأحكامها، فالهندوسية دين متطور ومجموعة ضخمة من التقاليد والأوضاع تولدت من تنظيم الآريين لحياتهم جيلاً بعد جيل بعدما وفدوا إلى الهند واستطاعوا أن يسيطروا على سكانها الأصليين. فنظموا المجتمع وسنوا القوانين ومع احتكاكهم من السكان الأصليين وأطلاعهم على تقاليدهم وتراثهم أوجدوا لهم ديانة استمدت اسمها من اسم البلاد (الهند) والتصقت بالشخصية الهندية، لذا فقد ورد في نص الدستور الهندي (إن البلاد فيها الهنود والبوذيون والمسلمون والسيخ والمسيحيون...) إذ اعتبر الهندوس أنهم الهنود الأصليون)[1].

وقد تبلور.. الفقه الهندوسي على يد الآريون القادمون من ضفاف بحر قزوين إذ يمثلون أبرز المجموعات المهاجرة إلى الهند وبها تبلورت المفاهيم والتقاليد ومنها الديانة الهندوسية.

ونظراً لكثرة الآلهة عند الهنود والمقدر عددها بـ (٣٠) مليون إله تنوعت تبعاً لذلك الطقوس التعبدية وتمازجت التشريعات الفقهية. ولكنهم في الأعم الأغلب استقروا على ثالوث مقدسي متكون من (براهما) الخالق، و(فيشنو) إله الحياة والرحمة والخير و(شيفا) إله الدمار والفناء .

---

(١) موسوعة الأديان في العالم، ص٨٩.

وتقوم أسس ديانتهم على (الكارما) وهو قانون الجزاء أو العدالة والانطلاق نحو انعتاق الروح من الجسد واتحادها بالإله (براهما). ويتحدد الإطار العام لعبادتهم من خلال عقيدة تناسخ الأرواح ووحدة الوجود مرتكزين في جذور دعوتهم على أصول طوطمية قديمة تقدس أرواح كثيرة[1].

ويحتل الماء عندهم مكانة كبيرة من الأهمية باعتبار فوائده الجمة للحياة عند جميع المخلوقات، وقد اعتمد الهندوس الماء في الطهارة. إذ نجد من طقوسهم ما يتفق مع ما جاءت به الشرائع السماوية، فالجنابة عندهم يتم التطهر منها بالاغتسال بالماء كما جاء النص عليها في كتاب (منّوسمرتي): (إذا ما خرج المني من الإنسان فإنه يتطهر بالغسل)[2].

وتغتسل المرأة بعد الحيض، وأما بعد الإجهاض وإسقاط الحمل قبل أوانه فالواجب معرفة كم من الأشهر مضى على حملها بحيث تقوم بالتطهر بعد عدة أيام هي عدد الأشهر التي مضت على الحمل.. جاء في (منوسمرتي): (تطهر المرأة بعد الإجهاض بيوم من كل شهر من أشهر الحمل وتطهر بعد الحيض بالغسل)[3].

ويؤمر بالتطهر كل من لامس شخصاً من الأسافل أو امرأة حائضاً أو نفساء أو جثمان ميت أو لمس من قد لمس جثمان ميت. ولا يتنجس بموت كل من مات في معركة أو هلك بصاعقة أو دون بقرة أو برهمي أو قتل بأمر الملك أو يريد الملك أن يكون طاهراً[4].

والطهارة عندهم نوعان: حسي وهو الاغتسال بالماء، ومعنوي كطهارة الروح بالعلوم المقدسة والعبادات. يقول نصهم التشريعي (أن العلم والنار والطعام والتراب

(١) انظر كتاب المؤلف (العبادات في الأديان السماوية)، ص٣٦.

(٢) موسوعة الأديان في العالم، الديانات القديمة، ص١٠٣.

(٣) موسوعة الأديان في العالم، الديانات القديمة، ص١٠٣.

(٤) المصدر ذاته والصفحة نفسها.

والقلب والماء والطلي بخثي البقر والهواء والطقوس الدينية والشمس والزمن كل ذلك تطهر جسم الإنسان.. إن البدن يطهر بالماء، أما الجوف فيطهر بالصدق، ويطهر الروح بالعلوم المقدسة وبالعبادات ويطهر القلب بالعلم الصحيح)(١).

نستنتج من ذلك أن الربط بين طهارة البدن وطهارة الروح والنفس أمر بمنتهى الأهمية، كما أن كهنتهم في المعابد قد يرشون الناس ببول البقر ظناً منهم أنها تعطي البركة، واتخذ بول البقر مادة للتطهر.

وتعددت في الهند الأماكن المقدسة بمرور الزمن وخاصة الواقعة على ضفاف الأنهر التي يعمد إليها الهندوسي للتطهر، أو للاستحمام، والصلاة لديهم لها مقدمات أو أركاناً إن صح التعبير لا تتم إلا بها وهي الاستحمام وارتداء الملابس النظيفة ذات اللون الأصفر أو الأبيض، وعلى المصلي أن يغسل يديه وفاه بالماء المعطر، والرجل يجلس متربعاً والمرأة تجثو على ركبتيها، ولا توجد عندهم صلاة جماعية أو جامعة فالصلاة عندهم كلها فردية وهي على أنواع ثلاثة:(٢)

أ- صلاة برفقة كاهن يتبع فيها ترانيمه.

ب- صلاة برفقته دون أتباع الترانيم.

ج- صلاة فردية محضة.

ويصلي الهندوسي في اليوم مرتين واحدة في الصباح وأخرى في المساء، فصلاة الصبح وقتها من انبلاج الفجر حتى مطلع الشمس، وهي تسقط هفوات وذنوب المصلي التي ارتكبها في الليل أما صلاة المساء فتسقط ذنوب النهار. (على المصلي أن يقرأ في صلاة الصبح كايتري في قلبه وهو واقف على قدميه من انبلاج الفجر حتى مطلع الشمس، ويقرأها في صلاة المساء وهو جالس إلى ظهور النجوم(٣).

---

(١) موسوعة الأديان في العالم، الديانات القديمة، ص١٠٣.

(٢) موسوعة الأديان في العالم، الديانات القديمة، ص١٠٤.

(٣) موسوعة الأديان في العالم، الديانات القديمة، ص١٠٤.

ونظراً لأهمية الصلاة لديهم فإن تاركها يعاقب بالطرد ويصبح من المنبوذين وهم الطبقة الخادمة (الشودار) ويحرم من حقوق المولودين ثانية: أي من انتقلت إليهم روح كانت لها حياة سابقة.

ويعتبر التأمل العقلي طلباً لصفاء النفس من أهم طرق العبادة لديهم ويفضل أداؤها في الغابات أو على ضفاف الأنهار. ويستخدمون الأزهار والنار التي يوقدون بها البخور أثناء صلاتهم في المعابد وبرفقة الكاهن. وغالباً ما تشارك الصلاة طقوس تقديم القرابين والنذور والهداية لآلهتهم وهيئتها أما وقوفاً أو جلوساً مع ترتيل الأدعية الدينية[1].

والصيام[2] يمثل لديهم شعيرة نسكية تعبدية مهمة، إذ تمثل تطهير لكل شيء وهو ليس فرضاً واجباً عليهم وإنما هو عبادة تطوعية يتوجه فيها الصائم بكل أحاسيسه نحو معبوده مركزاً فكره فيه بصمت مذهل وامتناع عن الأكل والشرب والصيام عندهم يبدأ مع بداية كل فصل من الفصول الأربعة مضافاً إليها اليوم الأول والرابع عشر من كل شهر قمري كما يصومون مدة كسوف الشمس (كالمسلمين) وخلاله يمتنعون عن الصلاة والاتصال الجنسي، وأصحاب العقيدة الجنريهكية[3] يصومون صوماً يستغرق النصف من كل شهر قمري ويفطرون عند طلوع القمر فإذ انتهى الشهر وأتى الهلال الجديد أفطروا، وقدموا القرابين لآلهتهم ثم صعدوا إلى الأسطح داعين آلهتهم أن ترزقهم وتغفر لهم ثم يشرعوا في تناول الطعام.

وهناك ألواناً من الصيام تنتهي بالموت تطبيقاً لنظام الزهد المكلف التي يعتبرونه مَحْقٌ للجسد.

---

(١) العبادات في الأديان السماوية، للمؤلف.ص٣٧

(٢) الصيام من البداية حتى الإسلام. علي الخطيب من منشورات المكتبة العصرية صيدا، ط١، ١٩٨٠، قصة الحضارة، مج٢، ج٣، ص٦٠.

(٣) (الجندريهكية) عقيدة يعظم معتنقوها القمر ويعدونه من الملائكة،راجع ابن النديم، الفهرست، ص٣٤٨، مكتبة ضياء، بيروت، ١٩٦٤.

ولم تشرع لديهم الزكاة ولكنهم حببوا للناس التصدق على الفقراء والمعوزين لأنها مدعاة إلى تآخي القلوب وألفتها وتوادها، وهم يكثرون من الصدقة في مواسم الحج، ويوجبون دفعها إلى خدمة المعابد المقدسة من الكهان والرهبان القائمين بالحفاظ على الأماكن المقدسة ورعاية شؤونها.

وتتوزع في الهند أماكن عدة أعطوها صفة التقديس، وهذه الأماكن تكاثرت لديهم عبر تراكمات السنين. وغالباً ما تقع على ضفاف الأنهار ويعتبر نهر الغانج من بينها الأكثر قداسة إذ يلقون فيه رماد موتاهم بعد حرق جثثهم إذ يزعمون أنه ينبع من تحت قدمي الإله الحافظ (فيشنو) والحج ليس فرضاً واجباً لديهم بل هو تطوع وفضيلة يقصدون بها زيارة أصنامهم المعظمة أو أنهارهم المعظمة فيغتسلون غيرها ويؤدون فروض الطاعة ويقدمون البركات والأضاحي ويدعون آلهتهم بالرزق والرعاية ومن طقوس الحج أنهم يقدمون على حلق رؤوسهم ولحيهم، وغالباً ما تقع تلك الأماكن المقدسة في الجبال الباردة.[1]

ومن أهم طقوسهم التعبدية إحراق الموتى إذ أن النفس هي الأساس في العقيدة الهندوسية والبدن ليس له اعتبار كبير، وحسب عقيدة التناسخ فإن النفس تنتقل في دورة الحياة من بدن إلى آخر طلباً للتزكية والتطهر حتى إذا ما تمّ لها ذلك توقف حلولها في الأبدان واتحدت بالروح كلية وهو ما يعرف بـ (النيرفانا)، لذلك نجد أن كل تشريعاتهم المتعلقة حول الجسد تتبع نظاماً قاسياً حياله سواء في فريضة الصيام – الغير ملزم لديهم– أو عند الموت الذي يوجب في شريعتهم إحراق جثة المتوفي ثم يضع رماده في أنبوبة ويلقى في نهر الغانج المقدس. بل أنه كان من طقوسهم إحراق المرأة التي يتوفى عنها زوجها وهي حية وظلت هذه العادة سائدة لديهم حتى أواسط القرن التاسع عشر للميلاد حيث سنت الحكومة البريطانية التي استعمرت الهند قانوناً يمنع ذلك.

وتحرم الشريعة الهندوسية لعب القمار وتعاقب من يمارسه إذ يعتبرون القمار كسبا غير مشروع وهو من جملة أنواع السرقة إذ يقولون (على الملك أن يمنع المقامرة

---

(١) تحقيق ما للهند من مقولة في العقل أو مرزولة، أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني، ص٤٦٧، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، ١٩٥٨.

والرهان في مملكته لأنهما يبيدان الملك... على الملك أن يعمل جهد طاقته لإبادة المقامرين والمراهنين لأن القمار والرهان سرقة ظاهرة).

كما تحرم الديانة الهندوسية الرشوة وتحارب النفاق والتدليس وتحظر التنجيم والارتزاق من خلاله وتعاقب كل من لا يمارس عمله بصدق وأمانة كالأطباء.

كما تحرم الخمر لأنه نجس ومصدر للخبث، وكذلك الغش والسرقة التي قد تصل عقوبتها إلى الإعدام حال تكرار فعل السرقة.

وإليك بعض النصوص الفقهية الواردة في كتاب (منّوسمرتي)(١):

١- إن الخمر نجسة كالإثم فعلى المولودين ثانية الايشربوها.

٢- يعاقب بالغرامة المالية الصغرى أو المتوسطة كل من يغش زبائنه أو يغالي في الثمن.

٣- على الملك أن يقطع أيدي اللصوص الذين يسطون على المنازل ليلاً للسرقة ثم ليصلبهم... تقطع اصبعا اللص في أول سرقة يسرقها وتقطع يده وقدمه في السرقة الثانية ويعاقب بالموت في السرقة الثالثة.

٤- إن المرتشي والماكر والمدلس والمقامر والمعلم الذي يعلم أداء الطقوس الدينية بالأجر لا للثواب والذي يسلك الخبث والنفاق والذي يعيش بالتنجيم ورجال الحكومة الكبار والطبيب الذي لا يمارس مهنته بصدق والمشعوذ والمومس الماكرة. وغيرهم من الناس الذين يخادعون ويمكرون جهراً والذي يتزيا بزي الفرق العالية، هم شوك للرعية.. على الملك أن يستقصي أخبار هؤلاء الناس ويقبض عليهم فإذا أصبحوا في قبضة الملك عليه أن ينظر إلى أجرامهم وإلى قواهم البدنية ثم لينزل العقاب بكل واحد منهم بالنسبة إلى جرمه.

٥- لا تؤذ غيرك ولو أوذيت ولا تتكلم بما يؤذي غيرك ويمنعك من النعيم الأخروي ولا تحسد الآخرين على ما أتاهم الله من فضله.

وجاء في كتاب (منودهرماساسترا) نماذج من الفقه الهندوسي منها(٢):

---

(١) موسوعة الأديان في العالم، الديانات القديمة، ص١١٢.

(٢) موسوعة الأديان في الغالم، الديانات القديمة، ص١٣٤.

١. لا يجوز أخذ الربا الفاحش ولصاحب المال أن يأخذ روبية وربع روبية عن مائة روبية في كل شهر.

٢. إذ وجدت لقطة في مكان، يأمر الملك بحفظها حتى يوجد صاحبها والذي يسرق مثل هذا المال يلقى أمام فيل ليدوسه جزء لجنايته.

٣. الولد الأكبر هو الذي يرث والديه أما أخوته وأخواته فلكهم يعيشون تحت أمره لأن الأخ الأكبر بمنزلة الأب.

٤. إذا حاول عم صبي صغير أن يستولي على أملاكه فليمنعه الملك من ذلك وليحول الأملاك إلى إدارته حتى يبلغ الصبي الرشد.

٥. والعقار الذي لا يوجد له صاحب يبقيه الملك في يده ثلاث سنوات فإن لم يعرف صاحبه خلال هذه المدة يصبح ملكاً للملك بعدها.

٦. يجب على الملك أن يكتفي بالقليل من الضرائب على رعيته فيأخذ من أرباح الفضة والذهب النصف ومن الحبوب الثمن أو السدس. ومن ثمار الأشجار السدس وكذلك قصب السكر والعطور والعقاقير، أما الصناع والعمال والمنبوذون فيسخرهم الملك يوماً واحداً في كل شهر لأعماله فهذه هي الضريبة التي عليهم أن يدفعوها.

٧. ينظم الملك بواسطة الخبراء أثمان السلع المتقلبة كل خمسة أيام إلى خمسة عشر.

٨. لا يملك الولد والزوجة والرقيق شيئاً وكل ما يحرزونه ملك لعائلهم.

٩. لا يجوز للملك أن يقبض ضريبة على الأعمى والأبله والأكسح وابن السبيل ومن يساعد المتبتلين إلى الكتاب المقدس.

الفرع الثالث: نظام العبادات والتشريع عند الزرادشتين

الزرادشتيون المعاصرون يؤمنون بأن زرادشت نبي ومن تعاليمه الإيمان بوجود الثواب والعقاب في اليوم الآخر مع التركيز على القيم الأخلاقية ويحث دينهم البشر على نشر المبادئ الأساسية الثلاثة:

١- الفكر والنية الحسنة.

٢- القول الحسن.

٣- العمل الحسن.

أما أصول دينهم فهي ستة:

١- التوحيد الإيمان بنبوة زرادشت.

٢- العمل الحسن والقول الحسن والنية الحسنة.

٣- بقاء الروح.

٤- وجوب الثواب والعقاب.

٥- المعاد في يوم القيامة.

ومن أساسيات طقوس التعبد عندهم النار التي يرون فيها مصدراً للنور الذي يجب عليهم الاتجاه إليه وهو جزء من نور (أهورامزدا) إله النور والسماء. يقول السيد رستم شهزادي المرجع الديني الأعلى للزرادشتيين (نحن نعتقد أن نبينا زرادشت كما نحن نعتقد بوحدانية الله فلا نعبد غيره... إن ما نفعله هو أننا نتجه للنار في بعض الأحيان باعتبارها تمثل النور الذي نعتقد بأنه انعكاس أو مظهر من مظاهر الله فنحن في الحقيقة وعندما تتوجه لعبادة الله نتجه إلى النور بأي شكل كان ففي النار تكون قبلتنا الشمس وفي الليل القمر أو النجوم أو أي ضياء كان ومنها النار طبعاً حيث نعتقد أن نور جميع هذه الأشياء يمثل النور الإلهي فالمهم إذن أن نتيجة لأي مصدر

للنور مهما كان شكله أو حجمه كقبلة لنا نقدسها ولا نعبدها).[1]

ولأن النور مقدس لديهم وبما أن الطبيعة لا توفره لهم في الأوقات كافة عمد الزرادشتيون إلى ما هو اصطناعي فكانت النار مصدراً للنور ممكن في كل الأوقات. فهي مقدسة ولها شأن كبير في عباداتهم.

وتتسم النار كرمز للطهر والسمو الرباني: وأمروا اتباعهم الاحتفاظ بها متقدة مضطربة بالمعنى الرمزي والروحاني بعدما أوكلوا الإشراف على إدامتها إلى طبقة خاصة من الكهنة حيث يأتون خمس مرات في اليوم ليوقدوها من الأخشاب المعطرة[2]. ويوقدها الكاهن نهاراً وليلاً ويضع على فمه لئلا كمامة يدنس النار بعدما يقوم بخلع أحذيته وغسل الأجزاء المكشوفة من جسده ويتلو صلاة قديمة تسمى (الغانا).

أما الصلاة فتقام عندهم خمس مرات في اليوم بعدد أقسام اليوم الخمسة عند بزوغ الشمس وعند الظهر وعند الغروب[3].

ولم يرد في كتابهم المقدس الافستا ما يوجب فرض الزكاة بل فيه الحث على مساعدة الآخرين بالمال والطعام والكسوة إذ فيه تقريب ومحبة للنفوس، إذ بتآلفها وتعاونها رخاء للمجتمع وسلامة له من الآفات الخطيرة كالغش والرياء والسرقة. وحثت شريعتهم اتباعها على العمل وأن يأكلوا من كد أيديهم لا من عطايا الناس لهم، وعمدوا إلى تقديم الأعمال النافعة أو المواد المفيدة للناس تكفيراً عن أخطائهم مثل إعطاء رجال الدين من الأسباب لإنجاز وظائفهم وإعطاء المزارعين الأدوات الإنتاجية الزراعية لغرض إنتاج المحاصيل، وأوجبوا إعطاء المحاربين ما يحتاجونه من عون وسلاح لحماية دولتهم.

والشريعة الزرادشتية حرمت الصيام ولم تشرعه ووجدت فيه أضعافاً للفلاح عن

---

(١) موسوعة الأديان في العالم، الديانات القديمة، ص٢٨٦-٢٨٧.

(٢) موسوعة العقاد الإسلامية، ١/١١٠. الفنديداد نقله للعربية ص٣، د. داود الجلبي، مطبعة الاتحاد الجديدة، الموصل ١٣٧١هـ.

(٣) الأديان في القرآن، محمود بن الشريف، ص٨٧. زرادشت الحكيم، د. حامد عبد القادر، ص٨٧، مكتبة نهضة مصر، القاهرة.

مزاولة عمله فلا يقدم على الإنتاج مما ينتج عنه أن قوت الناس سيصبح صعب المنال، ونظر زرادشت إلى الزراعة على أنها عمل مقدس وواجباً دينياً لأنه يعطي الثمار والخير للناس يقول البستاني في معارفه (لم يخل دين من الصيام إلا دين زرادشت)(١).

وجاء في كتاب (الافيستا) المقدس أن أول عهد يأخذه الزرادشتي على نفسه أنه:

(لن أقدم على سلب أو نهب ولا تخريب أو تدمير ولن آخذ بالنار.. وأقرأني أعبد الله الواحد اهورامزدا. واني أعتنق دين زرادشت وأقراني سألتزم التفكير في الخير والكلام الطيب والعمل الصالح)(٢).

يقول (جفري بارندر) للزرادشتية رموز تذكرهم بدينهم كجزء من زيهم القومي: (٣)

١- **الرمز الأول**: الكوشتي: وهو خيط مقدس به اثنان وسبعون خيطاً ترمز إلى أسفار (اليسنا) وهي تعقد وتربط مرات عديدة في اليوم تعبيراً عن التصميم الديني والعزم والأخلاق معاً.

٢- **الرمز الثاني**: يرتدون قميصاً يرمز إلى الدين ويرتدي الكهنة أردية بيضاء ويضعون عمامة على الرأس وقناعاً على الفم أثناء تأديتهم للبعض الطقوس ليتجنبوا تلويث النار المقدسة بأنفسهم.

---

(١) دائرة المعارف، بطرس البستاني، ٧٦٩، طبعة طهران.

(٢) موسوعة الأديان في العالم، الديانات القديمة، ص٢٨٨.

(٣) موسوعة الأديان في العالم، الديانات القديمة، ص٢٨٨-٢٨٩.

الفرع الرابع: الأحكام الفقهية في الديانة الصابئية

يؤمن الصابئة المندائيون بكافة الأنبياء والرسل والموت والحياة والجنة والنار وآخر أنبيائهم النبي يحيى بن زكريا عليه السلام وكتابهم المقدس (كنـزاربا) أي صحف آدم عليه السلام وأهم طقس ديني لديهم التعميد، وأركان دينهم: الشهادة، التعميد الصدقة، حرمة الختان، الصلاة، الصيام).

التعميد هو الطقس التعبدي الأول والأهم في شريعة الصابئة المندائيين لأن الماء يعتبر لديهم رمز للحياة بل الحياة نفسها فالماء في عرفهم سائل قادر لا على إخصاب الأرض فقط بل النساء أيضاً.

إن طقوس الاغتسال بالماء تقام مع إجراءات وصلوات معينة هي بحد ذاتها احتفال ديني مقدس، وللتعميد ثلاثة أنواع(1):

١- الرشامة (الوضوء).

٢- الطماشة (الطهارة).

٣- المصبتة (التعميد الكامل).

ويرجع الصابئة التعميد إلى زمن آدم عليه السلام وبه يصبح الصابئي مندائياً موحداً وبه أيضاً تمحى الذنوب وتغفر الخطايا وهو ما جاء في كتاب التعميد المندائي للشيخ رافد الشيخ عبد الله نجم. ويذكرون أنه يحق للفرد أن يتعمد منفرداً أو جماعياً، وغالباً ما يكون التعميد يوم الأحد، أما التعميد الثلاثي فيقوم به ثلاثة كهان في نفس الوقت بتعميد شخص واحد لكي يصبح طاهراً جداً وعلى الكاهن الذي يقوم بالتعميد أن يرتدي ملابسه الدينية (رستا) وهي ملابس قطنية بيضاء ترمز للطهر والنور وكذلك الحال مساعدة (شكندا) والمتعمد أيضاً.(2)

ويحتاج الكاهن المعمد إلى أدوات يستخدمها في التعميد وهي (طبق من طين)

---

(١) تاريخ الصابئة المندائيين، محمد عمر حمادة، ص٩٤، دار الوثائق، ط١، سوريا، ١٤٨١-١٩٩٨.

(٢) التعميد المندائي، الشيخ رافد الشيخ عبدالله. ص٦، مطبعة التايمس بغداد، ط١، ١٩٩٠.

وتسمى طريانا، وقنينة وكأسين صغيرين ووعاء للنار ووعاء الرائحة المعطرة، وبنات الآس، وراية بيضاء- راية النبي يحيى تستعمل في التعميد الكبير والأعياد والمناسبات الدينية.

والكيفية التي يجرى فيها التعميد هي أن يقوم الكاهن بتغطيس المتعمد ثلاث غطسات في الماء الجاري بعدما يتلو عليه فاتحة التعميد باسم الحي العظيم، ثم يرتسم المتعمد ثلاث أرتماسات لجهة المتعمد ويشرب ثلاث جرعات من الماء الجاري تعطى له من الكف الأيمن للكاهن، ثم يؤخذ العهد منه، ويتوج بإكليل مظفر من الآس، وتوضع اليد اليمنى على رأسه، ويؤخذ العهد منه مرة أخرى. ثم يخرج الكاهن والمتعمد من الماء، حيث يمسح جبهة المتعمد بزيت السمسم المقدس المعبر عن بركة الله، ويؤخذ العهد منه مرة ثالثة، ويقدم له الخبز المقدس، ويشرب جرعة من الماء المقدس، وأخيراً يعطي الكاهن من المتعهد العهد له ولمساعده، بينما تصدح حناجر الحضور بالتراتيل والأدعية الدينية[١].

والصابئة المندائيون من أكثر الأمم تعبداً وأشدها تديناً ومحافظة على طقوسهم وشعائرهم وعاداتهم وتقاليدهم الصابئية لذلك لا نستبعد أن تكون صلاتهم وصيامهم أول كيفية عرفها البشر للصلاة والصوم، وتشتمل إقامة هذه الطقوس على رسوم وطقوس أضيفت إليها على توالي الأزمنة تبدأ بالطهارة وتنتهي بتأدية الصلاة.

الطهارة:

أ- الوضوء "الرشامة":

حين يقترب المندائي من النهر يقول:

"باسم الحياة العظمى لك الشفاء والطهر يا أبي وأباهم برياوز، اليردنه العظمى للماء الحي".

ثم يشد حزامه ويجلس على شاطئ النهر متجهاً نحو الجدي ويتلوا النية بلغته

---

(١) التعميد المندائي، ص٦. تاريخ الصابئة المندائيين، ص٩٧، وما بعدها.

وترجمتها "السلام عليك أيها الماء الجاري من تحت عرش الرب الذي يحيي بك كل ما في الأرض".

ثم يشرع بالوضوء مبتدئاً بغسل اليدين إلى المرفقين "ثلاثـاً" وهـو يقـول: "باسم الحياة العظمى أطهر يدي بالصلاح وشفتي بالإيمان لينطقا كلام النور وليجعل وضوئي حسناً بأفكار النور".

ثم يغسل وجهه ثالثاً وهو يقول: تبارك اسمك وسبحان اسمك ربي الحي تجري هذا حمداً لسيماء الجلال الأعظم الذي قام من ذاته.

ثم يبل يده بالماء ويجمع أصابع يده اليمنى ويمررها على جبهته من مبدأ صدغه الأيمن حتى نهاية صدغه الأيسر "ثلاثا" وهو يقول: أنا-فلان بن فلانه- أرسم برسم الحياة اسم الحي واسم مندا أدهي منطوق علي: نطقنا بكلام النور وضمائرنا نقية مؤمنة بأفكار النور أبارك اسمك وأسبح اسمك إلهي عارف الحياة "مندا أوهي" مبارك ومسبح أنت يا ذا السيماء العظيمة، سيماء الجلال يا من انبعث من ذاته.

ثم يدخل سبابتيه في أذنيه "ثلاثـاً" ويقـول: "أذنـاي يصغيـان لصـوت الحـي" ثـم يستنشق "ثلاثا" ويقول: "أنفي يشم رائحة الحي".

ثم يرش قليلاً من الماء على ركبتيـه "ثلاثـاً" ويقـول: ركبتـاي تثنيـان وتسـجدان للحي ربي.

ثم يرش قليلاً من الماء على رجليه "ثلاثا" ويقول: رجلاي مالكتان طريق العهد والإيمان.

وبعد ذلك يقول:

"رسمي لدي أنه ليس من عبدة النار "المجوس" ولا من أتباع "موسى" "اليـهود" ولا من أتباع المسيح أنه مرسوم بالماء الجاري الرباني مـاء الحـي الـذي لا يجحـد الإنسـان قدرته، اسم الحي واسم مندا أو هي مذكور علي. ثم يرش قليلاً مـن المـاء علـى رأسـه ويقول: -أنا فلان ابن فلانة- تعمدت بعماد بهرام الكبيرين القدرة وعمـادي يحرسـني لأرتفع به إلى العلا. اسم الحي واسم مندا ادهي منطوقان علي.

يقوم بعدها ويغمس أطراف أصابع رجليه في الماء ويقول: "يرفع عن يدي ورجلي تسلط الشياطين والجن اسم الحي واسم مندا ادهيي منطوقان علي".

أما نواقض الوضوء عند المندائيين هي: البول والغائط وخروج الريح ولمس الحائض والنفساء واللحم الأجنبي والأكل قبل الصلاة. والوضوء عندهم فرض لكل صلاة فلا يجوز الجمع بين صلاتين بوضوء واحد.(١)

ب- الغسل "الطماشة":

الاغتسال فرض عند المندائيين ويشترط أن يكون بالماء الحي، ولكن بعد أن اضطر كثير من الصابئين إلى العيش في المدن بعيداً عن الأنهر وينابيع المياه أجاز علماؤهم لهم مؤخراً الاغتسال بمياه الحنفيات على أساس أنها متصلة بخزانات متصلة بمياه جارية في الأنهر والسواقي والآبار النابعة كما جوزوا جلب الماء الحي من بعيد وصبه على المغتسل.

أما كيفية الاغتسال: يقوم الشخص بالارتسام في الماء الجاري ثلاث مرات يقول عقب كل مرة: باسم الحياة العظمى أسأل القوة لتغشني قوة اليردنه الماء الجاري لِتاتي إلي وقد ارتسمت في اليردنة تحت سطحها وقبلت العلامة الطاهرة، لقد لبست أردية النور ووضعت على رأسي إكليلاً متألقاً أن اسم الحياة واسم مندا ادهيي منطوقان علي، أنا -فلان بن فلانة- المتعمد بعماد بهرام الكبير بن القدرة وعمادي سيحرسني ويرفعني إلى أعلى.

وإذا أراد المغتسل الصلاة فعليه أن يتوضأ بعد الغسل لأن الغسل وحده لا يكفي لإقامة الصلاة.

وتعتبر الجنابة من موجبات الغسل وكذلك الحيض والنفاس ولمس جثة الميت ولمس شخص نجس. ويجب أن يكون الغسل من الجنابة ومن لمس جثة الميت حالاً قبل

---

(١) انظر، تعاليم دينية لأبناء الصابئة، ص٢٢-٢٦، الصابئون. عبد الرزاق الحسني، ص٩٠-٩١، الصابئة المندائيون، الليدي دراور، ص١٦٨-١٧٢.

الأكل والشرب[1].

الصلاة "البراخة":

يجب على الصابئي المندائي أداء ثلاثة صلوات في اليوم: قبيل طلوع الشمس "صلاة الصبح" وعند زوالها "صلاة الظهر" وقبيل غروبها "صلاة المساء".

ويقولون: أن الصلاة كانت مفروضة عليهم سبع مرات في سبعة أوقات في اليوم حتى ظهور نبي الله تعالى يحيى عليه السلام فضم بعضها إلى بعض وجعلها ثلاث فروض في ثلاث أوقات.

وتقتصر صلاة المندائيين على الوقوف والركوع والجلوس على الأرض من دون سجود وتستغرق قراءة الأذكار والأدعية فيها ساعة وربع ساعة تقريباً.

ويقرأ في صلاة الصبح ما ترجمته:

١- سبحت إلهي بقلب طاهر "موجود الحي" موجود الله موجود مندا ادهي بشهادة الحي وبشهادة ملك عالم الأنوار الله الذي انبعث من ذاته لا باطل ولا مبطل اسمك يا حي وإلهي وعارف الحياة.

٢- مسبح ربي بقلب طاهر عهداً نحفظه بأسمائكم ربي الحي.

السلام والطهارة لك يا أبا بيت الرحمة.

السلام عليكم يا أبانا القدامى الموقرين.

السلام عليك يا كتب ربي الحي الأزلي الموقر.

السلام عليك يا إلهي يا مرسل الإيمان إلينا.

السلام عليك أيها الملاك الذي عرفنا بالوحي.

السلام عليك أيها الملاك جبريل.

---

(١) عبد الرزاق الحسني، الصابئون، ص٨٩. الصابئة المندائيون، الليدي دراور، ١٦٩، وما بعدها.

السلام عليك يا سيدي إبراهيم العظيم.

السلام عليك يا أم الحياة.

السلام عليك يا يحيى

السلام عليك يا شيت بن آدم الأول.

السلام عليك أيها الملاك سام.

السلام والطهر عليكم أيها الملائكة والمساكن والحياة والجماعات وعلى ساكني عالم الأنوار جميعاً.

السلام عليكم والزكاة وشفع الخطايا تهدي لهذه النفس -نفس- فلان بن فلانة- التي ذكرت في هذه السورة وطلب الرحمة وشفع الخطايا إلي أنا.

٣- مسبح ربي عهدا محفوظاً بأسماء الحي ربي قوموا، قوموا أيها الأبرار المتعبدون قوموا يا عباد يا مؤمنون، قوموا وسبحوا وسبحوا الحي ربي وسبحوا للملك السلام وسبحوا للأسرار الخفية النورانية.

٤- باسم الحي ربي للحي سجدنا وللرب ومندا ادهيي ونسبح لذياك الجلال الموقر الذي انبعث من ذاته(١).

ويقرأ في صلاة الظهر الفقرة الأولى والثانية مما سبق في صلاة الصبح ثم يقول: بسم الحي ربي أنا الحي القيوم سجدنا ولربنا ولمنداد ادهي سبحنا ولذياك ذي الجلال الموقر الذي خلق من ذاته.

ويقرأ في صلاة المساء:

١- بأسماء الحي ربي الوقت، لطلب الرحمة، والآذان لتلاوة السور تعالوا أيها اليقظون، جبريل يعلم الساعة، وشيتل يترنم بالتراتيل كل إنسان يتعمد بالعماد يسلم ويستقيم بتلاوة السور.

---

(١) تعاليم دينية لأبناء الصابئة، ص٣٢، الصابئة المندائيون، ص٣٥١، وما بعدها.

٢- باسم الحي ربي للحي سجدنا ولله ومندا ادهيي سبحنا ولذاك ذي الجلال الموقر الذي انبعث من ذاته.

ويقرأ المندائي في نهاية كل صلاة الآتي:

"عهداً نحفظه بأسماء الحي ربي المتربع على عالم الأنوار العالم بكل عبادة السلام والزكاة لكم يا ذا القوة والحق يا صاحب الأمر والنهي وهادي القلوب أتشفع خطاياي أنا -فلان بن فلانة- بقوة ياور زيوة وسيمات هيي"[(١)].

ويعتبر يوم الأحد (الهيشيا) يوماً مقدساً إذ تقام فيه غالبية طقوسهم حيث يعطل العمل فيه، وتقام صلاة خاصة به تتلى بعد الانتهاء من صلاة الصبح أو صلاة الظهر، ولديهم صلاة كثيرة مستحبة منها صلاة عيد السبت أيام أو ليلة القدر إذ تقتصر على الوقوف فقط مع قراءة الأدعية والتراتيل الدينية، وصلاة الكاهن وهي أطول صلاة لديهم[(٢)].

وقبلة الصابئة المندائيون نحو الشمال، يقول الشيخ رافد الشيخ عبد الله عضو المجلس الروحاني للطائفة الصابئية في العراق (أن قبلتنا باتجاه الشمال تمثل في اعتقادنا وجود عالم النور بهذا الاتجاه، ودليلنا إلى الشمال جغرافياً هو النجم القطبي أو نجعل يدنا اليمنى باتجاه شروق الشمس)[(٣)].

وينحني المصلون في صلاة الصبح والظهر والمساء كلما ذكرت كلمة السجود.

والصيام من أركان دينهم قال النبي يحيى (وأمركم بالصيام فإن مثل ذلك كمثل رجل معه صرة من مسك في عصابة، كلهم يجد ريحاً، وأن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك)[(٤)].

---

(١) الصابئة المندائيون، ص٣٥٢، تعاليم دينية لأبناء الصابئة، ص٣٤-٣٥.

(٢) الصلاة المندائية وبعض الطقوس الدينية، الشيخ رافد عبد الله نجم، ص٣٧، مطبعة شركة التايمس، بغداد ١٩٨٨م.

(٣) قال ذلك خلال مقابلة المؤلف له في بغداد بمنزلة، بتاريخ ٢/٢/١٩٩٦.

(٤) تاريخ الصابئة المندائيين، ص٩١، نقلا عن مجلة التراث الشعبي، العددان ٦-٧، السنة الخامسة، ص٦٤، ١٩٧٤.

ويؤكد ابن النديم فرض الصيام عند الصابئة فيقول (والمفترض عليهم الصيام ثلاثون يوماً، أولهما لثمان مضين من اجتماع آذار، وتسعة أخر أولها لتسع بقين من اجتماع كانون الأول، وسبعة أيام أخرى. أو لثمان مضين من شباط[1].

وفي حقيقة الأمر لم يخل دين من الأديان القديمة من ذكر الصوم وفرضه وتعين مدته وكيفيته -إلا دين زرادشت- ففي أخبار قدماء البابليين والأشوريين والمصريين والهنود.. ما ينبئ بأن الصوم عبادة عرفها البشر منذ القدم.

والصابئة اليوم يصومون بالامتناع عن أكل اللحوم المباحة لهم والسمك والبيض (٣٦) يوماً متفرقة بأيامها على طول السنة ويسمون هذه الأيام (مبطلات) حيث يبطل فيها النحر، وقد ورد في (كنزا ربا) ما ترجمته:[2]

"يا أيها المؤمنون لقد قلنا لكم أن الصيام الأكبر ليس بامتناعكم عن الأكل والشرب وإنما غض البصر عن النظرات الشيطانية والسيئة وعدم استراق السمع لأقوال الناس في بيوتهم. لا تتفوهوا بالكذب والأقوال السيئة وطهروا قلوبكم من الحسد والضغينة وعقولكم من الأفكار السيئة والشريرة والمنافقة لأن المنافقين ليسوا بمؤمنين.

الصوم هو أن لا تقتلوا ولا تنهبوا ولا تسرقوا.

الصوم هو أن لا تقربوا غير نسائكم.

الصوم أن لا تنحنوا للشياطين والأصنام وآلهة الكذب.

الصوم هو أن لا تسيروا في الطرق الخاطئة.

والأيام المبطلة لديهم والتي يحرم فيها الذبح هي:[3]

---

(١) الفهرست ابن النديم، ص٣١٩، مكتبة خياط.

(٢) تاريخ الصابئة المندائيين ص٩٢، انظر العبادات في الأديان السماوية للمؤلف، ص٥٥.

(٣) تاريخ الصابئة المندائيين،ص٩٣.

الشهر	اليوم
١- شباط (شهر العيد الكبير)	من ١-١٤ و ٥٥
	٢٥
٢- آذار	....
٣- نيسان	١، ٢، ٣ ٤
٤- أيار	....
٥- سيوان	٩، ١٥، ٢٣
٦- تموز	....
٧- آب	٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠ (الأيام الخمسة التي تسبق البنجة)[1]
٨- أيول، شهر البنجة	١- (بعد البنجة مباشرة).
٩- تشرين	....
١٠- شروان	٢- (اليوم الأول من عيد (دهفة ديمانه) ويقع في اليوم الأول من شهر حزيران
١١- كانون	٢٨ ، ٢٩ وهي آخر أيام السنة المندائية
١٢- طابيث	

والمحرمات عند المندائيين هي:[2]

١- القتل والقتال إلا في حالة الدفاع عن النفس.

٢- احتساء الخمر حتى السكر، ولعب الميسر مطلقاً.

٣- الأكل والشرب والاشتغال قبل الاغتسال من الجنابة.

٤- قطع الطريق وسلب المارة.

---

(١) عيد البنجة أي عيد الخليقة.

(٢) الصابئون، عبد الرزاق الحسني، ص٣٩.

٥- الاشتغال في الأعياد وفي أيام الأحد.

٦- الفتنة والغيبة والنميمة.

٧- الحبس عن دين مهما كانت مدته.

٨- حلق الذقن والشارب أو الأخذ منهما.

وأمرهم نبيهم يحيى بالصدقة إذ قال (وآمركم بالصدقة "زدقه" وأن مثل ذلك كمثل رجل أسره العدو فشدوا يده إلى عنقه، وقدموه ليضربوا، عنقه فقال: هل لكم أن أفتدي نفسي منكم؟ فجعل يفتدي نفسه منهم بالقليل والكثير حتى فك نفسه)[1].

والصدقة من أركان دينهم وفرضاً دينياً واجباً على كل مندائي، وتتعدد الصدقة بتعدد المناسبات وأهم هذه الصدقات هي: [2]

١- الصدقة التي يقدمها المرشح للكهانة.

٢- صدقة المعبد ويتطلب القيام بها ثلاث كهان، وثلاثة طواقم وفيها يدخل (الكنزفرة)[3] إلى المعبد مع المساعد الذي يكرس أربع وعشرين فطيرة ويجعلها في صفين وحين يلتحق به الكهان الثلاثة يكرس كل منهم (٢٤) فطيرة ويضعونها في صفين، صف باثنتي عشرة، وصف باثنين، ثم تقدم صدقة مباركة.

٣- صدقة شيتل[4] ويقوم بإجرائها ثلاثة كهان أحدهم الرئيس الديني للطائفة (الكنزفره) وتقام للميت دون إكليل.

٤- صدقة الكنزفره الجديد، ويقوم بها الكنزفره المرشح بجميع المراسم وتكريس الفطائر الست والستين ويتبع ذلك تقديم صدقة ودعاء.

٥- صدقة تقدم لمن يموت في أحد الأيام المبطلة عند الصابئة مثل يوم الثاني

---

(١) تاريخ الصابئة المندائيين، ص١٣٠.

(٢) تاريخ الصابئة المندائيين، ص١٣٠.

(٣) درجة دينية عالية.

(٤) شيث من أولاد آدم.

والعشرين من أول شهر بالسنة المندائية واليوم الخامس والعشرين ما الشهر التالي، والأيام الأولى من شهر أيار وغيرها.

٦- صدقة آدم وتقام لمن يموت في يوم من الأيام المبطلة الكبرى (في الأيام الخمسة التي تسبق عيد البنجة، وفي اليوم الذي يلي اليوم المقدس عند الصابئة. وفي اليوم السادس والسابع من السنة الجديدة. كما تقام على روح من يموت من عضة كلب أو حيوان مفترس أو حية أو لسعة عقرب أو نتيجة حادث ويقوم بإجرائها سبعة كهان.

٧- صدقة ساما نديريل: ويقوم بإجرائها ثمانية كهان على أن يكون أحدهم كنزفره، وتقام لمن يموت على أثر سقوطه من نخلة أو يموت محترقاً أو غريقاً في نهر.

٨- وتقام صدقة أخرى إذا مات أحد الزوجين بعد الأيام السبعة الأولى دون أن يتناول طقوس التعميد اللازمة.

وإذا خرج الصابئي من ديانته حرم من الميراث ويقوم الابن الأكبر بتقسيم الميراث على العائلة بعد وفاة والده، والمتبع عندهم في تقسيم الإرث بشكل عام هو نظام التشريع الإسلامي، أما الوصية فغير محرمة في العقيدة الصابئية بشرط أن يكون الموصي قد أنفق من ماله على الفقراء والمحتاجين بدون مَنٍ أو أذى أو نشر ذلك بين الناس إظهاراً لكرمه وافتخاراً بنفسه، ومن يفعل ذلك لا يحق له أن يوصي كما يفقد جزاء عمله وإنفاقه[١].

أما فريضة الحج فلا أثر لها في كتبهم المقدسة، وفي مقابلة أجريتها مع د. صبيح مدلول بادي الأستاذ في جامعة بغداد وهو صابئي الديانة قال: لم يشرع فرض الحج في كتابنا المقدس (الكنزاربا) ولا في سائر كتبنا المقدسة ولكننا نجيز زيارة قبر نبينا يحيى عليه السلام الموجود في أروقة المسجد الأموي بدمشق، ويحبذون زيارة المراقد الشريفة لأئمة الإسلام من أهل البيت في كربلاء والنجف والكاظمية في العراق.

---

(١) تاريخ الصابئة المندائيين، ص١٦٠.

الفصل الثاني

الأحكام التشريعية في الديانة اليهودية

المبحث الأول: الصلاة في الشريعة اليهودية

المبحث الثاني: المفهوم الديني للصدقة في الديانة اليهودية

المبحث الثالث: الصيام بين الشريعة والأحبار والكهان

المبحث الرابع: منهج الحج وتطوره في الشريعة اليهودية

المبحث الخامس: نماذج من الأحكام التشريعية عند اليهود

المقدمـة:

أنزل الله تعالى التوراة على نبيه موسى عليه السلام الحاوية على الإقرار بوحدانية الخالق والاعتراف باليوم الآخر وما فيه من ثواب وعقاب وحساب، وفيها تشريعات منظمة للحياتين الدينية والدنيوية لبني إسرائيل. وأنزلت الألواح على موسى عليه السلام وهي شبه مختصر لما في التوراة ودعى أنبياء بني إسرائيل شعبهم إلى عبادة الله الواحد الأحد وإقامة فروض الطاعة والتقديس له، وإقامة الصلاة وإيتاء الصدقة (الزكاة) والصيام وزيارة (حج) بيت المقدس. هذه هي عقيدتهم المنزلة من لدن البارئ جل شأنه.

وبمرور الزمن تطور المفهوم الديني عند اليهود وتغير سواء في جانب العقائد أو في جانب العبادات. فآمنوا بـ (يهوه) إلهاً خاصاً بهم دون غيرهم من الأمم، إلهاً محارباً، متعايشاً معهم وهو القائل (سأدمر كل الشعوب التي تقف بوجه اليهود). ولم يوضح العهد القديم بجميع أقسامه فكرة عبادة (يهوه) التي لازمت اليهود بعد تحريف ديانتهم ويتجلى تأثير الفلاسفة واضحاً في تفسيراتهم الباطنية الرمزية لبعض العقائد التي آمنوا بها مثلما عمد إلى ذلك الفيلسوف اليهودي (فيلون) الذي أحدث بأدائه ثورة دينية في بني إسرائيل. إن نظرة اليهود إلى (يهوه) نظرة استعلائية نابعة من إيمانهم بالثالوث المقدس (يهوة، والشعب الإسرائيلي المقدس "المختار" والأرض المقدسة) لذلك فاليهود لم يؤمنوا بجميع الرسل والأنبياء بل كذبوهم ومن أبرزهم عيسى ومحمد عليهما السلام. وقتلوا فريقاً منهم وكذبوا آخرين، فكانت علاقتهم بالأنبياء علاقة تحد وعدم ثقة.

وتؤمن الديانة اليهودية بوجود الملائكة ولكن اليهود يعادون بعض الملائكة وخاصة جبرائيل، وذكر جبرائيل مرة واحدة في التوراة في موضع ذم، أما الحساب بعد الموت فلا يؤمنون به إذ يعتقدون أن الشرير يحاسب على أفعاله في الدنيا فور ارتكابه الشر، والشرير يموت ولا يحيا (النفس التي تخطئ هي تموت) (حزقيال١٨/٤). أما الخير فهو الذي يحيا بعد موته ويدخل الجنة.

ونظراً لاختلاطهم بشعوب أرقى منهم فكراً وتنظيماً عمدوا إلى اقتباس صور من طقوسهم لذا لا يمكن للباحث تفهم نمط عباداتهم وطبيعتها شكلاً ومضموناً بمعزل عن التأثيرات الخارجية. وتختلف فرائضهم الدينية باختلاف فرقهم سواء ما كان منها مكتوباً أو مروياً فالسامريون لا يؤمنون إلا بأسفار موسى الخمسة والقراءون لا يقدسون إلا العهد القديم (التوراة والأنبياء والكتب، والصحف المقدسة) أما الكثرة المطلقة من اليهود المعرفون بالربانيين فإنهم يؤمنون بالعهد القديم والتلمود يقول د. غوستاف لوبون (لم تكن الديانة اليهودية في كل زمان مطابقة لما نسميه اليوم باليهودية)[1].

وفي التراث اليهودي الديني نقاطاً جوهرية حول النبوة والأنبياء لعل أبرزها[2] إن من أنبيائهم من كانت دعوته بمجرد امتلاء حماس وشعور مفعم بالجذب ولا يتحقق ذلك إلا بوجود رسالة موحاة ينبغي تبليغها إلى الخلق، إضافة إلى عدم وجود أي أثر استدلالي فكري في النبوءة اليهودية فتعليم النبي يعني بالمراسِ لا بالنظرية كما أن رجوعه لا يكون للعقل أو النظر ولكن للإرادة.

وتعتبر التوراة الحالية (المحرفة) هي الصانع الأساسي للعقيدة اليهودية التي تحوي كل معتقداتهم وطقوس عباداتهم، وبدونها لا يمكن سبرغور الدين اليهودي المعمول به آنياً.

وعند إلقاء نظرة شمولية لبدايات التشريع اليهودي يجد القارئ صعوبة بالغة في تحديد المسار الفقهي لنمطية الطقوس والشعائر اليهودية لأنه تاريخ متغير ومتجدد ومتطور على الدوام فكأنك تعيش في وسط مجموعة لا متناهية من التشريعات والطقوس لدين واحد يسمى اليهودية، ويمكن إرجاع ذلك كله إلى عدم تحديد التوراة (الآنية) للشعائر التعبدية بالوسيلة الممكن معها تحديد ملامحها وطقوسها هذا من ناحية ومن ناحية أخرى التأثير الكبير للأقوام التي سبقت وجود اليهود في المنطقة أو تلك التي عاش اليهود وسطها.

---

(١) اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، غوستاف لوبون، ص٥٩، نقله إلى العربية عادل زعيتر مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، مصر ١٩٧٠.

(٢) الإسلام بين الأديان، د. محمد كمال إبراهيم جعفر، ص٢٩٧، مكتبة دار العلوم، القاهرة، ١٩٧٨.

المبحث الأول

الصلاة في الشريعة اليهودية

عاش اليهود تاريخاً متطوراً ومتجدداً كل حين، إذ يمتاز نظامهم التعبدي بتنوع مظاهره وطقوسه التي تمتزج فيه الشعائر التعبدية بالمعتقدات الوثنية التي ترى في الصلاة طريقاً للوصول إلى القوة الكامنة في المعبود ومحاولة سبر أغوارها لذا فقد اعتمدوا السحر والشعوذة وأدخلوها في مضامين صلواتهم حتى قيل أنها سلوك ظاهري جسدي للعبادة متمثل بالركوع مع حني الرأس للأمام كي تمس جبين المصلي الأرض، مع اتخاذ وضع الجلوس المصحوب بتقبيل الأرض الذي يعزز من ذلك السلوك(١).

والصلاة (هي الوسيلة الملزمة لتأدية عمل من الأعمال وهذه الظاهرة نتبينها في العهد القديم من الطريقة التي يعبر بها المصلي عن احترامه لله)(٢).

وأشهر مصطلحات الصلاة عند اليهود مصطلح (تافيلا) وتدل حسب ما ترجمها المستشرق الهنغاري (جولدتسيهر) بالابتهال إلى الله كحاكم، والاستسلام له(٣).

واستعمل اليهود كلمة (صلوته) للدلالة على الصلاة في الأزمنة المتأخرة من عهد التوراة وأصبحت كلمة مألوفة وذات معنى ديني خاص(٤).

---

(١) ١١٩ Encyclopedia of Religion Edited by James Hstiwgs Vol. ١

(٢) اليهودية واليهودية المسيحية، ص٧٢.

(٣) Hertzoerg Arthur. Judaism prayer p.٢٢٧.

(٤) تاريخ الصلاة في الإسلام، د. جواد علي، ص٧.

وامتزجت الصلاة لديهم بفريضة تقديم القرابين قبل وقوعهم في السبي ثـم منعـوا مـن تقديم القرابين بعد السبي، وعدّ اليهود قراءة نصوص من التوراة صلاة في غير أوقاتها.

ويصور سفر التكوين (الإصحاح ١٢: ٧) نظرة صوفية متشددة حيال المصلـي إذ يرى بأن جسر المصلي يستطيع أن يتلبس في جسد معبوده، ولكن هـذه النظـرة خفـت وطئتها بمرور الزمن بسبب نزول الأنبياء الذين عمدوا إلى استخلاص الوحدانية المطلقـة لله تعالى وبصفاته المقدسة التي تبعد الذات الإلهية عن كل ما يشوب وحدانيتها.

ورأوا في الصلاة انبعاثاً جديداً لدينهم في الفترة التي أعقبت تدوين التوراة (ويـرى بعض الباحثين في تاريخ التشريع اليهودي أن الصلاة اليهودية بدأت ببداية خلق الكـون باعتبار أن ديانتهم أول الديانات السماوية الموحدة كتابياً، ويعتقدون أن أول يوم الخلق هو (٧ أكتوبر) سنة ٣٧٦ ق.م)[١].

واستدل فقهاء اليهود على تشريع الصلاة من نص ورد في سفر التثنية وهو (وتحبه وتعبد الرب الهك من كل قلبك ومن نفسك).

قال أحد علماؤهم (أن يعقوب قال لأولاده: ماذا تعبدون من بعدي ؟قالوا: أسمـع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد فحب إلهك من كل قلبك ، مـن كـل قوتـك ولتكـن هذه الكلمات التي أوصيك بها اليوم على قلبك)[٢].

والشهادة في عرفهم توحيد الله صباحـاً ومسـاءاً الـذي لا يسـمح بتصويـره ماديـاً وتقرأ في صلاتي الصبح والمغرب فقط كمـا أنـهم يعتقـدون أنـها تطـرد الشـر والحسـد والأذى وأنها تطفي نار جهنم[٣].

واستعداداً للشـهادة يتلـى دعـاءان الأول يمجـدون الله فيـه والملائكـة وفي الثـاني

---

(١) الصلاة في الأديان الثلاثة، أحمد التهامي، ص٧٣.

(٢) الكلام لرئيس الطائفة اليهودية في بغداد الحاخام (روبين ناجي).

(٣) تاريخ الصلاة في الإسلام، د. جواد علي، ص١٥.

يمجدون الله لأنه أعطاهم الوصايا العشرة والتعاليم الواردة في التوراة[1].

وكان الدعاء عندهم قرين الصلاة فهم يمزجون الصلاة بالدعاء حتى غلب الدعاء على الصلاة شكلاً ومضموناً وهو ما تجسد واقعاً عندما منعهم الفرس أيام السبي من أداء كامل صلواتهم بعد ما رأى الفرس أن صلاة اليهود ما هي إلا دعاء على الأمم بالبوار والخراب، وصاغ اليهود أدعية سموها (الحزانة) مزجوها بصلواتهم وصاغوا لها ألحاناً عديدة فاجتمعوا على تلاوتها حتى يميزوها عن الصلاة، فلما أنكر الفرس ذلك عليهم قالوا نحن نغني وننوح على أنفسنا فخلّوا سبيلهم[2].

(ولم تخرج الصلاة بمعناها العام عن مفهوم الدعاء واتخذت مسارها للأداء الملتزم للوقوف والجثو والركوع والسجود والانبطاح على الأرض إلا في زمن دانيال وعزرا)[3].

ويؤكد المستشرقان (كارمروجيب) أن الركوع والسجود من أوليات طقوس الصلاة عند الديانتين اليهودية والمسيحية[4] ويعد ركوع داود عليه السلام أقدم ذكر للركوع في القرآن الكريم. قال تعالى ﴿ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾[5].

ويحبون تغطية الرأس عند الصلاة بغطاء يسمى (كيبوبي) إذ يرون أن الله سبحانه وتعالى أوصى لموسى عليه السلام بأن على هارون ونسله أن يلبسوه تعبيراً عن الاحترام

---

(١) مجلة ما بين النهرين، عدد ٧٧، لسنة ١٩٩٢، ص٤٣، مطبعة الأديب البغدادية من مقالة بعنوان (صلاة الصبح الطقسية في العهد القديم) للدكتور جاك إسحق.

(٢) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى. الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر قيم الجوزية، ص١٦٦، مطابع يوسف بيضون، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ، ١٩٨١م.

(٣) الفكر الديني الإسرائيلي، د. حسين ظاظا، ١٦٩.

(٤) الفكر الديني الإسرائيلي، ص١٧١.

(٥) سورة ص الآية ٢٤.

للنصوص والمقدسة التي يقرؤونها في صلاقم[1].

وكان اليهود قديماً يلبسون القلنسوة وفوقها منديل صوفي دقيق أثناء أداءهم الصلاة[2].

والطهارة لديهم نوعان: [3] صغرى وكبرى. فالكبرى تتمثل بغطس الرجل أو المرأة ثلاثة مرات في الماء، وتتربص المرأة قبل الغطس إثر الولادة أو الإجهاض وعليها أن تنتظر خمسة عشرة يوماً قبل التطهر بالغسل وتقضي الأسبوع الأول في التربص لما قد يطرأ خلاله من ظهور بعض بقايا دم الحيض ثم تطهر وتحل.

أما الطهارة الصغرى فيقوم بها اليهودي يومياً قبيل كل صلاة وهي تشبه عملية الوضوء في الإسلام وكيفيتها هي أن يأخذ اليهودي لتراً من الماء الطاهر وعلامة طهارته صلاحيته للشرب. ولا يعتد عندهم بماء البحر أو الماء المالح. ثم يبدأ بغسل اليدين ثلاثاً قبل إدخالهما في الإناء ثم يغسل بعد ذلك كامل الوجه ثم يتمضمض ثم يعمد إلى مسح وجهه بمنديل ثم يتبع عملية الغسل بالدعاء حمداً لله الذي أعطاه الماء طهوراً[4].

وفي الوقت الحاضر يكتفي اليهودي بغسل اليدين فقط معللين ذلك بأنه قديماً كانوا يغسلون الرجلين لأنهم حفاة أمام الرب ولأن الأرجل دائماً نظيفة فلا حاجة لغسلها، وإذا لم يوجد ماء فإنهم يتطهرون بالتراب وكيفيتها: هو أن ينظف يديه بالتراب بحيث يغرقهما به وبذلك تتم الطهارة.[5]

وكانوا ينادون للصلاة قديماً عند حلول وقتها بالنفخ في الأبواق المصنوعة من سن قرون الكباش ومن المعدن والآن هم يستخدمون الأجراس[6] وقبلتهم إلى جهة الغرب

---

(١) الصلاة في الأديان الثلاثة، ص٦٣، المدخل لدراسة المذاهب والأديان، ١٨٦/١.

(٢) موسوعة الكتاب المقدس، ص٣٠، إصدار دار منهل الحياة، لبنان ١٩٩٣.

(٣) الصلاة في الأديان، ص٨٤.

(٤) الصلاة في الأديان الثلاثة، ص٨٤.

(٥) الصلاة في الأديان الثلاثة، ص٨٤.

(٦) مجلة بين النهرين عدد ٦٩/٧٠، لسنة ١٩٩٠، ص٧٦، انظر سفر العدد ١٠/١٠.

(مغارب الأنوار) وإليه تمت الإشارة في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ ﴾[1].

ويعلل أشهر فقهاءهم (موسى بن ميمون) اختيارهم لجهة الغرب لسببين[2]:

الأول: امتثالاً لقول التوراة (سكينة في الغرب).

الثاني: إن عابدي الأوثان كانوا يعتمدون لبناء هياكلهم وقصورهم فوق الأماكن المرتفعة خاصة الجبال وإن سيدنا إبراهيم عليه السلام أختار جبل (الموريا) وأعلن فيه التوحيد وحددها لعين المغرب لأن قدس الأقداس يقع في الغرب من جهة هياكل الوثنيين التي تقع في جهة الشرق، والنبي إبراهيم عليه السلام ميز هذا البيت بالوحي وكان معلوماً لموسى عليه السلام نظراً لوصية إبراهيم عليه السلام لأحفاده بأن يكون هذا البيت بيت عبادة، ولكن التوراة لم تصرح أو تشخص إلى جهة الغرب بل أشارت إليه فقالت (فأي موضع تخيره الرب)[3]. وتمثل جهة الغرب الجهة إلى بيت المقدس.

وعند موسى بن ميمون ثلاثة حكم في اختيارهم لجهة الغرب وهي: [4]

١- أن لا تتمسك به الأمم وتحارب عليه حرباً شديدة إذا علموا أن هذا الموضع هو غاية الشريعة في الأرض.

٢- أن لا يفسره الذين هو الآن في أيديهم غاية ما يمكنهم.

٣- وهي الحكمة الأكيدة أن لا يطلب كل سبط أن يكون ذلك لذاته ويفوز به فيقع من الخلاف والفتنة مثلما وقع في طلب الكهانة.

واهتم الأنبياء بالصلاة باعتبارها الشعور الديني المعمق الذي يربطه الإنسان بربه

---

(١) سورة القصص الآية٤٤.

(٢) دلالة الحائرين، موسى بن ميمون ص٦٦٠-٦٦١، انظر معجم اللاهوت الكتابي، ص٥٢٢.

(٣) دلالة الحائرين، موسى بن ميمون، ص٦٦١، معجم اللاهوت الكتابي، ص٥٢٢.

(٤) دلالة الحائرين، ص٦٦٦.

فنجد أن لبعض الأنبياء صلاتين أحدهما باطنية تعبر عما يختلج أنفاسه من شعور، وأخرى ظاهرة تشتمل على مختلف الآراء المفصلة بالدعاء والرجاء لله تعالى[١].

وقديماً صلى اليهود واقفين وراكعين، وكانوا يثنون ركبهم في أثناء الصلاة، وهي عادة كان الجميع يؤدونها عند وقوفهم أمام ملوكهم كما حدث عند وقوفهم أمام هامان الوزير[٢]، وصلى سليمان النبي عليه السلام (راكعاً ويداه مرفوعتان إلى السماء)[٣]. وأيليا (صعد إلى رأس جبل الكرمل وخرّ على الأرض وجعل بين ركبتيه)[٤]، وقول عزرا (وجثوت على ركبتي، بسطت يدي نحو السماء وقلت..)[٥]، أما دانيال فكان (يجثو على ركبتيه ثلاث مرات في اليوم ويصلي ويعترف)[٦].

وأوجب اليهود وطهارة الموضع الذي يصلون فيه من النجاسات، وجعلوا بيوت عباداتهم خالية من الصور والتماثيل لأنهم أهل توحيد لذا فهم لا يصلون في كنائس النصارى لقولهم بالتثليث النافي للوحدانية، كما أنهم لا يجوزون الصلاة في المقابر لأن الميت نجس ولا في بيوت الراحة والمزابل[٧] واشترطوا الطهارة الجسدية للمصلي امتثالاً لقول الرب (واستعد للقاء إلهك يا إسرائيل)[٨].

ويتوجه للبيعة لغرض التطهر كل من لمس جثة ميت أو أجرى اتصالاً جنسياً أو لمس الحشرات أو دم الحيض والنفاس والخنزير، وكأنه بذهابه للبيعة يعلن طهارته من جديد لخالقه.[٩]

---

(١) انظر سفر الملوك الأول: ٤/١٦، ارميا ١٤/٧ و ٢٠/٧ و ١١/٦ و ١٥/١٠.

(٢) سفر الملوك الأول ٥٥/٨.

(٣) سفر الملوك الأول ٤٢/١٨.

(٤) سفر عزرا ٤/٩-٥.

(٥) انظر دانيال ١١/٦.

(٦) سفر أشعياء ١٣/٢٩.

(٧) Encyclopedia International Vol.10 p67. Copyright Grolier Incorporated. 1963

(٨) الصلاة في الأديان الثلاثة ص٨١.

(٩) الصلاة في الأديان الثلاثة، ص٨١

وسميت مساجدهم بالمحاريب، والقرآن الكريم أطلق عليها لفظ (بيع) ومفردها بيعة، ويسميها يهود العراق (التوراة).

ويعد كتاب (الصلاة اليهودية) أقدم كتاب لديهم يشتمل على مجموعة الصلاة اليومية إذ وضع في بابل في الفترة الممتدة من ٨٤٦-٨٦٤م. وهو يختلف في وصفه للصلاة عن الصلاة اليهودية الحالية وبقي ما ينوف على الألف سنة بدون طبع إلى أن طبع في (وارشو) سنة ١٨٦٥م، ووضع (سعدي الجأون) رئيس مدرسة (سورا) في بابل كتاب (سدورا) للصلاة بين سنة ٩٢٨-٩٤٢م، يحتوي على صلاتين من وضعه عرب إحداهما بنفسه، وعرّب الأخرى (حمسح بن يوسف) كما وضع موسى بن ميمون كتابين للصلاة هي (سيدورتفلون كل هشاتا) وكتاب (الياد) طبع مع ترجمة له بألمانيا في بطرسبرج في سنة ١٨٥١م.[١]

إن هذا الكتاب يتحدث عن الله سبحانه وتعالى في منحه الخير وفرضه الصلاة عليهم إنما يجدد يومياً عملية الخلق، والإنسان هو جزء من الخليقة فعليه أن يوهب روحه وجسده لمرضاة الله أثناء وقوفه للصلاة بين يدي خالقه[٢].

والصلاة المعهودة لديهم لم توضع إلا بعد السبي وفي عهد الأنبياء وبعد تأسيس أمكنة العبادة والهيكل وخيمة الاجتماع وعند تقديم باكورة الأثمار وبعد الانتهاء من الأعشار وهو ما اتفقت عليه جميع مصادرهم التاريخية.[٣]

وورد في كتاب (دانيال) ذكر عدد الصلاة مستدلين بقوله (إذ ركع على ركبتيه ثلاث مرات باليوم وصلى وشكر أمام ربه[٤].

---

(١)مجلة معهد الإسكندرية الديني ١/١٤١.

(٢)مجلة معهد الإسكندرية الديني ١/١٤١.

(٣)المدخل إلى دراسة المذاهب والأديان ١/١٧٩-١٨٠.

(٤)سفر دانيال: ٦/١-٢، سفر التثنية ٢٦/٥-١٠.

واستدلوا من المزمور (٥٥) على أوقات الصلاة (الصباح والظهر والمساء).

وقبل إقامة الصلاة يستحضر المصلي النية (كوانة)[١] في قلبه، ويرى بعض المسلمين أن التبريكات المعروفة باسم (تفلاة) تقابل تكبيرة الإحرام عند المسلمين وهو رأي لا صحة له لأن هذه التبريكات هي أدعية تسبق الصلاة عند اليهود، وترى موسوعة الأديان أن هذه الأدعية (تفلاة) تعني الوقوف في الصلاة أثناء قراءتها، واشترطوا أن يكون لباس المصلي محتشماً وأن تغطي شعر رأسها بغطاء سموه (خيليا)، وعند ذكرهم في الصلاة لاسم الله تعالى يدفعون أجسامهم في حركة إلى الأعلى بالوقوف على الأصابع برهة ثم يدعون دعاء توسل.[٢]

وفي زمن أنبيائهم بعد موسى عليه السلام أدخلوا على الصلاة تعديلات وإضافات وذلك بقراءة نصوص من العهد القديم لم تكن تقرأ من قبل، واستخدموا (الشال) الذي يوضع على الكتفين، وهو مصنوع من نسيج أبيض أو مستطيل الشكل في كل زاوية من زواياه حلية وثمانية أهداب أربعة منها بيض وتعرف بالعبرية (صيصت) وهي رمز لطلوع الفجر، والأخرى متفاوتة في زرقتها، والشال قسمان: صغير ويرتدى في الصلاة الفردية، وكبير يستخدم في الصلاة الجماعية كيوم السبت والأعياد وأهداب الشال تقوم مقام المسبحة عند المسلمين يسبح بها المصلي وعادة ما يكفن الميت بالشال الكبير، وهم يرون في الشال (رداء روحي تلف به أرواحهم عند الصلاة فيجعلهم وكأنهم ملائكة قديسون أصفاهم الله بحسن عنايته ورعايته)[٣].

واستحدث اليهود في صلاتهم (التفلين) أو (التفليم) وهو عبارة عن (قطعتين من ورق مكتوب من كل منها بعض أسفار التوراة مثل (اسمع يا إسرائيل) داخل علبتين

---

(١)دائرة المعارف الإسلامية ١٤/٢٨٤.

Encyclopedia of Religion and Ethict p221(٢)

Anthorized Dary Hebrew English Singers, London, 1966 p.1(٣)

صغيرتين من جلد الغزال أو أي جلد آخر، توضع فوق الذراع الأيسر مقابل القلب وتثبت بسير من جلد يلف على الذراع ثم على الساعد سبع لفات ثم على اليد[1].

وتثبت الثانية بسير أيضاً بعصابة فوق أعلى الجبهة في الوسط مقابل المخ ثم يعود ويتم لف السير الأول ثلاث لفات على الإصبع الوسطى أو الإبهام وإن كان المصلي أشول وجب عليه أن يربطها إلى الكف اليمنى ويتلو المصلي (وأخطبك لنفسي إلى الأبد وأخطبك لنفسي بالعدل والحق والإحسان والمرام وأخطبك لنفسي بالأمان وتعرفين الله)[2].

وعند وضع حافظة الذراع يقرأ (مبارك أنت يا الله الهنا الذي قدسنا بوصايا وأوصانا بوضع التفليم)[3] كما يقال وضع حافظة الذراع مثل القول (وأخطبك لنفسي..) ويراعى أن يوضع التفليم وقوفاً ولا يكون هناك فاصل بينهما وبين الجسم كخاتم، وساعة وأن يلزم السكون وقت وضعها، وبعد الانتهاء من الصلاة يزال التفليم حسب ترتيب الوضع فتفك لفات الإصبع أو لا ثم تفليم الرأس ثم لفات الساعد والذراع ثم الحافظة)[4].

واستند فقهاء اليهود في فرض (التفليم) على فهم حرفي ظاهري للقول الوارد في التوراة (وثبتها على يدك ولتكن عصائب بين عينيك) والحقيقة المراد هنا هو المعنى المجازي وهو التمسك بها كما يتمسك الإنسان بشيء تميز في يده[5].

ولا يوضع التفليم في أيام السبوت والأعياد ويوم الغفران بل يلبس في باقي أيام الصلاة الأخرى.

---

(١) المدخل إلى دراسة المذاهب والأديان ١/١٨١، اليهودية واليهودية المسيحية، ص٧٦.

(٢) اليهودية واليهودية المسيحية، ص٧٦، انظر كتابنا العبادات في الأديان السماوية، ص٨٥.

(٣) اليهودية واليهودية المسيحية،ص٧٦.

(٤) اليهودية واليهودية المسيحية،ص٧٦.

(٥) الفكر الديني الإسرائيلي، د. حسن ظاظا، ص١٨٢-١٨٣.

والصلاة عندهم نوعان(1): شخصية ارتجالية وتتلى حسب الظروف والاحتياجات الشخصية ولا علاقة لها بالطقوس والمواعيد والمراسيم مثل صلاة إبراهيم ويعقوب وموسى ويوشع) عليهم السلام وتؤدى في أي مكان فالنبي يونس أداها في بطن الحوت، ودانيال في جب الأسود، والصلاة الثانية صلاة مشتركة إذ يشارك فيها الجماعة علنا في أماكن مخصوصة وأوقات معلومة حسب الطقوس التي يضعها ويقررها رؤساء الدين والكهنة واليهودي يصلي ثلاث مرات في اليوم.

صلاة الصبح: وتسمى (شحرين) ووقتها من بزوغ الشمس إلى ارتفاع النهار وينبغي للمصلي أن يرتدي الشال ويربط التفليم ويتجه لبيت المقدس ويبدأ بقراءة الأدعية والطلبات وهي تتكون من أربع ركعات يفصل بين ركعة وأخرى أدعية وأذكار توحد الله وتحمده على جعله يهوديا من أحفاد إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويطلب التوبة والمغفرة من الله، ولا سجود فيها بل ركوع أو انحناء(2).

صلاة الظهيرة أو العصر: وتسمى بالعبرية (المنما) و (تفلية هعربيت)(3) ووقتها من انحراف الشمس من نقطة الزوال إلى ما قبل الغروب بعشرين دقيقة وفيها أربع ركعات يفصل بينها أدعية وأذكار وقراءة منتخبة من أشعار الزبور، وفيها اعتراف بالذنوب وطلب الغفران، والأدعية المقررة فيها تناسب وقت الظهيرة، وقيل أن أول من أداها داود عليه السلام إذ يقول في مزموره الخامس (الغداة أوجه صلاتي نحوك وانتظر).

صلاة المغرب: وتدعى (عربيت) ووقتها من غروب الشمس وراء الأفق أي أن تتم ظلمة الليل ويجوزون أداءها قبل وقتها بساعة في الأيام الاعتيادية، أما في يوم السبت فتؤدى بعد مغيب الشمس بعشرين دقيقة، وفي الأعياد الرئيسية تصلى بعد

---

(1) انظر كتابنا العبادات في الأديان السماوية، ص٨٦.

(2) المدخل إلى دراسة المذاهب والأديان ١/١٧٠.

(3) الصلاة في الأديان الثلاثة، ص١٠٦-١٠٧، المدخل إلى دراسة المذاهب والأديان، ص١٩.

المغرب بعشر دقائق وهي تتكون من أربع ركعات يفصل بينها أدعية وأذكار وفيها يطلب الغفران ويكثرون فيها التوحيد لله ويحبذون قراءة التوراة والتراتيل الدينية، ويشترطون أن يكون الإمام حسن الصوت ومن نسل (لاوي). وتعد البركات الثمانية عشر (شيمونة عشرة) مع قراءة نص الشهادة الركنين الأساسيين لصلاة المغرب[١].

أما صلاة يوم السبت فتعتبر مهمة لديهم، حيث يقف الرجل الذي يؤم المصلين ويسمى (شيليح هصبور) في منصة مرتفعة نسبيا، والمصلون جالسون على اريكتين متقابلتين متعددتين، فيبدأ بحمد الله وتمجيده ويقرأ دعاء (الهناواله أبائنا إبراهيم وإسحق ويعقوب الطارق القوي الذي إحسانه على العالم أن الشعب المختار...) ثم ينزل من المنصة. وبرفقة مصلي آخر يقوم بإخراج التوراة من محلها المحفوظة فيه وفي أثناء ذلك يقرأ شيئا من التوراة (سماع يا إسرائيل الله ربنا الله واحد إن ربنا واحد. إلهنا هو ربنا مقدس هو) ويحمل التوراة الموضوعة في صندوق ويسير الإثنان إلى المنصة مع نغمة ترتيل ويقول (أعلن عظمة الله ولتعظيم مجده سوية يا إلهي إن ما لديك من العظمة والقدرة والمجد ما لديك هو النصر والجلال في جميع السموات والأرض)[٢] وعند جلب التوراة يقف الجميع إجلالا لها، وبخشوع ترفع إلى الأعلى وتقرأ بعض الأدعية، ويفضل عندهم أن يكون القاري من نسل (لاوي) حسن الصوت ويقول (تبارك الله مصدر كل التبريكات تبارك الله مصدر كل البركة الخالد. تباركت يا الله ملك الكون الذي اختارنا من بين كل الأمم وأعطانا التوراة فبوركت يا الله معطي التوراة).

ثم يتم رفع التوراة إلى أعلى ويقول (هذه هي التوراة التي وضعها موسى أمام إسرائيل هذه هي التوراة التي أعطاها الله بواسطة موسى)[٣].

---

(١) الفكر الديني الإسرائيلي ص١٧٢، وما بعدها المدخل إلى دراسة المذاهب والأديان، ص١٨٠. الصلاة في الأديان الثلاثة، ص١٠٧.

(٢) المدخل إلى دراسة المذاهب والأديان، ص١٧٠/١، Hertzberg, Arthur Judism P٢٢٨

(٣) انظر موسوعة أيام المقدس، ص٢٨٤، انظر سفر التثنية ٦/٤-٥، انجيل لوقا ١٦/٤ و٦/٦.

ثم تفتح لفات التوراة وتوضع في وسط المنصة ويقوم شخص ثالث بالوقوف إلى جانب أمام الجماعة (شيليح هصبور) لتأشير آيات التوراة التي يقرأها أمام الجماعة، ثم تعاد لفات التوراة داخل العلبتين في الصندوق بالهيئة نفسها التي جلبت بها ويقولون (تباركت عظمة الله العليا، عظمته عالية فوق السماء والأرض وعلم شعبه وعافا المخلصين، بني إسرائيل الذين الأقرب إليه)[١].

وأقام اليهود قديماً لصلاة المساء طقوساً تتكون من:[٢]

١- ذبيحة المساء.

٢- قراءة وصايا الله العشر.

٣- بركتين (أي قراءة دعائين).

٤- الصلاة المركزية (ليسمع) أي قراءة نص الشهادة (اسمع يا إسرائيل).

٥- بركتين ختاميتين.

٦- قراءات منتخبة من البركات الثمانية عشر.

٧- قراءة من الكتاب المقدس وتقرأ في أيام السبت والاثنين والخميس والأعياد فقط ويسبقها ترتيل سفر العدد ١٠/٣٥-٣٦. وآية من نبوءة أشعياء ٢٣/٣ ثم صلاة يرفعها الشعب تبدأ (أيها الرب إليك العظمة والقدرة والمجد).

٨- قراءة منتخبة لبعض المزامير على النحو التالي:

- يقرأون يوم الأحد المزمور ٢٣.
- ويقرأون يوم الاثنين المزمور ٤٨.
- ويوم الثلاثاء يقرأون المزمور ٨٢.
- أما يوم الأربعاء فيقرأون المزمور ٩٤.
- ويوم الخميس يقرأون المزمور ٨١.

---

(١) تاريخ الصلاة في الإسلام ص١٦، الصلاة في الأديان الثلاثة، ص١٩.

(٢) مجلة بين النهرين العدد ٦٩/٧٠ لسنة ١٩٧٠، ص٧٥.

- ويوم الجمعة يقرأون المزمور ٩٣.
- والمزمور (٩٢) يقرأونه يوم السبت.

ويقسم نص الشهادة عندهم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: مأخوذ من سفر التثنية (٦/٤-٩) ويبدأ بآية التوحيد ثم وجوب محبة الله وأعلانها للملأ وربطها على الأيدي وعلى قوائم الأبواب ونصها (اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد فتحب الرب إلهك من كل قلبك، من كل قوتك ولتكن هذه الكلمات التي أنا أوصيك بها اليوم على قلبك.

الثاني: مأخوذ من سفر التثنية أيضا حيث يذكرون وعد الله وإطالة حياتهم وتمام وصاياه .

الثالث: مأخوذ من سفر العدد ١٥/٣٧-٤١ حيث يذكرون وصية الأهداب وهي (أهداب الروب التي يلبسونه في الصلاة "الطليت" الذي يذكرهم بوجوب طاعة الله والابتعاد عن الشر).

ولليهود الربانيون صلاة تسمى (شيمونة عشرة) وتدعى (عاميدا)[1] (وتافيلا) وعدد بركاتها ثماني عشرة بركة وأن الحبر (صموئيل الأصغر)[2] أقحم فيها البركة التاسعة عشر وترتيبها في العاميدا الثانية عشرة وهي ليست بركة، بل لعنة يصبونها على الفرق الأخرى من غير اليهود الربانيين[3] وخاصة على فرقة الصدوقيين[4] وتعد هذه البركات هي الصلاة الحقيقية الفريدة لاحتوائها كافة النيات التي يتضرع بها المؤمنون لله سبحانه وتعالى.

---

(١) الفكر الروبيّ الإسرائيلي ص١٧٦، المدخل إلى دراسة المذاهب والأديان١/١٨٠.

(٢) مجلة ما بين النهرين العدد ٦٩/٧٠ لسنة ١٩٩٠، ص٧٧.

(٣) الربانيون ويدعون أيضا (بالكتبة) هم خبراء الشريعة إذ أولوه شريعتهم وطبقوها على مجريات الحياة اليومية ومن أشهر رجالاتهم (عمالائيل) أستاذ (بولس الرسول). انظر موسوعة الكتاب المقدس ٢٥٩.

(٤) الصدوقيون فرقة لا تعترف إلا بالعهد القديم وترفض الاعتراف بالتلمود كما أنها لا تؤمن بالبعث ولا باليوم الآخر، وتعتقد أن العقوبات والمثوبات تحصل في الحياة الدنيا ويقولون بأن ربهم الخاص (يهوه) الذي اختارهم ويذكر ابن حزم بأن مؤسس هذه الفرقة رجل يقال له (صدوق) راجع تاريخ الديانتين اليهودية والمسيحية، ص٧٠، موسوعة الكتاب المقدس، ص١٤٦.

وتمتاز البركات الثلاث الأولى والثلاث الأخيرة من غيرها من البركات بأنها تقام أيام السبت والأيام الاعتيادية، أما الأدعية الموجودة بينها فلا تقام أيام السبت والأعياد[1] وقديماً كانوا يحفظونها غيبياً وتسهيلاً للذاكرة كانوا يتخذون إصحاحات تدل على عدد كلمات كل بركة. فمثلاً آية سفر الخروج رقم ٣/٢٨ تحتوي على (١٧) كلمة وهو عدد الكلمات في البركة الرابعة وهكذا[2].

وقسموا البركات إلى ثلاثة أقسام: [3]

١- شباحيم: أي تسابيح، ويشمل البركات الثلاث الأولى (ربشونوت) وتحتوي على تسابيح وتعظيم الله تعالى.

٢- يقشانون، أي توسلات وطلبات وتشمل الثلاث عشرة بركة المتوسطة (اجعاعيوت) وتحتوي على طلبات الشعب.

٣- هوداؤوت: أي تشكرات: وهي أدعية تشمل البركات الثلاث الأخيرة (احرتوت) واتفق فقاؤهم أن القسم الأول والثاني من هذه البركات لا يتغير مطلقاً في كافة الصلوات على مدار السنة أما القسم الثالث فيتغير أيام السبوت ورؤوس الشهور والمواسم والأعياد ويبدل بما يلائم الأوقات .

وهذه أسماء البركات مع بيان محل ورود ألفاظها في الكتاب المقدس:[4]

١- أبوي: الأباء لورد ذكرها فيه[5].

٢- صبورت: أي القوات: تنسب لجبروت الله تعالى وتسمى (تحيت هيتيم) وفيها

(١) مجلة ما بين النهرين عدد ٧٧، سنة ١٩٩٢، ص٤٤.

(٢) الصلاة في الأديان الثلاثة، ص١٦٤، الفكر الديني الإسرائيلي، ص٧٦.

(٣) الفكر الديني الإسرائيلي، ص٧٧.

(٤) الفكر الديني الإسرائيلي، ص١٧٧.

(٥) سفر الخروج ١٥/٣، سفر التكوين ٩/١٤٠ و ١/١٥.

ذكر لقيامة الأموات[1].

٣- قدوشت هشيم: أي قداسة اسم الجلالة[2].

٤- إنه حونن: وتعرف بطلبة لأجل الفهم والحكمة[3].

٥- توشيه: أي التوبة[4].

٦- سلبيحة: أي العفو والسماح[5].

٧- بركة هيحاولة: أي لأجل شفاء المرض[6].

٨- بركة هاحوليم: أيضاً لأجل شفاء المرض[7]أيضا

٩- بركة هشاتيم: دعاء لأجل محصولات السنة[8].

١٠- بركة حليوت: دعاء لأجل جميع المسيحيين[9].

١١- هشينيم: دعاء ضد الصدوقيين[10].

١٢- صديقيم يتيم: دعاء لأجل الصالحين[11].

١٣- بيان بروشليم: دعاء إعادة بناء أورشليم[12].

١٤- بان حييمع: أي دعاء إعادة نسل داود[13].

---

(١) سفر التثنية ١٠/١٧. أشعياء، ٥/٢٠، مؤمور ٧-١١ و ١٨/٣ و ٣٦ و ٨٤/١٠.

(٢) مزمور ١٤٤/١٤، مزمور ١٥/٢٦، مزمور ١٤٦/٦-٧، دانيال ١٢/٢.

(٣) مزمور ٢٢/٤، ١٦/٣.

(٤) سفر اشعياء ٢/٢٣، ارميا ٣/١٥، مزمور ٤٤/١٠.

(٥) سفر أشعياء ٥٥/٧.

(٦) مزمور ٩/١٤ و ٢٥/٨ و ١١٩/١٥٣-١٥٤ و ٣٥/١ و ١٤٣ و ٧٤/٢٢ و ٥٨/٣.

(٧)أرميا: ١٧/١٤ و ٣٠/١٦، مزمور ٥/٥و١٢ و ١٠٣/٥. أرميا/ ٣١/١٤.

(٨)أشعياء: ١١/١٢ و ٢٧/١٣و ٤٣/٥ و ٤٥/٢٠ و ٦٠/٩. أرميا ٥١/٢٧، حزقيال١٤٧/٢. التثنية ٣٠/٤٠، سفر متي ٤/٦.

(٩)أشعياء ١/٢٦. هوشع: ٢/٢١، مزمور ٣٣/٥.

(١٠)مزمور ٨١/١٥، أشعياء ٢٥/٥.

(١١)ارميا ٣١/٢٠، أشعياء ٦٣/١٥ مزمور ٢٢/٦ و ٢٥/٢ و ٧/٥.

(١٢) زكريا ٨/٣، مزمور ١٤٧/٢ و ٨٩/٣٦-٣٧ و١٥٢/٥.

(١٣) مزمور ٦٥/٣.

١٥- تفلة: دعاء لأجل قبول الصلاة[١].

١٦- عيودة: دعاء لأجل إعادة طقس العبادة في الهيكل[٢].

١٧- هواداه: دعوى اعتراف وشكر[٣].

١٨- شالوم: أي طلبة لأجل السلام[٤].

ووضع فقهاء اليهود صلوات مستحبة كثيرة يتقرب بها المتعبد لله عز وجل ومنها صلاة جماعية يقوم بأدائها ما لا يقل من عشرة مصلين حتى يجوز لهم فتح التوراة والقراءة فيها. وهي صلاة مرتبطة على الدوام بالمناسبات والأعياد[٥].

ويؤدون صلاة القمر في إحدى ليال الأسبوع الثاني من كل شهر ويتوجهون بالكلام إلى القمر إذ يكررون فيها ثلاثاً القول (لتكن طالعاً سعيداً لنا ولكل إسرائيل، مبارك مصورك، مبارك صانعك)، ثم يرتفع المصلون إلى الأعلى على أطراف أصابعهم ويقولون (كما أننا نحاول أن نلمسك هكذا ليت كل الذين يقفون نحونا لينضروا بنا لا يقدرون أن يلمسونا)[٦].

أما صلاة الغفران فتقام يوم الغفران مرة واحدة في السنة، وهو يوم الأيام عندهم ويوم التكفير عن الذنوب ومدته عشرة أيام. ويؤدي هذه الصلاة الكاهن الخادم في المعبد مع كاهنين اثنين آخرين وتبدأ الصلاة بدعاء (الكل يدعوا الله)[٧].

وهناك صلوات مستحبة لديهم مرتبطة بالأعياد منها: [٨]

---

(١) ميخا: ١١/٤.

(٢) أخبار الأيام الأولى ١٣/٤٩، صموئيل: ٣٦/٢٢، مزمور ٣/٧٩ و٦/٣٨، سفر أرميا ٦/١٠.

(٣) مزمور ١٠/٢٩، سفر العدد ٤٧/٦. ميخا ٧/٦. مزمور ٨/٦.

(٤) مزمور ١٦٥/١١٩ و ٥/١٢٥.

(٥) اليهودية واليهودية المسيحية فؤاد حسنين على ص٦٣.

(٦) اليهودية واليهودية المسيحية، ص٦٤.

(٧) التفليم تحقيق أبو صادق، ص٨٨.

(٨) الصلاة في الأديان الثلاثة، أبو طبة، ص١١١.

صلاة (يوم كبر) المعروفة باسم (كل ندري)، وهي صلاة تقام مطلع عيد الغفران وهي تدعو إلى طلب الغفران من الله تعالى عن الوعود التي قطعوها على أنفسهم لله تعالى و لم يوفوا بها وأصل هذه الصلاة يرجع إلى عهود اضطهادهم وسبيهم.

ويصلون صلاة عيد المظال (الشبيكوت) إذ تقام في (٥ تشرين) ويستخدمون أوراق الأشجار أو السعف ليعملوها على هيئة سقف كالمظلة يستظلون تحته يوماً كاملاً، أما في الوقت الحاضر فإنهم يكتفون بإقامة عرش رمزي في منازلهم يشير إلى موضع صلاتهم.

ويصلون من الفجر إلى منتصف النهار عند حلول عيد (شيعوت) وهو عيد يأتي بعد عيد الفصح بسبعة أيام يوم (٦ جوان) ويحتفل به بمناسبة نزول التوراة في جبل سيناء وقديماً يحتفلون به بمناسبة يوم الحصاد، ويقرأون في هذه الصلاة الوصايا العشرة ويقوم الحبر الأكبر بشرح مضامينها وتبيان مغزاها للمصلين. وهناك صلاة يوم السبت التي يشترطون لإقامتها حضور عدد مناسب من المصلين إذ يرتلون فيها دعاء (البسماح حقادا) ولا يسمحون بإقامتها في البيوت.(١)

(١) للاطلاع على المزيد من الصلوات اليهودية المستحبة لرجال الله وأنبيائهم راجع (الصلاة في الأديان الثلاثة، ص١٠٩).

المبحث الثاني

المفهوم الديني للصدقة في الديانة اليهودية

لم تشر التوراة إلى معنى محدد لمفهوم الصدقة (الزكاة) بل أدرجته ضمن مصاديق عدة مثل ، الرحمة، العدالة.

وعرف المعجم الكتابي للاهوت الصدقة في العهد القديم: بأنها بادرة صلاح من الإنسان نحو أخيه وهي في عرف كل الكتاب (اقتداء بأثر الله الذي هو أولاً أبدي دليل الصلاح نحو الإنسان)(١).

وقد ورد لفظ (صداقا) في الكتب الثلاثة (دانيال-طوبيا-يشوع بن سيراخ) به وهي مشتقة من (صدق) وهو العدل، والمقصودية هنا إيصال كل ذي حق لمستحقه وإعطاء كل موجود من الموجودات بحسب استحقاقه.

وقديماً كانوا يرون أن غير اليهودي لو تصدق بصدقة فإنها لا تقبل منه لأنه لا يتصدق بنية حسنة خالصة لوجه الله تعالى وإنما يفعل ذلك رياءً منه وكبرياء، اما الصدقة التي يدفعها اليهودي لمستحقها فهي مقبولة عند الله تعالى لأنهم أبناء الله وشعبه المختار وهي بذلك تجعلهم أرفع شأناً وأعظم قدراً. والصدقة كشعيرة دينية قديمة جداً وافقت شعيرة تقديم القرابين والنذور التي كان المتعبد يقوم بها عند زيارته للمعبد وأصبح لها تأثير في النفوس تشير إليها مصاديق دلالتها على أنها عمل تقوى وتدل على الأمانة الشخصية في الممارسات اليهودية.

---

(١) معجم اللاهوت الكتابي ، ص٤٧٠.

وجاء في أحكام الزكاة ما نصه في سفر التثنية (إذا حصدت حصيدك في حقلك ونسيت حزمة من الحقل فلا ترجع لتأخذها للغريب واليتيم والأرملة لكي يباركك الرب إلهك في كل عمل يديك)(١).

وورد ذكر الصدقة في سفر اللاويين بقوله (وعندما تحصدون حصيد أرضكم لا تكمل زوايا حقلك وكرمك لا تعلله ونشاركرمك في الحصاد ولقاط حصيدك لا تلتقط، للمسكين والغريب تتركه أنا الرب إلهكم)(٢).

وأوجب فقهاؤهم إعطاء عشور كل ثلاث سنوات لصالح الذين لا يملكون أرضاً تخصهم فالأيتام والأرامل والغرباء واللاويين. وخاصة كهنتهم الذين يأخذون العشور على نتاج الضمان، وينتفعون بما يبقى في الهيكل من القرابين.

ومما جاء في سفر التثنية بخصوص العشر ما نصه (في آخر ثلاث سنين تخرج كل عشر محصولك في تلك السنة وتضعه في أبوابك، فيأتي اللاوي لأنه ليس له قسم ولا نصيب معك والغريب واليتيم والأرملة الذين في أبوابك ويأكلون ويشبعون لكي يباركك الرب إلهك في كل عمل يدك الذي تعمل)(٣).

واتبع اليهود نظاماً خاصاً في التصدق في عهد تدوين التلمود وتلخص بتقديم وجبات طعام يومية كما أنهم يوزعون النقود على الفقراء والمحتاجين أسبوعياً، وغالباً ما كان يعهد هذا العمل إلى الثقات من الرجال، ويقوم فريق من الأمناء التقاة بفحص أمر المعوزين والبحث عنهم مراعين عواطف المساكين والفقراء، أي أنهم يتحاشون إحراج المحتاجين في السؤال وبذل ماء الوجه، واستمر هذا العمل التطوعي الخيري فترة طويلة ولكن في القرون الوسطى انتشرت ظاهرة التسول في المجتمع اليهودي مما قضت على نظام التصدق اللائق الذكر، وصورت حالة التسول –خاصة في القرن

---

(١) سفر التثنية ٢٤/١٩.
(٢) سفر اللاويين ١٩/٩-١٠.
(٣) سفر التثنية ١٤/٢٨-٢٩.

السابع عشر- في كتاب (ملك الشحاذين) لمؤلفه (تانك ويل) و لم يقض اليهود على هذه الحالة الشاذة في مجتمعهم إلا بعد مرور عشرات السنين.[1]

وعند مباركة الكاهن (ملكي صادق) لنبي الله (ابرام)[2] ورد ذكر العشور على لسان الكاهن بقوله (مبارك إبرام من الله العلي مالك السموات والأرض فأعطاه العشر من كل شيء)[3].

يقول أحد فقهاء اليهودية:[4] أن عشر محصول الأرض والأنفال كان واجباً على بني إسرائيل ونصف مثقال من الدينار لمن كان في العشرين من عمره أو فوق العشرين غنياً كان أو فقيراً وقد ورد في سفر الخروج ما نصه (كل الشاقل هو عشرين جيره، نصف الشاقل تقدمه للرب، الغني لا يكثر ، الفقير لا يقلل عن نصف الشاقل حين تعطون تقدمه للرب للتفكير عن نفوسكم)[5].

وجاء في سفر التثنية (لأنه لا تفقد الفقراء من الأرض لذلك أنا أوصيك قائلاً أفتح يدك لأخيك المسكين والفقير في أرضك)[6].

ويقول المزمور(٤١) (طوبى للذي ينظر إلى المسكين).

---

(١) الأركان الأربعة، أبو الحسن علي الحسيني الندوي، ص١٣٨، دار العلم ، بيروت.

(٢) (إبرام) هو اسم نبي الله (إبراهيم) عليه السلام القديم، راجع الشرقاوي محمود، الأنبياء في القرآن، ص١٤٤. مطبوعات الشعب ودائرة المعارف الإسلامية، طبعة دار الشعب الجزء الأول.

(٣) التناقض في تواريخ وأحداث التوراة من آدم حتى سبي بابل. قاسم محمد، ص١٠٠، ستار باريس للطباعة، مصر١٩٩٢.

(٤) راجع كتابنا (العبادات في الأديان السماوية) ص٩٧.

(٥) سفر الخروج ٣٠/١٣-١٥. الشاقل (مثقال) ويساوي (١٤,٥٥) غم أما المَن يساوي (٥٠) شيقل ويعادل (٧٢٧,٥) غرام. والككار يساوي (٦٠مَنْ) ويعادل (٣٠٠٠ شيقل) للغطلاع راجع. المجتمع الإسرائيلي حتى تشريده. د. فؤاد حسنين علي، ص١١٢. مطبعة الرسالة، مصر١٩٦٦.

(٦) سفر التثنية ١٥/١١.

وكانت الزكاة التي تجبى بنصف شاقل فإنها تدفع إلى خيمة الاجتماع في القدس لينفقوها في شراء أواني المذبح، ويقول أحد علماؤهم أن ما سقط من المحصول عند حصاده على الأرض لا يلتقطه المزارع بل يتركه للغرباء والمساكين والطيور ويفعلون ذلك مع بعض الثمار كان ذلك في العهد القديم. أما الآن فهم يعمدون إلى تقديم الصدقات كل حسب طاقته نقداً كانت أو محصولاً. ولقد كانت أموال الزكاة تدفع إلى بيت المقدس ينال فيها نسبة واحدة من الستين ارجال الدين أما العشر فكان للاويين من آل هارون ويوقف عشره لضيافة الوافدين والحجاج وينفق على إطعام عامة المسافرين والفقراء والأيامى واليتام، وإن تحديد العشر في التصدق نسبة لا تضر بالمتصدق مادياً فلا تضره بضيق أبداً بل هي نسبة بسيطة يستطيع اليهودي أداؤها للمستحقين من الأقارب، الأقرب فالأقرب، وأصبحت الصدقة من مجريات الأعياد الدينية فقد كان التصدق على الفقراء يرتبط بترتيب احتفالاتهم الدينية إذ تقول التوراة على لسان نبي الله داود عليه السلام (وقسم على جميع الشعب على كل جمهور إسرائيل رجالاً ونساء على كل واحد رغيف خبز وكأس خمر وقرص زبيب ثم يذهب كل الشعب إلى بيته[١]).

تقول دائرة المعارف والأديان: أن المبدأ الأساسي لهذا التنظيم هو جمع الضرائب للأمور الدينية كما جاء في القانون الأساسي لليهود وهو أن يقدم عشر هذا العشر إلى رجال الدين. إلا أن نشاط اليهود وحماسهم لجمع الأموال اختلف قوة وضعفاً ويتبع درجة التزام الفرد اليهودي وتطبيقه لتعاليم الشريعة وبمرور الزمن أخذ التهاون في دفع هذا الحق مأخذه في نفوسهم مما أزعج رجال الدين وحدا بهم الأمر إلى إنذار أبناء دينهم بوقوع العذاب عليهم وأن غضب الرب وسخطه سيحلان عليهم ولكن العامة منهم لم يستجيبوا لنداء رجال الدين مما زاد ذلك في اكتناز الأموال، فأصبحوا أثرياء بفحش كبير فمالوا إلى التأويل والتعليل بمنعهم الامتثال لهذه الفريضة[٢].

---

(١) راجع كتابنا (العبادات في الأديان السماوية) ص٩٨.

(٢) الأركان الأربعة، ص١٣٨، نقلاً عن دائرة المعارف والأديان.

المبحث الثالث

الصيام بين الشريعة والأحبار والكهان

الصيام فريضة دينية موغلة في القدم مارسها الإنسان جنبا إلى جنب تقديم الضحايا والقرابين والنذور والصدقات، وذكر لفظ الصيام أو ما يدل عليه ضمن سياق طقوس شكلية معقدة حسب نمطية الأداء وطبقا للممارسات التعبدية في هذا الموطن أو ذاك.

ووضعت الموسوعات الفقهية بإسهاب معان عدة للصيام لكنها تجمع على أن أهم أهداف هذه الشعيرة هو تذليل النفس وترويضها والحد من مغريات الجسد ومتطلباته وصولا إلى الكمال الروحي والصفاء الذهني الموصل إلى العبادة الحقة لله تعالى.

تقول موسوعة الكتاب المقدس الصوم (امتناع كلي عن الطعام والشراب يوما واحدا)[١].

وهو يعني (مراقبة اليوم للحصول على الغفران الإلهي معتمدا على إخلاص توبة المرء وإرشاده لأخيه الإنسان إلى الطريق الصحيح)[٢].

واليهود وسعوا من مفهوم الصيام كثيرا وذلك راجع إلى كثرة اجتهاداتهم وتأويلاتهم لمعناه كي يتوافق مع الحدث التاريخي الذي يتعايشون فيه، كما أن نظرتهم للأمم غير اليهودية واستعلائهم عليها كان له الدور البارز في صياغة وتشريع أنماط مختلفة من الصيام لم تورد في التوراة.

وعرفت دائرة المعارف الإسلامية الصيام عند اليهود بأنه (الإمساك عن الأكل

---

(١) موسوعة الكتاب المقدس، ص٢٠٢.

(٢) Encydopedia International Vol.10.p69

والشرب من الصباح إلى المساء إلا أن المفروض بشريعة موسى من غروب الشمس إلى مساء اليوم التالي)[1].

وانقطع اليهود عن الأكل عموماً في فترة ما قبل السبي، وورد في كتب الأنبياء عدم أكل الخبز حصراً[2].

ولما كان تاريخ اليهود جله نكبات وكوارث وسخط من الله تعالى عليهم لمخالفتهم أوامر الشريعة وخروجهم عن طاعة أنبيائهم ووقوعهم في الأمر مرات عدة لأجل ذلك كله اتسم الصوم عندهم بطابع الحداد والحزن، ونظراً لكثرة من قتل منهم في الحروب فقد أدوا صياماً لموتاهم أو لدفع الخطر عنهم وطلب الصفح من الرب أو لالتماس الشفاء من الأمراض أو بعد نكبة وطنية، وفي فترة السبي اعتبر اليهود الصيام ممارسة تنم عن تقواهم وحفظهم للعهد بغية الحصول على الثواب[3].

وتنوع الصيام عند اليهود فاتخذ له عدة صور وأخذ في التوسع من الامتناع عن الأكل والشرب مطلقاً إلى الامتناع عن العمل أو حتى الكلام. فقد أوجب العهد القديم عليهم صيام الامتناع عن العمل أياماً تمثلت بيوم السبت من كل أسبوع (كل من صنع عملاً في يوم السبت يقتل قتلاً)[4]. (فأخرجه كل الجماعة إلى خارج المحلة ورجموه بحجارة)[5].

من هذين النصين يتضح أن عقوبة من يعمل يوم السبت تصل إلى القتل والرجم وتقول التوراة (لا يعمل فيها عمل ما إلا ما تأكله كل نفس فذاك وحده منكم)[6] في

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية ١١/٦٩، إعداد وتحرير إبراهيم زكي خورشيد وآخرون ١٤/٣٩٦ مطبعة طهران.

(٢) المرجع السابق.

(٣) راجع في هذا المعنى للصيام الأسفار التالية: سفر يهوديت ٨/٥، سفر دانيال ٣٩، سفر صموئيل الأول ٧/٦ و ٢٨/٢، سفر باروك ١/٥، سفر كريا ٨/١٩، سفر يوئيل ٢/١٢ وللمزيد انظر المدخل إلى دراسة المذاهب والأديان: عبد الرزاق محمد أسود ١/١٧٨، ومعجم اللاهوت الكتابي ٤٨٨.

(٤) سفر الخروج ٣١/١٥.

(٥) سفر العدد ١٥/٣٦.

(٦) سفر الخروج ١٢/٢٣.

إشارة إلى امتناع العمل في اليوم الأول واليوم الأخير من عيد الفطر الذي يستغرق سبعة أيام[١]. ويمتنعون عن العمل في اليوم الخمسين من قربان الرب امتثالا لما ورد في سفر اللاويين إذ قال الرب يا موسى (قل لبني إسرائيل في الشهر السابع في أول الشهر يكون لكم عطلة، تذكار هتاف البوق بحفل مقدس، عملا من الشغل لا تعملوا لكن تقربون وقودا للرب)[٢].

ولكن اليهود اليوم يعملون يوم السبت إذا اقتضت الضرورة لذلك، أما في عيد الفطر فهم يزاولون أعمالهم التجارية فيه رغم كونه عطلة دينية، متخذين هذه الفسحة من الرخصة من تشريعات أوجدها أحبارهم إجازة للقيام بعمل واحد فقط في أيام محدودة[٣] مثل يوم تذكار هتاف البوق، وهو أول يوم في الشهر السابع (عطلة ويوم الكفارة الموافق للعاشر من الشهر السابع ولا عمل فيه إلا القربان، كما أنهم أجازوا عملا واحدا في اليوم الأول من عيد المظال والثامن عقبه.

وصام اليهود يوما واحدا عرف (بصوم تموز) وهو صوم عوض عن أبطال شعيرة تقديم القربان بعد السبي البابلي والذي انتهى بخراب الهيكل وتدميره على يد (بنوخذ نصر) عام (٥٨٧ قم) وحلول الصلاة التقليدية محله. ولكن اليهود في فترات لاحقة وعندما أعادوا بناء مدينتهم المقدسة (أورشليم) أصبح صيام يوم تموز غير مرغوب فيه لديهم ونظرا لأن هذا الصيام يرافقه التصدق بالمال أو بالمحاصيل الزراعية ولنزعتهم الاستغلالية في كنز الأموال والمدخرات فقد جاء هذا الصوم (الامتناع عن العمل) محك اختبار حقيقي في صدق تعاملهم مع الشريعة، وبهذا المعنى أشار العهد القديم إليهم بقوله (لكي أمتحنهم أيسلكون في ناموسي أم لا)[٤].

---

(١)الصيام من البداية حتى الإسلام ١٤٣.

(٢)سفر اللاويين ٢٣/٢٥.

(٣) سوسنة سليمان في أصول العقائد والأديان. نوفل بن نعمة الدين جرجيس، ص١١، بيروت ١٨٧٦.

(٤) سفر الخروج ٤/١٦ وانظر سفر اللاويين ٢٥/٢٠-٢١.

وأشار القرآن الكريم إلى نوع من صيامهم وهو صيام الصمت الذي مارسته العذراء مريم عليها السلام قال تعالى على لسان مريم عليها السلام ﴿ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾[(١)].

وصيام الصمت لديهم يقصد به استغراق الصامت في صمته ضارباً على نفسه ثوب التوبة من الخطايا والندم على ما اقترفه اللسان من بذيء الكلام وفاحشه[(٢)] ويعتقد أن اليهود اقتبسوا هذا النوع من الصيام في الشعوب القديمة حتى إننا نجد عبارة (نادوا باعتكاف) و (قدسوا صياماً) متكررة في التوراة، ومن أمثلة هذا النوع من الصيام توبة (آخاب) وذلته يقول سفر الملوك (شق ثيابه وجعل مسحاً على جسده واضطجع بالمسح ومشى بسكوت)[(٣)].

وورد هذا النوع من الصيام أيضاً في نصيحة النبي داود عليه السلام لبني إسرائيل بقوله (ارتعدوا ولا تخطئوا.. تكلموا في قلوبكم على مضاجعكم واسكتوا)[(٤)].

وروى لنا أبو الفتوح الكرملي في مؤلفه (الصيام في القديم والحديث) نوعاً آخر من الصيام عند اليهود وسمي بصيام السلوك وهو سلوك اجتماعي ناجح يبقي الناس على حبهم واحترامهم[(٥)]، وصمت بنو إسرائيل وجميع الشعب عندما قدموا إلى (بيت إيل) وبكوا وجلسوا هناك أمام الرب وصاموا ذلك اليوم إلى المساء[(٦)].

---

(١) سورة مريم الآية ٢٦.

(٢) انظر كتابنا العبادات في الأديان السماوية، ص١١٠.

(٣) سفر الملوك الأول، ٢١/٢٧.

(٤) المزموز ٤/٤.

(٥) انظر كتابنا العبادات في الأديان السماوية، ص١٠٩.

(٦) الصوم في القديم والحديث أبو الفتوح ناصر الدين الكرملي، ص٢٥، مطبعة الكونكورد.

وصورت التوراة الصامت عاقلاً إذ قالت (ولذلك يصمت العاقل)[١] وإن (الجاهل يكثر الكلام)[٢]، ثم قالت (المحتقر صاحبه.. فيسكت)[٣].

وتذكر التوراة أيضاً أن النبي حزقيال قد خوطب بالانعزال عن بني إسرائيل تمهيداً لإنزال العقاب عليهم بعدما بالغوا في عصيان أوامر الله سبحانه وتعالى... (اذهب أغلق على نفسك.. لأنهم بيت متمرد)[٤] وكذلك عندما أخبرهم بقرب دمار (أورشليم) وخرابها (وكان في السنة الثانية عشرة.. ولم أكن بعد أباكم)[٥] ونجد ذلك أيضاً في القرآن الكريم عندما بشرت الملائكة زكريا بيحيى عليه السلام من زوجته العقيم، فطلب من ربه آية يعرف بها ليتلقى تلك النعمة بالحمد لله والشكر له فأجابه الله تعالى بقوله

﴿ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَـٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ﴾[٦].

وربط اليهود الحزن بالصيام وخصصوا له أياماً أربع ذكرتها دائرة المعارف وهي[٧]:

١- اليوم العاشر من الشهر الخامس (يوم احتراق الهيكل والمدينة).

٢- اليوم العاشر من العاشر (يوم ابتداء حصار أورشليم).

٣- يوم يظن أنه الثالث من الشهر السابع (يوم استباحة بنؤخذنصر لأورشليم قتلاً ونهباً).

٤- اليوم التاسع من الشهر الرابع من كل سنة وهو يوم استيلاء الكلدان على أورشليم.

---

(١) سفر عاموس ١٣/٥.

(٢) سفر الجامعة ١٤/١٠.

(٣) سفر الأمثال ١٢/١١.

(٤) سفر حزقيال، ٢٥/٣-٢٧.

(٥) سفر حزقيال، ٢١/٣٣-٢٢.

(٦) سورة آل عمران الآية ٤١.

(٧)دائرة المعارف ، بطرس البستاني ٦٩/١١-٧٠، مؤسسة مطبوعاتي طهران.

ويرى ابن كثير في تفسيره أن صيام اليهود كان من العتمة إلى العتمة وإذا ما صلى أحدهم ونام صام عن الطعام والشراب والنساء[1] ويحبذ في أيام الصيام التصدق للفقراء والمساكين وإطعامهم العشاء التقليدي [2].

ويؤمن اليهود أن شريعتهم فرضت عليهم فرضاً واجباً صيام يوم واحد في السنة وهو العاشر من الشهر السابع ويسمى يوم الغفران (يوم كبور)، ويبتدؤن صيامه قبل غروب الشمس بنحو ربع ساعة إلى ما بعد غروب الشمس في اليوم التالي بنحو ربع ساعة[3].

وورد في سفر اللاويين ما نصه (ويكون لكم فريضة دهرية أنكم في الشهر السابع في عاشر الشهر تذللون نفوسكم)[4].

واشترطوا لصيام يوم الغفران ألا يقع في يوم الجمعة أو الأحد أو الثلاثاء[5] وقيل أن مدة يوم الغفران هو سبع وعشرون ساعة من قبل مغيب الشمس لليوم الأول إلى ما بعد غياب الشمس لليوم الثاني[6].

ويقول اليهود أن دليل وجوب صيامهم يوما واحداً هو أن (موسى عليه السلام عندما اختار عشرة أسباط ليكمل السبعين شيخاً للقاء الله تعالى، وبعد أن أصبحوا شيوخاً أمرهم موسى عليه السلام أن يصوموا أو يتطهروا ويطهروا ثيابهم)[7].

ويؤدون صوماً جماعياً عند حدوث كارثة كالهزائم في الحروب أو رداءة المحصول أو غارات الجرائد.

---

(١)تفسير ابن كثير ٢٧٦/١، ط٢، دار الأندلس بيروت، ١٤٠٦هـ.

(٢)الأركان الأربعة ص١٩٠.

(٣)موسوعة الكتاب المقدس، ص٢٠٢.

(٤)سفر اللاويين ٢٩/١٦.

(٥) الفكر الديني الإسرائيلي د. حسن ظاظا، ص٦٨، معهد البحوث والدراسات العربية، الإسكندرية ١٩٧١.

(٦)الموسوعة اليهودية (باللغة العبرية) إصدار مجموعة العلماء اليهود ٦٢٩/٢٢ تل أبيب.

(٧) التفسير الكبير ومفاتيح الغيب ١٩/١٥ الإمام محمد فخر الدين الرازي. طبعة دار الفكر، ط٣، بيروت ١٤٠٥-١٩٨٥.

ومن مظاهر الصيام عندهم شق الثياب إلى الحد المسموح وذر الرماد على الرؤوس وعدم تمشيط الشعر وغسل الجسم[1] ويلبس اليهودي في يوم الغفران اللباس الأبيض المسمى (التليث) أما في أيام الصيام المستحبة الأخرى فيلبسون اللباس الأسود ويسمونها أيام الصوم الأسود[2].

وذكرت الموسوعة اليهودية خمسة وعشرين ذكرى مقدسة حزينة يستحب الصيام فيها هي: [3]

١- أول نيسان مقتل أولادها دون في المخيم.

٢- العاشر من نيسان وفاة النبية مريام.

٣- ٢٦ نيسان وفاة يشوع بن نون.

٤- العاشر من أيار وفاة الكاهن الأعلى وأولاده وأسر الفلسطينيين للملك.

٥- (٢٩ سيوان) وفاة صموئيل الكاهن.

٦- (٢٣ سيوان) توقف الإسرائيليون عن جلب باكورة المزروع والحيوانات.

٧- (٢٥ سيوان) إعدام الكهنة سيمون بن جايد-وإسمائيل بن إيلثار.

٨- (٢٧ سيوان) احتراق حنينة عندما كان ممسكاً بصحيفة التوراة.

٩- (١٧ تموز) انكسار الألواح وتوقف أيام الأضاحي وحرق أبوسيتموس للتابوت ودخول الرومان للمدينة المقدسة.

١٠- أول آب ذكرى وفاة هارون الكاهن.

١١- ٩آب ذكرى خراب المعبد في القدس للمرة الأولى والثانية.

١٢- ١٨ آب انطفاء النور الغربي زمن الأحاد.

١٣- ١٧ أيلول وفاة الجواسيس نتيجة حدوث وباء.

---

(١) موسوعة الكتاب المقدس، ص٢.

(٢) The World Encyclopedia Jonathan Z.Smith world bookInc. Copright 1989- vol 8, P52.

(٣) الموسوعة اليهودية (باللغة العبرية) ٦٢٨/١٢.

١٤- ٣ تشري مقتل جداليا وجماعته في مدينة مرباح.

١٥- ٥ تشري وفاة (٢٠) إسرائيليا في سجن اكيبا.

١٦- ٧ تشري اليوم الذي سنَّ به بأن يقتل الإسرائيليون بالسيف والجوع بسبب العجل الذهبي.

١٧- (١٦ و ٧ مادخوان) الذي أفقأ به نبوخذ نصر عينا صدقيا وقتل أولاده.

١٨- (١٧ أو ٢٨ أكلسيت) اليوم الذي أحرق به يهوه ياكيم للنصوص التي كتب عليها باروخ ما أملاه عليه أرميا.

١٩- (٩ تبيشو) ترجمة التوراة اليونانية زمن بطليموس. ظلمة في العالم لثلاثة أيام.

٢٠- (٩ تبيشو) وفاة عزرا.

٢١- (٨ شباط) وفاة المنقبين دون يشوع.

٢٢- ٢٣ شباط تجمع الإسرائيليين لحرب قبيلة بنيامين.

٢٣- ٧ آذار وفاة موسى عليه السلام.

٢٤- (٩آذار) الخصام بين بيت شامال وبيت هليل.

ولأجل الاستسقاء وطلب نزول المطر صام اليهود اليوم من الثاني إلى اليوم الحادي عشر من بداية السنة، ويصلون صلاة الاستسقاء، ويتصورون أن الله تعالى خلق الكون في تلك الفترة، ويصومون كذلك يومي الاثنين والخميس تحديداً وهي الأيام المخصصة عندهم لقراءة وتدارس التوراة، كما يصومون يوم رأس السنة[١].

ولا يصوم اليهود والصيام الأربعيني الذي قام به موسى عليه السلام لزعمهم أنه يستحيل عليهم ذلك لأن موسى عليه السلام لم يفطر خلاله فهو صيام خاص به. يقول سفر الخروج (وكان هناك عند الرب أربعين نهاراً، وأربعين ليلة لم يأكل خبزاً ولم يشرب ماء)[٢].

---

(١) دلالة الحائرين، موسى بن ميمون ص٦٥٦، تحقيق حسين أتاي جامعة أنقرة ١٩٧٤م، الموسوعة اليهودية ٦٢٩/٢٢.

(٢) سفر الخروج ٢٨/٣٤.

ونادت (استير) الزوجة اليهودية لملك فارس (ازدشيربن بابك) بصيام ثلاثة أيام قبل أن تنقذهم من مؤامرة (هامان) وزير الملك، وعندما نجحت مؤامرتها اتخذوا لذلك عيداً. وقرّ فيهم الصيام وسمي هذا العيد (عيد فوريم) وقيل أن لها صياماً معروفاً باسمها يقع في (١٣) آذار[١].

وأدى اليهود صوماً غريباً شمل الإنسان والحيوان معاً مستندين في ذلك على ما جاء في سفر يونان القائل (فقام يونان وذهب إلى تينوي.. فأمن من أهل تينوى بالله ونادوا بصوم ولبسوا مسوحاً من كبيرهم إلى صغيرهم وبلغ الأمر ملك تينوى فقام عن كرسيه وخلع رداءه عنه وتغطى بمسح وجلس على الرماد ونودي عن أمر عظمة الملك قائلاً لا تذق الناس ولا البهائم ولا البقر ولا الغنم شيئاً، لا ترع ولا تشرب ماء، وليتغط بمسوح الناس والبهائم)[٢].

وورد في أنجيل لوقا (الإصحاح ١٢/١٨) إن الفريسيين القدماء صاموا يومين في الأسبوع وهو ما أداه الفريسي الملتزم بتعاليم دينه فيؤدي الصلاة والصيام) (أصوم مرتين في الأسبوع).

وحرم اليهود بعض أنواع الطعام كاللحوم أثناء صيامهم، إذ حرم بعضها لظرف خاص أو لاتصافه بصفة معينة أدت إلى تحريمه ومنها الميتة وشحم البهيمة المفترسة من قبل حيوان، وكل حيوان نطح إنساناً فقتله.[٣]

وحرموا كل دم مسفوح حرام في الطير والبهائم والدم بصورة عامة نجس لديهم وكذلك ورد تحريم شحم كل ثور أو كبش أو ماعز إذ يقول سفر اللاويين (الإصحاح ٢٣/٧) (كل شحم ثور أو كبش أو ماعز لا تأكلوا).

---

(١) الصيام من البداية حتى الإسلام، ص١٢١.

(٢) سفر يونان ٣/٣-٨.

(٣) انظر سفر اللاويين ١١/٧، وسفر الخروج، ٢٢/١٢.

وحرموا أيضاً أكل كل حيوان مجتر مثل الجمل والأرنب والخنزير ومن الطير الحدأة والبوم والكركي والبجع والنسر والعقاب والباشق بأنواعه، وحرموا اللقلق والببغاء بأجناسه والهدهد والخفاش بأنواعه، وحرموا عليهم من حيوان البحر ما ليس بذي زعانف وحرشف وكل ما كان يمشي على بطنه أو على أربع وكل ما كثرت أرجله ومن كل ما يدب على الأرض، وحرم أيضاً أكل اللحم النيء والمطبوخ في عيد الفطير[1].

أما القرابين المقدمة إلى المعابد عن طريق الكاهن في المناسبات فقد حرم أكلها. وهي قد تكون بقرة أو غنماً أو طيراً أو دقيقاً أو زيتاً أو لبناً وبعضها يحرق كله ويحرم أكلها أو يحرق جزء منه والباقي من نصيب الكاهن يحل له أكله أو أكل بعضها)[2].

إن تحريمهم لأكل اللحم ورد في سفردانيال وهو من كتب الأنبياء المتأخرة عن نزول التوراة على موسى عليه السلام بعدة قرون، ولم يرد عنه عليه السلام أنه حرم اللحوم. يقول سفر دانيال (وفي تلك الأيام أنادانيال كنت صائماً ثلاثة أسابيع لم آكل طعاماً شهياً ولم يدخل في فمي لحم ولا خمر ولم أوهن حتى تمت ثلاثة أسابيع)[3].

إن قول دانيال (ولم يدخل فمي..) لازمة استجابة شخصية من لدنه بعدم التقرب من أكل اللحم لا تحريمه مشاركة لبني إسرائيل مصابهم في أرض السبي، ومع ذلك لم يشاركه اليهود في صيامه. ولو قضى دانيال هذا الصوم بهذه الكيفية من التحريم لخالف قول موسى عليه السلام لكل إسرائيلي عندما قال (إذ وسع الرب الهك تخوفك لحما كلمك وقلت: تأكل لحماً لأن نفسي تشتهي أن تأكل لحماً كل ما تشتهي نفسك تأكل لحماً)[4].

ولم يشرع موسى عليه السلام وقتاً معيناً يمنع فيه تناول اللحم، أما صيام دانيال فهو الأقرب إلى صيام الوصال الذي صامه الأنبياء موسى ومحمد عليهم السلام.

---

(١) الصيام من البداية حتى الإسلام، ص١٢٤-١٢٥.

(٢) اليهود من كتابهم د. محمد علي الخولي، ص٤٣، دار الفلاح للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ١٩٩٨.

(٣) سفر دانيال ١٠/٢-٣.

(٤) انظر الصيام من البداية حتى الإسلام، ص١٣٢.

أما تحريم الخمر واستنكارها من خلال النص المتقدم، وغيره ففي كتابات اليـــهود حيرة من أمرها، فبعض النصوص تستنكرها وهي:

(حقاً أن الخمر غادرة)[1].

(صاحب النذر عن الخمر والمسكر يفترز)[2].

(احذري لا تشربي خمراً ولا تأكلي شيئاً بخساً)[3].

(الخمر مستهزئة، المسكر عجاج من يترنح بهما فليس بحكيم)[4].

وهناك نصوص تدعوا إلى شرب الخمر وهي:

١- اشرب خمرك بقلب طيب[5].

٢- اشربوا واسكروا أيها الأحباء[6].

وهناك نصوص تسمح لبعض الناس بشرب الخمر وتحذر بعضاً آخر من شـــربها مثلها ما ورد في سفر الأمثال: (ليس للملوك أن يشربوا خمراً ولا للعظماء المسكر..

---

(١) سفر حبقوق، ٢/٥.

(٢) سفر العدد ٦/٣.

(٣)سفر القضاة، ١٣/٤.

(٤) سفر الأمثال ٢٠/١.

(٥) سفر الجامعة ٩/٧.

(٦) نشيد الانشاد، ٥/١.

المبحث الرابع

منهج الحج وتطوره في الشريعة اليهودية

شرع الحج في الديانة اليهودية كفرض ديني مقدس، فقد جاء في التوراة في سفر الخروج ذكر أنه على كل يهودي أن يحج إلى المعبد المقدس ثلاث مرات في السنة.. (ثلاث مرات يعيد لي في السنة)[1].

وجاء أيضاً في سفر الخروج (ثلاث مرات في السنة يظهر جميع ذكورك أمام السيد الرب إله إسرائيل)[2].

فالنص الأول يشير إلى أن جميع اليهود مكلفون بالحج إلى بيت المقدس أما النص الثاني فيشير إلى أن التكليف يشمل الذكور فقد وهذا ما أشارت إليه الموسوعة اليهودية إذ قالت: [3] إن أداء الحج فرض على الذكور فقط دون الإناث والقاصرين والعميان والعرجان والمسنين والمريض بالعقل والجسم وكل شخص عليه أن يقدم شيئاً لم يحدد قيمته في إشارة إلى نوع من الهبات أو الصدقات -أي بالمفهوم الإسلامي (الزكاة).

وعرف معجم اللاهوت الكتابي الحج بأنه: رحلة يقصد بها المؤمنون إلى مكان مقدس بظهور إلهي أو بنشاط معلم ديني من أجل تقديم صلاقم في إطار ملائم لذلك بصفة خاصة، ويجري التمهيد للحج ببعض طقوس التطهير وتتم الزيارة في تجمع من

---

(١) سفر الخروج، ٢٣/١٤.

(٢) سفر الخروج ٣٤/٢٣.

(٣) الموسوعة العبرية ٣٤/٤، The Jewish Encyclopaedia N.Y. vol x p.34

شأنه أن يظهر للمؤمنين الجماعة الدينية التي ينتمون إليها)[(١)].

وتتفق جميع الفرق اليهودية الدينية على أداء فريضة الحج إلى بيت المقدس إلا فرقة السامريين الذين يجعلون من جبل (عزيزيم) الواقع بين بيت المقدس ونابلس قبلة لهم ويؤمنون أن (يهوه) أمر داود النبي أن يبني بيت المقدس بجبل نابلس وهو الطور الذي كلم الله موسى عليه السلام فيه فتحول داود إلى بيت المقدس وبنى البيت فيه مخالفا أمر الرب[(٢)] وعبر تاريخهم الطويل فرض عليهم التطور الزمني مزارات عدة ومرجع ذلك يعود إلى تأثرهم بالأقوام التي سبقتهم وعايشتهم في آن واحد خاصة الأشوريين والكنعانيين متذرعين بحجة أن الأنبياء السابقين أمثال إبراهيم واسحق ويعقوب قد استخدموا هذه المعابد في طقوس التعبدية ومما أضفى عليها شرعية وقدسية ظهور تجليات إلهية على يد الأنبياء السابقين.

ويذكر سفر التكوين فرض الحج بالمعنى الحصري المرتبط بتاريخ بني إسرائيل وبمزاراتهم المقدسة... (ثم قال ا لله ليعقوب قم اصعد إلى بيت إيل وأقم هناك مذبحا لله الذي يظهر لك حيث هربت من وجه عيسو أخيك)[(٣)].

وفي القرن الرابع عشر قبل الميلاد حج اليهود إلى الموضع الذي أودعوا فيه تابوت العهد، وكانوا يحجون أكثر من مرة في السنة آنذاك واستخدم الحجاج اليهود الآلات الموسيقية المختلفة في طريقهم إلى (أورشليم) للتخفيف من تعبهم في رحلة الحج[(٤)].

ومن الغريب أن نصي سفر الخروج وسفر التكوين واضحين في تحديد عدد مرات

---

(١) معجم اللاهوت الكتابي تأليف فريق من الباحثين اللاهوتيين ص٢٥٧، دار المشرق، ط٢، بيروت مترجم عن كتاب بالفرنسية Vocabular de theologie bibligue edition, ١٩٧.

(٢) راجع سفر الملوك الثاني ٢٣، وسفر أخبار الأيام الثاني ٣٥.

(٣) سفر التكوين ١/٣٥.

(٤) مجلة معهد الإسكندرية الديني العدد الأول ص١٤٢، السنة الأولى، انظر المزمور (٨٤) والمزمور (١٢٣)، تفصيل الكتاب المقدس، بدون مؤلف، ص٢٠١. المطبعة الأمريكانية ١٩١٥.

الحج المفروضة عليهم دونما لبس وغموض في حين أن أعضاء المجمع اليهودي في العراق يؤكدون أن فريضة الحج فرضت عليهم مرتين اثنين في السنة، وعندما واجهتهم بالنصين الآنفي الذكر استغربوا ذلك و لم يبرروا استغرابهم بشيء والتزموا الصمت.

واليهود في الوقت الحاضر يرون في فريضة الحج شعيرة غير ملزمة بل هي عبادة تخييرية على كل يهودي ذكر أو أنثى شاباً أو شيخاً حيث يحجون إلى المدينة المقدسة (القدس) حيث حائط المبكى الذي يعدونه بديلاً للهيكل والمعبد اللذين لا وجود لهما الآن.

ويعتبر (جبل حوريب) في طور سيناء من الأماكن المقدسة التي ظهرت بها تجليات إلهية متمثلة بنداء الله تعالى كليمه موسى عليه السلام وإعطائه الشريعة. فقد ورد في سفر الخروج ما نصه: (فقال لا تقترب إلى ههنا، إخلع حذاءك من رجليك لأن الموضع الذي أنت واقف عليه أرض مقدسة)(١).

كما أنهم كانوا يتلون الدعوات والبركات عند (جبل جرزيم) وينهالون باللعنات والويل على أعدائهم عند (جبل هيبال) مستمدين هذا المعنى من نص ورد في سفر التثنية ونصه (فاجعل البركة على جبل جرزيم واللعنة على جبل هيبال)(٢).

ووردت إشارات في سفر الملوك عند صعود النبي إيليا إلى جبل حوريب واليشع إلى جبل الكرمل(٣).

ويعللون تقديسهم للأماكن المرتفعة إلى وجود المذبح المقدس حيث تقام الذبيحة على منصة المعبد الذي استقر فيه التابوت بعد رجوعه من فلسطين ثانية(٤).

وفي حقيقة الأمر أن اليهود تأثروا بعبادات الكنعانيين الذين اتخذوا من الأماكن

---

(١) سفر الخروج، ٥/٣.

(٢) سفر التثنية ٢٩/١١.

(٣) انظر سفر الملوك الأول ١٩/٨-١ و ٤٢/١٨.

(٤) انظر سفر الملوك الثاني ٩/١ و ٢٥/٤.

المرتفعة أمكنة مقدسة شيدوا فيها معابدهم وأقاموا فيها طقوسهم الدينية المقدسة متخذيها أماكن للزيارة والحج. ولكن اليهود عندما اقتبسوا هذه الشعيرة منهم خصوا بها (يهوه) فقط لذا فهم ركزوا في عبادتهم ضمن هذه الفريضة الجماعية في مكان واحد، ويعد الهيكل مزارا مقدسا يؤمه الحجاج احتفالا بالأعياد السنوية.

ويؤمنون أن (جبل صهيون) يحميهم من الأعداء ومجلئا أمينا من الأخطار التي قد يتعرضون لها من أعدائهم. يقول سفر يوئيل: والرب من صهيون يزمجر ومن أورشليم يعطي صوته فترتجف السماء والأرض ولكن الرب ملجأ لشعبه وحصن لبني إسرائيل)[1].

وأشار كتاب المزامير إلى حوار طقسي بين الحجاج وخدمة الهيكل وكأنه صلوات وتراتيل دينية يبتهلون بها معا لتحقيق أمانيهم في السيطرة على الشعوب وإخضاعهم لسيطرتهم. ويذكر أحد المزامير صلاة التوبة التي تربط بين الكهنة واللاويين في الهيكل والمدينة المقدسة[2].

وتشرح موسوعة الكتاب المقدس المسماة (أنا الألف والياء) صعود الحجاج في مواكب حاشدة إلى المدينة المقدسة (أورشليم) وتذكرهم بأن الله يحرسهم في احتفالهم الديني هذا ويحميهم من الأعداء وتكرر عليهم النص الوارد في أحد المزامير وهو يقول (أرفع عيني إلى الجبال من حيث يأتي عوني معونتي من الرب)[3].

ويعتبر النشيد الديني والتراتيل والأدعية من أهم مظاهر الحج اليهودي مثل نشيد المراقي الذي أكدت عليه عشرة مزامير (١٢٠-١٣٠) وهو أبيات رثائية متساوية السطور في العبارات والكلمات ذاتها تتكرر كالصدى من بيت إلى بيت، ويستمدون

---

(١) سفر يوئيل ٣/٥.

(٢) انظر المزمور ١٣٢ و ١٣٣.

(٣) الكتاب المقدس (أنا الألف والياء) مجموعة الباحثين اللاهوتيين ص١٢٨٧، دار منهل الحياة -لبنان، ١٩٩٣، وانظر المزمور ١٢١.

من (نشيد صهيون) ينابيع العظمة والأنفة والشموخ وفي نفس الوقت يشير هذا النشيد بضيوف الهيكل الإلهي -الحجاج- ويعتبرهم جنده المدافعين عنه.

وبنى السامريون هيكلاً خاصاً بهم في (جرزيم) يحجون إليه كل عام وأصبح منافساً لهيكل بيت المقدس زهاء مائتي عام من بنائه إلى أن قام رئيس كهان بيت المقدس (حناهير كانوس) قبل الميلاد بأكثر من مئة عام بهدمه، ولكن السامريون أعادوا بناءه من جديد[١].

ويستعرض تاريخهم الديني الخاص بالحج أحداثاً يتجلى فيها التنوع في أداء الطقوس واستحداث طقوس جديدة مرافقة لمسيرة الحج، إلى أن ظهرت أول بوادر الحج التوحيدية على يد النبي حزقيال ونفذها بعده (يوشيا) ومن ثم قرر الاحتفال في أورشليم بعيد الفصح وعيد الأسابيع والمظال.

وهذا التوحيد في الطقوس مهد لاختفاء العديد من المعابد المحلية التي أقامها اليهود. بمختلف طوائفهم أمثال (مزارشكيم) و (مزاربيت إيل) و (مزار بئر السبع) و(مزار عفره وصرعة) حيث يوجد مقر التابوت الذي يحتفل به كل سنة بعيد الرب، وتركوا مزار قبر النبي (صموئيل) في الجليل[٢].

ويعمد الكهنة إلى وضع شعائر دينية في موسم الحج يدور محورها حول وصف المذابح والأنصبة المقدمة للهيكل المقدس.[٣] وهذا ما فعلوه عندما يتوجهون إلى جبل صهيون بالتعظيم والطواف حوله...(طوفوا بصهيون ودوروا حولها عدوا أبراجها ضعوا قلوبكم على متارسها.. لأن الله هذا هو الهنا إلى الدهر والأبد)[٤].

---

(١) انظر موسوعة العقاد الإسلامية ٥٨١/١.

(٢) انظر سفر يشوع ٢٤/٢٣-٢٦، سفر صموئيل الأول ٣/١٠، سفر عاموس ٥/٥، سفر القضاة ٢٤/٦ و١٣/١٩-٢٠، وراجع سفر الملوك الثاني وسفر أخبار الأيام وانظر معجم اللاهوت الكتابي ٢٥٧.

(٣) انظر سفر التكوين ١٣/٣-٤، ٢٦/٢٥ و٣٣/٢٠.

(٤) المزمور ٤٨/٢٢-١٤.

وحث أشعيا النبي على ممارسة الطقوس والاهتمام بها تعبدا للرب وطاعة له تعالى يقول أشعيا (هلم نصعد إلى جبل الرب)[1] (ولا يفسدون في كل جبل قدسي)[2].

(ويصنع رب الجنود لجميع الشعوب في هذا الجبل وليمة سمائن)[3] (...لأن رب الجنود قد ملك في جبل صهيون في أورشليم)[4] (ويكون أن كل الباقي من جميع الأمم الذين جاؤوا على أورشليم يصعدون من سنة إلى سنة ليسجدوا للملك رب الجنود)[5].

ويطلق اليهود على الحج مجازا (عيد المظال) ومدته ثمانية أيام تبدأ يوم الخامس عشر من تشرين الأول، وحتى الثاني والعشرين منه، وهو يوم حج لهم يجلسون تحت ظلال سعف النخيل وأغصان الزيتون تخليداً لأجدادهم في أيام التيه عند خروجهم مع موسى عليه السلام من سيناء[6].

ويقرأ اليهود في موسم الحج المرتبط بعيد الأسابيع (العنصرة) سفر (راعوث) الذي يذكرهم بإعطاء الله تعالى الشريعة لنبيهم موسى عليه السلام ويقومون بالتصدق بجزء من محاصيلهم في موسم الحصار[7].

ويحيي اليهود ذكرى الخروج من مصر وعبور موسى عليه السلام البحر في موسم الحج المرتبط بعيد الفصح الذي يدور بين الثاني عشر من آذار إلى الخامس عشر من نيسان[8]. وإيجازاً لما ذكر فإن فريضة الحج عند اليهود مرت بمناهج متغيرة الإطار وإن

---

(١) سفر أشعيا، ٢/٢، ٣٢، ١١/٩، ٢٥/٦، ٢٤/٢٣.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

(٥)سفر زكريا ١٤/١٦-١٨.

(٦) دائرة المعارف الإسلامية ١٣/٣٥١ مطبعة الشعب، مصر.

(٧) تاريخ الديانتين اليهودية والمسيحية د. سعدون الساموك، عليان، ص٦٥.

(٨) مقارنة الأديان (اليهودية) ص٢٢، وانظر سفر القضاة ٢١/٩، وسفر الملوك الأول ٨/٢.

اتفقت في المضمون فبداية توجهوا إلى الأماكن المرتفعة كتذكار لذبيحة الرب، ثم عمدوا إلى الاهتمام بقبور أنبيائهم وأوليائهم متأثرين بالأقوام الوثنية التي عاصرتهم. ويعتبر بناء الهيكل والمعبد من قبل نبي الله سليمان عليه السلام نقطة التحول في تاريخ مقدساتهم لأنه حقق لهم التوجه الوحدوي والوحدة الدينية تقديساً للمكان المقدس مرسخاً في نفوسهم عقيدة الشعب المختار، فكأنهم رأوا في الهيكل والمعبد وجودهم وامتدادهم الديني والحضاري الذي يفرض عليهم واجباً مقدساً يحتاجهما واليهود اليوم يتوجهون في حجهم إلى القدس وبالتحديد إلى حائط المبكى واقفين أمامه في صف طويل واضعين اكفهم عليه يدعون بالويل والثبور على الأمم ويتباكون عنده ويتذكرون بحسرة مجدهم الزائل المتمثل بهيكل سليمان الذي يزعمون أنه مدفون تحت المسجد الأقصى.

المبحث الخامس

نماذج من الأحكام التشريعية عند اليهود

لعل الأبرز في تشريعات الديانة اليهودية ما يعرف بالوصايا العشر التي أوصى بها الله تعالى موسى عليه السلام وهي كما وردت في سفر الخروج (٢٠/٤-١٧).

١- لا تصنع لك تمثالاً.

٢- لا تسجد للتماثيل ولا تعبدهن.

٣- لا تنطق باسم الرب باطلاً.

٤- أذكر يوم السبت لتقدسه.

٥- أكرم أباك وأمك.

٦- لا تقتل.

٧- لا تزن.

٨- لا تسرق.

٩- لا تشهد على قريبك شهادة زور.

١٠- لا تشته بيت قريبك ولا امرأته ولا عبده ولا ثوره ولا حماره.[1]

وتعد الذبائح من أقدم الممارسات التعبدية الطقسية، ونظامها معقد لديهم لا حد

---

(١) الديانة اليهودية، ص١٣.

لها فكل مناسبة لها ذبيحة من نوع محدد وعمر محدد تذبح بطريقة خاصة، كما أن أجزائها ترمى في اتجاهات خاصة أمثال ذبيحة الإثم وذبيحة الخطية والنذر وذبيحة السلامة وغيرها كثير. رغم أن كتابهم ينكر عليهم ذبائحهم ومحروقاتهم لقوله (لأني لم أكلم آباءكم ولا أوصيتهم يوم أخرجتهم من مصر من جهة محرقة وذبيحة)[1].

وذبح قائدهم (بفتاح) أبنته وفاءً لنذر نذره إن انتصر في معركته مع الأعداء وقام بحرقها سروراً للرب!! [2]

وذبيحة النذر لديهم تتكون من (حروف واحد وحولي ونعجة واحدة حولية وكبشاً واحداً وسَلْ فطير من دقيق أقراصه ملتوية بزيت ورقائق فطير مدهونة بزيت)[3].

ويجوزون الربا مع الأجنبي ويحرموه على ملتهم يقول سفر اللاوين (لا تأخذ من أخيك ربا)[4].. ويقول سفر التثنية (وللأجنبي تقرض بربا ولكن لأخيك لا تقرض بربا)[5].

ولا يجوز الاقتراب من المذبح لكل من فيه عيب خلقي كالأعرج والمكسوره يده أو رجله وكذلك الأعمى[6].

وعلى السارق أن يعوض بمثلي ما سرق، وفي تشريع آخر يقول كتابهم (إن وجد السارق يرد سبعة أضعاف ويعطي كل قينة بيته)[7].

---

(١) سفر أرميا ٧/٢١-٢٢.

(٢) انظر سفر القضاة ١١/٢٩-٤٠.

(٣) انظر سفر العدد ٦/١٣-١٥، انظر مقارنة الأديان اليهودية، د. أحمد شلبي، ص٢٩١ وما بعدها، مكتبة النهضة المصريةط٧-١٩٨٤.

(٤) سفر اللاويين ٢٥/٣٦.

(٥) سفر التثنية ٢٣/٢٠.

(٦) انظر سفر لاوين ٢١/١٦-٢٣.

(٧) سفر الأمثال، ٦/٣٠، وانظر سفر الخروج ٢١/٧.

وعقوبة الابن العاق الرجم حتى الموت (إذا كان لرجل ابن معاند ومارد لا يسمع لقول أبيه فيرجمه جميع رجال مدينته حتى الموت)[١].

ويحكم بنفس العقوبة كل من سب أمه أو أباه[٢].

حرم سفر اللاويين بيع الأرض بقوله (والأرض لاتباع البتة لأن لي الأرض وأنتم غرباء نزلاء عندي) لاويين، ٢٥/٢٣.

وتقطع يد المرأة إن هي أمسكت عورة رجل إذا وقع بينهما شجار.[٣]

ويعفى من القتال في شريعتهم كل من بنى بيتاً ولم يدشنه ومن غرس كرماً ولم يبتكره ومن له خطيبه ولم يأخذها والخائف.[٤]

وجاء في نجاسة الميت في (سفر العدد ١٩/١٤) ما نصه (إذا مات إنسان في خيمة فكل من دخل الخيمة وكل من كان فيها يكون نجساً سبعة أيام). (وعلى ذلك الذي تنجس عليه أن يتطهر وإلا فإنه يقتل (انظر سفر العدد ١٩/٢٠)[٥]. ويرجم كل من به جان أو تابعه بالحجارة[٦].

والختان فريضة على كل يهودي يحتمها الولاء للجنس، وقيامه بهذه العملية يثبت ولائه على أنه يهودي، (وقبيل عهد المكابيين كان الختان يجري للذكر والأنثى بصورة بسيطة تمكن الشخص من الإدعاء بأنه غير مختون ليتقي عدوان غير اليهود عليه فلما جاء المكابيون أمر الكهنة أن تزال الغلفة عن أخرها حتى لا يحاول اليهود الاندماج في غير اليهود من الشعوب)[٧].

---

(١) سفر التثنية ٢١/١٨-٢١.
(٢) انظر اللاويين، ٢٠-٩.
(٣) سفر التثنية، ٢٥/١١-١٢.
(٤) اليهود من كتابهم ص٤٥، وانظر سفر التثنية ٢٠/١-٩.
(٥) انظر مقارنة الأديان (اليهودية) ص٢٩٣.
(٦) مقارنة الأديان (اليهودية) ، ص٢٩٣.
(٧) مقارنة الأديان (اليهودية) ص٢٩٧.

ويحاول اليهودي أن يعيش كملاك يعبد الله في يوم التكفير، والملاك لا يأكل ولا يشرب ويمضي وقته كله في العبادة وتعظيم الله وهذا اليوم يسبق بتسعة أيام تسمى أيام التوبة حيث يظهر اليهودي تطهيراً يكفل له النقاء خلال العام القادم وفي اليوم العاشر يوم الصوم والعبادة تكمل طهارة اليهودي وتغفر سيئاته وتقع هذه الأيام في الشهر السابع من شهور السنة اليهودية.[1]

ولا يعتبر اليمين الذي يقسم بها اليهودي في معاملاته مع غير اليهود يميناً لأنه كأنه أقسم لحيوان والقسم للحيوان لا يعد يميناً، وطبقاً لتعاليم التلمود المقدسة عند اليهود فإن ما يملكه غير اليهودي (المسيحي خاصة) من مال وعقار هو من متعلقات اليهود وله التصرف المطلق فيها وله الحق استرجاعها من المسيحي متى شاء ويجوز لليهودي الحلف زوراً كما يجوز له أن يؤدي عشرين يميناً كاذبة ولا يعرض أحد إخوانه من اليهود لضرر ما[2].

(١) مقارنة الأديان (اليهودية) ص٣٠٥.

(٢) الديانة اليهودية، د. يوسف عيد، ص١٧٨ وما بعدها، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٩٥.

الفصل الثالث

الديانة المسيحية

توطئة

المبحث الأول: الصلاة بين العهدين والتشريع الكنسي.

المبحث الثاني: الصدقة بين مفهوم العشر والعطاء الذاتي.

المبحث الثالث: طواعية الصيام في الكتاب المقدس بين الحقيقة والإلزام.

المبحث الرابع: رحلة الحج بين الزيارة والأثر التاريخي.

توطئة

استمدت الديانة المسيحية شريعتها من السماء، وبُعث عيسى عليه السلام نبياً يدعو للتوحيد والإيمان بخالق أزلي واحد، وأمر بإقامة الصلاة والصيام وأداء العشر وسائر فروض التعبد والطاعة لمخلوقه شأنه في ذلك شأن الأنبياء الذين سبقوه، ومجيئه عليه السلام بعد موسى كليم الله كان مكملاً لرسالته في بني إسرائيل وأبرز ما أراد تغييره هو السلوك الإنساني الذي انحرف به اليهود وأبعدوه عن روحية السماء وإنسانية الإنسان، فعبدوا المادة والسلطان والجشع، وحرفوا الدين الموسوي وأبعدوه عن مضمونه الرسالي السماوي.

إن الدين المسيحي ثورة القيم الفاضلة على انتهازية اليهود وطغيانهم وتطاولهم على أنبيائهم. و لم يأت السيد المسيح بشريعة تخالف شريعة موسى الكليم بل هي شريعة مكملة لها، وما نراه اليوم من شعائر عند المسيحيين لا يعدوا كونه تشريع كنسي أصدرته مجامعهم وهيئاتهم الكنسية لتنظم لهم شؤونهم الدينية بعيداً عن شريعة موسى عليه السلام.

ويرتبط تاريخ المسيحيين بنشأة المسيح عليه السلام وبشارته بدعوته باعتبارها أصالة حركة تصحيحية لليهودية من داخلها من حيث أنه عليه السلام كان ملتزماً بشريعة التوراة وأنه ما جاء لينقض بل ليكمل روحية السماء التي هدمها اليهود. وأنه حصر دعوته في اليهود وكان حواريوه جميعاً من اليهود، وأقرّ المسيح وأكد على الشريعة اليهودية النابعة من التوحيد الخالص. فقال في جوابه لمعلمي الشريعة: ما أعظم وصية في الشريعة فأجاب: الوصية الأولى وهي: اسمع يا إسرائيل الرب الهنا هو الرب الأحد... إن الله واحد ولا إله سواه، بل ورفض حتى أن يدعى صالحا، فلا صالح إلا الله وحده، وأنه مجرد رباني ومعلم، وهذه حقيقة أجمع عليها المعاصرون المؤرخون للمسيحية.

وعمد بولس في التحول عن قواعد الحلال والحرام المنصوص عليها في شريعة

موسى عليه السلام مما حمل مورخي اليهودية على التنديد به وإطلاق لقب (الأبونايتس) أي سيموت المجوسي المرتد عن الشريعة.

لقد جابهت دعوة السيد المسيح عليه السلام رفضاً يهودياً صارماً، وكان عليه السلام قليل الصبر على مساومات الدين التقليدي وبصفة خاصة الالتزام بالطقوس التي كان الفريسيون يعدون اتباعها المقياس الوحيد للتقوى.

وانتشر تلاميذ المسيح يبشروه بدعوته في ثلاث بيئات دينية مختلفة:

١- بيئة دينية يهودية تتعصب لتوراتها وتنكر وتنبذ المسيحية والمسيحيين.

٢- بيئة دينية يهودية مسيحية تتمسك بالتوراة والإنجيل وتؤلف بينها وهي محاولة عقيمة بين عقيدتين متناقضتين واستطاعت هذه البيئة أن تتبنى التوراة ولكنها أضاعت المسيحية.

٣- بيئة مسيحية بحتة تنكر التوراة ولا تتبناها ويمثلها الفلاسفة والحكماء وهؤلاء نبذوا التوراة واعتبروا تراثها هو الحكمة والفلسفة والمحبة المثالية التي جاء بها الفكر الرواقي الذي هو خليط من نتاجات الفكر الوثني واجتهادات بولس ودعاة المجالس الكنسية الذين اجتهدوا في جعل المسيحية فكرة أممية عالمية شاملة دون ربطها بأرض وشعب أو بعرقية خاصة.

المبحث الأول

الصلاة بين العهدين والتشريع الكنسي

ترعرع السيد المسيح عليه السلام وسط المجتمع اليهودي الذي نظمت شريعته الأحكام والطقوس الدينية لبني إسرائيل وأشبعت نهمهم وعطشهم الروحي من العبادات وخاصة الصلاة. (فقد نبت يسوع في شعب يحب الصلاة وكان المعلمون (الربيون) يذكرون أجمل العبادات عن الصلاة ومن أقوالهم "الله قريب من مخلوقاته قرب الأذن من الفم"[1].

ونظراً لأن رسالة السيد المسيح عليه السلام جاءت مكملة لرسالة موسى عليه السلام. ولأن ظهور السيد المسيح في فلسطين في وقت غطت الشريعة اليهودية احتياجات الناس عن الطقوس والتعاليم، من أجل ذلك لا يمكن فهم ما جاء به المسيح عليه السلام بمعزل عن تشريعات الديانة اليهودية.

حيث أقام صلاته في الهيكل (أورشليم) مع بني إسرائيل وصلى الساعتين الشرعيتين اللتين أمرت بهما الشريعة اليهودية في وقتي الصباح والمساء الموافقتان آنذاك لسياق الحياة اليومية للناس أي ساعة نهوضهم من النوم صباحاً وساعة عودتهم من العمل وخلودهم إلى الراحة.

---

(١) تفسير العهد الجديد، وليم باركلي. نقله إلى العربية القس فايز فارس، ط٢، إصدار دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، القاهرة.

إن فترة التشريع اليهودي التي عاصرها السيد المسيح عليه السلام في نظر المسيحيين هي فترة مرحلية مؤقتة تم الالتزام ببعض أحكامها لفترة قصيرة متمثلة بالعهد المسيحي الأول ويشبهونها بمرحلة الطفولة في التشريع الذي نما واكتمل فيما بعد في ظل المفاهيم والتعاليم الجديدة التي جاء بها المسيح عليه السلام.

ويعتقد المسيحيون أن عيسى عليه السلام قد حرر الإنسان من قيود الشكليات والأطر التي فرضتها الشريعة اليهودية مثل (السن بالسن) وقانون تكرار الكلام وشكليات الصلاة -من ركوع أو جثو أو سجود- على رتيبة واحدة مملة في نظرهم. يقول متي في أنجيله (وحينما تصلون لا تكرروا الكلام باطلاً كالأمم فإنهم يظنون أنه بكثرة كلامهم يستجاب لهم فلا تتشبهوا بهم لأن أباكم يعلم ما تحتاجون إليه قبل أن تسألوه)[1].

والمسيحيون لم يشترطوا شروطاً لازمة لإقامة الصلاة بل حببوا إليها أموراً وضعوها من تلقاء أنفسهم. وفي يوم السبت المقدس مارس المسيح عليه السلام تعليم الصلاة وشارك اليهود في صلاتهم.

يقول مرقس في أنجيله (ثم دخلوا كفر ناحوم وللوقت دخل المجمع في السبت وصار يعلم فبهتوا من تعاليمه لأنه كان يعلمهم كمن له سلطان وليس كالكتبة)[2].

وكانت صلاة الصبح تمثل لهم اكتشاف الحياة من جديد فهي تمثل قيامة من عالم الأموات (النوم) إذ بعد توقف الحياة يأتي النور المشع وهو صورة من البعث الجديد لها وأقامها السيد المسيح على انفراد (وقام في الصباح الباكر فخرج وذهب إلى مكان قفر ليصلي هناك)[3].

---

(١) أنجيل متي ٦/٧-٨.

(٢) انجيل مرقس ١/٢١-٢٢، وانظر أيضاً، ٣/١-٢.

(٣) انجيل مرقس ١/١٦.

أما صلاة المساء فكانوا يؤدونها قبل أن يأووا إلى فراشهم وفيــــها يشـــكرون الله تعالى على نعمه التي أسبغها عليهم في النهار ويستغفرون للذنوب الـــتي ارتكبوهـــا في النهار وورد ذكر صلاة المساء في المزمورين (١٤٠) و(١٤١) ويقول مرقس (لتكــن صلاتي كالبخور أمامك وأرفع كفي كتقدمة المساء).

وأكد السيد المسيح على فاعلية الصلاة والاستعداد الكامل لدى القدرة الإلهيـــة للاستجابة لطلبات الإنسان الذي يصلي لربه في السماء تلك الفعالية التي تدعم الـــروح بالقوة التي تستطيع أن تهزم الشياطين كما حدث أنجيل متى عن ذلك عندما جاء رجـــل وطلب من تلاميذ المسيح عليه السلام أن يخرجوا شيطاناً من ابنه فعجزوا فلما جاء المســـيح عليه السلام أخرجه، فلما سأله التلاميذ عن أسباب عجزهم أجاب (أن هذا الجنس لا يخـــرج إلا بالصلاة والصيام).

والحواريون اقتفوا آثار معلمهم المسيح في إقامة صلاتي الصباح والمساء ، واستنبط المسيحيون الأوائل من سيرة حياة السيد المسيح عليه السلام والتي قضاها في صلاة دائمـــة لله تعالى قاعدة ذهبية ليشدوا منها قوة الربط بينهم وبين الله تعالى فعمــــدوا إلى تحديـــد محطات للصلاة –أوقات– تقوي صلتهم بالله فاعتمدوا في تنظيم صلواتهم على التقسيم المدني للنهار الذي يقسم إلى (١٢) ساعة ونصفها السادسة ومنتصـــف النـــهار بـــين الساعة ١-٦ ويسمونها الساعة الثالثة والنصف الثاني الساعة التاسعة أي بمعـــنى آخـــر قسموا النهار بين العمل والصلاة فبعد أن تقام صلاة الصباح تقام صلاة الساعة الثالثـــة (التاسعة صباحاً) ومن ثم صلاة الساعة السادسة (الثانية عشرة ظهراً) وصلاة التاســـعة (الثالثة عصراً) وصلاة المساء التي تقام قبل النوم. وصلاة منتصف الليل[1].

ويجب التمييز بين صلاة الفرد العامل وصلاة الراهب الذي يؤدي صلوات ســـبع مرات وربما يزيدون عليها ويؤدونها بعمق كالمتصوفة مستدلين برسالة بولس إلى أهـــل

---

(١) مجلة بين النهرين عدد ٧٩، ص٥٧، لسنة ١٩٩٣، مطبعة الأديب البغدادية، بغداد.

كورنثوس القائلة (الصلاة بالروح).

يقول د. جاك اسحق(*) حول تشريع صلاة الظهر (وأضيفت صلاة الظهر زمن السيد المسيح إذ وجد الناس متسع لشد النفس بصورة أقوى مع الله وتطبيقاً لمبدأ فرض العهد الجديد يقول المسيح (صلوا في كل حين).

لقد أكد السيد المسيح عليه السلام في تعاليمه على السلوك الروحاني والنظرة الإيجابية الصادقة لله تعالى من دون مباهاة أو رياء منوهاً في ذلك إلى بعض الحالات الغير صحيحة التي كان اليهود يعمدون إلى إظهارها أمام الناس كي تبرزهم في أعينهم مصلون خاشعون. يقول السيد المسيح (ومتى صليت فلا تكن كالمرائين فإنهم يحبون أن يصلوا قائمين في المجامع وفي زوايا الشوارع لكي يظهروا للناس)[1].

ولأن تلاميذه من الأميين فقد أضاعوا الكثير من تعاليم المسيح وإرشاداته فكان يخاطبهم دائماً (يا قليلي الإيمان) ويقول لهم (أيها الجيل الغير مؤمن إلى متى أكون معكم... إلى متى أحتملكم..) وفي آخر يوم من حياته عليه السلام قال لهم (كلكم تشكون في هذه الليلة)[2] وفي الحقيقة شك بعضهم في ذلك...(ولما رأوه سجدوا له ولكن بعضهم شكوا)[3].

واضطر المسيحيون بعد حصول القطيعة بينهم وبين اليهود عام ٧٠م إلى إقامة شعائر خاصة بهم ومع ذلك لم يقيموا طقساً ثابتاً، ففي القرن الأول الميلادي (أخذوا يتلون الصلاة ثلاث مرات في اليوم دون تحديد أوقات معينة)[4].

(*) د. جاك اسحق: صاحب مجلة (نجمة الشرق) وصاحب امتياز مجلة بين النهرين الصادرتين في بغداد يحمل دكتوراه في العلوم الدينية الشرقية قسم الطقوس اللتورجية يعمل أستاذاً في كلية بابل للفلسفة واللاهوت ببغداد وفي جامعة (روح القدس) في الكسليك بلبنان.

(١)انجيل متى ٦/٥.

(٢)انجيل متى ٢٦/٣١.

(٣)انجيل متى ٢٨/١٧.

(٤) مجلة بين النهرين عدد ٧٩، ص٥٦، لسنة ١٩٩٣.

يقول د. جاك اسحق: [1] مال المسيحيون الأوائل إلى عدم حصر الصلاة في أوقات محددة وساعات معينة تمسكاً (بالقاعدة الأنجيلية الذهبية) التي أوصت (بالصلاة المستمرة.

والتاريخ المسيحي يذكر أن السيد المسيح عليه السلام صلى طيلة حياته منفرداً ولم يوردوا أي ذكر لصلاة جماعية صلاها المسيح مع تلامذته أو مع الشعب ولكن هناك قرابة متشابهة بين صلاة تلاميذه واليهود من حيث المعنى والمبنى لا سيما في صلاة الطلبات الثماني عشر التي لا يزال اليهود يتلونها اليوم إلا أنها تمتاز عنها بما فيها من البساطة والحرية التي يدعى الله فيها.

وقد دعى السيد المسيح إلى الصلاة الانفرادية بقوله (فأما أنت فمتى صليت فادخل إلى مخدعك وأغلق بابك وصل إلى أبيك الذي في الخفاء فأبوك الذي يرى في الخفاء يجازيك علانية)[2] وقال لوقا (وفيما هو يصلي على انفراد كان التلاميذ معه[3] (وصعد إلى جبل ليصلي)[4].

وكثيراً ما كان عليه السلام يصلي عندما تلم به شدة أو عزيمة على أمر جليل وهو ما قاله لأحد أصدقائه: عندي اليوم أعمال كثيرة وشاقة فيلزم صرف ثلاث ساعات في الصلوات لله ليرشدني وليهديني وليعضني في أعمالي)[5].

وعرّف (افقريوس) في القرن الرابع الميلادي الصلاة بأنها (رفع الروح إلى الله) أما القديس أوغسطينوس (٣٥٤-٤٣٠) فعرفها بأنها (حديث موجه نحو الله)[6].

(١) مقابلة كان المؤلف قد أجراها معه في بغداد.
(٢) انجيل متي ٦/٦.
(٣) انجيل متي.
(٤) انجيل متي ٢٨/٩.
(٥) انظر تاريخ المسيح، اسحق سنتاؤوس، ص٨٥.
(٦) (الروحانيات) البيرأبونا، منهج تدريس في كلية بابل للفلسفة واللاهوت، آلة كاتبة، ص٢٧.

ويعد التأمل أحد الطرق المختلفة لأداء الصلاة التي قسموها إلى نوعين صلاة فردية (عقلية) تمثل التأمل الروحي النابع من العقل والقلب واللسان وأخرى جماعية (لفظية) وتتم بترجمة اللسان للحركات العقلية والقلبية وأقسامها التمجيد والشكر والطلبة وهذا ما اشتملت عليه المزامير.

ولصحة الصلاة وتمامها يجب أن تقدم باسم السيد المسيح يقول يوحنا في انجيله (الحق أقول لكم أن كل ما طلبتم من الأب باسمي يعطيكم إلى الآن لم تطلبوا شيئاً باسمي أطلبوا تأخذوا ليكون فرحكم كاملا). ويجب أن يسبق الصلاة الإيمان الكامل بأنهم سينالون ما يطلبون طبقاً لما جاء في مرقس عن قول للمسيح (لذلك أقول لكم كل ما تطلبونه حينما تصلون فآمنوا ان تنالوا فيكون لكم) ولا توجد سن محددة للصلاة كاشتراط البلوغ ما دامت الصلاة طلباً ودعاءً فكل الناس في حاجة إلى ذلك فيستوي الجميع في ذلك. أما التغيير في الصلاة فلهم الخيار بتلاوة ما يشاؤون من كتابهم المقدس وما يناسب أحوالهم بشرط أن لا تخرج عن منوال المفهوم الروحي للصلاة الربانية (سيأتي بيانها لاحقاً).

ويؤمنون أن أعداء الإنسان ثلاثة (الشيطان والجسد والعالم)والأسلحة ضدها ثلاثة (الصلاة ضد الشيطان. الصوم ضد الجسد والصداقة ضد العالم)(١).

والعهدين القديم والجديد أكدا على ضرورة الصلاة والامتثال لطاعة الله وإليك بعض هذه النصوص:

(كونوا على الصلاة مواظبين)(٢).

(اسهروا وصلوا)(٣).

---

(١) التحفة الروحية في الصلاة الفرضية، ص٥. مار أغناطيوس، مطبعة الأمة بغداد.

(٢) رومية ١٢/١٢.

(٣) انجيل متى ٢٦/٤١.

(باسم الصلاة يأتي كل البشر)[1].

(طوبى للساكنين ببيتك يسبحونك)[2].

وأمر (مجمع نيقية) في سنة ٣٢٥م، بتأليف أول صلاة مسيحية ذلك أن أساس جميع الأدعية (الصلاة) الواردة في العهد الجديد أصلها مستمد مما أداه المسيح في (كشماني)[3].

ويرى علماؤهم أن كلمة صلاة أصلها (آرامي) بمعنى ينحني أو ينثني أو يتمدد وأن كلمة (صلواتا) معناها الانحناء، واستعملت في بعض اللهجات الآرامية لتعني الصلاة (الدعاء) وأدى السيد المسيح الصلاة بأوضاع مختلفة منها:

١- صلى ساجداً . قال متى في أنجيله (ثم تقدم قليلاً وخر على وجهه وكان يصلي).

٢- وصلى راكعاً في ظروف احتفالية عند رجم (اسطفانوس) وهو يدعوا الراجمين، وكذلك بولس صلى راكعاً في خطابه إلى أهالي (آفسس).

٣- ومصلى مطروحاً على الأرض. قال مرقس في أنجيله (ثم تقدم قليلاً وخر على الأرض وكان يصلي).

٤- جثا على ركبتيه في صلاته ببستان الزيتون. يقول لوقا (وانفصل عنهم نحو رمية حجر وجثا على ركبتيه وصلى).

يقول (د. روبير بيولاي) الأستاذ الفرنسي في أحد الجامعات اللاهوتية إن المسيحيون في القرن السابع الميلادي بدأوا بأداء الركوع المشابه للمسلمين، وفي الصلاة الفردية يوجد الانحناء الكامل على الأرض والركوع[4].

---

(١) مزمور ٢/٦٥.

(٢) مزمور ٤/٨٤.

(٣) كشماني: المكان الذي خان فيه (يهوذا الاسخريوطي) السيد المسيح وسلمه للجنود.

(٤) العبادات في الأديان السماوية للمؤلف، ص١٦٠.

وفي طقوس كنيسة المشرق (النساطرة) عندما يتوجه الكاهن في القداس إلى المذبح فإنه يسجد للأرض ثلاث مرات في المساحة الممتدة بين وقوفه أمام المصلين والمذبح[(١)].

أما بخصوص الطهارة في الصلاة فيحدثنا عنها (د. جاك اسحق) في مجلة بين النهرين فيقول: إن الطهارة التي نوجدها قبل الصلاة يجب أن تكون روحية لنقاء النفس دون شرط الطهارة الجسدية، وأننا نحبذ طهارة الجسد من كل رئيس ونجس وأما الوضوء فلا يقيمونه وقد ورد ذكر غسل الأيدي قبل أداء الصلاة في كتاب (اقدم النصوص المسيحية لجورج نصور ويوحنا ثابت)[(٢)].

أما قبلتهم فإلى جهة شروق الشمس، والمسيح عليه السلام صلى الجهة بيت المقدس ويستخدمون دق الأجراس والنواقيس عند مناداتهم إعلاماً ببدء الصلاة أو صلاة جنازة أو حفل تعميد أو التثبت والصومعة بيت لعبادة النصارى.

وتعد الصلاة الربية (الربانية) أساس صلواتهم لقول المسيح (فصلوا أنتم هكذا أبانا الذي في السموات ليقدس اسمك. ليأت ملكوتك لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض. خبزنا كفافنا أعطنا اليوم. واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضا للمذنبين إلينا ولا تدخلنا في تجربة لكن نجنا من الشرير)[(٣)].

وقد وردت طلبات هذه الصلوات في صيغتين مختلفتين. فصيغة لوقا أقصر إذ ورد فيها خمس طلبات بدل سبع وفي الأجزاء المشتركة فرقان أو ثلاثة فوارق ثانوية يتعذر أن يجزم أيهما الأقدم ففي كل منهما نجد مؤشرات على استعمالها في بيئتها الخاصة،

---

(١) LENSEGNEMENT, spirituel De Jean Dalyatha. Robert Beaulay p.١٧. Paris. Beauechesne, ١٩٩٠.

(٢) مجلة ما بين النهرين، عدد ٧٩، لسنة ١٩٩٣، ص٥٥، بتصرف.

(٣) انظر معجم اللاهوت الكتابي، ١٤٣.

فالجماعات الأولى كانت تستعمل صيغاً مختلفة لهذه الصلاة)[1].

ويذكر الكتاب المقدس أن صلاة المساء أول صلاة أقيمت، ثم صلاتي الصباح والظهيرة، ولا يترتب على ترك الصلاة أي حكم ديني من عقوبة جزائية لأن الصلاة يعدونها من خصائص الإنسان ومشمولاته.

وتحوي صلاة المساء على الشعائر التالية: [2]

١- ذبيحة المساء وتقدم قبل الساعة الثالثة بعد الظهر وهي حمل حولي وسمين.

٢- تلاوة الوصايا العشر.

٣- تلاوة الصلاة المركزية (اسمع يا إسرائيل أن الرب الهنا هو رب واحد فأجب الرب إلهك من كل قلبك وكل قوتك)[3].

٤- دعاءان يمجدان الله وتصفان حكمته وعظمته.

٥- تلاوة دعاءين يعترفون فيهما بقدرة الله ويتضرعون لدفع الخطر عنهم.

٦- يقرأون البركات الثماني عشرة وقراءات منتخبة من التوراة خاصة أيام السبت والاثنين والخميس والأعياد يسبقها تراتيل من سفر العدد ٣٥/١٠ وبعض من نبوءة (اشعيا) ٣/٢٣ ودعاء تمجيد الرب.

٧- يرتلون المزامير حسب النظام التالي:

١. الأحد مزمور ٢٣.

٢. الاثنين مزمور ٤٨.

٣. الثلاثاء مزمور ٨٢ أو ٨١.

---

(١) الكتاب المقدس (أنا الألف والياء) العهد الجديد، ص٥١، دار المشرق بيروت، ط٢، ١٩٨٨.

(٢) مجلة بين النهرين عدد ٦٩-٧٠، لسنة ١٩٩٠، ص٧٤.

(٣) سفر التثنية ٦/٤-٩.

٤. الأربعاء مزمور ٩٤ أو ٩٣

٥. الخميس مزمور ٨١ أو ٨٠

٦. الجمعة مزمور ٩٣ أو ٩٢.

٧. السبت مزمور ٩٢ أو ٩١.

٨- وجرياً على عادة اليونان القدامى بإشعال مصباح المساء يقوم المسحيون أيضاً بذلك ويقولون (السلام عليك أيها النور الصالح العزيز) ويقصدون بالنور السيد المسيح عليه السلام.(١)

وأول صلاة جماعية أقيمت في القرن الثالث الميلادي في عهد(٢) (هيبوليتس) ثم تتابع إجراءها في بقية الأمصار المسيحية. وقامت راهبة إسبانية في القرن الرابع الميلادي وتدعى (إيجاريا) أو (ايتاريا) يوضع كتاب (يوميات رحلة ١٣٨١-١٣٨٣م) ضمت مشاهد هذه الصلاة في كنيسة القيامة بأورشليم إذ يبدأون برتبة الإضاءة بين الساعة الرابعة والخامسة بعد. ثم يقرأون المزامير المسائية ومنها (مزمور ١٤٠-١٤١) ويوجهون طلباتهم باسم السيد المسيح ثم يعقبه طواف حول الصليب وقراءة منتخبة من الكتاب المقدس.

أما صلاة الصباح عند المسيحيين فعناصرها الرئيسية مستلهمة من المراسيم والأدعية التي كانت تؤدي في الهيكل والمجامع، والعهد القديم لم يعط معلومات مفصلة عنها، ولكنها عموماً كانت تحتوي على الشعائر التالية:(٣)

١- استعداد المصلي نفسياً وإيمانياً لإقامة صلاة صامتة سابقة للصلاة الجامعة في الهيكل يتأملون فيها بانفراد بمفردات معان الكلمات الذي ينطقونها في الصلاة.

---

(١) مجلة بين النهرين عدد ٦٩-٧٠ لسنة ١٩٩٠، ص٨٤.

(٢) العبادات في الأديان السماوية للمؤلف ص١٦٣.

(٣) مجلة ما بين النهرين عدد ٧٧-٧٨، لسنة ١٩٩٢ الصفحات ٣٦، ٣٨، ٣٩، ٤٧، ٤٨، ٥٠.

٢- التبخير الصباحي: خاصة يوم الأحد، وهي من مكملات الطابع الاحتفالي، ومن مستلزمات صلاة المساء في كنيسة المشرق. ورد المزمور (١٤٠) ما نصه (لتكن صلاتي كالبخور أمامك).

٣- الذبيحة الدائمة: وقد ورد ذكرها آنفاً وأشار إليها المزمور (٢٩).

٤- قراءة المزامير الصباحية.

٥- تلاوة الوصايا العشر.

٦- قراءة الصلاة المسماة (اسمع) مع قراءات وأدعية مختارة من التوراة والإنجيل.

وتمتاز الصلاة الأسبوعية في يوم الأحد بخطبة يقدمها القس في موضع يقتضيه الحال.

وتتميز الصلاة في الكنائس الكاثوليكية والبروتستانتية بجملة أمور منها:

١- صياغة الأدعية في أناشيد وترنيمات تغنى بألحان مرسومة ومقررة.[١]

٢- تتميز بصمت يسود الكنيسة عند ذكر الله.

٣- التأمل والسكون عند بعض الأدعية.

وبخصوص الصلاة في الكنيسة البروتستانتية الأسقفية يقول رئيس الطائفة الروحي القس كرم فرج: في الكنيسة البروتستانتية الأسقفية يضمون الركبتين إلى الأرض - الجثو على الأرض- عند تناولهم العشاء الرباني، والقداس لديهم طقساً مهماً ويطلقون على قداس يوم الأحد يوم الرب -وهو واجب محتم في الآحاد والأعياد ويرجعون أصله إلى السيد المسيح الذين يرون فيه أول من وضع سره في الكنيسة ليلة الأحد حينما أخذ خبزا وبارك وكسر وأعطى تلاميذه وأوصى تلاميذه أن يفعلوا ذلك)[٢].

أما أصل القداس في الكنيسة الغربية الرسولية فيرجعه القس الراهب الفرنسي

---

(١) العبادات في الأديان السماوية للمؤلف، ص١٦٥.

(٢) القس كرم فرج الرئيس الروحي للطائفة الأنجيلية (البروتستانتية) في العراق راجع كتابنا (العبادات في الأديان السماوية، ص١٦٥.

روبير بيولاي إلى العشاء الأخير للمسيح مع رسله قبل رفعه إلى السماء، أما الكنيسة الشرقية فتؤمن بالعشاء المسيحي بعد صلبه[1].

ويعتبرون إقامة القداس في الكنيسة هو لتقديسها باعتبارها موضع أداء فروض العبادة إذ تمسح جدرانها الأربعة بزيت الميرون من قبل القس، وقد تتدنس الكنيسة كأن يسفك الدم فيها أو يدفن فيها كافر غير متعمد فتتلى صلوات معينة لإزالة التدنيس وتطهيرها، ومادة القداس لديهم تتكون من الخبز والخمر، ولقبول الخبز فيه شروط هي:[2]

١- يمثل الجسد الطبيعي للمسيح ويكون مصنوعاً من دقيق البر الخالص إشارة إلى عنصر التراب معجوناً بالماء الطبيعي مذاباً به شيء من الزيت إشارة إلى عنصر الهواء والملح إشارة إلى عنصر النار.

٢- أن يكون مختمراً لقول المسيح (إني مطعمكم خميراً فتعودوا كلكم من ذلك الفطير تأكلون الآن فصاعداً الخبز المختمر معجوناً ومخبوزاً).

٣- يصنع الخبز على شكل قرص مستدير مطبوع في وسطه ختم مدور مقسم إلى اثني عشر جزء يسمى الجزء الواحد منه (الجوهرة) و (الجمرة) يثقب خمسة ثقوب وقت خبزه إشارة إلى المسامير الخمسة التي سمر بها جسد المسيح عليه السلام على حد زعمهم.

والخمر يحضرونها من العنب ويمزجونها مع كمية معادلة لها من الماء في إشارة إلى الدم والماء الذين جريا من جبين المسيح عندما طعن بالحربة على الصليب كما يزعمون ويقيمون القداس يوم الأحد الذي يعتبرونه يوماً مقدساً لأن المسيح قام بين الأموات فيه حسب معتقدهم.

---

(١) العبادات في الأديان السماوية للمؤلف، ص١٦٥.

(٢) تفسير القداس. إسحق ساكا، ص٧.

(وأجيزت إقامته في الأعياد والمواسم حسب الترتيب الكنسي ويومي الجمعة والأربعاء من كل أسبوع ونهت عن إقامته في أيام الصيام الأربعيني المقدس خلال يوم السبت والأحد والأعياد ونهت عن إقامته في يوم الجمعة لأن المسيح قدم نفسه ذبيحة دموية فوق خشبة الصليب فلا حاجة لإقامة ذبيحة أخرى)(١).

ومن آداب حضور القداس لديهم طهارة النفس ونظافة الجسم والامتناع عن الأكل لفترة بسيطة، وينحصر الإعداد للقداس بالكهنة حسب درجاتهم (الأسقف- القسيس-الشماس- الكاهن) وكل واحد من هؤلاء يمثل المسيح في نظرهم إذ يتلفظ ألفاظ المسيح في العشاء الأخير وهو ينوب عن الآخرين برفع الصلاة من أجلهم(٢).

يقول القس البلجيكي (لوسيان كوب): إن أول مرة عقد فيها (قداس الأحد) سنة ٩٦م وأن أول ذكر لها جاء في رسالة بولس الأولى إلى (أهل كورنثوس) وارتبطت الموسيقى بأداء الصلاة إذ ورد في الكتاب المقدس ذكر لكثير من الآلات الموسيقية، ويعرفون الموسيقى بأنها (صناعة يبحث فيها عن أحوال النغم من جهة تأليفه للذيذ والناقر وعن أحوال الأزمنة المتخللة بين النغمات من جهة الطول والقصر وهي تتم بجزأين: الأول علم التأليف وعلم الإيقاع ويسمى الأصول والثاني الترنم فهو تطريب الصوت وإتقان الغناء حتى يصير شجياً والترنم الموزون يقال له إنشاد وبغيره ترتيل)(٣).

ويعتبر كتاب (اليسالتر) من أهم كتب الكنيسة اليهودية الموسيقية والذي اعتمده فيما بعد المسيحيون مصدراً كافياً لأغنية العبادة(٤).

وجاء في سفر أخبار الأيام الثاني ما نصه (ورثى أرميا يوشيا وكان جميع المغنين والمغنيات يندبون يوشيا في مراثيهم إلى اليوم وجعلوها فريضة على إسرائيل).

---

(١) تفسير القداس، اسحق ساكا، ص٩، بتصرف.

(٢)تفسير القداس، اسحق ساكا، ص١٢ بتصرف.

(٣) تفصيل الكتاب المقدس ٣/٥٠٨، المطبعة الأمريكانية، ١٩٠٥.

(٤) انظر الإسلام بين الأديان، د. محمد كمال إبراهيم جعفر، ص٢٢٢، دار العلوم القاهرة، ١٩٧٨.

ويرون في الموسيقى أثراً فعالاً في تنشيط العمل العبادي فهي (تساعد الجماعة على أداء العبادة أداءاً حسناً وتساعده على توجيه الشعور والأفكار لله كما تستعمل كصيغة تعبيرية مباشرة عندما يؤدي الناس تهليلاتهم أو تسبيحاتهم أو صلواتهم وهو لا يرضى بأية موسيقى توضع لكلمات مقدسة بل لا بد لموسيقى خاصة جديرة بقداسة المناسبة وجلالها)[1].

ويورد سفر التكوين أن موسى عليه السلام أخبر عن (يوبال) الذي عاش قبل الطوفان وكان أبا لكل ضارب في العود[2].

وجاء في سفر أشعيا (تكون لكم أغنية كليلة تقديس عيد وفرح قلب بالناي ليأتي إلى جيل الرب إلى صخر إسرائيل).

وأخيراً ونظراً لشدة اهتمامهم بالموسيقى من الوجهة الدينية فقد عدها المسيحيون العامل الوحيد الذي يمكنه توحيد سائر الطوائف المسيحية ولا زال المسيحيون إلى يومنا هذا يستخدمون الموسيقى في طقوسهم التعبدية لإيمانهم أنها تشكل مع قراءة النصوص المقدسة وحدة متجانسة.

والمزامير تعد كتاب صلاة عند اليهود والمسيحيين على السواء وقد دونها اليهود الأوائل بلغتهم العبرية و لم تترجم إلى اللغة اليونانية إلا في أواسط القرن الثاني قبل الميلاد لأجل أن يقرأها اليهود المشتتون وهي الترجمة التي تعرف بالترجمة السبعينية[3].

---

(١) الإسلام بين الأديان، ص٢٢٧.

(٢) سفر التكوين ٤/٢١.

(٣) كتاب المزامير مترجم عن الفرنسية، مجموعة من العلماء اللاهوتيين المطبعة الأمريكانية، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٨٤.

المبحث الثاني

الصدقة بين مفهوم العُشر والعطاء الذاتي

تعتبر الصدقات المرادفة لمعنى (الزكاة) في الفكر المسيحي مندرجة ضمن مفهوم المحبة لله لما ورد في الإنجيل من قول للمسيح (فكيف تقيم محبة الله في ذلك الذي يغلق أحشاءه دون أخيه الإنسان)[1].

وورد لفظ (الصدقة، الصدقات) في انجيلي متي ولوقا فقط، ويربطه المسيحيون معناهما بمقدار أيمانهم بالسيد المسيح عليه السلام وحسب مراتبه من نفوس المتصدقين به، وهذا ما تنادي به عموم الرسائل السماوية المحثة على التصدق والإحسان على المحتاجين، فيكون معناها هو قصد جزاء رباني كما هو الحال في الإصحاح السادس من انجيل متي.

وفي إشارة واضحة إلى الرياء الذي كان يتصنعه اليهود أمام الناس عندما كانوا يتصدقون على الفقراء حاولت الأناجيل أن تعطي للصدقة مفهوماً إنسانياً نبيلاً يكسب الأجر للمتصدق ولا يمس كرامة المحتاج. يقول متى في أنجيله (احترزوا أن تضعوا صدقتكم قدام الناس لكي ينظروكم وإلا فليس لكم اجر عند أبيكم الذي في السموات، فمتى صنعت صدقة فلا تصوت قدامكم كما يفعل المراؤون في المجامع والأزقة لكي يمجدوا من الناس)[2].

ويضيف أيضاً (وأما أنت فمتى صنعت صدقة فلا تعرف شمالك ما تفعل يمينك

---

(١) انجيل يوحنا ٣/١٧، راجع يعقوب ٢/١٥.

(٢) انجيل متي ٦/١-٢.

لكي تكون صدقتك في الخفاء فأبوك الذي يرى في الخفاء هو يجازيك علانية)[1].

يقول اسحق سنتاؤوس: إن ما جاء به عيسى عليه السلام في باب الصدقة هو جديد خالف به ما تعود عليه اليهود من إظهارها بمظهر الرياء[2].

ويصور لوقا في أنجيله نزعة تشددية للصدقة إذ يقول (بيعوا ما تملكون وتصدقوا، اتخذوا لأنفسكم أكياساً لا تبلى، وكنزاً في السماوات لا ينفذ حيث لا يقرب سارق، ولا يبلى سوس لأنه حيث يكون كنزكم هناك يكون قلبكم أيضاً)[3].

ويقول متى (إن أردت أن تكون كاملاً فاذهب وبع مالك وأعط الفقراء لك كنزاً في السماء)[4].

وذكر قاموس الكتاب المقدس أن اللفظ اليوناني للصدقة المترجم (أجر) ورد مرات عديدة في أنجيل متى مرادفاً لمفهوم الصدقة في المفهوم المسيحي، وشمل معناها أيضاً كل الممارسات الدينية الدالة على معنى الأمانة الشخصية في طقوس العبادات المتمثلة بالصلاة والصدقات والصوم، والتي دعى السيد المسيح عليه السلام إلى الأخذ بها والدعوة لها.[5]

والكتاب المقدس يحدد للصدقة صفات عدة منها إعطاؤها في السر دونما تباه أمام الناس يقول متى: (فإذا تصدقت على أحد فلا تنفتح أمامك في البوق كما يفعل المراؤون في المجامع والشوارع ليمدحهم الناس)[6]. وأوجبوا إعطاء الصدقة بنية صادقة لله تعالى (... ففي الوعظ أوالعطاء فليعط بسخاء أو القيادة فليقد باجتهاد أو إظهار

---

(١) انجيل متى ٦/٣-٤.

(٢) تأريخ المسيح، اسحق سنتاؤوس، ص٧٢، المطبعة المصرية، الإسكندرية ١٩٠٢.

(٣) انجيل لوقا ١٢/٣٣-٣٤.

(٤) انجيل متى ١٩/٦-٢١.

(٥) الكتاب المقدس (أنا الألف والياء) العهد الجديد، ص٥٠. وتجد هذه الممارسات في أنجيل متى ٦/٥ و ٦/١٦-١٨ و ٦/٤٢.

(٦) انجيل متى ٦/٢-٣.

الرحمة فليرحم بسرور)[1]. ومن صفات الصدقة أيضاً ديمومتها للخير وجزاءها متصل إلى يوم البعث وهذا ما وضحته الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس. وكذلك رسالة (بولس) إلى صديقه (تيموثاوس) إذ يقول في معرض بيانه أن الإنفاق بكثرة هو اكتناز مدخرة للحياة الأخرى: (وأن يصنعوا سلاحاً وأن يكونوا أغنياء في أعمال صالحة وأن يكونوا أسخياء في العطاء في التوزيع مدخرين لأنفسهم أساساً حسناً للمستقبل لكي يمسكوا بالحياة الأبدية)[2].

وفي أنجيل لوقا جاءت الصدقة بمعنى المكافأة (بل إذا صنعت ضيافة فادع المساكين الجدع والعرج العمي فيكون لك طوبى إذ ليس لهم حتى يكافئوك لأنك تكافئ في قيامة الأبرار).

أما أنجيل مرقس فيروي مثال الرجل الغني الذي يتصدق بالمال الكثير والمرأة التي تصدق بفلسين، فيوضح بأن تلك المرأة قد تصدقت بما تملكه في حين أن الغني تصدق بفضلة رزقه وبقي رأس ماله محفوظاً[3].

والعطاء في المفهوم المسيحي هو استجابة طبيعية للمحبة، فبولس لم يأمر أهل كورنثوس بالعطاء بل شجعهم على اثبات أن محبتهم صادقة، وأن كيفية العطاء أهم من مقدار العطاء.

يقول بولس (إن الله يريدك أن تعطي ما عندك لا ما ليس معك. فالعطاء المضحي يجب أن يكون عطاءً مسئولاً)[4].

ووضع فقهاؤهم أربعة مبادئ للعطاء هي: [5]

---

(١) الرسالة إلى مؤمني روما، ١٢/٨.

(٢) رسالة بولس إلى ثيموثاوس.

(٣) انظر إنجيل مرقس ١٢/٤١-٤٤.

(٤) التفسير التطبيقي للعهد الجديد، ص٦٢١، الناشر شركة ماستر ميليا، دار إلياس العصرية للطباعة، القاهرة، ط١-١٩٩٥.

(٥) التفسير التطبيقي للعهد الجديد، ص٦٢١.

١- الرغبة في العطاء بسرور أهم من مقدار العطاء.

٢- يلزم بذل كل جهد للوفاء بالتزاماتك المادية.

٣- إن أعطيت الآخرين في وقت حاجتهم فسيساعدونك بدورهم في وقت حاجتك.

٤- ومع ذلك يجب أن تعطي من أجل المسيح وليس من اجل شي تجنيه من عطائك، فكيفية العطاء تعكس مدى الإخلاص وهذه المبادئ تسري مهما كانت ظروفك المالية.

وورد في الأناجيل ذكر (العشور) كضرب من أمثال العظة والعبرة حاول من خلالها السيد المسيح أن يعطي تصويراً لبعض الحقوق المالية التي نظمتها الشريعة المسيحية آنذاك، والمسيحي يؤمن أن فرض (العشور) مفروض عليه كما هو الحال عند اليهود إذ تؤخذ من الأموال النقدية وغير النقدية فتؤخذ من بكر الغلات الزراعية ومن نتاج الحيوانات وتعطى لمستحقيها من الفقراء والمساكين، ولكن إعطاؤهم للعشر بالتحديد لا يقصد منه الإيفاء التام بهذا الواجب أمام الله سبحانه. بل إن نسبة العشر تتداخل عندهم مع الصدقة الذاتية للفرد فلا تتميز بينهما وبمرور الزمن اضمحلت هذه النسبة، وبقي الإنسان في تصورهم ميال إلى التصدق على الفقراء في أوقات غير محددة بالكم والكيفية وحيث أن الإنسان مؤتمن على ماله فيجب عليه أن يتصرف في ضوء إمكاناته المالية وأن تقديم بكور الغلات وبكور الحيوانات وما يقدمه الإنسان للمعبد والكنيسة من قرابين وعشور هي من أنواع الصدقة(١).

وورد في أنجيل لوقا أن رجلاً يدعى (زكا) قد طبق ما فعله يوحنا المعمدان (يحيى عليه السلام) باستبداله العشر التقليدي الذي كان سائداً قبل مجيء السيد المسيح عليه السلام بمقاسمته بالنصف، والمسيحيون ينظرون إلى تصرف (زكا) بأنه تصرف ذاتي وتشبيه بتصرف يوحنا المعمداني، والإنجيل يقول في معرض بيان الحكمة التي تنطوي عليها أحكام الصدقات في نشر التكافل والألفة بين الناس: (أعطوا تعطوا كيلاً جيداً وليداً، مهزوزاً فائضا يعطون في أحضانكم لأنه ينقص الكيل الذي به تكيلون يكال لكم).

---

(١) راجع كتابنا العبادات في الأديان السماوية، ص١٧٦-١٧٧.

المبحث الثالث

طواعية الصيام في الكتاب المقدس بين الحقيقة والإلزام

لا يوجد في الكتاب المقدس ما يشير إلى فرض الصيام وجوباً على المسيحيين بل فيه ما يفهم أنه فرض اختيار يلجأ إليه المسيحي عند الحاجة ويقترن بالصلاة لأجل التذلل، وليس هناك في الأناجيل ما يحظر التنادي إلى يوم صوم وصلاة في كنيسة من الكنائس ولأجل حاجة ما.

والسيد المسيح عليه السلام قضى حياته في صلاة مستمرة مع ربه أو صيام غير منقطع البتة، يقول متي (فصام أربعين نهاراً وأربعين ليلة وأخيراً جاع)[1].

وهو عليه السلام أراد للصائمين عدم إظهار صومهم[2] للآخرين لكيلا يصبحوا مرائين كما كان يفعل اليهود آنذاك، وحث أتباعه على الصوم وامتدحه وهذا المديح اعتبره المسيحيون فرضاً كفائياً لا عينياً.[3]

والمتطلع إلى تاريخ التشريع الفقهي المسيحي يجد أن الغالب فيه تشريع كنسي وضعته مجامعهم الكنسية التي عدت قراراتها ذات قدسية ملزمة وأن من يخالفها يعد خارجاً على الدين.

أن الصيام في عهد السيد المسيح عليه السلام كان طوعياً يقوم به المتعبد أما لغرض

---

(١) انجيل متي ٤/١-٢.

(٢) انظر سفر اللاويين ١٦/٢٩، زكريا ٧.

(٣) انظر معجم اللاهوت الكتابي، ص٤٨٨.

إيفاءه بنذر عليه أو لقضاء حاجة أو طلبها أو عند المرض طلباً للشفاء وفي معرض رده على سؤال بعض تلاميذ يوحنا (وكان تلاميذ يوحنا والفريسيون صائمين. فجاء بعضهم إلى يسوع يسألونه.. لماذا يصوم تلاميذ يوحنا وتلاميذ الفريسين وأما تلاميذك فلا يصومون؟ فأجابهم هل يقدر أهل العرس أن يصوموا والعريس بينهم؟ ما دام العريس بينهم لا يقدرون أن يصوموا ولكن ستأتي أيام يكون العريس فيها قد رفع بينهم فيومذاك يصومون)[1].

لقد انتقد فقهاء اليهود تلاميذ السيد المسيح لعدم إتيانهم بالصيام فأجابهم السيد المسيح أن الصوم واجب في مناسبات خاصة وأن الإنسان لا يصوم لمجرد الصوم ولكن عندما يواجه احتياجاً أو أزمة كالتي مرت به عليه السلام في الصحراء عند مواجهته للشيطان فصام أربعين يوماً[2].

وهناك فريق من المسيحيين يرى أن عيسى عليه السلام لم يفرض عليهم صياماً إلا الصوم الكبير (صوم يوم الكفارة) السابق لعيد الفصح[3] وهو اقتداء بصوم اليهود المعروف (بصوم كيبور).

والمسيحيون الأوائل الذين ينتمون إلى السلالة الإسرائيلية يصومون يوم الكفارة أما المسيحيون الذين لا ينتمون إلى أصول أخرى فلم يلحوا في ذلك[4].

ومن مظاهر الصائم أن لا يكون عبوساً وأن يكون نظيفاً وأن لا تظهر عليه أي علامات توحي بصيامه يقول الإنجيل (ومتى صمتم فلا تكونوا عابسين كالمرائين فإنهم يغيرون وجوههم لكي يظهروا للناس صائمين... وأما أنت فمتى صمت فأدهن رأسك

---

(١) انجيل مرقس ٢/١٨-٢٠، ونظر انجيل متي ٩/١٤-١٧، انجيل لوقاه ٣٣.

(٢) سبيل المسيح، إبراهيم فارس، ص٥٨، دار منهل الحياة، لبنان ١٩٨٨.

(٣) دائرة المعارف، بطرس البستاني ١١/٧٠، مؤسسة مطبوعاتي إسماعيلي طهران.

(٤) الأركان الأربعة للندوي، ص١٩١.

واغسل وجهك لكيلا تظهر للناس صائماً لأبيك الذي في الخفاء)[1].

ومظهر الصيام هذا عند المسيحيين رد فعل لما كان اليهود يفعله اليهود في صيامهم من نثر الرماد على الرؤوس وعدم غسل الجسم والملابس.

وبمرور الزمن وبعد رفع السيد المسيح إلى السماء استمر تلاميذه من بعده بتطبيق ما جاء في التشريع اليهودي بخصوص الصوم باعتبار أن ما جاء به عيسى عليه السلام لا يناقض ما فرضه موسى عليه السلام. يقول السيد المسيح (لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأكمل)[2].

إلا ما كان مدعاة للتباهي أمام الناس والتظاهر بالصيام حتى ظهور (بولس) المشرع الأكبر للديانة المسيحية. وظهرت فيما بعد ملامح الصيام وما يجب تناوله من طعام وما لا يجب خاصة عندما عرف الصيام بأنه (شريعة كنسية تكيفها الكنيسة حسب مقتضيات الزمان والمكان)[3].

والامتناع عن الأكل هو خاص بالامتناع عن أكل اللحوم والألبان والبياض بأنواعها يومي الأربعاء والجمعة، وقيل هو الامتناع عن الطعام من الصباح حتى منتصف النهار ثم تناول طعام خالي من الدسم ولا يعقد فيه سر الزواج[4] وسيأتي بيان ذلك لاحقاً.

وأقر مجمع الرسل في أورشليم سنة (٧٠م) صوم الصمت وهو الامتناع عن الكلام وتلتزم به كنيسة دون أخرى. وانتشر هذا النوع من الصيام بين الكهنة ورجال الدين وارتبط كثيراً بالأعياد والمناسبات الدينية.

---

(١) انجيل متي ٦/١٦-١٨، زكريا ٧/٢٥، يوئيل ٢/١٣.

(٢) انجيل متى ٥/١٧.

(٣) الصوم من البداية حتى الإسلام، ص١٥١.

(٤) مقارنة الأديان، المسيحية، أحمد شلبي، ص٢٠، ط٤، الصيام من البداية حتى الإسلام، ص١٥١.

ولا يشكل الصوم عند المسيحيين صوم اليوم بطوله، إذ يمكن للصائم أن يـــأخذ الإذن من رجل الدين بعدم الصيام[1]. وتشهد الرسالة الثانية الذي بعثها بولس إلى أهل كورنثوس أنه فرض عليهم أصواماً أو أنهم أدوا صياماً مرتبط بحدث له علاقة ببولـــس مثل صيامهم يوم ألقي القبض عليه في روما بدعوى دعوته للدين الجديد يشأ عـــامل روما أن يحاكمه لأنه كان رومانيا فأرسله إلى فلسطين فاتفق إن هاج البحـــر فصـــام بولس طلباً للنجاة وصام معه المسافرون أربعة عشر يوماً إلى أن أنجاهم الله من الغـــرق فاتخذوا ذلك الصوم سنّة.[2]

وبدأت بعد وفاة بولس مرحلة جديدة من التشريع الكنسي للصيام فبـــان بوضـــوح تقنين خاص للصوم محدد الأيام والساعات والأطعمة خاصة في القرن الرابع الميلادي وكـــان الدافع إليه هو الحاجة والخوف من شعور عموم المسيحيين بأنه لا يؤدي الغرض الذي مـــن أجله ذكر الصيام في الأناجيل بعد علمهم أنه فرض تطوعي لا إجباري وأول مـــا ابتـــدأت الكنائس بفرضه من أنواع الصيام تلك التي متعلقة بالظروف التي مر بها السيد المسيح عليه السلام كيوم القبض عليه من قبل الحاكم الروماني لفلسطين ويوم الصلب ويوم المبعث.

وفي القرن الأول الميلادي فرضت الكنيسة أنواعاً من الصيام منها ما تحدث عنـــه القديس (إيرنيس) الذي رأى فيه أن بعض أنواع الصيام ما يستغرق اليوم ومنـــها مـــا يستغرق اليومين أو بضعة أيام ومنها ما يستغرق أربعين ساعة متوالية واستمرت هـــذه الحالة مدة طويلة[3] وبمرور الزمن ونظراً لاحتكاكـــهم بالشـــعوب الـــتي عـــاصرتهم وعايشتهم اقتبسوا منها بعض الشعائر من ضمنها الصيام ولكنهم علـــى العمـــوم في القرون المسيحية الأولى اشتركوا في أداء أنواع من الصيام وهي:

١- صوم شعبي شارك فيه الناس عامة إذ فرض في القرن الثاني المسيحي صوم يـــوم

---

(١) Jonathan Z. Smith Fast. The World Book Encyclopedia Vol 7 p525.

(٢) الصوم في القديم والحديث، ناصر الدين أبو الفتوح، ص٢٩.

(٣)الأركان الأربعة، ص١٩٢.

الجمعة (جمعة الآلام أو الصلبوت)[1].

٢- امتثلوا لما ورد في إنجيل لوقا (اصوم مرتين في الأسبوع)[2] فصاموا يومين في الأسبوع وهو أنموذج لصيام الفريسي المؤمن.

٣- صاموا يوم الأربعاء من كل أسبوع لاعتقادهم ولادة المسيح فيه، واليهود كانوا يصومونه وقيل أن الذين ينتظرون التعميد يصومون يوماً أو يومين ويشاركهم الكاهن في الصيام.

٤- في القرن الثالث الميلادي ظهرت أيام للصوم كان الصائم فيها ينهي صومه عند سماع الديك أو إذا أرخى الليل سدوله.[3] واختفى صوم الأربعين في القرن الرابع فلم يوجد له أثر، ولكي يوسعوا من قاعدة الصيام فرضوه على المتهمين إذ عدت الالتزامات المفروضة عليهم شاقة مثل أن يكون الجاني حافي القدمين صائماً أربعين يوماً معتمداً على الخبز وحده في إفطاره مما حدا بالمطالبة بالتخفيف[4].

ويبدأ الصيام عند الكاثوليك من منتصف الليل إلى منتصف النهار والصيام اللازم عندهم هو (الصيام الكبير) ويحق الصيام على كل من بلغ السابعة من العمر وينتهي بالستين للرجال والخمسين للنساء، وهم يمتنعون عن أكل اللحم والبياض (البيض والجبن والحليب والزبد) يومي الأربعاء والجمعة[5].

والكنيسة الكاثوليكية التزمت بصوم يوم واحد هو (يوم الصوم الكبير) بعد أن أبطلت غيره وجوباً[6].

---

(١) الأركان الأربعة ص١٩٢، جمعة الآلام يوم معاناة المسيح من آلامه وصلبه.

(٢) انجيل لوقا ١٢/١٨.

(٣) الأركان الأربعة ص١٩٢.

(٤) شرح التعليم المسيحي، القس يوسف لويس ص١٩٧، مطبعة البوتيري ١٩٣٩، مصر.

(٥) الصيام من البداية حتى الإسلام، ص١٥١.

(٦) سلاحك المسيحي، العنداري، ص٢٨٣ و ٢٨٤ و ٢٨٨، مطبعة المرسلين اللبنانيين، لبنان ١٩٣٠.

والتزمت الكنيسة الرومانية الكاثوليكية بصيام الأربعين يوماً[1] التي تسبق عيد الفصح ما عدا (الأحد) وهو صوم يوم يسمى صوم (الينبوع) وتدل عليه كتابات علمائهم أمثال (أرينوس) و (ترتوليان) وهو صوم كان في بدايته قصيراً وكان محدوداً بأربعين ساعة الواقعة ما بين صلب المسيح وقيامته (حسب اعتقادهم). ولكن بتقادم الأزمان ازداد ليصبح أربعين يوماً حسب صيام موسى وإليا واليشع وعيسى عليهم السلام. ومن وصايا العهد القديم أقرت صيام الصمت وجعلته تشريعاً كنسياً[2]. وقد بالغت طائفة (الترابيست) في جنوب فرنسا في صيام الصمت فأوجبت على نفسها ألا تتكلم طيلة حياتها فدعوا (بالسكوتيين).

ويصومون يوم يعرف بيوم (الأحد الأبيض)[3] وهو الاسم الذي يطلق على عيد معروف لديهم باسم (هبة الروح القدس) وقيل هو اليوم الذي تم فيه تأسيس الكنيسة المسيحية حيث يقومون بالتعميد ولبس الملابس البيضاء وقيل أن أصله راجع إلى العيد الثاني من أعياد اليهود وسمي كذلك لأن أيامه هو اليوم الخامس عشر بعد ثاني يوم عيد الفصح[4].

وتغير معناه عندما قصد المسيحيون من صيام يوم الأحد الأبيض جمع المدة المحصورة بين عيد الفصح وأعياد الأحد الأبيض البالغة (خمسين يوماً) التي تمجد قيامة المسيح وهو يوم فرح لديهم وفيه يصلون واقفين ولا ينحنون لأجل أن يوصفوا شخصيته السعيدة[5].

---

(١) Encyclopedia Britannica Vol.٩. p.١٠٨.

(٢)الصيام من البداية حتى الإسلام، ص١٥٤.

(٣)Fast Chambers's Encyclopedia Vol.٥. p.٥٩٩/Encyclopedia Britannica Vol.٩.p ١٠٨/ Aconcise Cyclopeida of Religion p.٩٦١.

(٤) Aconcise Cyclopedia p٩٦١. Fastichambers Cyclopedia vol.٥. p٥٥٩.

(٥)Aconcise Cyclopedia of Religion p.٩٦١.

وبمرور الزمن فرضت الكنيسة الكاثوليكية على رعاياها صوم أيام الأربعاء والجمعة والسبت بعد أول أحد من أيام الينبوع والأحد الأبيض) ويوم (١٤) أيلول ويوم (١٣) كانون الأول وهذه الأيام تسمى أيام (الأمبر) وهي مأخوذة من معنى (الرماد) الذي يواري الممارسون له على رؤوسهم كدليل على خضوعهم لله تعالى.[١]

وفي سنة (٦١٠) ميلادي تم إدخال صوم (يوم القديسيين) كعيد إحياء لذكرى الشهداء الذين سقطوا في سبيل الدفاع عن الدين في الأول من مايس من السنة ذاتها، وفي سنة (٨٣٤م) صار هذا العيد يحيا في أول تشرين الثاني على أساس أنه يدخل جميع القديسيين[٢] واستمر صيام الأربعين وصيام (الأمبر) موضع عناية الكنيسة الكاثوليكية حتى سنة ١٩٦٦م، وعندما أتى البابا (بولس السادس) بقوانين جديدة للصيام شملت أيام الصوم جميع أيام الينبوع والأحد الأبيض وعيد ميلاد المسيح وأيام الأمير وقد أنقصت أيام الأمير إلى يومي (أربعاء الرماد) و(الجمعة الحزينة) وفيها يأكلون اللحم مع وجبة كاملة ووجبتين أخريين تكفي لإعطاء القوة حتى يأخذ الصائم ما يحتاجه منها.[٣]

وفي تشرين الثاني ١٩٦٦ حدد رجال الدين الأمريكان متطلبات الصيام بالامتناع عن أكل اللحوم في جميع أيام الينبوع وحثوا أتباعهم على الامتناع التطوعي في أيام الجمع كعمل فردي، كما حثوهم على تقديس وصيام يوم ما قبل التناول (تناول العشاء السري)[٤].

وفوضت الكنيسة الكاثوليكية لرجال دينها إعفاء من رغب من اتباعها من الواجبات الدينية ومنها الصيام مما أعطاها الفرصة من فرض أصوام متفاوتة بجانب

---

(١) Ibid p.٩٦١.

(٢) New Universal Encyclopedia vol.٩..p٣٢٧/Glorier Encyclopedia vol p١٨٧.

(٣)Encyclopedia Britannica Vol.٩.p.١٠٨.

(٤)Encyclopedia Britannica vol.٩. p١٠٨.

سنوات لا شهوراً وأياماً[١]. وهكذا بقي في قانون الكنيسة العالمي (الكاثوليكي) الصيام في جميع أيام الأحد ويوم القديس (مرقس) وأسبوع الفصح وأيام الطلبات وجميع أيام السبت والجمعة[٢].

وتتفق الكنيسة الأرثذوكسية الشرقية مع نظيرتها الكاثوليكية في الصوم الكبير باعتباره أعم وأهم أنواع الصيام ومدته خمسون يوماً أو خمسة وخمسون يوماً ولديهم طريقة فلكية لضبط وقته من عام إلى عام حيث أن النسيء يحول دون وضع تاريخ ثابت له مضافاً إلى ابتدائه بيوم (الاثنين) من أيام الأسبوع وهو أقرب (اثنين) إلى الاجتماع الكائن فيما بين اليوم الثاني من (شباط-فبراير) إلى اليوم الثامن من آذار (مارس) فأي يوم اثنين أقرب إليه فهو رأس ذلك الصوم كما يصومون (صيام القدوم) أي قدوم المسيح ويقع قبل عيد الميلاد[٣].

وتكثر أيام الصوم في الكنيسة الأرذوكسية حتى تصل إلى (٢٦٦) يوماً[٤] ومنها:

١- صوم الميلاد ومدته أربعون يوماً من (٢٥ توفمبر إلى ٦ يناير)[٥].

٢- صوم العذراء ومدته خمسون يوماً ابتداءً في (أول مسري)[٦].

٣- صوم نينوى ومدته ثلاثة أيام كالتي قضاها (يونان) يونس عليه السلام ببطن الحوت وكما أوردها سفر يونان في العهد القديم (١/٧).

---

(١) الصوم من البداية حتى الإسلام، ص١٥٢.

(٢) Theodor Gaster Fasting with Encyclopedia International Vol.١١. p٤٣ U.S.A.١٩٨٧.

(٣) انظر كتابنا العبادات في الأديان السماوية، ص١٨٨، الصيام من البداية حتى الإسلام، ص١٥٧، موسوعة تأريخ الأقباط والمسيحية ١/٢٧٣، التقليم المسيحي الأرذوكسي، أغناطيوس فرزلي، ص٨٤، مطبعة أناتولي، الإسكندرية.

(٤) Theodor . H.Gaster. Fasting vol.١١. p٤٣.

(٥) موسوعة تاريخ الأقباط والمسيحية ٢٧٣/١، الصيام من البداية حتى الإسلام، ص١٥٧.

(٦) الصيام من البداية حتى الإسلام ص١٥٧، موسوعة تاريخ الأقباط والمسيحية، ص٢٧٠/١.

٤- صوم الأربعين يوما وهي أيام صامها المسيح ويصومون قبلها أسبوعا سموه أسبوع الاستعداد وبعده أسبوعا آخر سموه أسبوع الآلام.

٥- صوم العنصرة (الرسل) وتمارسه الكنيسة منذ عصر الرسل وليس له عدد محدد من الأيام ويترك أمره بيوم (أحد العنصرة فإذا تقدم هذا الأحد زادت أيام الصوم وأن تأخر انقضت وتنتهي تقريبا في (١١) أيلول[١].

٦- صيام الاستعداد (البراموت) وهو متفاوت المدة بين اليوم والثلاثة أيام، وعادة يسبق عيد العماد الذي يوافق يوم (١١طوبة)[٢] فإذا جاء العيد يوم السبت يكون (الاستعداد) يوما واحدا (الجمعة) وإذا كان الأحد يكون يوم الجمعة والسبت وإن كان يوم الاثنين فيكون ثلاثة أيام (الجمعة والسبت والأحد) والكنيسة الأرذوكسية كالكاثوليكية في أخذها بالامتناع عن أكل لحم الحيوان ونتاجه أثناء الصيام الكبير، وكلا التشريعين كنسيين، وهم يمتنعون عن أكل اللحم خلال الأسبوع الأول من أيام (الينبوع) وبعد ذلك يمتنعون عن أكل السمك والجبن والزبد والدهن والحليب عدا أيام السبت والآحاد[٣].

وطائفة النساطرة ترى أن (الرجل الذي يجتهد في العبادة وترك التغذي باللحم والدسم ورفض الشهوات الحيوانية يصغي جوهره حتى يبلغ ملكون السموات والأرض ويرى الله جهرة)[٤].

وتوجد أيام شعبية للصوم عند الكنيسة القبطية الأرثذوكسية شبيهة بما لدى الكاثوليك ومنها: [٥]

---

(١) موسوعة تاريخ الأقباط والمسيحية ١/٢٧٣، الصيام من البداية حتى الإسلام، ص١٥٧.

(٢)طوبة أحد أشهر السنة المسيحية ولعله الشهر الرابع عند اليهود المسمى (طبت).

(٣)Theodor H.Gaster. Fasting Vol.١١. p.٤٣.

(٤)أصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر زمن المأمون العباسي انظر دائرة المعارف، بطرس البستاني ١١/٧٠.

(٥) موسوعة تاريخ الأقباط والمسيحية، ص٢٧٣.

١- الصوم الكبير.

٢- صوم الميلاد وعدد أيامه ثلاثة وأربعون يوماً تنتهي بعيد الميلاد.

٣- صوم الرسل ويبدأ بيوم الإثنين وهو مختلف في مدته بين (١٥-٤٩) يوماً.

٤- صوم العذراء ومدته (١٥) يوماً.

٥- صوم نينوى ومدته ثلاثة أيام صامها نبي الله (يونس) عليه السلام في بطن الحوت.

وعموماً يحرم المسيحيون عقد الزواج في أيام الصوم الكبير الذي تحسب من جمعة البياض إلى الأحد ومن بدء صوم الميلاد إلى ما بعد (عيد الغطاس) إلا إذا اقتضت الضرورة فيرخصه الأسقف. ويجوز عقد الزواج سراً لا علناً[(١)]. أما في الكنيسة البروتستانتية (فعادة لا يعقد الزواج في يوم الرب، يوم الأحد)[(٢)].

وتترك الكنيسة البروتستانتية مسألة الصوم للشخص الذي يقرر متى يصوم وكيف يصوم. ومناط رغبته الشخصية إحساسه الذاتي في احتياجه للصوم وقدرته عليه، فإذا ما صام وأفطر يحل له أكل ما يشتهيه من المأكولات. وتشهر الكنيسة البروتستانية بالداعين إلى الانقطاع والمانعين الناس من أكل ما أحل الله مثل (مرائين ينطقون بالكذب وظمائرهم مكوية، ويمنعون الناس من أكل أطعمة خلقها الله ليتناولوها بشكر كل من آمن وعرف الحق.

يقول أحد رؤساء الكنائس: لا توجد أيام مخصوصة أو محبذة للصيام في الكنيسة البروتستانتية ولكن المرء عندما يجد نفسه في حاجة تستدعيه إلى الصيام كطلب للشفاء من مرض وطلب فرج من كربة ألمت به أو لأي حاجة أخرى فإن عليه الصوم[(٣)].

---

(١) مجلة المشرق، مجلة كاثوليكية تديرها كلية القديس يوسف، السنة الثامنة عشرة، ١٩٢٠، العدد٤، ص٣١٩، بيروت.

(٢) دستور الكنيسة الإنجيلية، ص٤٨.

(٣) انظر كتاب المؤلف العبادات في الأديان السماوية، هامش (٢) ص١٩١.

والكنيسة البروتستانتية تختلف عن الكنيسة القبطية في أن الأولى تنكر الصيام والثانية تتمسك به. والبروتستانتية لا تتمسك بالصلاة على أنفس الموتى والصالحين وطلب الرحمة لهم والقبطية تتمسك بذلك، والبروتستانتية لا تعترف بالأعياد المقامة إكراماً للمسيح أو الشهداء والقديسيين والتي تتبعها الكنيسة القبطية وتهتم بها.[١]

وتشير دائرة المعارف إلى أن أشد أنواع الصيام المسيحي هو عند طائفة الأرمن والقبط إذ يصومون الأربعاء والجمعة من كل أسبوع إلا ما وقع منها بين الفصح والصعود ويصومون عشرة أسابيع من كل سنة وهي: [٢]

١- بعد الأحد الأول من عيد الثالوث.

٢- بعد عيد التجلي.

٣- بعد عيد انتقال العذراء.

٤- صيام عيد الصليب في أيلول.

٥- بعد الأحد الثالث عشر من عيد الثالوث.

٦- بعد الواحد والعشرين من عيد الثالث.

٧- الصوم السابق لعيد الميلاد.

٨- صوم الميلاد.

٩- صوم المر.

١٠- صوم الفصح.

---

(١) الصيام من البداية حتى الإسلام، ص١٦٢.

(٢) دائرة المعارف، بطرس البستاني ١١/٧٠ طبعة طهران.

المبحث الرابع

رحلات الحج بين الزيارة والأثر التاريخي

عرف معجم اللاهوت الكتابي الحج بأنه (رحلة إلى مرقد القديس أو زيارة إلى مكان مقدس آخر، ويتم ممارسة هذا الطقس لدوافع مختلفة، فهي لأجل الحصول على المساعدة الروحية أو لأجل القيام بصيام التشكر أو القيام بفعل تكفيري)(١).

إن المتطلع إلى التاريخ المسيحي لا يجد بين ثناياه ما يشير إلى الاهتمام بضرورة زيارة الأماكن التي ارتادها وعاش فيها السيد المسيح عليه السلام، كما أن الأناجيل الأربعة لم تبحث في فريضة الحج بمعناه الحصري و لم تورد أي تنويه من السيد المسيح عليه السلام إلى فرضه أو الإشارة إليه، ولكنها ذكرت أنه عند بلوغه من الإثني عشر ذهب مع أمه وخطيبها يوسف إلى أورشليم تنفيذاً لأمر الشريعة اليهودية وهذه الزيارة مرتبطة بعيد الفصح اليهودي، يقول أنجيل متى (وصعد يسوع إلى أورشليم)(٢). ويقول يوحنا (وبعد هذا كان عيد اليهود فصعد يسوع إلى أورشليم)(٣).

وأدى (بولس الرسول)(٤) حج العنصرة(١) بعد رفع السيد المسيح بخمسٍ وعشرين

---

(١) معجم اللاهوت الكتابي، ص٢٥٨.

(٢) انجيل يوحنا ١٣/٢ و ٣٣/٢٢ و ١/٥ و ١١/٧، انظر تاريخ المسيح اسحق سنتاؤوس، ص١٩.

(٣) انجيل يوحنا ١/٥.

(٤) كان بولس يهودياً يحارب المسيحية بضراوة وقتل الكثيرين من اتباع عيسى عليه السلام إلا أنه ادعى أنه التقى بروح السيد المسيح وهو في طريقه إلى دمشق فهداه إلى نوره فكرس حياته للمسيحية ونشرها كتب رسائل وأعمال كثيرة تحدث عنها الكتاب المقدس مما ميزت الديانة المسيحية بميزات واضحة، انظر في ذلك تاريخ الديانتين اليهودية والمسيحية، ص٩٣.

عاماً وينظر المسيحيون إلى جسد المسيح هو الهيكل البديل لهيكل اليهود[٢]. لذا فقد اقتصروا في أول الأمر إلى زيارة الأماكن التي تمثل رمز المسيح وهو -المذبح- الموجود في كل كنائسهم، ويشير المذبح إلى مكان صلب المسيح الذي يمثل الذبيحة الكاملة للرب والتي تقدس ذاتها بذاتها[٣].

وتحدث أربعة عشر مزموراً بتراتيل يتغنى بها الزائر لبيت المقدس كمقدمات لفريضة الحج عند اليهود[٤].

يقول السيد المسيح ﷺ (حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهنا أكون في وسطهم)[٥].

وفي عهد قسطنطين (٣٠٦م) بدأ المسيحيون بالاهتمام بالأماكن التي ارتادها السيد المسيح وكذلك بأضرحة القديسيين، فنظموا لها طقوساً خاصة فرضت على زوادها الالتزام بها، واهتموا بكافة سبل الراحة للحجيج مما يسهل عليهم أداء هذه الشعيرة والحصول على البركات من الكاهن الذي يرتدي ملابس خاصة مميزة لهذا المحفل، وعند انتهاءه من أداء كافة الشعائر يضع الحاج شارة تدل على المرقد الذي زاره، وطوال رحلة العودة يجد الحاج أماكن عديدة خصصت لخدمته وراحته[٦].

ويؤمن المستشرق الفرنسي (لويس ماسينيون) بأن الأماكن المقدسة انعكاس لله المقدس. وإن المكان -أيا كان- إنما جاء تقديسه من خلال شعور الناس واعتقادهم بأن له قوة جذب روحية تلقائية تشدهم إليه، كما أنه يعبر في نظرهم عن الرغبة في

---

(١) حج العنصرة، يؤديه اليهود لمناسبة إعطاء الشريعة لموسى ﷺ من الله تعالى.

(2)New Encyclopedia Britannica vol 8.p 442 Inc. 1986.

(٣) انظر الرسالة إلى العبرانيين ١٣/١٠.

(٤) المزامير ١٢٠-١٣٤.

(٥) انجيل متى ١٨/٢٠.

(٦) The New Encyclopedia Britannica Vol. 8. P442.

إزالة مواطن التمسك بالحياة الدنيوية[١].

واعتبر المسيحيون حملتهم الصليبية على فلسطين حجا مسلحا، الهدف منه سياسي بحت، وشعاره ديني مبطن[٢] وهو في نظرهم بداية لعصر جديد في المسيحية لوقف المد الإسلامي واستعمار للشرق.

وفي القرون الوسطى كان رهبان فلسطين يزورون أوربا لجمع التبرعات والصدقات لإقامة الأماكن المخصصة لراحة الحجاج للمدينة المقدسة وفي نفس الفترة كان الحجاج يلبسون لباسا رصاصيا مميزا وقبعة ذات حافة طويلة ويحملون كيسا للمتاع ويتلقون تكريما طوال رحلتهم لا يعطى للمسافرين العاديين لمكانتهم الدينية[٣] وبمرور الزمن انحرف الحج عن رسالته الدينية فأصبح وسيلة للكسب المادي من خلال الاتجار بالسلع المختلفة[٤].

واتخذ الحجاج شعيرة الحج طريقا للتكفير عن الذنوب ووسيلة يتقرب بها إلى ما يتمنى الحاج تحقيقه من طلبات كالشفاء من المرض مثلما حصل لملك إنكلترا (هنري الثامن) إذ حج حافيا بأمر البابا (أوريان الرابع) إلى قبر القديس (توماس بيكيت) الذي قتل عام ١١٧٠م، وحذا حذوه الفقراء والأغنياء[٥].

وسمي زوار فلسطين في القرون الوسطى (بالنخيليين)[٦] لأنهم بعد أن يستحموا في نهر الأردن يأخذوا غصنا من النخل ليقدموه عند رجوعهم إلى رجل الدين كي يضعه على المذبح علامة لتطبيقهم جميع تعاليم الزيارة.

---

(١) دائرة المعارف، بطرس البستاني ٦/٦٩٤.

(٢) (لويس ماسينون) جان موريون ترجمة متي النجار، ص١٧٧، بتصرف، بيروت، ١٩٨١.

(٣)Britannica Jonulour Vol١٢. P.١٨٩.

(٤)Ibid vol.١٢ p.١٨٩.

(٥) دائرة المعارف، بطرس البستاني ٦/٦٩٣، المعجم الموسوعي للديانات والعقائد ١/٣١٦، تعريب وتصنيف وتقديم، د. سهيل زكار، دار الكتاب العربي، ط١، دمشق، ١٤١٨هـ-١٩٩٧.

(٦) دائرة المعارف ٦/٦٩٥.

وصدر (اعتراف أوزبرغ) عام ١٣٥٠م الذي أقره رجال الدين المصلحين الذين صوروا الحج على أنه عمل طفولي عديم النفع والجدوى، ورأوى فيه ثراء للحجاج من وراء التجارة في منافاة واضحة لمفهوم الحج الديني وقدسيته مما حدى بعموم المسيحيين أن ينظروا إلى الحجاج وما يؤدوه من طقوس باستهزاء واستخفاف، فعملت الكنيسة الكاثوليكية على أن تسقط عن اتباعها فريضة الحج.(١)

ولكن بمرور الزمن ونظراً للتغيرات الاجتماعية والسياسية التي أصابت المجتمعات المسيحية تغيرت نظرة رجال الدين المسيحيين إلى الحج فأعادت الاعتبار لهذه الفريضة وشعائرها مما حدى بالكنيسة الكاثوليكية بأن تعرف الحج بأنه (أعمال ذات قيمة دينية معتقدين بأن الحجاج يستحقون مكافأة سماوية)(٢).

والكنيسة البروتستانتية لا تعترف بالحج فريضة ملزمة ولكنهم يزورون قبر المصلح (لوثر كينك) في (أيبورت) أنكلوشاير(٣).

ونظراً لشدة اهتمام الكاثوليك بالحج فقد اعتنوا بطقوسه وأولوها اهتماماً بالغاً حتى قبل حيث ما وجد الكاثوليك وجدت الأماكن المقدسة.

واشهر مزاراتهم القدس وروما (حيث استشهد القديس بطرس) وضريح والقديس بولس واللورد، وفي انكلترا إلى (وولسينغهام يزورون) وإلى مغارة (لوردز) بفرنسا ومزار القديسة (آن) البربرية في كيوبك بكندا. أما الكنيسة الروسية الأرثذوكسية فلها مزارات عدة منها -إضافة إلى أورشليم- ديرثالوث الأقدس في (كيان) ومزار القديس (الكسندر تفسكوي) قرب بطرسيرج(٤).

---

(١)The New Encyclopedia Brittanica Vol.٨. p ٤٤٢.

(٢)Britannica Jounior Vol. ١٢. P.١٨٩.

(٣)The New Encyclopedia Brittannica vol.٨. p٤٤٢.

(٤)المعجم الموسوعي للديانات والعقائد ٣١٦/١، المورد، منير بعلبكي ٧٧٤، دار العلم للملايين، ط١، بيروت ١٩٦٧، دائرة المعارف، بطرس البستاني ٦٩٦/٦.

وفي الوقت الحاضر أقاموا جمعيات إرشادية تحث الناس إلى زيارة فلسطين في كل سنة مرة خاصة أماكن (جبل الزيتون وجبل صهيون ووادي يهوشافاط وبيت لحم وجبل تابور وكنيسة (حيرانيا)[1]، كما تحثهم تلك الجمعيات لزيارة (منف وطيوه) وصوامعها في مصر حيث كان يقيم القديس انطونيوس والقديس بولس الطيوي[2].

وعلى العموم أصبح لكل مسيحي مزاراته الخاصة يزورها مع عائلته تمثل في غالبيتها رفات قديسيهم أو الأماكن التي ارتادها السيد المسيح عليه السلام وأمه البتول.

وتفتخر الكنيسة الألمانية بأنها ومنذ عام ١١٩٠م، تحتفظ بقميص السيد المسيح. أما الكنيسة الإيطالية فإنها تدعي بأن لمريم العذراء بيتاً فيها في مدينة (لوراتو)، والكنيسة الإسبانية تتبجل ببعض آثار مريم العذراء والقديس يعقوب الرسول في (كميوستل).[3]

ويقام في مدينة (رومية) يوبيل ديني آخر كل سنة من كل قرن فجعله البابا (الكيمنفس السادس) في آخر كل خمسين سنة والبابا (أوريانوس) في آخر كل (٣٣سنة) وأخيراً جعله البابا (بولس الثاني) في آخر كل ٢٥ سنة [4].

وإيجازاً لمفهوم (الحج) عند المسيحيين فإنه لم يعد فريضة ملزمة أو واجباً دينياً معنياً يلزم به المسيحي كل عام أو أكثر. يقول القس كرم (رئيس الطائفة الإنجيلية في العراق)(لا يوجد ما يسمى بالحج أو الزيارة في الحياة المسيحية قديماً أو حديثاً ولا يعتبر هذا الفعل ممارسة روحية تقوي إيمان المرء، حتى الأماكن التي عاش فيها المسيح لا تجب زيارتها ولكن لا مانع من زيارتها للإطلاع عليها تاريخياً)[5].

---

(١) دائرة المعارف، بطرس البستاني، ٦٩٤/٦.

(٢) دائرة المعارف ٦٩٥/٦.

(٣) دائرة المعارف ٦٩٥/٦.

(٤) دائرة المعارف ٦٩٥/٦.

(٥) قيل هذا الكلام خلال مقابلة المؤلف له في الكنيسة الإنجيلية في بغداد.

إذن فالحج أو ما يمثله من المفاهيم لديهم هو زيارة إلى مكان مقدس، أو إلى مرقد أحد قساوستهم لغرض الحصول على البركات والغفران وتقوية الروح المعنوية عند البعض منهم وليس عند جميعهم، وبمرور الزمن اتخذت كل طائفة لها مزارات خاصة بها فقامت بتقديسها بالإضافة إلى تقديسهم لكل الكنائس حيث المذبح الذي يصور مكان صلب السيد المسيح عليه السلام.

الباب الثاني

أحكام الزواج في الأديان

الفصل الأول

نظام الزواج في الأديان الوضعية والحيّة

المبحث الأول: نظام الزواج في الأديان المندثرة

المبحث الثاني: نظام الزواج في الأديان الحية

المبحث الأول
نظام الزواج في الأديان المندثرة

المطلب الأول

نظام الزواج عند العراقيين القدماء

أعتمد العراقيون في أحكامهم الخاصة بالزواج نظاماً تشريعياً غاية في التنظيم والدقة المنشودة في العناية بعقد الزواج وحفظ الحقوق الزوجية، وتأمين قدر أكبر من العدالة لبناء أسرة تقوم دعائمها على الأحترام المتبادل وصيانة الحقوق من الضياع، متوخين من إنشاءه بناء مجتمع قوي متراص في روابطه الأسرية، وهذا ما نصت عليه شريعة (ليبيت عشتار)، ومن بعدها شريعة حمورابي.

لقد كان أساس الزواج في الأسرة العراقية القديمة هو أحادية الزوجة، إذ ليس من حق الرجل أن يتزوج امرأة ثانية إلا في حالات معينة تستوجب ذلك[1] مثل مرض الزوجة بمرض معدٍ أو لا يرجى شفاؤها منه أو عدم إنجابها للأطفال، أو إنكارها لزوجها والتقليل من قيمته أمام الناس بالخروج عن طاعته.

ويشترط في صحة عقد الزواج قانونيته[2] أي تسجيله في عقد مكتوب ومشهود عليه من قبل عدة شهود وبموافقة والد العروس، ووالد العريس على قيام الزواج. فإن

---

(١) العراق في التاريخ – تأليف لجنة من الخبراء – ص ١٨٩ – دار الحرية للطباعة – بغداد ١٩٨٣م.

(٢) العراق في التاريخ ص ١٨٩.

المرأة إذا بقيت في بيت الرجل لمدة سنة كاملة و لم يكتب لها عقداً مكتوباً بشـــهود لا تعد زوجة شرعية[1] ونص المشرع العراقي أنه على كلا الزوجين أن يحافظا على سمعة الأسرة ويصونان كرامتها وأنذرت المخالف منهما بعقوبات شديدة وصارمة.

وجُعِلَ إنجاب الأولاد من أهم مقاصد الزواج لأن فيه تماسك للأســـرة وقـــوة للمجتمع، لذا فأن الزوجة التي لا تنجب الأولاد يكون حري علـــى الـــزوج الـــذي صرف مالاً كثيراً على زواجه أن يتزوج بأمرأة أخرى وعندها تكون الزوجة الثانيـــة أقل مرتبة من الزوجة الأولى، ومن حقه أن يقوم بتطليق زوجته العـــاقر أو أن يتخـــذ إحدى الإماء سرية له لإنجاب الأطفال، أو يتبنى طفلاً أو أكثر يعده إبناً له[2].

ويعد بيت الزوجية مقدساً للزوجة بصورة خاصة تعده لراحة زوجها بقيامـــها بواجباتها البيتية وخدمة الأطفال وترتبيتهم وتنشئتهم النشأة صالحـــة كـــي ينفعـــوا مجتمعهم، حتى أن الزوجة إذا دخلت خطأ بيت رجل آخر فأنها تعـــاقب بإلقائـــها في النهر ما لم تثبت ضد ذلك[3].

وتبدا مراسيم الزواج بالخطبة فبعد موافقة والديهما على عقد زواجهما يتفقـــان على المهر، فيذهب الخطيب إلى بيت خطيبته حاملاً هدية الخطبة لمخطوبته ودفع ثمـــن الزواج، وإن صادف أنَّ الخطيب ألغى خطبته لتعلقه بحب امرأة أخـــرى وقـــال لأب مخطوبته (لن أتزوج أبنتك) فأن والد المخطوبة يحتفظ بكل ما جيء إليه به من هدايـــا ولا ترد للخاطب[4] فكأنه تعويض أدبي لما لحق بأبنته.

وعادة ما يقوم الأب بتقديم المهر اللازم لتزويج أبنه، كما كان عليـــه أن يقـــدم

---

(١) حضارة مصر والعراق – برهان الدين دلو ص٤٠٩ – دار الفارابي – الأولى بيروت ١٩٨٩.

(٢) تاريخ الشرق القديم د. أحمد أرحيم هبو ص ١٦٨. دار الحكمة اليمانية الأولى – صنعاء ١٩٩٦/ العـــراق في التاريخ ص ١٨٩.

(٣) حضارة مصر والعراق. برهان الدين دلو ص٤٣٢.

(٤) حضارة مصر والعراق – ص٤٣٤

الهدايا اللازمة والتجهيزات الخاصة بزواج أبنته. وإذا توفى الأب قبل زواج بعض أولاده سواء من البنين أو البنات كان على الورثة أن يقدموا لهم مهراً أو هدية مناسبة وذلك قبل أن يقتسم الورثة تركة المتوفي(١).

وإذا جاء الخطيب إلى بيت خطيبته بهدية الزواج ودفع ثمن الزواج وأساء إليه صديق له بأن قال أن حماه المقبل قال (لن تتزوج ابنتي) فأنه يرد مضاعفاً ما جيئ إليه به، ولكن صديقه لا يتزوج تلك الزوجة(٢).

والهدايا المقدمة من والد الفتاة إلى أبنته عند الزواج تتناسب وإمكاناتهما المادية، وقد تتضمن هذه الهدايا أموالاً منقولة وغير منقولة، وهي في الواقع تمثل حصة الفتاة في تركة أبويها، ومن حق الزوجة أن تحتفظ بجميع الهدايا وفي جميع الظروف إذا ما توفيت تعود جميع هداياها إلى والديها أو إلى ابنائها أن كان لها أبناء(٣).

والمهر المقدم للزوجة ملكاً لها بعد زواجها، وإن توفيت يؤول إلى الزوج، إذا لم يكن لها أولاد، فأن كان لها أولاد ورثوها(٤).

وإذا أتصل رجل بخطيبة رجل آخر ولم يكن قد واقعها رجل من قبل وكانت لا تزال في بيت أبيها وأمسك بها فأنه يقتل أما المرأة فأنها تطلق حرة ولا حكم عليها(٥).

ويؤدي الوالدان دور كبير في اختيار الفتاة المناسبة لأبنهما، كما أن لهما دوراً مهماً في إتمام مراسم الزواج وكانت موافقة والدي الخطيبين شرطاً ملزماً وأساسياً في قيام الزواج وصحته. ولا يعرف فيما إذا كان يؤخذ برأي الفتاة عند اختيار الزواج

---

(١) العراق في التاريخ ص١٩٠.

(٢) حضارة مصر والعراق. برهان الدين دلو ص ٤٣٤.

(٣) العراق في التاريخ ص ١٩٠.

(٤) العراق في التاريخ ص ١٩٠.

(٥) حضارة مصر والعراق ص ٤٣٢.

المقبل لأن وثائق الزواج المكتشفة بين أيدي العلماء لا تشير إلى ذلك(١).

وذكرت وثائق الزواج المكتشفة أن الخطيب يقدم لخطيبته المأكولات والمشروبات والملابس والحلي الثمنية بعد الخطبة مباشرة، ومن ضمن الطقوس المقامة في حفل الخطبة أن يقوم الخطيب بصب الزيت أو العطر على رأس الخطيبة وقد تطول فترة الخطوبة وقد تقصر تبعاً للظروف المحيطة بالفتى والفتاة كصغر سن أحدهما مثلاً(٢).

وإذا ما تم عقد الزواج كاملاً حلّتء الزوجة لزوجها شرعاً وتترتب على ذلك الحقوق الزوجية لكليمهما من واجب الاحترام والعطف والأرث وسائر الفروض المترتبة على عقد الزواج.

وقد نصت شريعة ليبيت عشتار(٣)، أنه:

إذا حدث أن خطب رجل من والد المخطوبة أبنته ودفع له المهر وَقَبِلَ أبو المخطوبة المهر من الخاطب ولكنه بعد فترة من الزمن غيّر أبُ الفتاه رأيه في الخاطب وأعطى بنته إلى رجل آخر وجب عليه أن يرجع المهر إلى الخاطب الذي قبضه منه مضاعفاً(٤).

وتعتبر جريمة كبرى وعقوبتها الموت إذا ما قام رجل بتسليم مهرٍ لابنة رجل، وقام بعد ذلك رجل آخر باختطافها ودخل بها اغتصاباً بدون موافقة أبيها وأمها(٥).

ويحدث أن تفسخ الخطوبة لأي سبب كان فأن المسؤول عن الفسخ يتحمل المسؤولية ويقوم بدفع التعويضات ومن حق الخطيب إذا توفيت خطيبته قبل إتمام

---

(١) العراق في التاريخ ص ١٩٠.

(٢) العراق في التاريخ ص١٩١.

(٣) (ليبيت عشتار) خامس ملوك أسرة (إيبسن) الذي حكم في النصف الأول من القرن التاسع عشر قبل الميلاد وشريعته تسبق شريعة حمورابي بقرن على الأقل.

(٤) حضارة مصر والعراق ص ٤٠٩

(٥) حضارة مصر والعراق ص٤٠٩.

الزواج أن يعقد قرانه على أحد أخواتها أن كان لها أخـوات، وكذلـك الحـال بالنسـبة للخطيبه التي يتوفى عنها خطيبها فمن حق أحد أخوة الخطيب أن يعقـد القـران عليـها أن كان للمتوفى أخوة[١] ومن حق الزوج أن يوصي بأي جزء من أملاكـه إلى زوجتـه وفق وثيقة محررة وإلى ذلك أشار قانون حمورابي[٢].

ومن حقوق الزوجة على زوجها أن يوفر لها بيتاً معداً بكل التجـهيزات المنزليـة، أما إذا لم يوفر لها ذلك فمـن حقـها أن تـهجره أو أن تطالبـه بـالتعويض وإذا مـا أسـر زوجها في الحرب و لم تجد الزوجة في بيتها ما يحفظ لأسرتها الحياة فللزوجة أن تدخـل بيت رجل آخر ولا لوم عليها[٣].

وإذا رفضت المرأة أن تعيش في بيت زوجها ردت إليها بائنتها[٤] التي جاءت بـها من بيت أبيها وعندئذ لها أن تترك البيت[٥].

وقد تطرقت شريعة حمورابي إلى حق الزوجة في استرداد بائنتها حين طلاقـها مـا لم تكن ناشزا، وتوسـعت في التفصيـل فـأوضحت أن بائنـة المطلقـة ذات الأولاد هـي نصف أملاك زوجها لتستغله في تربية الأولاد حتى يبلغوا أشدهم ثم تقوم بتجزأة قسم منه لتستعين به على زواج جديد أن استحبت فراقهم[٦].

وحكمت تلك التشريعات أيضا للزوجة العاقر المطلقة بأن إضـافت إلى حقـها في البائنة تعويضا إضافيا مجزيا وجعلت بائنة الزوجة العاقر المتوفاة مـن حـق أبيـها بعـد أن يسترد زوجها منه قيمة هداياه إليـها حـين عسـرها، وتبقـى الزوجـة المريضـة في بيت

---

(١) العراق في التاريخ ص١٩١.

(٢) العراق في التاريخ ص١٩١.

(٣) حضارة مصر والعراق – ص٤٣٢.

(٤) البائنة (نفقات الزواج).

(٥) حضارة مصر والعراق ص ٤٣٤.

(٦) تاريخ الشرق القديم الجزء الثاني – د. أحمد ارحيم هبو ص ١٦٦.

الزوجية محتفظة بحق الانفاق عليها من قبل الزوج أن أراد الزواج بأمرأة ثانيــة لعلــة مرض زوجته الأولى[1]، ولكن أن رفضت الزوجة المريضة البقاء في البيت كان لزاماً علــى زوجها أن يعطيها بائنتها التي جلبتها معها من بيت أبيها يوم زواجها وتترك البيت[2].

وإذا أتخذ رجل زوجة ثم ماتت دون أن تجيئه بأطفال وأعاد له حموه ثمن الــزواج الذي قدمه لهم الزوج أثناء عقد الزواج، فليس للزوج أن يدعي حقاً في بائنتــها لأن هذه البائنة من حق بيت أبيها وإذا لم يرد حموه ثمن الزواج إليه فإنه يستترل مبلغ ثمــن الزواج بأكمله من بائنتها ويرد بقية البائنة إلى بيت ابيها[3].

وإذا لم يقدم الزوج لزوجته هدية الزواج ـ تُرد إليها بائنتها وتحصل من متــاع زوجها على ميراث يُعَدُّ أحد الأنصبة فأن ضايقها أولادها لإجبارها على ترك الــدار تحرى القضاة الأمر فأن ثبت أُلقي اللوم على الأولاد ولا تترك المرأة البيت فإذا عَوّلـت على تركه فتترك لأولادها هدية زواجها التي أعطاها إياها زوجها، أما البائنــة الــتي أخذتها من بيت أبيها فتأخذها معها حتى يتزوجها الرجل فيعطيها[4].

ويقتسم أولاد الزوجة من زوج واحد أو من زوجين أثنين ـ بعد طلاق أو وفـاة أحدهما ـ البائنة في حالة وفاتها أما إذا لم تكن قد رزقت أطفالاً من الــزوج الثـاني فأطفال الزوج الأول وحدهم يتقاسمون البائنة[5].

والرجل الذي لم يقدم بائنة لأبنته التي كرسها لمعبود، أو جعلها متعبده فأنها بعـد موته تأخذ نصيباً من تركته بمقدار الثلث ولها استثماره طيلة حياتها فقط لأنه يخــص أخوتها[6].

---

(١) تاريخ الشرق القديم الجزء الثاني – بلاد ما بين النهرين (العراق) د. أحمد ارحيم هبو ص ١٦٦.
(٢) تاريخ الشرق القديم الجزء الثاني – بلاد ما بين النهرين (العراق) د. أحمد ارحيم هبو ص ١٦٦.
(٣) حضارة مصر والعراق ص ٤٣٥.
(٤) حضارة مصر والعراق ص ٤٣٦.
(٥) حضارة مصر والعراق ص ٤٣٦.
(٦) حضارة مصر والعراق ص ٤٣٧.

وإذا لم يقدم الأب البائنة لابنته المكرسة لمعبود (المردوك) بابل و لم يسجل لها وثيقة مختومة فأنها بعد موته تشارك أخوتها في تركة الأب بنسبة الثلث لها ولكن ليس لها أن تباشر أية التزامات إقطاعية لأن لمعبود (مردوك بابل) حق منح ميراثها من تشاء[1].

وعند تحرير الأب وثيقة مختومة لابنته الكاهنة عند تقديم بائنتها فلها بعد موته أن تأخذ نصيبها في تركة أبيها ولكن لو لم يقدم الأب لابنته الكاهنة بائنة لأنه لم يزوجها فعلى أخوتها بعد موته أن يقدموا إليها هدية تتناسب مع قيمة التركة التي خلفها الأب ويقدموها إلى زوجها[2].

وفي الحقيقة مقابل هذه الضمانات التي كفلتها التشريعات للزوجة فأن الشريعة العراقية القديمة قد أَلْزَمَتْ الزوجة بجملة واجبات عليها القيام بها تجاه زوجها في بيتها، فأن شكاها زوجها أمام مجلس المدينة، وتبين بالدليل لأعضاء المجلس إهمال الزوجة لزوجها بتقصيرها في واجباتها عمد المجلس إلى حرمانها من بائنتها[3]. وأعطوا السماح للزوج بأن يتزوج عليها، ولها أن تبقى في داره أَمَةً ولكن إن تبينوا نشوزها وأضرارها بزوجها بالدليل أَلْقُوا بها في النهر، وأنْ ثبت زناها أمروا بتقييدها هي ومن زنى بها، فيلقيان في النهر إلا إذا عفا الزوج عنها وعفا الملك عن عشيقها، وإذا ثبت تآمر الزوجة على قتل زوجها من أجل عشيقها أعدمت على الخازوق[4].

---

(١) حضارة مصر والعراق ص ٤٣٧.

(٢) حضارة مصر والعراق ص ٤٣٧.

(٣) تاريخ الشرق القديم الجزء الثاني ص ١٦٧.

(٤) تاريخ الشرق القديم الجزء الثاني ص ١٦٧.

المطلب الثاني

نظام الزواج عند المصريين القدماء

نظر المصريون إلى الزواج بأنه ضرورة قصوى لحفظ النوع البشري وإدامة لكينونته، ولما يكفله من استبقاء الذِّكر بعد الموت. لذا فقد أمروا بالحث على الزواج والتبكير به وعدم تأخيره لضمان الإنجاب أكثر في مرحلة الشباب.

ويتضح هذا المعنى مما خلفه لنا المصريون القدماء من وصايا تأمر بذلك. قالت وصية كتبت في عهد بُناة الأهرام: ((إذا كنت قادراً على الباءة - نفقات الزواج - فأتخذ لك داراً مستقلة، واختر لك زوجة تحبك حتى ترزق منها بالولد))(١).

وقال الحكيم (آني) قبل ألفي سنة في وصية لتلميذه (خونسوهتب) كتبت باللغة الهيراطيقية: ((إذا بلغت العشرين فقد حق عليك الزواج حتى ترزق بطفل وأنت لا تزال في ريعان العمر وعنفوانه وفي ذلك مدعاة لاحترامك وإجلالك وبرهان على صلاحك وتقواك))(٢).

لقد بلغ من حرص المجتمع المصري على قيام الزواج والحث عليه أن قام السادة الأقطاعيون بالجدية في البحث عن زوجات من الفتيات العاملات في دورهم وغيرها لغرض تزويج العزاب من موظفيهم وعمالهم ليضمنوا لهم الاستقرار وإنشاء الأسرة.

---

(١) عادات وتقاليد في العصور القديمة ص ٤٣ هامش رقم ١ تأليف - محمد كامل عبد الصمد - الناشر مكتبة دار العربية للكتاب الطبعة الأولى ١٩٩٥- مصر.

(٢)عادات وتقاليد في العصور القديمة ص ٤٣ هامش رقم ١ تأليف - محمد كامل عبد الصمد - الناشر مكتبة دار العربية للكتاب الطبعة الأولى ١٩٩٥- مصر.

وكذلك تفعل الملكات إنْ أردن إظهار رضاهن وعطفهن على تابع من الاتباع فيزوجنه واحدة من وصيفاتهن وتُحمّل الملكة وصيفتها الهدايا فضلاً عن الصداق المسمى(١).

ونظراً لاتساع الحضارة المصرية وشمولها لأحقاب زمنية سحيقة في القدم فأنه لم تصلنا طقوسْ ثابتة للزواج ولكن مع تباينها كانت تشترك في سمات تكاد تكون متفق عليها في خطوطها العريضة.

فقد كانت الأم تخطب لولدها وعند الموافقة على طلبها تعقد طقوس الزواج في المعبد بحضور أقرباء الزوجين وفي الغالب كان والد العروس هو الذي يجهزها بعدَّة الزواج(٢).

ويتعهد الزوج بإعطاء الزوجة مهرها، وأن يعطيها كل عام مبلغ معين لشراء ثيابها، وعليه أن يدفع لزوجته غرامة أن هو تزوج عليها ضّرة. ولا يتصرف بشيء إلا بأذنها، وقد كان الزوج ينسب إلى زوجته فلانه كما كان الأولاد ينسبون إلى المرأة(٣).

ويقدم الزوج لزوجته هدية العسر، ومن حق الزوجة أن ترهن ثلث أملاك الزوج، ثم اتسع هذا الحق تدريجياً حتى شمل كل أملاك الزوج تقريباً(٤).

لقد تساوت المرأة بالرجل في القانون المصري القديم، وفي عهد الأسرتين الثالثة والرابعة (من عام ٢٩٨٠-٢٧٥٠ ق.م) كان لكل مصري الحق بالتزوج من امرأة واحدة فقط، وكانت أهلية الأداء عند الزوجة كاملة إذ من حقها التملك والتصرف في الأموال دون إذن زوجها، وهذا يعني أن ذمتها المالية كانت منفصلة عن ذمة زوجها(٥).

---

(١) عادات وتقاليد في العصور القديمة ص٤٤.

(٢) الدين المصري – خزعل الماجدي ص ٢٣٨ دار الشروق للنشر والتوزيع ١٩٩٩، الطبعة الأولى.

(٣) المرأة المصرية بين الماضي والحاضر – أحمد طه محمد ص ٢٣ مطبعة دار التأليف – ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م. مصر.

(٤) عادات وتقاليد في العصور القديمة ص٣٩.

(٥) المرأة المصرية بين الماضي والحاضر. أحمد طه محمد ص٢٤.

ومن الحريات التي أعطاها المصريون القدماء إلى المرأة أن سمحوا لها بالظهور في المعابد سافرات الوجوه، ولها الحق أن تشاطر الرجل في السباق والصيد[١].

وقد كان طقس عقد الزواج يشرف عليه كاهن الاله (أمون)[٢]. وفيه يقسم الزوج خلال العقد على تعهداته بأسماء أربابه واسم فرعونه. وينص كتاب الزواج على قيمة الصداق من أوزان الفضة ومكاييل الغلال، وفي حالة الانفصال بين الزوجين يدفع الزوج مبلغ مؤجل، وفي عصر متأخر من تاريخ المصريين فرض على الزوج إعطاء زوجته نصيباً من الحنطة صباح كل يوم، ومقداراً من الزيت كل شهر، وراتباً لنفقاتها الفردية كل شهر أيضاً، وفرض راتب لتكاليف زينتها كل عام بالإضافة إلى دفع تعويض للزوجة إذا ما سرحها وقام بالزواج من آخره[٣].

وقد كان ولي أمر العروس هو الذي ينوب عن العروس في العقد في القرن السابع قبل الميلاد[٤]، والقانون التشريعي المصري أباح للعروس وللثيب بخاصة أن تحضر كتابة العقد بنفسها، ذلك العقد الذي يشهده الشهود من القرية أو الحي وتسجل اسماؤهم به وردت أسماء ووصائف شهود في عقود متواضع في مدينة طيبة مثل رئيس أسطبل وكاتب وكاهن[٥].

ويسير نظام الزواج في مصر على نظام مكوث الزوج في بيت الزوجة، فإذا ما تم العقد فالرجل يذهب إلى بيت زوجته أو أسرتها للعيش إلى جانبها، أما إذا تزوج

---

(١) دائرة معارف القرن العشرين – محمد فريد وجدي ٤/٧٠٠ دار المعرفة – الثالثة – بيروت – ١٩٧١م / الوجيز في تاريخ الحضارة المصرية القديمة د. صلاح حسن عاوور ص ٢١٥ – الناشر مكتبة إيهاب – الطبعة الأولى -١٩٩٦.

(٢) عادات ومعتقدات في العصور القديمة ص ٤٤، الدين المصري . خزعل الماجدي ص ٢٣٨، المرأة المصرية بين الماضي والحاضر ص ٢٥.

(٣)الدين المصري – خزعل الماجدي ص ٢٣٨.

(٤) عادات ومعتقدات في العصور القديمة ص٤٤، الدين المصري – ص ٢٣٨.

(٥) الدين المصري. خزعل الماجدي ص ٢٣٨.

الشاب بزوجتين أثنتين، فأن كل زوجة تذهب إلى بيتها الخاص، ويزورهما الزوج بالتناوب[1].

وفي عهد الأسرة التاسعة عشرة الحاكمة في مصر يعتبر الزوج ضيفاً على بيت زوجته أو على بيت أسرهما وبالتالي كان كل متاع البيت ملكاً للزوجة[2].

وكان الرجل المصري عادة ما يتزوج زوجة واحدة رغم أن المجتمع المصري يسير على نظام تعدد الزوجات لا سيما بين أهل الطبقة العليا، ولكن العوام من الناس كان يكتفي بزوجة واحدة[3].

أما خادمات البيت فهن إماء الرجل وملك يمينه ولا يعد ذلك من فساد الأخلاق لديهم[4].

وكانت بعض النسوة يتزوجن زواجاً مؤقتاً هدفه أن ينجبن أطفالاً شرعيين فأن بلغن هدفهن فسخ عقد الزواج[5].

وغالباً ما يكون سن الزواج للرجل خمسة عشر عاماً وللبنت أثنا عشر عاماً[6].

والمرأة في عقد الزواج هي الطرف المتعاقد الوحيد فهي التي تُملي شروطها على الزوج وهي المرجع الأخير في أمر الزواج، وأهم بند في عقد الزواج كان يجري وفق السياق التالي:

---

(١) عادات وتقاليد في العصور القديمة ص ٣٧.

(٢)عادات وتقاليد في العصور القديمة ص ٣٧ نقلاً عن كتاب عادات الزواج وشعائره – أحمد الشنتناوي.

(٣) تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي . تأليف – الأستاذ جيمس هنري برست ص ٥٥ – ترجمة د. حسن كمال – الناشر مكتبة مدبولي – القاهرية ١٤١٦هـ –١٩٩٦م.

(٤) عادات وتقاليد في العصور القديمة ص ٢٨.

(٥) الجنس في العالم القديم بول فريشاور ترجمة فائق دحدوح ص ١٢٦ – مطابع دار العلم دار الكندي – الأولى– ١٩٩٨م.

(٦) الوجيز في تاريخ الحضارة المصرية القديمة د. صلاح حسن ص ٢١٥/ عادات وتقاليد في العصور القديمة ص٣٨.

(إذا تركتُك بصفتك زوجاً لي بسبب كراهيتي لك أو لأني أحببت رجلاً آخر غيرك، فأني سوف أعطيك مثالين ونصف مثقال من الفضة وأرد إليك المعيارين ونصف المعيار من الفضة التي أعطيتني إياه كهدية عرس)[1].

وفي استطاعة الزوجة أن تطلق زوجها بدون أبداء السبب في ذلك، على أنه كان ينص في بعض الأحيان في عقد الزواج أن ليس للزوج الحق في طلب الطلاق[2].

وحثت الشريعة المصرية الزوج على حُبِّ زوجته وأنْ يعمل لها كل خير وإلاّ يدخِّر وسعاً في ذلك فهي حقل طيب يحمل الثمار الطيبه وورد في بعض النصوص أنه يجب على الزوج أن يكون خادماً مخلصاً لرئيسك حتى يدوم بيتك ولك أموالك وسيكون مرتبك معقولاً[3].

وإذا كان الزوج المصري من الأغنياء وأراد إبراز حُبِّه لزوجته صنع تمثالاً لنفسه وآخر لزوجته جنباً إلى جنب وبإتمام عقد الزواج يعتبر الزوج حكيماً لأنه تزوج،وقد ورد في بعض عقود الزواج القديمة للمصريين ما نصه[4]: ((أني أعترف بحقوق الزوجة عليّ، فأنني من اليوم لن أعارض طلباتك ورغباتك، وسوف أعترف بك زوجة لي أمام كل الناس، ولكن ليس لي من القدرة بحيث أقول لك وأنت زوجتي) بل أنا هو الرجل الذي هو زوجك أنه منذ اليوم الأول الذي أصبحت فيه زوجاً لك أستطيع أن أمنعك عن أي مكان يلذ لك الذهاب إليه، أني أتنازل لك عن جميع ما أملكه في المنزل، وليس في مقدوري أن أتدخل في أية صفقةٍ تقومين بها منذ هذا اليوم، وإن كل اتفاق بيني وبين أي شخص آخر لصالحي هو الآن بين وثائقك الخاصة وهو تحت

---

(١) عادات وتقاليد في العصور القديمة ص٤٢.

(٢) عادات وتقاليد في العصور القديمة ص٤٢.

(٣) ديانة مصر القديمة. أدولف ارمان ترجمة د. عبد المنعم أبو بكر و د. محمد أنور شكري ص ٢٢٤. الناشر مكتبة مدبولي القاهرة – الأولى ١٤١٥هـ ، ١٩٩٥م.

(٤) عادات وتقاليد في العصور القديمة ص٤١.

تصرف أبيك أو أي قريب من أقربائك، وإذا أعطاني أحد أي مبلغ فإني سوف أسلمك إياه بدون تأخير، وبدون أية معارضة وسأدفع لك - بالإضافة إليه - عشرين وزناً من الفضة).

ويعتبر الأطفال الشرعيون للزوج هم ورثته الشرعيون، وقد ورد في نصوصهم أن مستحقات المرأة لا يرثها إلا إناث الأسرة لذا كان الثراء بين النساء كبيراً[1]، لذا يعمد الزوج في الغالب بعد وفاة زوجته إلى الزواج بإحدى وريثات زوجته لينعم بالرخاء، وكان حق وراثة الملك ينتقل بواسطة المرأة بحكم الأمومة الزوجية وبناء على هذا تقلدت (حتشبسوت) على عرش الملك لأن والدها كانت من سلالة ملوكية بخلاف أخويها اللذين كانت أمهما من محظيات الملك[2].

وإذا بنى الزوج بيتاً أو اشترى منزلاً فأن ملكيته تنقل مباشرة إلى الزوجة ثم يرد إلى أبنائها بمطلق حريتها إذا أرادت، وكانت الزوجة المصرية تدير أملاكها وأموالها بنفسها، ولم يكن الزوج يستشار في شيء، وأن تدخل في شؤون زوجته عدّ تصرفه غير شرعي وعيباً وأمراً غير مبرر[3].

وفي فترات من تاريخ المصريين القدماء طبّق المصريون نظام تعدد الزوجات وخاصة بين طبقة الأغنياء والحكام، فالملك رميس الثاني كانت له زوجتان وعندما عقد الصلح مع ملك الحيثيين تزوج من أبنة هذا الملك فكانت زوجته الثالثة[4]، وغالباً ما يكون هذا النوع من الزواج سياسياً، إذ غالباً ما يلجأ الملك في مصر القديمة إلى الزواج من بنات الملوك المجاورين توثيقاً لِعُرا الصداقة بين المملكة المصرية وجاراتها وهكذا فعل كل من تحتمس الرابع وامنوفيس الثالث والرابع عندما اتخذوا لأسباب

---

(١) المرأة المصرية بين الماضي والحاضر . أحمد طه محمد ص١٧.

(٢)المرأة المصرية بين الماضي والحاضر . أحمد طه محمد ص١٧.

(٣) عادات وتقاليد في العصور القديمة ص ٣٧

(٤) عادات وتقاليد في العصور القديمة ص ٣٧ هامش رقم (٢).

سياسية اميرات من بابل، وقد انتقلت عادة تعدد الزوجات من الملوك إلى عامة الشعب، والمثل يقول الناس على دين ملوكهم.

وانتشرت في المجتمع عادة زواج المحارم[1] وابتدأت في الأسرة الحاكمة متذرعين بحفظ الدم الملوكي، فكان يباح للملك التزوج بأخته، وأحياناً بأبنته ثم انتقلت هذه العادة إلى عامة الشعب وأضحى هذا النوع من الزواج مألوفاً حتى بعد انتشار المسيحية.

وشجع ملوك البطالسة في مصر زواج المحارم في القرن الرابع قبل الميلاد، ولم يقضى على هذه العادة إلا في منتصف القرن الخامس بعد الميلاد[2].

وقد كانت عادة زواج المحارم مشاعة بين أهل فارس وخاصة بين ملوكهم وكبار أمرائهم، ومما زاد في شيوعها منادات (فردك) إلى شيوعية النساء والمال فانتشرت الإباحة والزندقة وكان ذلك سبباً في انهيار المجتمع الفارسي[3].

وكان الأبن في مصر القديمة يكُنَّ لأمه عظيم الاحترام والتقدير، وتدلنا كثير من الحفريات القديمة على وجود نقوش مقابر الدولة القديمة لأم المتوفى ممثلة في العادة إلى جانب زوجته في حين تهمل صورة والده في أغلب الأحيان، وكان النسب يلحق الأم فالولد ينسب لأمه لا لأبيه[4] وجرت العادة عند المصريين أن يذكروا على شواهد المقابر نسب المتوفى من جهة أمه بصرف النظر عن أسم أبيه.

(وإذا كان في مصر القديمة النسب ينحدر عن طريق الأم – لم يكن هناك أبناء يمكن أن نطلق عليهم (ابناء حرام) أو أبناء غير شرعيين، لقد كان أبو الأم أهم بكثير من والد الشخص ذاته)[5].

---

(١) عادات وتقاليد في العصور القديمة ص ٤٤–٤٥/ الجنس في العالم القديم – بول فريشاور ص ١١٩.

(٢) عادات وتقاليد في العصور القديمة ص ٤٤.

(٣) عادات وتقاليد في العصور القديمة ص ٤٥.

(٤) الوجيز في تأريخ الحضارة المصرية القديمة ص ٢١٥/ عادات وتقاليد في العصور القديمة ص ٤٢.

(٥) عادات وتقاليد في العصور القديمة ص ٤٢.

وأمتن روابط الأسرة تلك التي تخص علاقة الابن بالأم، وكان أفضل الأوقات التي يقضيها الرجل هو في حماية جدِّه من أمه إذ يفضله في الحماية على أبيه[1] .

وكانت عادة الختان معروفة لديهم والقيام بأدائها أمر واجب وملزم وقد تأخر زواج أحد ملوك الفراعنة لأنه ما زال حديث السن و لم يختن[2].

وتقع تربية الطفل وتهذيبه على عاتق جده لأمه ويعد والد الأم في عصر الأسرة التاسعة عشرة الوصي على الشاب الناشئ فإذا ما تهيأت للشاب وظيفة حسنة كان جده لامه أشد الفرحين بذلك[3] والظاهر أن مَعَزَّته من مَعَزَّت أمه التي تقول فيها الوصية المصرية القديمة الشارحة لحقوق الأم ووجوب احترامها:

(إعد لأمك كل ما فعلته من أجلك أعطها المزيد من الخير وأحملها كما حملتك أنها حملتك ثقلاً وحين ولدت بعد تمام شهورك حملتك على عنقها وظل ثدييها في فمك ثلاث سنوات و لم تكن تشمئز من قاذوراتك وارسلتك إلى المدرسة كي تتعلم الكتابة وفي كل يوم تنتظرك بالخبز والجعة من بيتها)[4].

---

(١) تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي جيمس هنري برستد ص ٥٦.

(٢) الجنس في العالم القديم – بول فريشاور ص ١٢٠.

(٣) عادات وتقاليد في العصور القديمة ص ٤٢.

(٤) ديانة مصر القديمة – أدولف أرمان ص ٢٢٥.

المطلب الثالث

نظام الزواج عند اليونانيين

امتاز نظام الزواج اليوناني بتسلط الرجل باعتباره العنصر الذكوري سيد المجتمع الأوحد. فكانت المرأة خاضعة خضوعاً تاماً لسلطة الرجل الأب أو الأخ أو الزوج أو أقرب الأقرباء لها.

وكان الهدف من هذه الوصاية المشددة هو منع المرأة من التصرف في العقود والإنشاءات المدنية الأخرى. ومن الغريب أن أهل أثينا قد أهملوا بصورة متعمدة أن يعطوا المرأة نصيبها من الثقافة في حين أهم سمحوا لطبقات دنيا في مجتمعهم أن يغترفوا من الثقافة ما شاءوا.

ولم يستنكر الرأي العام على أهل الساسة والفكر هذا المسلك المشين نظراً لأن مجتمع اليونان آنذاك لم يكن ليفرق بين مكانة المرأة كزوجة تُنْشِأ أسرة أو بين نظيراتهن من المحظيات بالتسري والدعارة، فما كان لمتعتهم الشخصية وملاذهم فأهم له راعون، أما الزوجة فهي مجرد وعاء حاوٍ للأولاد الشرعيين ومدبرات أمينات لشؤون البيت.

قال خطيب اليونان الأكبر (ديموستين) : (نحن نحتفظ بالعشيقات لمتعتنا وبالمحظيات ليقمن على خدمتنا اليومية، أما الزوجات فلكي يلدن لنا الأبناء الشرعيين، وليكن مدبرات أمينات لبيوتنا)[1]. وكان رب الأسرة اليوناني يختار محظياته عادة من جواري البيت.

---

(١) عادات ومعتقدات في العصور القديمة ص٢٨.

ونظر اليونانيون إلى العزوبة باعتبارها جريمة كبيرة لا تغتفر وذلك لأنـها موجهـة إلى آلهة الأسرة وهو معتقد سائد في أثينا على وجه الخصوص لدرجة أنهم سنّوا قانونـاً خاصاً يقضي بأن يقوم قضاة المدينة باتخاذ ما يلزم من إجراءات تحول دون انقراض أية أسرة من الأسر.

وتبدأ مراسيم الزواج بالخطبة، فيقوم الأباء بجميع الخطوات التمهيدية الخاصـة بـزواج أبنائهم وفي كثير من الأحيان لا يـرى الـزوج زوجتـه إلا في أيـام الزفـاف. فكـان الشـاب اليوناني يشعر أن والده بتزويجه إياه يحاول أن يحول بينه وبين الحياة الحرة الطليقـة مـن كـل قيد، لذا فهو ينظر إلى زوجته على أنها العقاب الذي فرضه عليـه أبـوه وليـس القصـد منـه إنشاء أسرة يراعي فيها زوجته ويحرص على رضاها والعيش في كنفها بسعادة.

وجرت عادة اليونانيين أن يفردوا مبلغاً من الماء والمتاع لِبناتهم بصفة نهائية لحـين عقد قرانهم وذلك لأن البنات محرومات من الإرث[1].

وكان الخطيب يدفع المهر لخطيبته على أقساط متعددة أما إذا كـان مقتـدراً ماليـاً فيدفعه مرة واحدة، وفي بعض الأحيان تكون قيمة المهر بعـض الخدمـات الخاصـة الـتي يؤديها والد الزوجة.

ولم يكن الإغريق ليهتموا بالشعائر الدينية الخاصة بعقد الزواج إذ يرونه عقـداً في جوهره قانونياً صرفاً لا صلة له بالدين رغم اهتمامهم بحفلـة العـرس اهتمامـاً كبـيراً إذ يرون إقامتها يجب أن تكون في يوم ميمون الطالع كاليوم الذي يكتمل فيه نـور القمـر ويصبح بدراً. ويرى فيلسوفهم (أرسطو) أن الشتاء هو أوفق فصل للزواج.

ويرى المؤرخون أن اليونـانيين يؤثـر عنـهم أنـهم كـانوا موحديـن للزوجـة وإنما يطلب الرجل المرأة لغرض النسل لذا سمحت شرائعهم بـتزاوج الأهـل والأخـوة لحفـظ الدم من الشوائب وعدم الاختلاط الذي قد يسبب صفات وراثية غير مرغوب بـها في نطاق الجماعة الواحدة.

(١) دائرة معارف القرن العشرين – محمد فريد وجدي ج٤ ص ٧٠٤ – دار المعرفة – بيروت – الثالثة ١٩٧١م.

ويقام حفل الزواج عادة في بيت والد العروس الذي يحضر لهذه المناسبة قدحاً كبيراً مترعاً بالخمر ثم يناوله إلى زوج أبنته ليشرب منه محيياً إياه هذا التحالف الجديد ومن التقاليد الإغريقية أن تقوم العروس بقص خصلة من شعرها، وقطعة من زنّارها دلالة على أنها سوف تترك حداثتها وتهب عذريتها لزوجها.

وتستحم العروس بعد الوليمة بمياه نهر أو نبع من الينابيع يُجلب لها خصيصاً لهذا الغرض ضماناً لطهارته وصفائه، أو أنها تستحم بمياه نهر قريب، وتتزين الفتاة حيث تجمّل شعرها بالسنبل البري وتتركه يتدلى حول رأسها وفوق جبينها.

وتنشد الفتيات أناشيد الفرح المختلفة ويمجدن العروس والعريس بتراتيل المدح.

إن عقد الزواج عندهم عبارة عن عقد خاص يهدف إلى إنشاء أسرة وتحقيق مصالحها التي تنشدها من وراء الزواج فكان الآباء هم الذين يتولون زمام عقد الزواج دونما مراعاةٍ لرغبات الأبناء وأهواءهم.

وعند الإغريق يمر احتفال الزواج بثلاث مراحل:[1].

الأولى: ما يتم في بيت الزوجة أي أمام موقد أبيها.

الثانية: انتقال الزوجة من بيت أبيها إلى بيت زوجها.

الثالثة: ما يتم عند موقد الزوج في بيته الخاص.

وفي اليوم المحدد لحفلة العرس تقام طقوسٌ وشعائر متباينة في تعقيدها وبساطتها كما رأينا في صورة كونه عقداً قانونياً صرفاً لا يحتاج إلا إلى رضا الطرفين والاتفاق على المهر فقط، وبعضهم يجري شعائر معقدة تتمشى ومنزلة الزوجين أو إحدهما، ففي الصباح الباكر يستحم الزوجان بمياه من الينابيع المقدسة التي يجلبها بعض أفراد الأسرة.

---

(١) عادات ومعتقدات في العصور القديمة ص١٧.

وعندما تشرق الشمس يلبس العريس حلة الزفاف ويتوج رأسه بأكليل من الغار ويذهب إلى بيت العروس حيث يجتمع أهل العروسين والأحبة والخلان الذين دعوا لشهود حفلة الزواج.

وكان يقدم لكل ضيف يدخل المنزل - منزل العريس فطيرة مصنوعة من السمسم المطحون المعجون بالعسل وهذا التقديم جزء أساسي من حفلة الزواج. وبعد ذلك يقوم والد العروس بتقديم القرابين لآلهة الزواج (ابو ذوس وهيرا وأبو للون)[1] وأخذ العهد على الزوجين بالتعاهد على الإخلاص والوفاء والتعاون فيما بينهم لما تقتضيه أمور سعادتهم وديمومتها.

ومن عاداتهم أن الذبيحة المقدمة للآلهة تبذل فيها العناية الفائقة لاستخلاص مرارة الذبيحة بدون أن تختلط محتوياتها بلحم الذبيحة، حتى لا تدخل حياة الزوجية أية مرارة أو كرب، وبعد أن ينتهي الأب من تقديم القرابين للآلهة حتى يعلن لجمهور الحاضرين أنه قد قبل تزويج أبنته من الشاب المتقدم للزواج منها ثم يرتل بعض الأناشيد المقدسة التي تتحرر بمقتضاها الزوجة من سلطات بيت أبيها ومن عبادة موقده الخاص. ويعتبر الإشهار بالزواج أمرا لازما إذ لا تستطيع الفتاة أن تذهب لعبادة موقد آخر - وهو موقد الزوج - إلا إذا أعطاها أبوها الأذن بالفصل مقدما من موقده، حينئذ تخضع الزوجة لسلطان الزوج وهيبته.

وتحمل الزوجة من قبل الزوج إلى بيت زوجها في موكب زفاف يتقدمه الزامرون وحاملوا المشاعل وتصطنع الزوجة الامتناع من دخول البيت فقد جرت العادة لديهم إلا تدخل العروس بيتها الجديد من تلقاء نفسها بل يجب على الزوج أن يصطنع دور الخاطف وكأن الجميع في معركة صورية مصطنعة تزيد من تلقائية الحفل.

---

(١) دائرة معارف القرن العشرين ٤/٧٠٤.

وعندما يدخل العروسان إلى البيت تقام طقوس بسيطة، ويتقدم العروسان نحو موقد الزوج وهما في لباس العرس الأبيض. ثم تتلى الأدعية التي يقدمون بها الزوجة إلى الآلهة – آلهة موقدها وبيتها الجديد.

أن المتتبع لخطوات وطقوس الزواج عند اليونانيين يقف مبهوراً إذ أنها كانت تحمل ملامح الاغتصاب وفيها نمط من التصرفات وأن كانت تعتبر عرفاً آنذاك لا تمت بصلة القدسية والطهارة إلى حفلٍ يفترض به القدسية والتجبل والنزاهة.

فالرجل يقوم بالحصول بالقوة على فتاةٍ بكر بالغة غير مخطوبة لشاب آخر، وتقضي الطقوس أن تحلق المرأة شعرها بالكامل امرأة أخرى وتضع عليها ثوب رجل ثم تقودها إلى فراش من القش وتتركها وحدها في الظلام، وعندئذ يتسلل العريس خفية على إلا يكون قد تناول مسكراً إلى حد فقدان الوعي ولا انغمس في الملذات إلى حد الضعف والوهن فيقوم بمعاشرة الفتاة يوماً بعد يوم إلى أن يستقر رأيه في تحديد يوم الزفاف!!.

وفي صبيحة ليلة الزفاف يعود الرجل إلى عمله، أما العروس فتبدأ حياتها بين جدران بيتها كسيدة لهذا البيت واقتضى العرف لديهم أن الزوجة لا تأكل في الغرفة التي يأكل فيها زوجها ولا تظهر في مكان عام.

ويقع على الزوجة عاتق تدبير شؤون البيت والقيام بتربية الأبناء، وهي المسؤولة على تربية البنات إلى أن يتزوجن.

ويعتبر الزوج سيد الأمر والناهي المطيع في البيت فبأستطاعته أن يطلق زوجته عندما يريد ذلك شانه في ذلك شأن الأب الذي بإمكانه أن يبيع بناته بيع العبيد أن هن فرطن في عفتهن وهذا أن دل على شيء فإنما يدل على أن البكارة لا تزال لها قيمة لدى اليونانيين.

وبحكم القانون[1] يحرم على نساء الطبقة العليا الجلوس إلى النوافذ أو الخروج إلى الشوارع غير محجبات أو بدون صحبة أحد من الأهل أو الخدم. وفي المسارح الإغريقية يفرد لهن أماكن جلوس خاصة بهنَّ لمنع اختلاطهن بالرجال والمحظيات وكن يحضرن المسرحيات المليئة بالمآسي ويمنعن من حضور الفنون التي تخدش حيائهن وكرامتهن[2].

ومن الغريب أن الرجل كلما نمت قدراته العقلية واتسعت مداركه الفكرية ازدادت الفرقة بينه وبين زوجته التي لا يتعدى حدود تفكيرها حدود بيتها وشخصها إذ لم تستطع مجارارات الزوج في تفكيره العقلي وجدله مما يؤثر ذلك سلباً على حياتهما الزوجية فيكثر الطلاق في سن متقدمة من الزواج، وكان للزوج اليوناني حقوقاً بالطلاق تفوق حقوق الزوجة، فمن حقه أن يطلق زوجته لأبسط الأسباب أو يطردها من البيت بحضور بعض الشهود إذا لم ترق في عينه، ووجدها ثقيلة الظل غير جذابة[3] فإذا ما قام بتطليقها وجب عليه أن يرد إليها بائنتها إلى أبيها أو إلى وليها.

وللزوج مطلق الحرية في أن يطلق زوجته إذا ما وجدها عاقراً أو ارتكبت عملاً فاحشاً كفعل الزنا الذي غالباً ما يكون جزاؤه قتل الزوجة، وفي بعض الأحيان يقتل الزاني أيضاً لارتكابه جريمة الزنا أما إذا كظم الزوج غيظه فأنه يعاقب زوجته عقاباً جسدياً شديداً ويحتجزها في البيت ويقوم بتضييق الخناق عليها، ويحرمها من حق الاشتراك في الشعائر الدينية اليومية، ومن تقديم القرابين إلى أرواح الموتى بل ومن دخول المعابد.

أما حقوق الزوجة اليونانية في الطلاق فضيِّقة، فالزوج أن ارتكب الزنا أو تردد

(١) عادات ومعتقدات في العصور القديمة ص ١٥.

(٢) عادات ومعتقدات في العصور القديمة ص١٥.

(٣) عادات ومعتقدات في العصور القديمة ص ٢١.

على بيوت الغانيات فليس من حق الزوجة طلب الطلاق، إلا إذا أهمل الزوج بتصرفه هذا شؤون البيت وكان يسيء معاملة الزوجة فمن حق الزوجة أن تطلب الطلاق وأن تحصل عليه ولكن بعد صعوبة كبيرة إذ عليها أن تتقدم إلى كبير قضاة المدينة بطلب الطلاق[1].

إن اليونانيين ينظرون إلى الطلاق أنه من المسائل الخاصة التي لا تخضع لشؤون رجال الدين أو إشراف الدولة.

أما في مدينة (اسبرطة) اليونانية فكانت التعاليم تختلف بعض الشيء عما في أثينا[2] إذ أن المشرع اليوناني (ليكرغ) ذهب إلى إباحية الزوجة العاقر، فالرجل الذي لم يُنْجب بسبب عقمه فأنه يدعوه إلى تشجيع زوجته على أن تتصل بشاب قوي كي تنجب منه الأولاد فيكونون بمثابة أبناء له، وكان (ليكرغ) قد سمح للرجال أن يشركوا معهم أفاضل الناس في مهمة إنجاب الأولاد وأن يسخروا من هؤلاء الذين يصرون على الاستئثار بالزوجة دون غيرهم!!.

وقد علّل (ليكرغ) ذلك بقوله أن الأبناء ليسوا ملكاً لأبائهم وحدهم ولكن ملك للدولة قبل كل شيء والدولة الحربية يهمها أن يكون لديها العدد الوفير من الجنود الأقوياء المنحدرين من أُرومة قوية سليمة بصرف النظر عن اعتبار آخر[3].

والمرأة في (اسبرطة) كانت تحتل مكانة أسمى من مكانتها في اثينا فقد كانت تلقب الزوجة بالسيدة وكان لها الحرية في الخروج من المترل وقتما تشاء وكذلك الحال بالنسبة للبنات اللواتي حضين بقدر كبير من الحرية الأمر الذي عرضهن إلى الانتقاد من نساء المدن اليونانية الأخرى.

---

(١) عادات ومعتقدات في العصور القديمة ص ٢٢-٢٣.

(٢) عادات ومعتقدات في العصور القديمة ص٢٢.

(٣)عادات ومعتقدات في العصور القديمة ص٢٢.

والزوجة لم تكن حرة بعد ترملها، وتكون تحت وصاية شخص يختاره زوجها لهذا الغرض، وقانوناً لا يجوز لها أن تصبح وصية على أولادها بعد وفاة أبيهم، بل أن وصاية الأولاد تنتقل كأمهم إلى وصاية شخص يُختار لهم لهذا الغرض[1].

والنساء اليونانيات المولودات خارج اليونان كان لهن مطلق الحرية في التنقل من مدينة لأخرى، ولهن حق الاشتراك في المنتديات والمجتمعات الأخرى ولهن حق الاشتراك في المنتديات والمجتمعات التي يؤمها كبار القوم والفلاسفة وأهل العلم ونظراً لإطلاعهن على فنون العلوم وشتى أنواع الفلسفة الإغريقية فقد استطعن أن يناقشن ويساجلن الفلاسفة وأهل العلم في أثينا وسائر المدن اليونانية الأخرى.

---

(١) عادات ومعتقدات في العصور القديمة ص٢٧.

المطلب الرابع

نظام الزواج عند الرومانيين القدماء

نظر الرومان القدماء إلى الزواج على أساس أنه عمل مقدس يعطي للدولة قوّة وهيبة إذ أن العلاقة الزوجية تنتج أولاداً يكونون في المستقبل قوة ضاربة تشد من عضد الدولة وعدها وقت الأزمات والحروب. وكانوا ينظرون إلى العزوبة بأنها حالة مستنكرة ومستهجنة لأن العازب لا يعطي للدولة ذرية قوية.

ومع البدايات الأولى لنشوء الدولة الرومانية الفتية لم يكن ينظر إلى المرأة بشيء من الاهتمام إذ كانوا يصورونها بأنها ناقصة العقل[1] لا أهلية لها في جميع التصرفات كإجراء العقود أو عمل الوصية أو شغل وظيفة أو الادلاء بالشهادة.

وقد أبْرزَ قانون الألواح الأثني عشر (أن الأنوثة سبب لانعدام الأهلية فالمرأة بسبب جنسها ناقصة الأهلية، والوصاية الشرعية عليها واجبة)[2].

لقد كان المجتمع الروماني مجتمع ذكوري تسلط فيه الرجل في ظل الدولة الفتية في أولى أطوارها، بحيث أصبحت مجرد وعاء لإنجاب الأطفال والعناية بهم والاهتمام بالأطفال صحياً كي يكونوا جنوداً بواسل يحمون ثغور دولتهم.

ولم يعتبر الرومان الخطبة ملزمة من الناحية القانونية للطرفين لتنفيذ من أتفقا عليه[3].

---

(١) المرأة المصرية بين الماضي والحاضر – احمد طه أحمد ص ٢١. مطبعة دار التأليف – مصر ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

(٢) المرأة المصرية بين الماضي والحاضر ص ٢١.

(٣) عادات ومعتقدات في العصور القديمة. محمد كامل عبد الصمد ص ٢٩ الناشر مكتبة الدار العربية للكتاب – الأولى ١٩٩٥–مصر.

وكان على الأب أن يبحث لابنه على زوجة صالحة تسعد ابنه، وإذا ما وجدها فأنه يتفق مع والدها على مقدار البائنة[1] التي يدفعها والد الفتاة إليه. ويمكن فسخ هذا الاتفاق بعد إبرامه إن لم يكن ملزماً من الناحية القانونية ولكنه إن وقع فهو أمر لا يحبذه الرأي العام.

ولكنه من زاية أخرى أن وقع فهو يعني أن مكانة المرأة آنذاك لم تكن بالصورة المقبولة لديهم، فهم يرون المرأة خاضعة للوصاية في بيت أهلها أو حتى فيما بعد في بيت زوجها بل أن أولادها المولودون منها هم أوصياء عليها والمشهور عن (أفلاطون)[2] أنه دعى إلى شيوع النساء وإلغاء نظام الأسرة وكان يرى أن تكون نساء المحاربين مشتركة بينهم جميعاً فلا يختص رجل بامرأة ولا والد بولد، أما أرسطو فقال [3] إن الطبيعة لم تزود النساء بأي استعداد عقلي يعتد به فتقتصر تربيتهن على شؤون البيت والحضانة والأمومة وإذا ما تمت الخطبة فالواجب على المخطوبة أن تلتزم بالعفاف والأمانة والإخلاص لخطيبها، وأن لا تخونهُ مع شخص آخر.

وكان الزواج عند الرومان يتم وفقاً لصور ثلاث:

فبعد أن يتبادل الخاطب ووالد الخطيبة العبارات المخصوصة في مثل هذه المناسبات، إذ يقول الخاطب (هل تعدني بأن تزوجني من ابنتك) فيجيبه والد الخطيبه بقوله (فلتبارك الآلهة ذلك أني أعدك بتزويجك منها) وبهذه العبارات تصبح الفتاة خطيبة للشاب الخاطب، فيقدم لها الهدايا الثمينة، ويقدم لها خاتماً تلبسه المخطوبة وتضعه في الإصبع الأوسط من يدها اليسرى[4] فيهنأه الحضور داعين لهما بالفرح

(١) البائنة: المال يُخص به أحد الأبناء، وقيل مال تعطيه الزوجة لزوجها لبناء الحياة الزوجية معاً، وعند طلاقها تسترجعه كاملاً منه.

(٢) المرأة المصرية بين الماضي والحاضر ص ٢١.

(٣) المرأة المصرية بين الماضي والحاضر ص ٢١.

(٤) عادات ومعتقدات في العصور القديمة ص٣٠.

والسرور والصور الثلاث هي:[1].

الصورة الأولى: وكانت تعرف بأسم (اقتسام الدقيق).

الصورة الثانية: وكانت تعرف بأسم (الشراء)

الصورة الثالثة: وتعرف بأسم المتعة.

والصورة الأولى من شعائر الزواج تتم في بيت العريس في مساء اليوم الذي تُحمل فيه العروس من بيت أبيها إلى بيت زوجها، ويتقدم موكب الزفاف شعلة من نار تسمى شعلة الزواج، وتتقلد الزوجة على رأسها تاجاً وترتدي ملابس ملثمة، ويحيط بها ثلة من المنشدين يرتلون بعض الأناشيد الدينية القديمة، وحالما يصل الموكب إلى بيت العريس يستقبلها الزوج من هودجها ويحملها بين يديه بدون أن تمسها قدماه، وبعد أن تستقر الزوجة في مترل زوجها تنطق بالعبارة التالية[2]: ((حيثما أنت السيد أكون أنا السيدة)) وهذا اعتراف منها بمترلة الزوج في البيت وتذكيراً له بمترلتها في أنها سيدة الدار.

وفي عهد قيام الإمبراطورية[3] منحت المرأة امتيازات عدة وحصلت على حقوق أكثر فأصبحت تتمتع بمكانة محترمة وتحضى في الأسرة بقدر من الاحترام والتبجيل مما حررها ذلك من قيود العزلة، وبعدها تبدأ لديهم شعيرة (اقتسام الدقيق) فتتقدم الزوجة مع زوجها إلى موقد الأسرة فيقدمان قربان للآلهة ويريقان السوائل، ويتكون بعض الأدعية الدينية ثم يأكلان معاً كعكة مصنوعة من خالص الدقيق، ويحضر هذه المراسيم

---

(١) عادات ومعتقدات في العصور القديمة ص ٣٠/ اليونان والرومان – الأستاذ علي عكاشه. وشحادة الناطور د. جميل بيضون ص ٢٢٩ دار الأمل للنشر والتوزيع – أربد – ط١ ١٩٩١م – ١٤١٠هـ.

(٢) عادات ومعتقدات في العصور القديمة ص ٣٠، اليونان والرومان ص٢٢٩.

(٣) دائرة معارف القرن العشرين – محمد فريد وجدي ج ٤، ص٧٠٤، دار المعرفة – الثالثة – بيروت ١٩٧١م.

عشرة شهود، وكبير الكهنة، وكاهن الآله (جوبيتر)[1] وهذا الأمر ينعقد بمقتضاه حفل الزواج المقدس.

وتحضى الزوجة في بيت زوجها باهتمام من قبل أهله أو من قبله – أي الزوج – فيحق لها مشاركة زوجها في استقبال الضيوف ومصاحبتها إياه في المآدب والحفلات، وتمارس نفوذاً كبيراً في تكييف مجرى الشؤون العامة إذا كانت تنتمي إلى أسرة كبيرة تربطها صلاة قوية بأصحاب النفوذ من الأمراء ورجال البلاط[2].

وكدليل على ارتباطهما برباط الزواج المقدس يجلس الزوجان على معقد طرح عليه جلد الشاة التي قدمت قرباناً للآلهة[3].

ثم يجتمع الحضور لحفل الزواج على مائدة شهية قد أعدت لهم متنوعة المآكل والمشرب. ثم تنصرف الزوجة بمعية وصيفات الشرف إلى مخدع العرس في البهو الرئيسي للمترل وسط تراتيل وأناشيد المغنيين.

أما الصورة الثانية من الزواج فهي تشبه الصورة الأولى وتسمى (الشراء) ولكن يستعاض عن شعيرة الكعكة المصنوعة من الدقيق الخالص بإجراء رمزي يمثل شراء الزوج لزوجه وفق ما يقدمه العريس إلى والد العروس أو وليها فينقده قطعة من العملة ضئيلة القيمة رمزاً إلى شرائه لزوجته، دليلاً إلى أنها انتقلت من سلطان أبيها أو وليها إلى سلطانه، فأصبحت خاضعة له.

أما الصورة الثالثة للزواج والمسماة (المتعة) فهي تمثل أبسط أعراف الزواج إذ تتم

---

(١) عادات ومعتقدات في العصور القديمة ص ٣١، وانظر الفكر الديني القديم – تقي الدباغ- دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ١٩٩٢.

(٢) محاضرات في تأريخ الرومان وحضارتهم – تأليف د. لطفي عبد الوهاب يحيى – د. حسين الشيخ ص ١٨٢ – دار المعرفة الجامعية. الإسكندرية ١٩٩٤م.

(٣) عادات ومعتقدات في العصور القديمة ص٣١. انظر تاريخ التطور الديني. أحمد زكي بدوي. مطبعة المجلة الجديدة – مصر.

بدون حفل ديني، ولا كعكة الدقيق الخالص، ولا القطعة المالية ضئيلة القيمة وإنما تتم بموافقة الفتاة على الزواج، أو ضرورة ذهابها للعيش في بيت زوجها، وهذه الصورة بهذه الكيفية كانت منتشره بين طبقة الدهماء ولم تتسرب إلى طبقة الأشراف إلا في عهد متأخر[1].

وجرى العرف عندهم آنذاك أن يقدم الزوج (هدية الزواج) لصالح زوجته- وهي جزء مما يملك خاصة – في حالة وفاته أو إذا طلقها بدون سبب مقبول، وإذا أفلس الزوج فان هذا الجزء المخصص لزوجته لا يستخدم في تسديد ديونه[2].

والزواج عندهم نوعان[3] يسمى الأول زواج بمانوس والآخر زواج بغير مانوس، فالأول يعني أن المرأة تعتبر بنتاً للرجل تندمج في أسرته التي له عليها كل سلطة فتخضع له وتتبعه في شؤون حياتها الزوجية بعد أن خرجت من سلطات أسرة أبيها فتنقطع صلتها بهم، والنوع الثاني يعني أن تحفظ الزوجة مكانتها في منزل الزوجية ولم يكن يسمح لها أن تقوم بأي عمل من الأعمال العامة ولا أن تقوم بالشهادة ولا أن توقع على وصية أو أن ترث أرضاً ولا عقاراً إلا من زوجها أو أخيها ولكن نظراً – لقصر عقلها – فقد عفيت من اتباع بعض القوانين إذا برهنت الظروف على جهلها بها وفي كلا الحالتين من الزواج فالنوعين هذان يتطلبان شروطاً لصحة انعقادهما – أي انعقاد عقد الزواج – كبلوغ الرجل سن الحلم وكذلك المرأة، وأن لا يكونا من الأرقاء، أي من الأحرار[4] وإذا ارتكبت الزوجة خطيئة فاحشة مبينة فأن من حق الزوج محاكمة زوجته، فيعقد مجلساً يضم الذكور من أفراد أسرته وأسرة زوجته للتشاور معاً فيما قامت به الزوجة من جُرم قبل تنفيذ الحكم – حكم الزوج عليها- وفي بعض الأحيان

---

(١) عادات ومعتقدات في العصور القديمة ص ٣٢.

(٢) انظر دائرة معارف القرن العشرين ج٤ ص ٧٠٥ ، عادات ومعتقدات في العصور القديمة ص٣٢.

(٣) دائرة معارف القرن العشرين ٧٠٥/٤.

(٤) دائرة معارف القرن العشرين ص ٧٠١-٧٠٢، عادات ومعتقدات في العصور القديمة ص ٣٢.

لا يحتاج الزوج إلى عقد مثل هذا المجلس إذا ارتكبت الزوجة جريمة الزنا فيحكم عليها بالإعدام فوراً[١].

ويستحوذ الزوج على البائنة التي أعطتها لها زوجته فيتصرف بها[٢] ويستغلها وفق ما يراه الأصلح له.

وإذا ما ارتكبت الزوجة بعض الأخطاء التي تستوجب دفع بعض الغرامات عنها ولم تكن تملك هي المال اللازم، كان حرياً بالزوج أن يدفع عنها، ويستوفى ماله مما تملكه الزوجة من أشياء ثمينه أو مقوّمة بمال، وإن لم تكن تملك شيئاً حقّ له أن يبيعها شخصياً ليستوفي ماله[٣].

وكانت المرأة تعمل محجبة في البيت في عهد الجمهورية، ولكن لما جاء عهد الإمبراطورية خرجت من خدرها، واحتفظت بحقوق إضافية، ولكنها كانت لا ترث فأحتال عليها الرومانيون لتمويلها بواسطة الهبة فلما أنس المشرع اليوناني ذلك ورأى أن الهبة ستؤدي إلى نقل الثروات إلى بيوت أخرى غير بيوتها الأصلية لذا قرورا أن ليس من حق الرجل أن يهب المرأة إلا لحدٍ محدود ثم تقرر فيما بعد أن يرثن أزواجهن وأن يكون لهن مثل ما لكل ولد من أولادهن[٤].

وأعطى المشرع الروماني للزوج حق معاقبة زوجته جسدياً. ولكن من جانب آخر فالحياة الزوجية فرضت على الزوجين احترام بعضهما البعض، فالزوجة لها واجباتها المتعلقة بشؤون البيت وأن تبقى قريباً من الموقد وهي المكلفة بالسهر عليه حتى لا تخبو ناره، ومن واجباتها أن لا تعرض الموقد للنجاسات فتبقيه طاهراً، وتتلو عنده الدعوات

---

(١) عادات ومعتقدات في العصور القديمة ص ٣٣.

(٢) الرومان – تأليف ر. هـ بارو ترجمة عبد الرزاق يسري – مراجعة سهير القلماوي دار نهضة مصر ١٩٦٨.
عادات ومعتقدات في العصور القديمة ص٣٣.

(٣) المرأة المصرية بين الماضي والحاضر ص ٢١، عادات ومعتقدات في العصور القديم ص٣٣.

(٤) دائرة معارف القرن العشرين ٧٠٢/٤.

وتقدم له القرابين. وعندما لا توجد في البيت زوجه فان العبادة المترلية تصبح ناقصة.

وللزوجة الرومانية حرية الخروج خارج المترل وكانت ترتدي ملابـس خاصـة بالمرأة المتزوجة، وكان الناس إذا رأوها أفسحوا لها الطريق احتراماً لها.

وعندما يحدث الطلاق ويتزوج أحد الزوجين فأن تكرار الزواج غالباً ما يكـون بدوافع نفعية سياسية أو لجمع الثروة وبنيات النفوذ والسلطة(١).

والزواج القائم على الصورة الأولى (اقتسام الدقيق) لا يمكن فك ارتباطه لأنـه قائم على صورته الدينية وما قام على الدين لا يمكن حله أو من الاستحالة حلّـه، إلا بإقامة حفل ديني جديد إذ أن الدين وحده هو الذي يستطيع أن يفرق شمل ما جمعـه الدين وذلك في الصورة التالية(٢):

يتقدم الزوجان نحو الموقد المقدس في البيت للمرة الأخيرة بحضور أحد الكهنـة، وأحد الشهود، فيقدم الكاهن للزوجين - كما حدث في يوم الزفاف - كعكـة مـن الدقيق الخالص فيدفعاها جانباً بدل اقتسامها، ويتلوان خلال ذلك - بدل الصلـوات والأدعية التي تتلى يوم الزفاف - صيغاً أخرى غريبة الطابع، وقاسية، تنم عن البغـض والكراهية وهي نوع من الملاعنة، تتنازل بها الزوجة عن عبادة الزوج وآلهته.؟

ويهتم الأب بالعناية بأطفاله رغم أن ذلك ليس من واجباته ويرمز إلى ذلك قيامه برفع ابنه من الأرض إلى الأعلى ويعطى الطفل اسما في اليوم التاسع لميلاده حينما تطهر ويقلد في عنقه تميمة ذهبية أن كان من الأغنياء وجلدية للفقراء ويظل يحملـها إلى أن يبلغ مبلغ الرجال(٣) ويحثوهم على التمسك بالفضيلة الرومانية الأساسية كالاقتصـاد والجد والاحترام للتقاليد المقدسة السامية وعند سن السابعة ينقلون إلى المدرسة.

---

(١) محاضرات في تاريخ الرومان وحضارتهم ص ١٨٣.

(٢) عادات ومعتقدات في العصور القديمة ص ٣٤ هامش رقم ٢.

(٣) اليونان والرومان. د. ه. بارو ص ٢٢٩.

المبحث الثاني
نظام الزواج في الأديان الحيّة

المطلب الأول
نظام الزواج في الديانة الزرادشتية

أوصت الكتب الزرادشتية المقدسة بالزواج وحثت عليه وأعتبرته مؤسسة خيرية حثت عليها تعاليمهم الدينية، ورأت أن من الفضائل الخلقية مساعدة الاخرين على الزواج عندما يحتاجون لمعونة من هذا النوع.

وورد في أحد الأساطير الزرادشتية (إن الزوجين البشريين الأولين (ماشي وماشيان) كان مندمجين جسداً واحداً ثم انفصلا ليتخذا هيئة ذكر وأنثى، ووجدا نفسيهما في عالم خلقه الله، وقد خاطبهما الله محذراً:

(أنتما كائنان بشريان ابوا البشر فاعملا إذن طبقاً للنظام القويم والعقل السديد ولا تعبدا الشيطان)[١].

أن الديانة الزرادشية لم تتبنَّ مبدأ الاعتزال الزهدي للدنيا فقد ورد في الفنديداد[٢] قُدِّر لـ (اهورامزدا)[٣] أن يقول : أني لأفضل رجلاً متزوجاً على عازب ورجلاً مع أسرة على آخر بدونها ورجلاً مع أطفال على آخر بدونهم.

---

(١) الجنس في أديان العالم – جيفري بارندر ص ٩٥ – دار الكلمة سوريا – دمشق – الأولى – ٢٠٠١.

(٢) الفنديداد: ومعناه مخالفة الشيطان وفيه أبحاث عن خلق العالم وقواعد التطهير، وهو الكتاب المقدس الوحيد ضمن إحدى وعشرين كتاباً يتكون منها أقدم كتاب مقدس لدى الزرادشتية، ويتبع جزءً واحداً منه خمسة أجزاء يتألف منها الكتاب المقدس (الافستا) راجع كتابنا العبادات في الأديان السماوية ص٤٤/ أنظر الأديان في القرآن د. محمود الشريف ص ١٣٠ مطبعة دار المعارف – مصر ١٩٧٠م.

(٣) اهورامزدا كلمة مكونة من (أهو)و(را)و(مزدا)ومعناها على الترتيب (أنا الوجود الخالق) أو (أنا خالق الكون)انظر العبادات في الأديان السماوية للمؤلف ص ٤٤ وانظر موسوعة العقائد الإسلامية ١٠٨/١ دار الكتاب العربي -بيروت

ويقول في موضع أخر: (هيج ذلك المكان الذي يبني الرجل فوقه بيتاً فيه نار وماشية وزوجة وأطفال وأزهار رائعة)[١].

لقد حثت الشريعة الزرادشتية على تأسيس الأسر واعتبرت الشخص الذي لا يأكل الطعام لا يستطيع القيام بالأعباء الدينية ولا يستطيع القيام بأعمال الزراعة ولا يستطيع أن يزيد النسل الشخص المتزوج مرتبته أعلى من الشخص العازب الشخص الذي يملك بيتاً أرفع من لا بيت له، والغني أعلى منزلة من الفقير[٢].

ويتسم الطقس الزرادشي في الزواج بالطابع الديني الذي يشرف عليه الكهنة ويقوم والدا العروسان بإجراء ترتيبات الخروج بعد أن يمهدوا لها بزيارات متبادلة على تقديم الهدايا والهبات من النقود والفضة وقناديل الإنارة وتقديم الخواتم ودفع المهر للزوجة بعد أن يتم الاتفاق عليه، وغالباً ما يعقد حفل الزواج في يوم ميمون[٣] يعتقدون أن طالعه يبشر بالخير لا بالشر فيعمدون في اليوم الأول إلى غرس غصين شجرة كرمز للخصوبة، فالعائلة أول ما تتكون من زوج وزوجة ثم يولد الأطفال من الأخصاب المتبادل بين الزوجين.

ويقوم الكاهن القائم على مراسيم الزواج بوضع علامات حمر على جبيني العروس والعريس ترمز إلى أشعة الشمس والقمر وربما تحمل دلالات الخصوبة[٤].

ويقوم البعض وأثناء الاحتفال بتقييد أيدي العروسين بسبعة خيوط ثم تفك دلالة على الاتحاد، وتقدم في الحفل مباركات بأسم (اهورامزدا) تدعو بطول العمر للزوجين وأن ينجبوا عشيرة من الأطفال والأحفاد.

---

(١) الجنس في أديان العالم جيفري باردنر ص ٩٦.

(٢) الديانة الزرادشتية، نوري اسماعيل ص ٧٩-٨٠ دمشق -الثالثة / ١٩٩٠

(٣) الجنس في أديان العالم جيفري باردنر ص٦٧.

(٤) الجنس في أديان العالم ص ٩٧.

يقول النص الزرادشتي[1] (تعلّم أن تقوم بالأعمال الحميدة. أبتعد عن زوجات الآخرين، كن خصباً كما الأرض فكما الروح متحدة بالجسد لتكن متحداً وحميماً مع أصدقائك وأخوتك وزوجتك وأطفالك).

وينفي الزرادشتيون عن أنفسهم تهمة إباحية الزواج ويبدوا أن (مزدك) الذي أسس لهم مذهباً في الزرادشتية هو الذي دعى إلى الإباحية، ولكن فقهائهم لم يقولوا بذلك.

يقول المرجع الأعلى للزرادشتية (رستم شهزادي) عن السماح في تشريعهم بزواج المحارم كالأخت والبنت وسواهما:

(أبداً هذا غير صحيح على الإطلاق وغير مسموح به بتاتاً ولكن في العهد الساساني كان هناك ملك أسمه (مزدك) أجاز أن يكون المال والمرأة مشتركاً للجميع ((الجنس في أديان العالم ص ٩٧)). ولم يعد يعلم بها أو يؤمن بها أحد)[2].

ويقطع الزوجان عهداً فيما بينهما بالولاء والإخلاص لله ولأنفسهما معها وأن لا يخونا هذا العهد ويتصرفان فيما بينهما بصدق دونما غش وتلفيق.

ويعد ارتكاب الزنى في الديانة الزرادشتية من كبائر الأعمال، ويؤمنون أن جريمة الزنى قتل للروح الخيرة ويحول دون تطور الكون، وقديماً كانت الزوجة تطلق إذا زنت ولكن منذ القرن الماضي غدا أرتكاب الزنا من قبل الرجل سبباً أيضاً للطلاق وكذلك لسبب العقم أو العِنَّة [3].

ويسمح للزرادشتي بالزواج ثانية إذا كانت زوجته لا تنجب الأطفال ولكن زوجته الأولى تبقى هي السيدة الأولى[4].

وخلال فترة الحمل يفترض بالرجل أن لا يجامع زوجته بعد الشهر الخامس،

(١) الجنس في أديان العالم ص ٩٧ نقلاً عن:

j j . modi the religions cermonies and customs of parsees p١٤.

(٢) موسوعة الأديان في العالم – الديانات القديمة ص ٢٨٩-٢٩٠.

(٣) الجنس في أديان العالم ص٩٧.

(٤) الجنس في أديان العالم ص٩٧.

ويحرم على الزوجة لمس أي جسد ميت أو مادة متعفنة، وكان يجري عزل المـــرأة في غرفة، وتمكث في سرير منفصل لمدة أربعين يوماً بعد ولادة الطفل، وكانت تتنـــاول طعامها بشكل مستقل وتحت إشراف الكهنة تتطهر المرأة بعد الولادة بالاستحمام بماء مقدس، وكانت شراشف سريرها تتلف أو تعطى للكناسين[1].

وكانوا يؤمنون بأن نعوذ (اهرمن) الروح الشريرة دنس ولأن الطمث دناسة فهو خاضع لتلك الروح الشريرة وقد خصص في كل قرية وشارع بيت للحوائـــض مـــن النساء وما زال للوقت الحاضر[2].

واعتبر كل ما تمسكه المرأة الحائض نجساً أو يعدو دنساً والنساء كنَّ يغتسلن قبـل خروجهن من البيت إذا أردت اصطحاب الأولاد معهن، ووضع المشرع الزرادشـــي عقوبات شديدة على الرجل الذي يتصل بالمرأة الحائض. وذهبوا لتشديد الحصار علـى المرأة الحائض وأوجبوا عليها لبس القفازات وأن تأكل في أواني مخصوصة لهذا الشـــأن وبعد انتهاء فترة الطمث تستحم المرأة وتتطهر[3].

وكان المجتمع الزرادشتي ينظر للمومسات نظرة احتقار وإزدراء ويعتقـــد أهـــن بنظراهن يجففن المياه ويسلبن الأشجار أزهارها والأرض خضرها، وتشل الشـــجاعة وهن يستحقن الموت أكثر من الأفاعي وأنات الذئاب.

---

(١) الجنس في أديان العالم ص ٩٧.

(٢)الجنس في أديان العالم ص ٩٨.

(٣)الجنس في أديان العالم ص ٩٨.

المطلب الثاني

نظام الزواج عند الصابئة

"وأمرنا أن أتخذوا لأنفسكم أزواجاً تغمر بك الدنيا"(١)

"أيها الرجل أتخذ لنفسك زوجة ليحب ويرحم أحدكما الآخر"(٢).

بهذه النصوص المقدسة عند الصائبة تحث الديانة الصابئية على الزواج وتأمر به وتعتبره فرض على كل من يستطيع القيام بواجبه وإن ليس للأعزب لديهم مكان في الجنة (عالم النور) وهم يرون أن الزوجة أنما خلقت حتى تكون متممة للرجل فتنجب له الأولاد الذين يعتبرون جزء متمماً للدين الصابئي المندائي يقول النص المندائي المقدس ((والأولاد هم الذي يحملون الجنازة، ويقومون بإجراء الطقوس الدينية الواجبة للأباء بعد وفاته))(٣) معتقدين أنها تساعد الميت على بلوغ عالم النور – أي عالم الجنة في آخرته.

ومن خلال التأكيد على أهمية الزواج لديهم فأن الرهبنة محرمة في الدين الصابئي لأنها ضد الحياة المعتبرة لديهم وهي محور الدين وجوهر العقيدة. وينعقد عقد الزواج

---

(١) المندائيون الصابئة – محمد الجزائري ص ١٩٧. الناشر المعهد الملكي للدراسات الدينية – الأردن – الأولى – ٢٠٠٠ والنص مقتبس من كتاب (القلسنا) الخاص بعقد الزواج راجع كتابنا (العبادات في الأديان السماوية) ص٤٨ – دار الأوائل دمشق – الأولى ٢٠٠١.

(٢)المندائيون الصابئة – محمد الجزائري ص ١٩٧. الناشر المعهد الملكي للدراسات الدينية – الأردن – الأولى – ٢٠٠٠ والنص مقتبس من كتاب (القلسنا) الخاص بعقد الزواج راجع كتابنا (العبادات في الأديان السماوية) ص٤٨ – دار الأوائل دمشق – الأولى ٢٠٠١.

(٣) المندائيون الصابئة – محمد الجزائري ص ١٩٧.

يوم الأحد بالضرورة ولا ينعقد في الأيام المحرمة البالغ عددها ٣٦ يوماً متفرقة على جميع أيام السنة[1].

والزواج لديهم أيضاً واجب على رجال الدين[2]، فالروحاني (الترميذه)[3] الذي لا يتزوج لا يحق له أن يرقى دينياً إلى مرتبه أعلى من مرتبته مهما بلغ تحصيله الديني درجة عليا حتى لو وصل إلى درجة (كنزفره) فأن لم يتزوج يعتبر إيمانه (ناقصاً) ولا يكتمل إلا بزواجه وإنجابه للأطفال، وتبقى منزلته غير مكتملة إذا لم ينجب أطفالاً ولا يصح للأعزب ولا للمتزوج العقيم أن يترأس الواحد منهما حمل الجنازة أو يتوكل أن أحدهما فيكون (أباً) للزوجة أو وكيلاً عنها في عقد الزواج[4] يقول أحد كهنتهم (الكنزفرة)[5]:(ليس للرجل غير المتزوج من جنة في الآخرة ولا جنة في الدنيا ولو لم تخلق المرأة لما كان هناك شمس ولا قمر ولا زراعة ولا ماء فالأولاد يرفعون اسم الإنسان في الآخرة).

---

(١) الأيام المحرمة لا يجوز فيها إجراء جميع الطقوس الدينية عدا الوضوء للصلاة وصلاة عيد شويان والتعميد الشخصي، ومن هذه الأيام ١٢ يوماً تسمى ثقيلة وهي أيام السادس والسابع من شباط والسادس والعشرون والثامن والعشرون والتاسع والعشرون والثلاثون من أيلول واليوم الثاني من شهر كان الأول: أنظر كتابنا (العبادات في الأديان السماوية ص٥٣. وكتاب الصلاة المندائية وبعض الطقوس الدينية. الشيخ رافد الشيخ عبد الله ص٧، مطبعة التايمس بغداد١٩٨٣.

(٢) موسوعة الأديان في العالم (الديانات القديمة) ص ٢٦١ – دار كريس انترناشيونال –٢٠٠٠.

(٣) الدرجات الدينية الصابئة هي:

١-الترميدا: وهي أقلها علماً وتعطى للمبتدئين.

٢١-الكنزفزاء: وهي الدرجة الوسطى من العلوم الدينية.

٣-الرشمة : (أي رئيس الأمة) وهي غير متوافرة عندهم لصعوبة تحصليها من الناحية العلمية والدينية.

راجع كتابنا (العبادات في الأديان السماوية) ص٥١/ الموجز في تاريخ الصابئة المندائيين ص ١٢٧-١٢٨ – العرب البائدة نقمة فريد عبد الزهرة المنصور مطبعة أركان – ط١، بغداد ١٩٨٣م

(٤) المندائيون الصابئة – محمد الجزائري ص ١٩٧.

(٥) موسوعة الأديان في العالم ص ٢٦١.

والمحرمات من الزواج في الدين الصابئي هن (الأخت وذريتها وابنة الأخ وذريتها وزوجة أخيه وبنات ضرة أخيه والعمة والخالة أو الجمع بين أختين على قيد الحياة والأم وأم الزوجة والمرضعة، والأخت من الرضاعة والربيبة (بنت الزوجة)(١) كما يمنع الدين لديهم من الزواج من غير الصابئيين إذ يعتبر المرأة أو الرجل خارجين عن الدين.

وقد ورد في سفر (ترسر الفشيالة) أي : أثنا عشر ألف سؤال وتفسيرها يجوز الزواج من المسيحية إنما بعد إجراء طقوس خاصة وصعبه عليها(٢).

والصابئية التي تتزوج من غير صابئي تعتبر خارجة عن عقيدهما وتصبح في عداد الكفرة وكذلك إذا تزوج الصابئي بأجنبية(٣).

أما المهر فهو غير محدد في الديانة الصابئية فالشاب عليه (أن يقدم من المال ما يستطيع دفعه، إلا أنه يجب عليه أن يقدم لخطيبته ما تحتاجه من الملابس والحلي، وأن يعطيها ما زنته حمصة من الزعفران، ومقدار من الشنان (مادة من النبات تستخدم للتنظيف) وقطعة نقد من الفضة، تقدم لأم الخطيبة، رمزاً لتعهدها للفتاة وتسمى العملية هذه حق ربيثه أي (حق التربية)(٤) ولا يوجد في الشريعة المندائية مهر مؤجل.

وعادة ما يجري اختيار الزوجة عن طريق التعارف أو من أقرباء الزوج، فيقوم أهل الزوج بزيارة أهل الفتاة وطلبها من أهلها بعد أن يكون الشاب قد وافق على ذلك مسبقاً واقتناعه بها مسبقاً وغالباً ما تكون الفتاة ابنة عمه أو ابنة خاله(٥).

---

(١) الصابئة المندائيون – محمد الجزائري ص ١٩٨/ تاريخ الصابئة المندائيون محمد عمر حمادة – ص ١٣٦ الأولى – دمشق – ١٤٨١هـ –١٩٩٨م.

(٢) تاريخ الصائبة المندائيون ص ١٣٦/ الصابئة المندائيون ص ١٩٨/ العبادات في الأديان السماوية – للمؤلف ص٤٨.

(٣) تاريخ الصابئة المندائيون ص١٣٦.

(٤) تاريخ الصائبة المندائيون ص ١٣٦، المندائيون الصابئه ص ٢٠٥.

(٥) تاريخ الصابئة المندائيون ص ١٣٦.

وتتم مراسم الخطبة وفق شعائر وطقوس دينية تمتد لساعات عدة إذ يجري أول تعميد للخطبيين يوم الأحد، ولكن قبل التعميد يتم التأكد من عذرية المخطوبة[(١)] فتقوم زوجة رجل الدين (الكنزفره) مع إحدى النساء الخبيرات بالتأكد من ذلك فإذا ما ثبت عذريتها تجري عملية التعميد للعروس ثم للعريس ثانياً، وإذا ثبت عدم عذريتها يخير الرجل بين إتمام الخطبة أو إلغائها.

فالبكارة معناها الشرف والطهارة، ويمكن استبدال الكاهن (الكنزفره) بآخر إذا ثبت عدم بكارة الفتاة فيقوم الكاهن المسمى (أبيقس) بإجراء طقوس العقد بنفس المراسم أما إذا كانت المرأة أرملة أو مطلقة فيقوم بالمراسم كاهن برتبة صغيرة[(٢)].

ورجل الدين لا يجبر على إجراء الطقوس للفتاة الناقصة إلا بعد أن يعمد (٣٦٢) تعميداً، في هذه الحالة يجتمع عدد من رجال الدين ويستمرون بتعميده سبعة أيام كل يوم (٥٠) تعميداً[(٣)].

ولا يجوز في الشريعة المندائية عقد الزواج في حالة غياب أحد العروسين مهما كانت الظروف، بل لا يتم عقد الزواج إلا بحضورهما ويتم إشهار موافقتهما أمام الناس.

وتعتبر الزوجة ثيباً بعد عقد الزواج الديني فقط سواء أقترب منها الزوج أو لم يقترب أو فيما لو توفي فجأة[(٤)].

ومن شعائر الخطبة أن يشيّد بيت القطب (رمزيا) ويدعى (الأندرونه)[(٥)] أولاً وتفرش أرضيته بالحصران أو الأفرشه النظيفة ويهيأ للعروس (الخباء أو الخدر) وتعد

---

(١) موسوعة الأديان في العالم ص ٢٦٢، تاريخ الصابئة المندائيون ص ١٣٦.

(٢) المندائيون الصابئة ص ٢٠٤، تاريخ الصابئة المندائيون ص ١٣٥.

(٣) المندائيون الصابئة ص ٢٠٤.

(٤) المندائيون الصابئة ص٢٠٥، تاريخ الصابئة ص ١٣٥.

(٥) تاريخ الصابئة المندايئون ص ١٣٦.

مائدة العرس وتسمى بالطعام المقدس يضم في وجبته الرئيسية، السمك والخبز[1] ويحمل طفلان سلتان تحوي الأولى ملابس العريس، وفي الأخرى ملابس العروس، وتوضع الأولى تحت السقيفة والثانية في داخل الخباء الخاص بالنساء.

ويعمد الزوجان في الماء الجاري بأحد الأنهر، فتعمّد العروس أولاً ثم العريس وبعد خروج العروسين من الماء يدوران حول النار متجهين من الجنوب إلى الغرب ومن الغرب إلى الشمال ومن الشمال إلى الشرق ثم يعودون إلى الجنوب[2] وبعدها يتبخر العروسان ويرتدي كل من العروسين ملابس جديدة(رسته)، ويجري العماد الثاني في اليوم الأحد التالي ويجلس العريس أمام باب الاندرونه[3] وظهره للقبلة، وقبلتهم نحو الشمال والقصد من إقامة بيت الاندرونه هو أن الزوج يريد إفهام زوجته أن بيته هو عدة قصبات وليف ويجب عليها أن تعيش معه على هذه الحال وإن اهداءه لهذا البيت هو لتعريفها أن زواجها منه لم يكن لأجل المال والجاه[4]ويقوم رجل الدين (الكنزفراه)[5] بفحص ملابس العري، ويلبسه (السكين دولة) سكين من جديد متصلة بسلسلة جديدة يختم عليها نقوش حيوانات وزواحف وحشرات يعتقد الصابئة بأنها شعار دولتهم التي كانت فيما مضى ثم زالت. ثم يضع في خنصره الأيمن حلقة من حديد، وعلى العريس أن يتقلد السكين ليل نهار إلى يوم عماده وتطهره الثالث التي سيتم بعد سبعة أيام من دخوله على عروسه.

ثم يرسل (الكنزفره) رجل الدين[6] أحد أعوانه إلى العروس ليسألها أمام الشهود

---

(١) المندائيون الصابئة ص ١٩٩، تاريخ الصابئة المندائيون ص ١٣٨.

(٢) تاريخ الصابئة المندائيون ص ١٣٦.

(٣) الاندرونا بيت مصنوع من قصب قائم على اثني عشر قائمة كل قائمة تتكون من قصبتين .

(٤) تاريخ الصابئة المندائيون ص١٣٧.

(٥) تاريخ الصائبة المندائيون ص ١٣٨، المندائيون الصابئة ص١٩٩ وما بعدها.

(٦) تاريخ الصابئة المندائيون، ص ١٣٨.

إذا كانت راغبة بالزواج من العريس ثم يقوم بوضع خاتمين في خنصرها ثم يصب رجل الدين الماء على يديها ويقدم لها اللوز والزبيب لتأكل وماء لتشرب، وتقام بعد ذلك الوليمة للمدعوين. ثم يحضر رجل الدين الخمر (وتتألف من الماء والزبيب والتمر بعد خلطها وطحنها فينتج سائل يسمى (همره).

ويخاطب رجل الدين العريس قائلاً: لا تخاطب زوجتك بصوت مرتفع أبداً ولا تؤذها ولا تهملها ولا تجعلها وحيدة ولا تأكل الأكل أو تلبس لباساً بدونها...) إلى أخره من النصائح[1].

ويخاطب رجل الدين العروس أيضا بجملة من النصائح التي تحثها على رعاية زوجها وطاعته والابتعاد عن الأمور المنكرة ثم يقوم رجل الدين بضرب رأس العريس برأس العروس من الخلف ثلاث مرات[2].

وبعدها يؤخذ العهد من والد العروس والعريس وإقامة الصلوات وإلباس الزوجة اكليلها وشربها الخمر سبع مرات، ويقوم الزوج بمعاهدة رجل الدين بالحفاظ على عروسه وتمسكه بالعقيدة الصحيحة وتربية الأولاد على ذلك، وأخيرا يقوم رجل الدين بإمرار صولجانه (حركته) فوق رأس العريس ثلاث مرات وبذلك تنتهي مراسم الزواج، ولا يستطيع الزوج الاقتراب من زوجته إلا في ساعة فلكية مناسبة يكشفها له رجل الدين (الكنزفره) وبانتهاء الاحتفال يذهب العروسان إلى بيتهما[3].

---

(١) تاريخ الصابئة المندائيون ، ١٣٨-١٣٩.

(٢) تاريخ الصابئة المندايئون ص ١٤٠ / المندائيون الصابئة ص ٢٠٧.

(٣) تاريخ الصابئة المندائيون ص١٤٠.

الفصل الثاني

أحكام الزواج في الشريعة اليهودية

تمهيد - الخطبة

المبحث الأول : شروط الزواج

المبحث الثاني : موانع الزواج

المبحث الثالث: الحقوق الزوجية

المبحث الرابع: قواعد ثبوت النسب والتبني عند اليهود

تمهيد

(الخطبة)

الخطبة: تعريف الخطبة: عقد يتفق به الخاطبان على أن يتزوجا ببعضهما شرعاً في أجل مسمى بمهر مقدر بشروط يتفقان عليها[١].

والمرأة القاصرة يخطب لها والدها واليتيمة تخطب لها أمها أو أحد أخوالها[٢].

أما الراشدة فأمرها بيدها[٣]، ولكن العادة جرت أن والدها ينوب عنها متى ما رضيت هي بالخطبة. وكذلك الحال في اليتيمة فالعرف أن تنوب والدتها أو أحد أخوالها أو أقربائها عنها في الخطبة.

والخاطب أمره في يده ولا ينوب عنه أحد إلا بتوكيل منه[٤].

والخطبة تفسخ بإرادة الطرفين أو إبطالها بإرادة أحدهما[٥].

ولا تعد الخطبة شرعاً إلا بالعهد الشرعي المعروف بالقنيان[٦].

ويجوز توثيق الخطبة بعقد كتابي يشتمل على القنيان وعلى غرامة يلتزم بها من

---

(١) شرح تشريعات الأحوال الشخصية للمصريين غير المسلمين والأجانب د. عبد الفتاح مراد ص ٥٧٦ نقلاً عن كتاب الأحوال الشرعية في الأحوال الشخصية للإسرائيليين تأليف م.جاي بن شمعون مطبعة كوهين وررزنتال. مصر ١٩١٢ المادة الأولى ص ٥٧٦.

(٢) المادة الثانية تشرح تشريعات الأحوال الشخصية للمصريين غير المسلمين والأجانب ص ٥٧٦.

(٣) المادة الثالثة – المصدر السابق ص ٥٧٦.

(٤) المادة الرابعة – المصدر السابق ص ٥٧٦.

(٥) المادة الخامسة – المصدر السابق ص٥٧٦.

(٦) المادة السادسة – المصدر السابق ص ٥٧٦.

يعدل عن الخطبة من المتعاقدين[١]. أما الذي ينقض الخطبة فلا يلزمه شيء غير الغرامة المطلوبة التي تسقط إذا وجد سبب من الأسباب الآتية[٢]:

أولاً: إذا ظهر عيب في أحد الخاطبين و لم يعلم به الخاطب الآخر.

ثانياً: إذا حدث العيب من مرض أو جنون بعد الخطبة.

ثالثاً: إذا ارتكب أحد الخاطبين الفحشاء.

رابعاً: إذا اعتنق أحد أقرباء العائلتين ديانة أخرى أو مذهباً آخر.

خامساً: إذا أسرف الخاطب وأساء.

سادساً: إذا ظهر أن الخاطب عديم التكسب.

سابعاً:إذا علم الخاطب أن مخطوبته كانت متزوجة سابقاً من رجلين توفيا.

وإذا توفى أحد الخاطبين بطلت الخطبة[٣] ولا غرامة وردت الهدايا، أما إذا أهدى أحد الخاطبيين للآخر شيئاً وجب على المهدي إليه رده أو دفع قيمته إذا فقده وإذا كانت الهدية من المستهلكات أو مما يتلف بالاستعمال فردها أو تعويض قيمتها غير واجب.

وإذا توفى والد المخطوبة أو المتعهد بالغرامة فأن ذلك لا يبطل العقد[٤] أن السلطة الشرعية إذا قضت باستحقاق الغرامة و لم يحصل دفعها ومات الملزم بها لزمت تركته[٥].

---

(١) المادة السابعة المصدر السابق ص٥٧٦.

(٢) المادة الثامنة المصدر السابق ص ٥٧٦.

(٣) المادة العاشرة من الأحوال الشرعية للإسرائيليين نقلاً عن شرح تشريعات الأحوال الشخصية للمصريين غير المسلمين والأجانب د. عبد الفتاح مراد ص٥٧٦.

(٤) المادة الثانية عشرة من الأحوال الشرعية للإسرائيليين ص ٥٧٦.

(٥) المادة الحادية عشر من الأحوال الشرعية للإسرائيليين ص ٥٧٦.

نصوص الأصول التشريعية للأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية للإسرائيليين الخاصة بالخطبة:[1]:

مادة ١: الخطبة عقد يتفق به الخاطبان على أن يتزوجا ببعضهما شرعاً في أجل بمهر مقدر بشروط يتفقان عليها.

مادة ٢: القاصر يجوز لوالدها أن يخطب لها وإذا كانت يتيمة جاز لوالداها أو أحد أخوالها أن يخطبوا لها.

مادة٣: الراشدة أمرها في يدها ولكن جرت العادة أن والدها ينوب عنها متى كانت الخطبة بقبولها كما جرت العادة أيضاً أن اليتيمة ينوب عنها والدها أو أحد أخوالها أو أقاربها.

مادة ٤: الخاطب أمره في يده ولا يجوز أن ينوب عنه أحد إلا بتوكيل.

مادة ٥: يصح فسخ الخطبة بإرادة الاثنين أو إبطالها بإرادة أحدهما.

مادة٦: لا تعد الخطبة شرعية إلا بالعهد الشرعي المعروف بالقنيان .

مادة ٧: يجوز توثيق الخطبة بعقد كتابي يشتمل على القنيان وعلى غرامة يلتزم بها من يعدل عن الخطبة من المتعاقدين.

مادة٨: ناقض الخطبة لا يلزمه دفع شيء آخر غير الغرامة المطلوبة.

مادة ٩: ومع ذلك فالغرامة تسقط إذا وجدت سبب من الأسباب التالية:

أولاً: إذا ظهر بأحد الخطبين عيب لم يكن يعلم به الخاطب الآخر.

ثانياً: إذا طرأ العيب أو حدث جنوب أو مرض بعد الخطبة.

ثالثاً: إذا ثبت على أحدى العائلتين أرتكاب الفحشاء.

---

(١) شرح تشريعات الأحوال الشخصية ص٥٩٠.

رابعاً: إذا أعتنق قريب إحدى العائلتين ديانة أخرى أو مذهباً آخر.

خامساً: إذا أسرف الخاطب أو سرق.

سادساً:إذا اتضح أن الخاطب عديم التكسب.

سابعاً: إذا علم الخاطب أن المخطوبة مات لها زوجان.

مادة ١٠: إذا توفى أحد الخاطبين بطلت الخطبة ولا غرامة وردت الهدايا.

مادة١١: إذا قضت السلطة الشرعية باستحقاق الغرامة و لم يحصل دفعها ومات الملزم بها لزمت تركته.

مادة ١٢: وفاة والد المخطوبة أو المتعهد بالغرامة لا تبطل العقد بل ينفذ وتسري الغرامة على الورثة.

مادة١٣: إذا غير أحد الخاطبين أقامته من بلد إلى بلد يجبر الآخر على الانتقال معه وتحق له الغرامة إلا إذا كان السفر إجبارياً فأن الغرامة في هذه الحالة تسقط.

مادة ١٤: إذا أهدى أحد الخاطبين شيئاً إلى الآخر وجب على المهدي إليه رده أو دفع قيمته إذا فقده، غير أن الهدية إذا كانت من المستهلكات أو مما يتلف بالاستعمال فردها أو تعويض قيمتها غير واجب.

المبحث الأول

شروط الزواج

المطلب الأول

الرضا بالزواج وصحته

فرضت شريعة الربانيين[1] وشرعية القرائين[2] رضا الرجل والمرأة بالزواج واشترطت تطابق إيجابهما وقبولهما في العقد، سواء كانا هما الطرفان أم كان من رضى بالزواج من له الولاية أي منهما من الأولياء، وقد أكدت على ذلك (المادة ٥٥) من كتاب الفقه الخاص بالطائفة الربانية لمؤلفه (م جاي بن شمعون)[3] وكذلك كتاب شعار الخضر الخاص بالقرائين.

ويجوز التعبير بالإيجاب بألفاظ معينة يقولها الرجل بالعبرية (... تقدست لي زوجة بهذا الخاتم أو بكذا أو كان شيئاً آخر)[4] وعند القرائين بعد أن يسلم الرجل المهر كله

---

(١) الربانيون: ويشكلون غالبية اليهود، ويعتقدون بالتوارة والتلمود ويقولون أن الله لم ينزل على موسى (ع) التوراة فقط بل أنه أنزل عليه أحكاماً أخرى أمره إلا يكتبها وإنما يبلغها شفوياً كما أنهم يؤمنون (بالمشنا) التوارة الشفوية التي أنزلها الله تعالى على موسى (ع) في جبل سيناء مدة الأربعين يوما التي قضاها وحيا. أنظر كتاب (الأديان) القسم الثاني – د. سعدون الساموك . د. رشدي عليان – دار الحرية بغداد / القراءون والربانيون – مراد فرج ص ٣٦.

(٢) القراءون : وهم يؤمنون بالتوراة فقط ككتاب سماوي انزله الله على موسى عليه السلام.

(٣) مقدمة الأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية الإسرائيلية – جاي بن شمعون ص ٧٠ الإسكندرية.

(٤) المصدر السابق (م٥٦) ص ٧١.

أو بعضه يشهد الآخرين على نفسه بقوله (بعهد طور سيناء وبفرائض جبل حوريب قد خطبت وتقدست لي فلانه بنت فلان لتكون لي زوجة على طهارة وقداسة، بمهر ووثيقة وقبول كشريعة سيدنا موسى وبني إسرائيل)[١].

ويتم قبول المرأة بأي لفظ يدل مثل (رضيت – قبلت).

ويشترط في الزوجين البلوغ والعقل على خلاف بين الربانيين والقرائين حول تحديد مفهوم البلوغ إذ أن الربانيين يحددون سناً معيناً، أما القراؤن فأنهم يعتمدون بالبلوغ الطبيعي فقط، فالربانيون يجزون الزواج بعد بلوغ الثلاث عشرة سنة بالنسبة للرجل ، والمرأة بأثنتى عشرة سنة ونصف، وبحيث تنبت عانتها ولو بشعرتين[٢]، وأن كانت (م٢٢) من كتاب جاي بن شمعون تنص على أن السن اللائق للزواج هو ثمانية عشر عاماً وهو من قبيل المبالغة ليس من قبيل القيود القانونية).

أما زواج غير البالغ – أي من لم يبلغ السن المحددة عند الربانيين أو سن ممن لم يبلغ الحلم عند القرائين – فعند طائفة القرائين يعد باطلاً إذا كان ذكراً سواء أكان ذلك بموافقة الأب أو بغير موافقة ، أما إذا كان بنتا فالزواج هنا يختلف فيما إذا كان لها أب أو لم يكن فأن كان لها أب فأمرها في يد أبيها يزوجها ويقبل طلاقها، وتلك ولاية الإجبار بصورتها الواضحة وإن لم يكن لها أب وجب الانتظار حتى البلوغ[٣].

ويختلف الأمر قليلاً عند الربانيين فالزوج القاصر (دون الثالثة عشرة من عمره) لا يطلق بل يفسخ كما نصت على ذلك (م ٣٣) من كتاب حي بن شمعون، أما

---

(١) شعار الخضر في الأحكام الشرعية الإسرائيلية للقرائين. العلاقة الياهوبشيا صي ص ٧١ تعريب وشرح الأستاذ مراد فرج. الإسكندرية – ١٩١٧.

(٢) المادة ٧٣ من كتاب جاي شمعون ص (المقدمة في الأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية للإسرائيليين.

(٣) الأحوال الشخصية لغير المسلمين، توفيق حسن فرج- نشر منشأة المعارف ط٢ إسكندرية ص ٥٨٢ وكتاب الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين وللأجانب د. أحمد سلامه – ط٢- إسكندرية ١٩٦٢ ص ٥٤٤-٥٤٥.

الصغيرة فقد ورد بشأنها أكثر من نص يفيد بأن زواجها يكون بموافقة وليها ما دامت بكرا لم تتزوج من قبل، فان كان لها أب وزوجها كان زواجها صحيحاً، فالأب يستطيع تزويج أبنته الصغيرة حتى بغير رضاها أما إذا لم يكن لها أب فأنها تتزوج بولاية أمها عليها بشرط أن يكون ذلك بشاهدين إلا إذا كان زواجها قد وضع قبل بلوغها بست سنين ويصح الفسخ بلا إشهاد، ويظل لها حق الفسخ متى تحمل، أو تجاوزت الاثنى عشرة سنة ولو بيوم فيسقط حينئذ حقها[١].

ولم يعالج علماؤهم عيوب الرضا أو إبرازها بشكل واضح، ومن ثم فهي لا تجيز الطعن بالإبطال لتوافر عيب الغلط والتدليس أو الإكراه في صورة محدودة بشكل غير مباشر فالقراءون لا يعتدون بالغلط بل يفوضون التحري قبل عقد الزواج فإذا ما انعقد لا يجوز الطعن فيه[٢] أما الربانيون فأنهم يجعلون من الغلط نتيجة التأكيد الكاذب من الشخص الآخر مانعاً من انعقاد العقد[٣].

أما بالنسبة للاكراه فلم يرد له عندهم تنظيم محدد: وقد ورد بشأن المغتصبة لزوم قبولها فلا تكره على الزواج بمن اغتصبها إذ القبول والرضا شرط لا بد منه[٤].

---

(١) المقدمة في الأحكام الشرعية (م ٢٨) ص

(٢) الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين وللأجانب ص ٥٥١.

(٣) المصدر السابق ص ٥٥١.

(٤) شعار الخضر في الأحكام الشرعية الإسرائيلية للقرائين العلاقة الياهوبشياصي ص ٧٠-٧١ /الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص ٥٨٨.

المطلب الثاني

الشرط الثاني (المهر)

جعلت الشريعة اليهودية المهر ركناً من أركان الزواج وبدونه يعد العقد باطلاً، وهي بذلك تختلف عن الشريعتين المسيحية والإسلامية، فالأولى تعتبره عنصراً عرضها لا يؤثر وجوده أو عدم وجوده على الزواج وحيث لا يتفق عليه فلا يلزم، أما في شريعتنا السمحاء فالمهر أثر لازم وليس ركنا في الزواج، فعقد الزواج الذي لم يذكر فيه المهر و لم يتفق عليه يعتبر عقداً صحيحاً وعند عدم الاتفاق عليه يعطى للزوجة مهر أمثالها من النساء وقد فصل القراءون في المهر أحكاماً موسعة، في حين عرضها الربانيون بشكل مختصر، وكما هو مبين أدناه.

أحكام المهر عند القرائين:

المهر ما تقتنى به المرأة ولا يجوز إغفاله[1] وهو قسمان مقدم ومؤخر، ووجوب مشروعية مقدمة مستند على ما ورد في التوراة (يمهرونها له زوجة) ومؤخرهُ قول التوراة أيضا(وتسرح مجاناً بلا فضة) والمقدم يقابل الصداق، والمؤخر حكمته تشديد الطلاق لكيلا تهون المرأة في عين الرجل فيطلقها، ناهيك عن كونه ذخراً لها عند تطليقها أو ترملها وقد اختلفوا في تحديد المهر [2]، فمنهم من حدده، ومنهم من لم يحدده بمعيار كما ذهب إلى ذلك فقيه القرائين الياهو بشياصي الذي رأى أن على القائمين بالأمر الإقناع بالمهر اللائق حسب عرف البلد، وأن من عقد بشاهدين وكان

---

(١) الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين وللأجانب ص ٥٥٢.

(٢) شعار الخضر ص ٧٢، الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين وللأجانب ص ٥٥٣.

المهر ولو (بارة)[1] أما ما يوازيها فالعقد صحيح.

ووضعوا للمهر شروطاً منها[2]:

١- أن يكون مما يجوز الانتفاع به.

٢- أن يكون مما لا يحرم عندهم كالخمر في عيد الفصح والثور المرجوم وقرابين الشرك بالله ولك ما يتعلق بعبادة غير الواحد الأحد.

٣- حرموا أن يكون المهر من الأشياء المقدسة كقرابين بيت المقدس.

٤- حرموا أن يكون المهر مسروقاً أو مغصوباً.

٥- جوزوا أن يكون المهر ديناً إلى آجل، وعمل يؤدي كخدمة سيدنا يعقوب حماه مقابل المهر.

ويعطى مقدم المهر إلى كبير الحاضرين في الاحتفال وهذا بدوره يعطيه للزوجة إذا كانت بالغة أو لأبيها أن كانت قاصرأن وإذا توفيت ورثها ورثتها فيه. ويحرم الدخول بالزوجة قبل تقديمه [3]، والمؤجل يجب عند الطلاق أو الوفاة وإذا ماتت فلا يورث، وهم يرون أن المؤجل إنما شرع لسد حاجة المرأة عند الترمل أو الطلاق ولكن بموتها فحكمة وجوبه تنتفي[4].

أحكام المهر عند الربانيين:

المهر ركن عندهم سواء كانت المرأة فقيرة أم غنية، وأوجبت م١) من كتاب حاي بن شمعون أن يسمى المهر في عقد الزواج، أما (م٩٨) فقد أوجبته بصرف النظر

---

(١) البارة عملة نقدية بسيطة.

(٢) الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين وللأجانب ص ٥٥٣ الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص ٦٠٤.

(٣) الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين وللأجانب ص ٥٥٤.

(٤) المصدر السابق ص ٥٥٥/ الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص ٦٠٦.

عما إذا حصل في مقابلة على جهاز أو لم يحصل[1].

واختلفوا في تحديد قيمة المقدم فمنهم من قال [2] يصح العقد لو بأصغر نقد، ولكن (م٩٩) من كتاب المقدمة نصت على أن (المهر الشرعي للبكر مائتا محبوب أو سبعة وثلاثون درهما فضة نقية ولغير البكر النصف غنية كانت أم فقيرة).

وحدده بعضهم بخمس وعشرين محبوباً معتمداً على ما ورد في التوراة من عبارة (كمهر البكارى) (فالكاف) للتشبيه بعشرين وأداة التعريف بخمسة فيكون المهر خمسة وعشرين وهو تفسير غريب، بل هو تفسير صبياني كما وصفه صاحب شعار الخضر[3].

أما شروط المهر فهي نفس الشروط التي وضعها القراءون المذكورة سابقاً وتستحق الزوجة مؤخر صداقها بالطلاق أو بوفاة زوجها إذا توفت وزوجها على قيد الحياة، فالمؤخر يؤول إلى ورثتها بعكس الحال عند القرائين[4].

---

(١) انظر في ذلك شعار الخضر ص ٦٧.

(٢) الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص ٦٠٥/الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين وللأجانب ص ٥٥٥.

(٣) شعار الخضر ص٦٨.

(٤) المصدر السابق ص ٦٧-٦٨ / الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص ٦٦/ الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين وللأجانب نسب ص ٥٥٥.

المطلب الثالث

الشكل الديني في الزواج

يتخذ اليهود الشكل الديني شرطا جوهرياً لقيام عقد الزواج، وتتمثل هذه الشكلية في (التقديس وكتابة العقد وصلاة البركة (الاحتفال العلني) ، وتفصيل ذلك على النحو الآتي:

١-**التقديس**: وهو التخصيص [١] ويتم بقول الرجل للمرأة أمام الشهود (تقدست لي زوجة بهذا الخاتم أو بكذا إن كان شيئا آخر، ويكون مملوكا للرجل هذا عند الربانيين، أما القراؤن فيسلمونه إلى كبير الحاضرين ليسلمه إلى الفتاة أو وليها. والشهود عند الربانيين عددهم اثنان ممن لهم الأهلية الشرعية الكاملة من غير جنون أو عته أو خرس أو صم، ولا تقبل شهادة المرأة ولا الخنثى ولا الكفيف، فأن كان أحد الشاهدين كامل الأهلية والآخر ليس كذلك بطلت شهادة الجميع، أما عند القرائين فيجب إلا يقل عددهم عن عشرة رجال أو نساء[٢].

فالتقديس عند الربانيين يجعل الزوجة مرتبطة بالزوج شرعاً فلا تحل لغيره إلا بطلاق أو بوفاة، ولكن التقديس وحده لا يكفي لحل المعاشرة الزوجية بل لا بد من كتابة العقد وصلاة البركة.

٢- **كتابة العقد**: نصت (م٦٦) من كتاب شعار الخضر على كتابة عقد

---

(١) الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص ٦٣٠.

(٢) الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين وللأجانب ص ٥٥٦-٥٥٧.

الزواج[1] كما نصت (م٦٨) على أن عقد الزواج يعرب بالعبرية بكلمة (كتوباه) ويدون في العقد مقدار المهر وجميع الحقوق الشرعية الزوجية، وما يشترطه الزوجان على بعضهما مما لا يخالف الأصول أو الشرع. وقد حوت (م٦٩) على حكم غريب، إذ ألزمت الربانيين به، وهو أنها جعلت إقامة الزوجة مع زوجها غير حلال شرعاً إذا فقد عقد زواجها أي أن (تحافظ الزوجة عقد زواجها عند نفسها أو عند من شاءت من أهلها وإذا فقد وجب تحرير عقد آخر فوراً وإلا كانت إقامة الرجل معها غير حلال شرعا)[2].

والقراءون أيضاً يعتبرون العقد الكتابي أو الوثيقة أمراً جوهرياً، فالوثيقة عندهم كناية عن العقد يثبت كتابة ويوقع عليه الشهود العدول وصورتها (في يوم كذا من شهر كذا بجهة كذا تحت حكم فلان حضر فلان بن فلان وشهد على نفسه بقوله: كونوا علي شهودا وثقوا بكل ما أنا وقائله واكتبوا واعتنوا أني عقدت على فلانه بنت فلان لتكون لي زوجة على طهارة وقداسة بمهر ووثيقة وقبول كشريعة سيدنا موسى وإسرائيل)[3].

وقد لا تحتوي هذه الوثيقة (القنوان) على مؤجل الصداق وإنما يثبت هذا فيما بعد في قائمة الجهاز ولكن الغالب هو الجمع بين الجهاز والزواج بوثيقة واحدة وهو الأفضل[4].

٣-الاحتفال الديني: ويمثله صلاة البركة والتي تتم بحضرة عشرة رجال على

(١) شعار الخضر من ١٠- ١٠٩ - / الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص ٦٣١ / الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين وللأجانب ص ٥٥٦.

(٢) الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص ٦٣١/ الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين وللأجانب ص ٥٥٧.

(٣) الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين وللأجانب ص ٥٥٧- ٥٥٨.

(٤) المصدر السابق ص ٥٥٨.

الأقل[1] في احتفال علني حيث تقام المراسيم الدينية ويتم فيها مباركة الزوجين وعندها يحل للرجل أن يدخل بزوجته ويمكن توضيح ذلك بالقول (يتقدم الرجل إلى العروس أو وكيلها على نشيد ما يناسب المزامير ويحلف اليمين يمين العهد ويعطيها بعض المهر ويكرر قوله (عقد عليك على الأبد) فيقول الموثق (بارك الله فيكما باسم الله تباركهما ليغدق الله عليكما من فيض السموات ويجاوبه الجميع بقولهم: ويكون بيتك كبيت فارص... ثم يقرأ الموثق البركات السبع [2] وعندها يحل للزوج الدخول بزوجته.

ويعقد عقد الزواج في دور العبادة أو المعابد ويحرم عقده عند القرائين يوم الجمعة إكراماً للسبت وكذلك أيام الحداد والأيام المقدسة التي ينهى عن العمل بها وكذلك الحال عند الربانيين على تفصيل طويل لا حاجة لذكره[3].

---

(١) انظر (م٩٦) من كتاب شعار الخضر.

(٢) انظر تفصيل هذه البركات في هامش رقم (٢) من كتاب الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين وللأجانب ص ٥٥٨.

(٣) المصدر السابق ص ٥٥٩-٥٦٠.

المبحث الثاني

موانع الزواج

إن الموانع التي تحول دون عقد الزواج بين طرفين، هي التي تقوم على أساس تقسيمها بالنظر إلى مصدرها، هل هو الصلة بين الشخصين أو الصفة التي توافرت في واحد منهما؟ فالصلة هنا تمثلها درجة القرابة والمصاهرة، وبيان هذه الشروط يقع في فرعين أثنين.

الفرع الأول: الموانع الناشئة عن صلة أحد الشخصين بالآخر:

وتشمل أولاً درجة القرابة والمصاهرة وثانياً (الزنا).

أولاً: الدرجة المحرمة عند القرائين وتشمل:[1].

١- حرمة الرجل على أقاربه الستة: أبيه وأمه وأخيه وأخته وأبنه وبنته، وحرمة الذكور محلها نساؤهم فيحرم على الرجل أن يتزوج بامرأة أبيه وامرأة أخيه وامرأة ابنه.

٢- حرمة الرجل على قريب قريبه: عمه وعمته، وخاله وخالته، بنت أبنه، ابن ابنة، بنت بنته، ابن اخته، ابن أخيه، فهؤلاء جميعاً يقال لهم أقارب القريب. وحرمة

(١) شعار الخضر الصفحات ٣٨-٤٠، ٤٤، ٤٦-٤٨، ٥٠-٥٨/ الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين وللأجانب ص ٥٦٣-٥٦٤.

الذكور محلها نساؤهم، فمثلاً يحرم الزواج بزوجة العم وزوجة الخال، وتلحق الزانية مختارة أم مكرهة بالزوجة.

٣- حرمة الرجل على القريبين في الأصول والفروع والأجنحة، كالمرأة وأبيها أو أمها أو أخاها أو أختها أو ابنة أو بنتها، والحرمة على الذكور محلها نساؤهم، وكذلك الضرائر، فضرة الأم وضرة الأخت وضرة البنت محرمة وأمه أو أخته أو بنته قريبان فيحرمان على الذات الواحدة وهي الضرة، وتحريم المرأة على المرأة يرجع إلى زوجها، فإذا أخذ الرجل ضرة أمه حرمت هذه عليها أي على زوجها وكذلك ضرة الأخت أو البنت.

٤- حرمت الرجل على الذات وقريبه وقريب قريبه كالمرأة وبنت بنتها، أو بنت أختها أو ابن أبنها وأب أبيها أو أم أمها أو بنت أخيها، والذكور مرجعهم نساؤهم.

٥- حرمة القريبين على القريبين: لا يجوز للرجل أن يتزوج بنت امرأة الأب لأن الرجل وابنه قريبان، والمرأة وبنتها قريبان، كذلك الأخوان لاختين، أو للأم وبنتها، أو الأختان الرجل وابنه.

٦- حرمة القريبين على الذات وقريب قريبه في الأصول والفروع دون الأجنحة فيحرم الرجل على أقارب زوجته أقارب أقاربه، ومرجع الذكور نساؤهم، وعلى أقارب زوجته وزوجية أقارب أقاربه، وعلى أقارب أقارب زوجيته أقاربه، وعلى أقارب زوجته أقارب أقارب زوجته، وعلى أقارب أقارب زوجته.

الدرجة المحرمة عند الربانيين (المحارم): أن المبدأ العام عند الربانيين هو أنه لا يصح عقد الزواج مع وجود قرابة تحريم، وقد بينت (م٣٨) من كتاب المقدمة نوعين من قرابة التحريم:[١]

---

(١) مقدمة الأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية الإسرائيلية ص ٥٠ وما بعدها.

الأولى: القرابة التي لا ينعقد فيها العقد ولا يحتاج إلى طلاق، والأولاد الشرعين.

الثانية: عقد باطل يجبر فيه الرجل على الطلاق، ولا يعد أولاده غير شرعيين.

وبينت (م٣٩) محرمات النوع الأول وهم: البنت وبنت البنت وبنت الأبن، امرأة العم لاب. بنت الزوجة. بنت بنتها. بنت أبنها. الحماة وأمها لاخت. العمة والخالة، وامرأة الأب، وامرأة الابن، وامرأة الأخ، أخت الزوجة إذا كانت الزوجة على قيد الحياة ومرتبطة بالزوج أو طلقت، أما إذا كانت قد توفيت فيجوز لزوجها أن يتزوج من اختها.

أما محرمات النوع الثاني فقد نصت عليها (م٤٠) وتشتمل: الجدة، امرأة الجد، امرأة ابن الاب امرأة ابن البنت، بنت بنت الأبن، بنت ابن الأبن، بنت بنت البنت، بنت ابن البنت، بنت بنت ابن الزوجة، بنت بنت بنت الزوجة، جدة ابن الزوجة، جدة أم الزوجة، جدة الجد امرأة العم لأم، امرأة الخال.

وقد نصت (م٤٤) على أن يحرم التزوج بغير الشرعيين ذكوراً وأناثاً من محرملت النوع الأول فأن حصل التزوج يكره الزوجان على الطلاق، وعدت أولادهما غير شرعيين أيضاً.

وأنفرد الربانيون بجواز زواج الرجل من ابنة أخيه أو بنت أخته، وهو موقف لا نظير له في جميع الشرائع[1].

ثانياً_ الزنا: جاءت الأقوال مضطربة في الفقه اليهودي حول الزانية، ويبدو أنها تميل نحو إباحته حتى يتمكن الزوجان من إزالة الوصمة التي لحقت بهما، والزانية عند القرائين على نوعين[2]. مبتذلة للكافة وحرمتها أبدية والثانية الزوجة لأجل، فهم

(١) الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين وللأجانب ص ٥٦٥.

(٢) الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص ٦٠٠/ وأنظر هامش رقم (١) الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين وللأجانب ص ٥٦٦.

يعتبرون زواج الأجل (زواج المتعة) علاقة غير مشروعة، لأن الاقتران لأجل تبعاً لهوى الناس ثم يفارقها أو يطلقها بل مسوغ شرعي بلا الواجب أن تكون خليلة عهد لأجل ما، وكذلك الحال عند الربانيين في المادتين ١٩٠و ٤٦، فمن زنت امرأته اغتصابا لا تحرم، وأما برضاها فتحرم عليه وكذلك خلوة المرأة بشخص آخر، ومكثها معه وقتاً ما و يعد، نهي الزوج عن ذلك وبحضور شاهدين وأن لم يتحقق الزنا الفعلي(١).

ويرى الحاخام (رشي)(٢) أن اليهودي لا يخطأ إذا تعدى على عرض الأجنبي لأن كل عقد نكاح مع الأجانب فاسد لأن المرأة التي لم تكن من بني إسرائيل تعتبر بهيمة والعقد لا يوجد في البهائم وقد أجمع على هذا الرأي كل من الحاخات (بشاي وليفي وجرسون) وقال الحاخام (ميمانود) : لليهود الحق في اغتصاب النساء غير المؤمنات - أي الغير يهوديات(٣).

وجاء في التلمود (إن من رأى أنه يجامع والدته فسيؤتى الحكمة بدليل ما جاء في كتاب الأمثال: إن الحكمة تدعى (والده) ومن رأى أنه يجامع خطيبته فهو محافظ على الشريعة ومن يرى أنه جامع أخته فمن نصيبه نور العقل، ومن يرى أنه جامع امرأة قريبه فله الحياة الأبدية)(٤).

قال الرابي (كرونر) (أن التلمود يصرح للإنسان - أي اليهودي - أن يسلم نفسه للشهوات إذا لم يمكنه أن يقاومها ولكنه يلزم أن يفعل ذلك سراً لعدم الضرر بالدين)(٥).

---

(١) الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص ٥٩٩/انظر هامش رقم (٣) الأحوال الشخصية للوطنيين ص ٥٦٦.

(٢) الديانة اليهودية - د. يوسف عيد ص ٢١٣، دار الفكر اللبناني - بيروت الأولى ١٩٩٥/ الكنز المرصود في قواعد التلمود ترجمة د. يوسف نصر الله ص ٩٥ دار العلم - الأولى - دمشق - ١٤٠٨هـ -١٩٨٧.

(٣) الديانة اليهودية . د. يوسف عيد ص ٢١٣/الكنز المرصود في قواعد التلمود ص ٩٥.

(٤) الديانة اليهودية - ص ٢١٣/ الكنز المرصود في قواعد التلمود ص٩٥.

(٥) الديانة اليهودية ص ١٧٦، الكنز المرصود في قواعد التلمود ص٩٥.

وحسب مفهوم التلمود فليس للمرأة اليهودية أن تبدي أدنى شكوى إذا زنى زوجها في المسكن المقيم فيه معها.

إذ جاء في كتاب (سنهدرين)[١]: أنه مصرح لليهودي أن يفعل ذلك الأمر بزوجته أي (اللواط) وليس بمصرح للأجنبي أن يفعله إلا بامرأة أجنبيه عنهم على حد قول الشاعر:

فإن لم تكونوا قوم لوط حقيقة   فما قوم لوط فيكم ببعيد

والمرأة عندهم تحسب صفرا ولا يعتد بوجودها، إذ يلزم أن يكون حاضرا في الكنيس عشرة أشخاص ذكور فإذا حضر تسعة فقط ومليون امرأة لم يكن هذا العدد هو المطلوب في الاتيان بالواجب لأن المرأة تحسب عندهم صفرا[٢].

يقول الرابي كرونر[٣] (لا يوجد بين اليهود أولاد غير شرعيين كما في باقي الأمم لأنه الزنى بينهم قليل) ولكن الحقيقة خلاف ذلك.

الفرع الثاني: الموانع الناشئة عن صفة ذاتية في الشخص

ويمكن إجمال هذه الموانع بالنقاط التالية:

أولا: الأختلاف في الدين أو في الملة:

أن شريعة الربانيين والقرائين على السواء لا تجيز زواج اليهودي من غير اليهودية، ولا زواج اليهودية بغير اليهودي، أما إذا اختلفا في الملة، فالربانيون لا يجيزون مثل هذا الزواج، بينما يبدو أن القوانين يجيزونه بشيء من التفصيل[٤].

---

(١) الديانة اليهودية ص ١٧٧.

(٢) الكنز المرصود في قواعد التلمود ص ٩٥.

(٣) الديانة اليهودية ص ١٧٧.

(٤) انظر تفصيل ذلك في كتاب الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص ٦٠١ وهوامشه.

فالقراءون يطلقون على غير اليهودية تسمية (الأجنبية) وأن عقدها على يهودي باطل لا يحتاج إلى طلاق[١]، فيكفر الرجل عن معصيته ولا يتبعه الولد ولو تهود[٢] أما إذا شوهدت الأجنبية قبل الزواج فهي حل للزوج بها من يهودي[٣].

ونصت (م١٧) من كتاب (حاي بن شمعون) على تحريم زواج الرباني من غير اليهودي، كما نصت (م١٨) منه على جواز زواج القرائي الذي أصبح ربانيا، فأن عقده ينعقد صحيحاً[٤].

وأجاز الربانيون فقط زواج من أرتد من الإسرائيلين ثم تزوج شرعاً بالإسرائيلية، وإذا ارتدت الإسرائيلية، ثم تزوجت بإسرائيلي، فأن زواج كل منهما يصح رغم كون الزوجين مختلفين في الديانة[٥].

ثانياً: ارتباط المرأة بزواج قائم

تجيز الشريعة اليهودية للرجل أن يجمع أكثر من زوجة في وقت واحد، إلا إذا كان الزواج الثاني القصد منه الإضرار بالزوجة الأولى عن طريق الإعراض عنها والإقبال على الثانية، حينئذ لا يكون العقد الثاني نافذا [٦] وإذا كانت الزوجة الأولى عقيمة ومضى على عقمها عشر سنين، فللرجل أن يتزوج عليها، ولو كان فيه أضرار على الزوجة الأولى [٧].

---

(١) المصدر السابق ص ٦٠١ وهوامشه.

(٢) للمصدر السابق ص ٦٠١/الأحوال الشخصية للوطنيين ص ٥٦٨.

(٣)الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص ٦٠١/الأحوال الشخصية للوطنيين ص ٥٦٨ القراءون والربانيون مراد فرج ص ١٦٠-١٦١.

(٤) الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص ٦٠١/ الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين والأجانب ص ٥٦٨.

(٥) الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص ٦٠٢/ الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين وللأجانب ص ٥٦٩.

(٦) الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص٦٠٢/الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين وللأجانب ٥٦٩.

(٧) الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين وللأجانب ص ٥٧٠.

أما زواج المرأة الثانية المرتبطة بزوج آخر فهو ممنوع، وعليه فإن اقتصار مانع الارتباط بزوجته قائمة، يقتصر على المرأة فقط، وعلى ذلك نهج القراءون والربانيون على عدم جواز العقد على امرأة غير خالية، أو ثابت طلاقها شرعاً أو غير ثابتة وفاة زوجها[1] فالعقد الثاني باطلا لا أثر له دخل بها الثاني أو لم يدخل، فلا تحرم على الأول عند القرائين، و لم يوجد نص صريح متضمن هذا الحكم عند الربانيين[2].

ثالثا: العدة

فصل التشريع اليهودي الخاص بالربانيين أحكام العدة في المواد (٧٢, ٧١, ٢٧٧, ٥٠, ٤٩)[3] ونظرا لسعة أحكامها وتفرعاتها الكثيرة أوجز أحكامهم بالآتي: ذكروا أن الغرض من العدة هو أما منع اختلاط الأنساب، وأما الحرص على مصلحة الغير، فالمنع الأول تطلق به المرأة وعند وفاة زوجها تبقى اثنين وتسعين يوماً يدخل فيها يوم الوفاة، أو يوم الطلاق.

ونصت (م٣٧٦) على تربص المرأة تسعين يوماً[4].

أما إذا ثبت حمل الزوجة فعليها الانتظار لحين الوضع، فإن بقي معها الولد بعد ولادته وجب عليها أن تتربص حتى يكمل سنتين فطم أو لم يفطم، وإن لم يبقَ معها أمكنها الزواج[5].

إذن القصد هنا تفرغ الأم لرضاع طفلها ولو مات الصغير أو فطم قبل مضي السنتين، أو رضع من غير أمه ثلاثة أشهر، و لم ترضعه أمه خلالها، فأن العدة تنقضي،

---

(١)الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين وللأجانب ص ٥٧٠.

(٢) هامش رقم ٤ الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين وللأجانب ص ٥٧٠-٥٧١.

(٣) انظر المقدمة في الأحكام الشرعية ص ٥٥، ٥٩، ٧٠، ٧١، ١٥٠)

(٤) المصدر السابق ص ٢٩٠.

(٥) الأحكام الشرعية لغير المسلمين ص ٥٩٣/الأحكام الشرعية للوطنيين غير المسلمين وللأجانب ص ٥٧٢.

ويصح زواج المرأة فوراً بوقوع واحد من هذه الحوادث[1].

أما القراءون فقد ذكروا العدة عرضا، وحدودها بثلاثة أشهر[2] وتقضي الشريعة اليهودية بمنع الرجل من الزواج إذا توفيت زوجته قبل فوات ثلاثة أعياد منها عيد الاستغفار وعيد رأس السنة، ما لم تأمر السلطة الشرعية غير ذلك[3].

رابعاً: العجز الجنسي عند الرجل

تمنع الشريعة اليهودية الزواج بسبب عجز الرجل الجنسي، ويشمل العجز (الموجوء)[4] والمجبوب[5] فإن وجئا وقطعا صار الرجل عنيبتا، ويتحقق المانع سواء كان بعاهة خلقية، أو بسبب مرض أو بفعل إنسان أو حيوان، وهذا المنع متحد عند القرائين والربانيين إلا أن الربانيين قصروا العاهة بالطارئة بفعل الإنسان أو الحيوان أو شيء، أما إذا كانت خلقية أو عن مرض فلا مانع[6].

خامسا: المطلقة إذا تزوجت

لا يجوز للرجل أن يعقد على مطلقته إذا عقد غيره عليها، ولا فرق بين المخطوبة والمتزوجة في ذلك عند القرائين، لأن المخطوبة معقود عليها تماما، ولا ينقصها غير العلانية الشرعية، ولا ينفض عقدها إلا بالطلاق، فهي امرأة رجل. ونجد الحكم ذاته عند الربانيين[7].

---

(١) الأحكام الشرعية للوطنيين غير المسلمين وللأجانب ص ٥٧٢.

(٢) المصدر السابق ص ٥٧٣.

(٣) الأحكام الشرعية لغير المسلمين ص ٥١٤.

(٤) الموجو هو الذي لا ماء له.

(٥) المجبوب هو المقطوع الذكر.

(٦) الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص ٥٩٠/ الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين وللأجانب ص ٥٧٣-٥٧٤.

(٧) الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص ٦٠٢/ الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين وللأجانب ص ٥٧٥.

سادساً: حيض المرأة

ذهب القراءون إلى أن حيض المرأة لا يبطل زواجها ولكن يوجب طلاقــها[١].

أما الربانيون فقالوا أنه إذا تكرر الحيض ثلاث مرات متواليات عقب الزواج مع ظهور دم الحيض في الزوجة اختلاء الرجل بها حرمت عليه، ووجب عليه تطليقها، وليــس عليه إلا ما دخلت به، ولا يجوز عقده عليها ثانية، إذن فالحائض التي يطلقها زوجــها تحرم عليه، سواء عقد عليها آخر، أو لم يعقد ، وذلك هو ما يميز بينها وبــين غــير الحائض[٢].

سابعاً: ممنوعات الكاهن

يحرم على الكاهن الزواج بواحدة ممن يحرم على الرجل العادي أن يتزوج منها، لمــا للكاهن من مركز خاص، فالشروط هنا تكون أشد بالنسبة له عن الرجل العادي، ومخالفــة الكاهن لهذه الشروط لا ترتب بطلان الزواج، ولكن توجب الطلاق، فعقدهُ نافذ[٣].

أما إذا تزوج الكاهن بمن يحل له التزوج بهن ثم زنت برضاها أو اغتصابا تحــرم عليه، ويجب طلاقها، أما إذا زنت امرأة الرجل العادي برضاها حرمت عيه، واغتصابـا فلا تحرم عليه[٤].

---

(١) الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص ٦٠٢-٦٠٣ الأحوال الشخصية للوطنيين غير المســلمين وللأجــانب ٥٧٥-٥٧٦.

(٢) الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص ٦٠٢/ الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين ص ٥٧٥.

(٣) الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص ٦٠٣/ الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين وللأجانب ص ٥٧٦.

(٤) الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص ٦٠٣/ الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين وللأجانب ص ٥٧٦-٥٧٧-وانظر توضيح ذلك في شعار الخضر ص ١٠٥-١٠٦.

المبحث الثالث

الحقوق الزوجية

المطلب الأول

حقوق الزوج على زوجته

للزوج على زوجته حقوقاً وضعتها الأحكام التشريعية الخاصة بالزواج وتنظيمه ضمن إطار العلاقات الاجتماعية المحددة في الشريعة ويمكن إجمال هذه الحقوق بالنقاط التالية[1]:

١- يجب طاعة الزوج والامتثال لأوامره ونواهيه الشرعية التي لا تخرج عن إطار ما حللته الشريعة.

٢- مباشرة خدمة زوجها بنفسها لا إن توكل شخصاً آخر في خدمته.

٣- إذا كان للزوجة عمل فما تكسبه من كدها وفيما تجده لقيةً وفي ثمرة مالها هو من حق الرجل ما دامت الزوجية قائمة، وما دام قائماً بما عليه من واجبات.

٤- للرجل أن يمنع زوجته من إرضاع غير ولده بأجر، وإذا أرضعت الزوجة طفلها، فليس للزوج إرغامها بإرضاع أولاد غيره.

٥- إذا كان الزوج فقيراً أو كان كلاهما فقيرين فعلى الزوجة أن تقوم بنفسها بخدمة

(١) شرح تشريعات الأحوال الشخصية نقلاً من كتاب (الأحوال الشرعية في الأحوال الشخصية للإسرائليين لمؤلفه م. جاي بن شمعون) ص ٥٨٠-٥٨١.

البيت والرضاعة.

٦- إذا كان الزوج موسر الحال أو عند الزوجة مالاً غير يسير فلا يلزمها القيام بخدمة البيت إلا بقدر ما ينبغي.

٧- ليس للرجل إرغام أو إكراه زوجته على أن يرضع ولدها غيرها.

٨- إذا عثرت الزوجة على لقية (لقطة) فهي من حق زوجها ما دامت الزوجية قائمة بينهما، وما دام الزوج قائماً بما عليه من الواجبات.

٩- للرجل حق الاستمتاع بزوجته، وأن ليس للمرأة منع الرجل عن نفسها إلا بعذر شرعي كالمرض، فأن امتنعت بدون عذر شرعي عرضت حقوقها للضياع.

١٠- إذا فسخت الزوجة عقد الزواج وكانت قاصرة فللرجل حق محاسبتها على ما صرفه وله الحق في الأجر نظير عمله كأنه أجنبي، وللزوجة محاسبته هي على ما انتفع به، أو إذا شاء أخذ ما صرفه عليها ولو انتفع بأكثر منها.

١١- لا يحق للمرأة التصرف في أموالها بلا أذن زوجها.

١٢- المال الخاص بالزوج منه ما لم يقبضه الرجل منها وهو حالُ يحق له الانتفاع به.

١٣- أموال المرأة نوعان: ما قبضه الرجل وهو معروف بأسم الدوطة، وما لم يقبضه وإنما هو ينتفع به.

١٤- يرد مال الزوجة (الدوطة) إلى الزوجة عند طلاق زوجها أو وفاته، فأن نقصت قيمته عن أصلها وكان الشيء غير لائق للاستعمال فللزوجة الحق في استرداد القيمة الأصلية للمال.

١٥- المال المنتفع به من قبل الزوج تستلمه الزوجة بحالتها التي تكون عليها سواء تغير قيمته نقيصه أو زيادة.

١٦- إذا هلك المال المقبوض (الدوطة) في يد الرجل كان هلاكه عليه.

١٧- للزوجة الحق باسترداد جميع مالها بنوعيه (مال الدوطة) و (ما لم يقبضه وإنما هو ينتفع به) من الرجل عند طلاق زوجها لها أو وفاته.

١٨- إذا قسم مال الدوطة إلى صنفين أو شيئين وقت حدوث الطلاق أو الوفاة أصبح أحد الشيئين بقيمة الاثنين وللزوجة أخذ أحدهما وإن شاءت أخذ الثاني دفعت قيمته.

١٩- إذا قبض الرجل الأموال الانتفاعية من زوجته وأضاف عليها أموالاً أخرى كمصروفات، وبعد حين طلب الطلاق فأما أن يكون انتفع أولاً فأن كان انتفع فلا حق له فيما صرفه ولو زاد عن المنفعة، أما إذا لم ينتفع بالمال وعاد ما صرفه على العين بالتحسين فله قيمة ما صرفه بعد أن يؤدي اليمين. وإذا ما كان المنصرف يربو عن قيمة التحسين فليس له إلا قيمة التحسين، لا كل ما صرف لكن بعد أن يؤدي اليمين هنا أيضاً.

٢٠- للرجل حق استرجاع ما صرف من أموال على زوجته إذا كانت الزوجة هي المسببة لواقعة الطلاق سواء عاد ما صرفه على أموالها بالمنفعة أم لم يعد وسواء كانت المنفعة توازي المنصرف أو تقل عنه.

٢١- إذا أدعت المرأة أن زوجها ميسور الحال ولا يؤدي واجباته نحوها، وهو ادعى خلاف ذلك بأنه فقير الحال، عندها يجب عليها إثبات دعواها بما تملكه من بينات تؤيد صحة دعواها وإلا ترد دعوتها وتلزم بخدمة زوجها الفقير والرضاعة لطفلها إن كان لديها طفل.

وإليك النصوص التشريعية الخاصة بحقوق الزوج على زوجته حسبما جاءت في كتاب الأحوال الشخصية للإسرائيليين لمؤلفه م. جاي بن شمعون:

الأصول التشريعية للأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية لليهود.

حقوق الزوج على زوجته[1]:

مادة ٧٣: متى زفت الزوجة إلى زوجها حقت عليها طاعته والامتثال لأوامره نواهيه الشرعية.

مادة ٧٤: وعليها خدمة الزوج بشخصها خدمة لا يهينها بها.

مادة ٧٥: للرجل الحق فيما تكتسبه زوجته من كدها وفيما تجده لقية وفي ثمرة مالها وإذا توفيت ورثها.

مادة ٧٦: كحد المرأة كناية اشتغالها بما يشتغلن به نسوة البلد عادة فما تربحه من كدها هو من حق الرجل ما دام قائماً بما عليه من واجبات.

مادة٧٧: إذا كان الرجل موسراً أو كانت الزوجة دخلت له بمال غير يسير فلا يلزمها القيام بخدمة البيت إلا بقدر ما ينبغي.

مادة٧٨: على الزوجة إذا كانت هي وزوجها فقيرين، أن تقوم بنفسها لخدمة البيت والرضاعة.

مادة٧٩: إذا أدعت المرأة ميسره الرجل وهو أدعى الفقر فعليها البينة.

مادة٨٠: إذا نذرت المرأة إلا ترضع فنذرها لهو لا قيمة له.

مادة ٨١: للرجل منع زوجته من إرضاع غير ولده بأجر، وإذا تكلفت طفلها فليس له إلزامها بإرضاع أولاد غيره.

مادة٨٢: ليس للرجل أن يكره زوجته على أن يرضع ولدها غيرها.

مادة٨٣: إذا عثرت الزوجة على لقية فيه من حق زوجها ما دام قائماً بما عليه من واجبات.

---

(١) شرح تشريعات الأحوال الشخصية ص ٥٨٠-٥٨١.

مادة٨٤: إذا صادف العثور على لقية طلاقاً فاسداً فلا يستحق الرجل اللقية.

مادة٨٥: ممنوع على المرأة التصرف في أموالها بلا أذن زوجها.

مادة٨٦: أموال المرأة نوعان: ما قبضه الرجل وهو معروف بالدوطة وما لم يقبضه وإنما هو ينتفع به.

مادة٨٧: للزوجة أموالها بنوعيها عند طلاق زوجها أو وفاته.

مادة٨٨: إذا هلك مال الدوطة كان هلاكهُ على الرجل.

مادة٨٩: الأموال الانتفاعية تستلمها الزوجة بحالتها التي تكون عليها نقصت قيمتها أم زادت.

مادة٩٠: مال الدوطة يرد إلى الزوجة عند طلاق زوجها أو وفاته، فإذا نقصت القيمة عن أصلها وكان الشيء غير لائق للاستعمال فللزوجة الحق في قيمته الأصلية.

مادة٩١: إنما يجب رد الشيء علناً لا ثمناً إلا إذا حصل التراضي على غير ذلك أو صار الشيء غير لائق للانتفاع به.

مادة٩٢: إذا كان مال الدوطة عبارة عن شيئين وقت الطلاق أو الوفاة صار أحد الشيئين بقيمة الاثنين فللزوجة أخذ أحدهما وإذا شاءت أخذ الثاني دفعت قيمته.

مادة٩٣: إذا دخلت الزوجة بأطيان ينتفع بها الرجل وكان بها وقت وفاته أو عند الطلاق ثمر فهو للمرأة ولو كان الوقت وقت الجني. أما إذا كان الثمر مجنياً فهو للرجل.

مادة٩٤: إذا صرف الرجل على الأموال الانتفاعية وطلب الطلاق فأما أن يكون انتفع أولا، فأن كان انتفع فلا حق له فيما صرفه ولو زاد عن المنفعة، وإذا لم يكن انتفع وعاد ما صرفه على العين بالتحسين فله قيمة ما صرفه بعد اليمين هنا أيضاً.

مادة٩٥: إذا كانت المرأة هي سبب الطلاق فيما يكون صرفه الرجل على أموالها يأخذه سواء عاد ما صرفه على أموالها بالمنفعة أو لم يعد وسواء كانت المنفعة توازي المنصرف أو تقل عنه.

مادة ٩٦: إذا كانت الزوجة قاصرة وفسخت العقد حاسبها الرجل على ما صرفه وحق له أجر نظير عمله كأنه أجنبي وحاسبته هي على ما أنتفع به أو إذا شاء أخذ مصاريفه ولو أنتفع بأكثر منها.

مادة ٩٧: ليس للمرأة على الرجل منع نفسها بغير عذر شرعي وإلا عرضت حقوقها للضياع.

وللرجل حقوقاً عدة يحصل عليها بعد وفاة زوجته وهي:

١- كل ما تملكه الزوجة من أموال يؤول إلى زوجها بعد وفاتها ولا يشاركه فيه أقاربها ولا أولادها سواءً أولادها من الزوج أو من رجل آخر[١].

٢- إذا توفيت الزوجة ثم استحق ورثها أرثاً آخر لوفاة مورثها بعدها فلا يؤول شيء من المورث هنا إلى الزوج[٢].

٣- الولد يمنع الورثة الآخرين غير الزوج من الأرث شرط أن يكون عمره أقل من ثلاثين يوماً، حتى لو ولد ثم مات أثر موت أمه[٣].

٤- إذا احتمل الشيء أن ينسب للزوج كان أولى به من غيره شرعاً لكونه في حوزته وأنه الوارث الوحيد لولا عدم وجود ذرية له من ورثته[٤].

٥- وإذا أبدل الزوج شيئاً لزوجته بأخر أثمن منه فمشاركة الورثة لا تكون في الزيادة عن القيمة الأصلية[٥].

٦- إذا باع الزوج شيئاً مما تملكه الزوجة واستثمر هذا المال أو أخذ به شيئاً آخر، وكان الثمن أو البدل موجوداً لم يزل فلورثة الزوجة مشاركة الرجل فيه[٦].

---

(١) شرح تشريعات الأحوال الشخصية ص ٥٨٨ مادة ٢٢٣.

(٢) المصدر السابق ص ٥٨٨ مادة ٢٢٤.

(٣) المصدر السابق ص ٥٨٨ مادة ٢٢٦.

(٤) المصدر السابق ص ٥٨٨ مادة ٢٣٦.

(٥) شرح تشريعات الأحوال الشخصية ص مادة (٢٣٥).

(٦) المصدر السابق ص ٥٨٨ مادة ٢٣٤.

٧- إذا لم يصدق الورثة الزوج في الخلاف حول مال الزوجة حَلَف الزوج اليمين شرعاً[(١)].

٨- يجوز للزوجين أن يعقدا اتفاقاً بينهما في العقد على منع ورثة الزوجة من مشاركة الزوج في ميراثها بعد وفاتها[(٢)].

٩- إذا توفيت الزوجة و لم يظهر لها وارث غير الزوج فله التركة ثم إذا ظهر وارث غيره اقتسم معه[(٣)].

١٠- ليس لورثة الزوجة الحق بمشاركة الزوج فيما تركته من أموال من كد يدها أو فيما هو مملوك لها ملكاً خاصاً، ولا فيما دخلت به من أمتعة، ولا من الأشياء التي أشتراها لها الزوج من ماله من الحلي قبل الزواج أو بعده لا في هدايا الخطوبة أو الزواج أيا كان مهدياً[(٤)].

١١- إذا أنفق الزوج على زوجته قبل وفاتها لا يخصم حتى لو كان ديناً عليه أو مهما بلغت قيمته[(٥)].

١٢- يراعي في تلك النفقات حسب الزوجة ونسبها إذا كان أكبر[(٦)].

١٣- اليهود في بعض الأمصار يقولون أن الزوجة إذا لم يكن لها ذرية من زوجها وكان لها ورثة فلهم نصف ما دخلت به بعد خصم نفقات الجنازة والدفن والإحسانات وختام السنة حسب عرف البلد[(٧)].

---

(١) المصدر السابق ص ٥٨٨ مادة ٢٣٣.

(٢) المصدر السابق ص ٥٨٨مادة ٢٣٠.

(٣) المصدر السابق ص ٥٨٨ مادة ٢٢٩.

(٤) شرح تشريعات الأحوال الشخصية ص ٥٨٨ مادة ٢٣١.

(٥) المصدر السابق ص ٥٨٨ مادة ٢٢٧.

(٦) المصدر السابق ص ٥٨٨ مادة ٢٢٨.

(٧) المصدر السابق ص ٥٨٨ مادة ٢٢٥ يأخذ بهذا التشريع يهود مصر وسوريا وأورشليم.

الأصول التشريعية للأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية لليهود في حقوق الرجل بعد وفاة زوجته[1]:

مادة ٢٢٣: كل ما تملكه الزوجة يؤول بوفاتها ميراثا شرعيا إلى زوجها وحده لا يشارك فيه أقرباؤها ولا أولادها سواء كانوا منه أم من رجل آخر.

مادة ٢٢٤: إذا ماتت الزوجة ثم أستحق ورثها أرثا لوفاة مورثها بعدها فلا يؤول شيء من المورث هنا إلى الزوج.

مادة ٢٢٥: الزوجة إذا لم يكن لها ذرية من زوجها وكان لها ورثة فلهم نصف ما دخلت به بعد خصم نفقات الجنازة والمدفن والقراءات والإحسانات وختام السنة حسب عرف البلد.

مادة ٢٢٦: يكفي مولود واحد ولو يموت أثر موت أمه بشرط أن يكون عمره لا يقل من ثلاثين يوما وبهذا يمنع ورثتها عن مشاركة زوجها في الأرث.

مادة ٢٢٧: لا يخصم شيء مما قد يكون أنفقه الزوج على زوجته قبل وفاتها ولو كان دينا عليه أو مهما بلغت قيمته.

مادة ٢٢٨: يراعى في تلك النفقات حسب ونسب الزوجة إذا كان أكبر.

مادة ٢٢٩: إذا لم يظهر للزوجة وارث غير زوجها فله التركة ثم إذا ظهر وارث غيره أقتسم معه.

مادة ٢٣٠: يجوز إتفاق الزوجين في العقد على منع ورثة الزوجة من مشاركة الزوج في ميراثها بعد وفاتها.

---

(١) شرح تشريعات الأحوال الشخصية ص ٥٨٩.

مادة ٢٣١: ليس لورثة الزوجة مشاركة زوجها فيما تركته من كسب كدها أو فيما هو مملوك لها ملكا خاصا ولا فيما دخلت به من أمتعة وثبات ولا فيما اشتراه لها الزوج من ماله من الحلي قبل أو بعد الزواج لا في هدايا الخطوبة أو الزواج أيا كان مهديا.

مادة ٢٣٢: إذا لم يصدق الورثة الزوج حلف لهم اليمين شرعا.

مادة ٢٣٣: ما عدم أو تلف أو سرق أو فقد أو بيع مما دخلت به الزوجة لاحق للورثة أن يطالبوا الزوجة بشأنه.

مادة ٢٣٤: إذا باع شيئا من مال الزوجة واشتغل بثمنه أو أخذ به شيئا آخر وكان الثمن أو البدل موجودا لم يزل للورثة الزوجة مشاركة الرجل فيه.

مادة ٢٣٥: إذا أبدل الزوج شيئا لزوجته بآخر أثمن منه فمشاركة الورثة له لا تكون في الزيادة عن القيمة الأصلية.

مادة ٢٣٦: إذا احتمل الشيء أن ينسب للزوج كان هو أولى به شرعا ضرورة أن الشيء في حوزته وأنه الوارث الوحيد لولا عدم وجود ذرية له من ورثته.

المطلب الثاني

حقوق الزوجة على الزوج

وضعت الشريعة اليهودية حقوقاً مفصلة للزوجة على زوجها نظمت به العلاقة الزوجية حقوقاً وواجبات ومن حقوق الزوجة على زوجها أذكر ما هو آت(1):

١- يجب على الزوج أن يلتزم في عقد الزواج ما جاء بخصوص المهر باعتباره ركناً من أركان الزواج وبدونه يصبح العقد باطلاً.

٢- حددت الشريعة اليهودية المهر الشرعي للبكر مائتا محبوب أو سبعة وثلاثون درهماً فضة نقية، أما غير البكر فلها النصف غنية كانت أم فقيرة.

٣- إذا أخذ الزوج من زوجته مالاً متقوماً يشترط لها عليه أو نصف مضاعف حسب ما يقتضيه عرف البلد السائد.

٤- عند طلاق الزوج لزوجته أو وفاته فللزوجة ما هو موثق في العقد ولا يضم إليه المهر.

٥- يترتب على عقد الزواج ما يترتب عليه شرعاً من الحقوق من حيث العقد ولو لم يطأ الرجل المرأة وإن أنعدم المانع من وطء الزوجة.

٦- إذا عقد الرجل على امرأة ووطئها وهي في مرض الموت طمعاً في أن يرثها لا يرثها شرعاً إذا توفيت.

٧- إذا أدعى الرجل عدم العلم بشروط عقد الزواج لكونه أمياً لا يقرأ ولم يتفق مع الزوجة على تلك الشروط فعليه بالإشهاد فهم الحجة من حل هذا النزاع.

---

(١) شرح تشريعات الأحوال الشخصية نقلاً من كتاب (الأحوال الشرعية في الأحوال الشخصية للإسرائيليين لمؤلفه م. حاي شمعون ص ٥٨١- ٥٨٢).

٨- يجب المهر للزوجة بموجب عقد الزواج ولها أيضاً مؤنتها وكسوتها ومواقعتها وتمريضها إذا مرضت، وأطلاق سراحها إذا أسرت. ودفنها عند وفاتها، أما إذا توفي الزوج فمن حق الزوجة البقاء في بيته تأكل من ماله ما دامت أرملة إذا شاءت هي وبناتها إلى أن يتزوجن.

٩- تعتبر مؤونة المرأة من المأكل والمشرب معتبرة مما يأكل الرجل ويشرب. وعليه أن يوسع عليها في الإنفاق بقدر ما كانت تعيش الزوجة في بيت أهلها يسراً وبقدر ما يملك الرجل من المال اقتداراً.

النفقة:

تعتبر حالة الزوجين هي المقرر للمقياس المعتمد في تقدير النفقة مراعية ظروف الزمان والمكان فأن كان الرجل فقيراً فعليه ما يقدر عليه بالضرورة. وتعطى لأيام السبت والأعياد امتيازاً خاصاً في الإنفاق لما تحتاجه هذه المناسبات من احتفاليات خاصة بها يجب مراعاتها وقد نصت على ذلك المادة ١٠٨.

ولا تستحق الزوجة النفقة على زوجها قبل ثلاثة شهور من يوم الزواج إذا سافر ضرورة وأنه لم يتركها خالية أو لم يترك بيته خاوياً، فأن مضت الثلاثة شهور ولم تطلب الزوجة النفقة فلا تقرر لها إلا من يوم الطلب أما إذا سافر الزوج هجراً بقصد إيذائها، كان لها الحق في تقدير النفقة من وقت سفره وقد نصت عليها المادة ١٠٩.

وإذا غاب الرجل عن زوجته فمن حقها أن تنفق على نفسها من مال زوجها، وإذا نازعها في مقدار ما أنفقت من ماله اعتراضاً فله عليها اليمين. ويحق للسلطة الشرعية أن تحجز أمواله وتبيعها تنفيذاً لقضائها عليه بالنفقة وقد نصت على ذلك المادة ١١٠.

ومن كان مديناً للزوج أو مؤتمناً على وديعة له لزمه أن يخرج مما عنده لنفقة

الزوجة، وإذا أفرغ ذمّته للرجل بعد إنذار الزوجة إياه شرعاً ضمن (نص المادة ١١١) والإخراج مما في يد المدين أو المؤتمن يكون بقدر نفقة ستة أشهر فستة أشهر، وهكذا تقبض المرأة منه ما يكفيها شهراً فشهراً ويجوز إيداع القيمة عند أمين وقد نصت عليها المادة ١١٢.

وفي حالة غياب الزوج يجوز للزوجة الاستدانة لغرض الإنفاق على نفسها وأطفالها وعلى الزوج وفاء الدين لمن استدانه الزوجة منه المال. وقد نصت على ذلك المادة ١١٣.

وإذا تطوع أحدهم وأنفق على الزوجة فليس له حق الرجوع على الزوج بغير إرادته وإذا كان المنفق دائناً له وجبت المقاصة وقد أشارت إليها المادة ١١٤.

وإذا باعت الزوجة شيئاً من متاع الرجل لغرض النفقة على نفسها في حال غياب الزوج، وكان الابتياع بحكم شرعي أو بلا حكم ثم أدعى عند حضوره أنه ترك لها ما يكفي للإنفاق فأنكرت ذلك تصدق المرأة مع اليمين أما إذا صبرت الزوجة حتى عودة زوجها وطالبته بما أنفقت وأدعى أنه ترك لها نفقة كاملة صُدِّق هو مع يمينه وقد نصت المادة ١١٥ على ذلك.

إن إنفاق الزوجة على نفسها من مالها حق وليس لها حق مطالبة الزوج بما أنفقت من مالها بالتعويض وإنما ما يفيض عما أنفقت يكون لها دونه. وقد أشارت إلى ذلك المادة ١١٦.

إذا عارضت الزوجة الإنقاق على نفسها من كد يدها وأنفقت أكثر مما ربحت وجب على زوجها أن يكمل لها ما نقص وقد نصت المادة ١١٧ على ذلك.

ونظراً لسوء ما تقوله الناس على الزوجة اضطرت إلى ترك بيتها الزوجي و لم تطلب نفقة من زوجها عُدَّ سكوتها تركاً وتنازلاً بقدر ما يفوق من الزمن. وقد نصت المادة ١١٨ على ذلك.

وإذا حصل شقاق بين الزوجين وكان سبب هذا الشقاق هو الزوج مما اضطر الزوجة أن تترك بيته جاز لها حق الاستدانة للإنفاق على نفسها ولزم الزوج الدين وقد نصت على ذلك المادة١١٩.

إذا أصيب الزوج بالجنون أو العته كان للزوجة الحق في ان تأخذ لنفسها حكماً شرعياً بالنفقة، وقد نصت على ذلك المادة١٢٠.

إن الكسوة الشرعية هي كسوة الشتاء والصيف وتقدر هذه عادة بحسب عادة أهل البلد مع مراعاة حال الزوج يسراً وعسراً، وقد نصت المادة ١٢١ على ذلك.

ويشبه الخلاف بين الزوجين على أمور الكسوة والأثاث خلافهم على النفقة فتصدق هي بيمينها أو يصدق هو بيمينه وقد نصت المادة ١٢٢ على ذلك.

أن حق المواقعة مع الرجل حق للمرأة مع مراعاة الرجل قوته وعمله وقد نصت على ذلك المادة ١٢٣.

وليس للرجل منع واجب المواقعة مع زوجته بقصد تعذيبها فإن تعمد هذا الفعل في المنع عُدَّ في الشرع ظالماً مخالفاً وقد نصت المادة ١٢٤ على ذلك.

ويحق للزوجة الاكتفاء بمولودين أثنين ذكر أو أنثى إلى ذلك أشارت المادة ١٢٥.

وإذا مرض الرجل لمدة ستة أشهر متواصلة و لم يشق ومنعه مرضه من مواقعة زوجته فللزوجة الحق في طلب الطلاق ولها مؤجل صداقها (أشارت إلى ذلك المادة ١٢٦.

وللسلطة الشرعية مَدْ المهلة إذا كان المرض مما يرجى شفاؤه، نصت على ذلك المادة ١٢٧.

وإذا أراد الرجل السفر إلى مكان بعيد أستأذن زوجته في ذلك فأن رفضت فذلك لها. نصت على ذلك المادة ١٢٨.

وإذا امتنع الزوج عن مواقعة زوجته لكراهية واكتفى بما لها عليه من باقي الواجب لها الحق بمطالبة حقوقها كالأرملة وقد نصت على ذلك المادة ١٢٩.

وينفق الزوج على علاج زوجته المريضة وجوباً فإن طال مرضها خيرها بين أخذ حقوقها لتنفق على نفسها وبين الطلاق وهذا أمر ممقوت وقد أشارت إلى ذلك المادة ١٣٠.

وإذا أصيبت الزوجة بالجنون فمن حقها الإنفاق عليها من قبل الزوج. وعلى الرجل أن يقوم بعلاجها وإذا تقدم بطلب إلى السلطات الشرعية بقصد الزواج ثانية أجيب طلبه وإلى ذلك أشارت المادة ١٣١.

وإذا أسرت الزوجة فعلى الرجل أن يعمل وينفق في سبيل إطلاقها من الأسر، وليس له القيام بطلاقها من أجل أسرها ولا أن ينفق من مالها إذا كان موسراً وإلى ذلك أشارت المادة ١٣٢.

وفي حالة غياب الزوج فأن للسلطة الشرعية أن تستعين بمال الزوج لتفك به أسر الزوجة أشارت المادة ١٣٣ إلى ذلك.

وإذا ما تبين أن الزوجة أصبحت غير حل لزوجها فلا يلزمه أطلاق أسرها وإنما يلزمه طلاقها بغير انتظار رجوعها، وتأخذ الزوجة كافة حقوقها المنصوص عليها في عقد الزواج وقد نصت المادة ١٣٤ على ذلك.

أن ورثة الرجل الشرعيين غير مكلفين بإطلاق أسر المرأة وقد أشارت إلى ذلك المادة ١٣٥

وعلى الرجل أن يحتفل احتفالاً لائقاً بدفن زوجته المتوفاه ويبني لها قبراً مناسباً وعليه مراعاة درجة أهلها ودرجته حسبما يقتضيه العرف السائد في بلده، وأشارت إلى ذلك المادة ١٣٦.

وإذا امتنع الرجل عن إقامة محفل الدفن، وقام شخص آخر منابه وصرف جاز لمن انبرى الرجوع عليه بما صرفه، وتعينه في ذلك السلطة الشرعية. وقد نصت على ذلك المادة ١٣٧.

وإن كان الزوج غائباً يجوز للسلطة الشرعية أن تبيع من امتعته ما يسد نفقات الدفن والمآتم بنسبة مكانته ومكانه أهلها. وقد أشارت إلى ذلك المادة ١٣٨.

وتحتسب مصاريف دفن الأرملة على ورثتها بموجب عقد رواجها لأعلى ورثة زوجها. وقد أشارت إلى ذلك المادة ١٣٩.

ولا يحق للرجل أن يطلق زوجته لعلة العقم إلا إذا مضى على عقمها عشر سنين لم ترزق فيها، وإن كانت غير بكر فخمسة سنين. وقد أشارت إلى ذلك المادة ١٤٠.

ولا يحق للرجل السفر براً ولا بحراً إلا بأذن وقد نصت على ذلك المادة ١٤١.

ولا يحق للرجل التصرف في مال زوجته إلا بأذنها وقد نصت على ذلك المادة ١٤٢.

ويحق للزوج بعد الزواج أن يزيد ما يشاء من الحقوق لزوجته في عقد الزواج وقد أشارت إلى ذلك المادة ١٤٣.

وما يملكه الرجل من أموال تكون ضماناً مشروعاً لما للزوجة من الحقوق وأشارت المادة ١٤٤.

يمنع ضرب الرجل زوجته لغرض التأديب بل عليه أن يحترمها ويحبها وأشارت إليها المادة ١٤٥.

ويحق للزوجة أن تهب أو تبيع كل أو بعض مالها حتى الحقوق في العقد، ويؤول الحق الموهوب أو المبيوع أو الموهوب له أو المشتري عند الطلاق أو وفاة الزوج وأشارت إليها المادة ١٤٦.

وتصح الهبة أو المبيوع من قبل الزوجة للزوج بشرط أن يجدد عقد الزواج فوراً بقيمة المهر متى كانت الهبة أو البيع لا من بعض الحقوق بل فيها جميعاً وأشارت إليها المادة ١٤٧.

ونتيجة الإكراه يبطل تنازل المرأة عن حقوقها التي لها في العقد وأشارت إليها المادة ١٤٨.

وإذا تكدرت المعيشة بسبب أخلاق الزوج أو تشدده في الإنفاق كان لزوجته أن تطلب الطلاق في هذه الأموال[1].

ومن حق الزوجة أن تطلب الطلاق إذا كان بالزوج عيب لا يحتمل كانبعاث رائحة كريهة من فمه أو أنفه أو أصابته بالعمى أو الصم[2].

ويحق للزوجة طلب الطلاق إذا أرتكب الزوج فاحشة الزنا[3].

---

(١) موسوعة الأحوال الشخصية للمسلمين وغير المسلمين من المصريين والأجانب – هلال يوسف إبراهيم المحامي – ص ٢٥٨– دار المطبوعات الجامعية. الإسكندرية ١٩٩٤.

(٢) المصدر السابق ص٢٥٨.

(٣) المصدر السابق ص ٢٥٧.

المطلب الثالث

حقوق الأرملة

نصت الأصول التشريعية للأحكام الشرعية للإسرائيليين على حقوق للأرملة أوجزها بما يلي[1]:

إذا توفيت الزوجة يؤول كل ما تملكه من أموال إلى زوجها لا يشاركه فيه أقاربها ولا أولادها سواء كانوا منه أو من رجل آخر وإذا استحق ورثها إرثاً لوفاة مورثها بعدها فلا يؤول شيء من الموروث هنا إلى الزوج. وإذا كان للزوجة ورثة ولم يكن لها ذرية من زوجها، فلهؤلاء الورثة نصف ما دخلت به بعد خصم نفقات الجنازة والمدفن والقراءات والإحسانات وختام السنة حسب عرف البلد.

وإذا لم تطلب الأرملة نفقة وسكتت عنها لمدة سنتين أو ثلاث سنوات وكانت موسرة عُدّ هذا تنازلاً عنها في المدة الماضية. إلا إذا كان في حوزتها مال زوجها تنفق منه أو استدانة للنفقة.

وإذا طالبت الأرملة بالنفقة من الورثة وأدعو أنهم قاموا بدفع النفقة، وكانت الأرملة قد تزوجت بآخر، فعليها البينة أو صدقوا بيمينهم وإلا فالبينة عليهم أو هي تصدق بيمينها.

وإذا خصص الرجل لامرأته عقاراً تنفق من ريعه بعد وفاته واربى الريع عن النفقة فالفائض لها وإذا نقص الريع كملت لنفسها من مال التركة إلا إذا كان الغرض من تخصص العقار أن يكون ريعه في مقابل النفقة وقبلت المرأة بذلك. ويشترط في العقار إلا يكون متعلقاً به حق للغير يمنع من استغلال النفقة منه.

---

(١) شرح تشريعات الأحوال الشخصية ص٥٩٩.

أما إذا تصرف الرجل أو ورثته في العقار بعد التخصيص، نفذ تصرفه على المرأة وبقي لها حقها الشرعي في النفقة وإنما يجوز لها أن تحتج وتعارض في التصرف قبل حصوله.

وإذا كان تصرف الرجل هبة فلا يصح إلا إذا كان حصولها في الحال صحة سلامة عقله.

ولا يسري التصرف على المرأة إذا كان التصرف وصية. وليس للمرأة نفقة إذا تنازلت في عقد الزواج عنها وكذلك الحال في باقي الحقوق المتنازل عنها إلى الرجل، ولكن إذا كان تصرفها قاصرا على البعض دون كل حق للورثة أن يرد إليها باقي ما لها ليسقطوا نفقتها .

وإذا تصرفت الزوجة في حقوقها في حياة زوجها أو بعد وفاته سقطت نفقتها.

ويمكن للزوجة أن تعيش من مال زوجها ولو أوصى بغير ذلك، وليس للورثة منعها بإعطائها مالها من الحقوق في العقد إلا إذا كان العقد أو العرف يخالف ذلك.

وتسقط نفقة الأرملة إذا طالبت شرعا بما لها من حقوق بمقتضى العقد ولو يبادر الورثة إلى الوفاء إلا إذا كانت المطالبة ناشئة عن مضايقتهم إياها أو عن غشهم كذلك، وتسقط نفقتها إذا خطبت أو قدست.

ويؤدي عرف البلد دورا في التشريع إذ أنه إذا اقتضى العرف أو مقتضى العقد أن لا نفقة للأرملة بعد وفاة زوجها بغير رضا الورثة فلها شرعا نفقة ثلاثة أشهر من تاريخ الوفاة.

المطلب الرابع

الحضــانة

الأم أولى بحضانة الولد حتى يكمل ستة سنين والبنت حتى تتزوج[١]، ولا تنتقـل حقوق الحضانة إلى الرجل إلا إذا أصبحت حالة الأم تستدعي انتقال المحضون إلى أبيـه حرصاً على مصلحته[٢] ولا يعطى حق الأولوية للرجل لمجرد زواج الأم بـل تنظـر السلطة الشرعية أين تكمن مصلحة المحضون أكثر ببقاءه مع أمـه أو في انتقالـه إلى أبيه[٣].

ولا يحق للأم أن تنتقل بالمحضون من بلد أبيه إلى بلدها أو أي بلـد آخـر وأن فعلت كان الأب أولى بأبنه [٤] ولكن إذا كانت المحضونة بنتاً فمـن حـق السـلطة الشرعية أن تأذن بالانتقال إذا رأت في ذلك مصلحة للمحضونة ولا تخشى عليها مـا دامت الأم هي الحاضنة[٥].

ويجوز للأم الحاضنة أن تتنازل عن حقها في الحضانة ولها أيضاً الرجـوع عـن قرارها وإعادة المحضونة إليها[٦].

إذا رغب الولد أن يقيم مع أمه الحاضنة بعد انتهاء مدة حضانته فليس لأبيـه أن

---

(١) شرح تشريعات الأحوال الشخصية المادة ٣٩١

(٢) شرح تشريعات الأحوال الشخصية المادة ٣٩٢.

(٣) المصدر السابق المادة ٣٩٣.

(٤) المصدر السابق المادة ٣٩٤.

(٥) المصدر السابق المادة ٣٩٥.

(٦) المصدر السابق المادة ٣٩٦.

يأخذه بالقوة، ولكن لا يمنع هذا الأب أن يعتني بشؤونه ويقيم على أحواله[١] ولا مانع من أن تقيم البنت مع أبيها، أو مع أخوالها إذا توفي الأب[٢].

ولا يحق للأرملة أن تنتقل بالرضيع من موطن أهله إلا أن تحوز على رضاهم، أو أن تأذن لها السلطة الشرعية[٣] ويجوز للمطلقة رفض الحضانة متى شاءت[٤].

أما نفقة الحضانة فهي على الأب حسب يساره أو إعساره ومترلته بين الناس[٥].

وإذا توفيت الأم فلا تنتقل حضانة المحضون إلى أمها بل إلى أم الأب[٦]. وحق السلطة الشرعية أن تأذن بالحضانة إلى أم الأم إذا رأت أن حضانة الأب غير صالحة للمحضون والأفضل بقاءه مع أم الأم لمصلحته[٧].

إذا توفى الأب والأم وتيتم الأولاد فالأولى بحضانتهم أم الأب[٨].

إذا انتهت حضانة الولد ببلوغه الست سنين يحق للأب أخذه، وإذا رفض الأبن حضانة أبيه وفضل البقاء مع أمه لم يلزم الأب بالنفقة عليه[٩].

إذا توفى الأب ينتقل حق حضانة الولد إلى أب الأب فإذا لم يكن بقي الولد في حضانة أمه، ولو أوصى الأب بغير ذلك، فإذا ماتت الأم انتقل حق أخذ الولد إلى

---

(١) المصدر السابق المادة ٣٩٧.

(٢) شرح تشريعات الأحوال الشخصية المادة ٣٩٨.

(٣) شرح تشريعات الأحوال الشخصية المادة ٣٩٩.

(٤)المصدر السابق المادة ٤٠٠.

(٥) المصدر السابق المادة ٤٠١.

(٦) المصدر السابق المادة ٤٠٢.

(٧) المصدر السابق المادة ٤٠٣.

(٨) المصدر السابق المادة ٤٠٤.

(٩) المصدر السابق المادة ٤٠٥.

أمها[1].

إذا تعلق الولد بأمه بعد انقضاء مدة حضانته فليس للوصي عليه أخذه منها[2].

وبعد فطام الطفل يحق للأم أن تتخلى عن الحضانة فأن كان الأب غائباً أو ميتاً فمن حق السلطة الشرعية أن تنظر فيمن يتولى أمر الأولاد[3].

ولا يحق للحاضنة أن تأخذ الأجر لها على حضانتها وإنما للرضيع النفقة شرعاً[4].

ولكن تبقى للسلطة الشرعية في جميع الأحوال الرأي الأول والراجح لما تراه مناسباً لمقتضى الأحوال فيمن يصلح أكثر من غيره للحضانة[5].

(١) شرح تشريعات الأحوال الشخصية المادة ٤٠٦.

(٢) المصدر السابق المادة ٤٠٧.

(٣) المصدر السابق المادة ٤٠٨.

(٤) المصدر السابق المادة ٤٠٩.

(٥) المصدر السابق المادة ٤١٠.

النصوص الشرعية الخاصة بالحضانة[1]:

المادة ٣٩١ : الأم أولى بحضانة الولد حتى يكمل ستة سنين والبنت حتى تتزوج.

المادة ٣٩٢: تنتقل الأولوية للرجل إذا كان من حالة الأم ما يدعو إلى ذلك.

المادة ٣٩٣: مجرد زواج الأم لا يجعل للأب حق الأولوية.

المادة ٣٩٤: ليس للأم أن تنتقل بالمحضون من بلد أبيه وإلا كان أولى به.

المادة ٣٩٥: إذا كانت المحضونة بنتاً فللسلطة الشرعية أن تأذن بالانتقال إذا تراءى لها ذلك.

المادة ٣٩٦: إذا تركت الأم حقها في الحضانة جاز لها الرجوع إليه.

المادة ٣٩٧: إذا لم يرْغب الولد إلا أن يقيم مع أمه بعد مدة حضانته فليس لأبيه أخذه بالقوة ولا يمنع هذا بقيامه بشئونه.

المادة ٣٩٨: إذا شاءت البنت ان تقيم مع أبيها أو مع إخوانها إذا مات الأب فلا مانع.

المادة ٣٩٩: لا يجوز للأرملة أن تنتقل بالرضيع من موطن أهله بغير رضاهم ما لم تأذن لها السلطة الشرعية.

المادة ٤٠٠: للمطلقة رفض الحضانة متى شاءت.

المادة ٤٠١: نفقة الحضانة على الأب بقدر ميسرته ومترلته بين الناس.

---

(١) شرح تشريعات الأحوال الشرعية في الأحوال الشخصية للإسرائيليين ص ٥٩٦-٥٩٧.

المادة ٤٠٢: إذا توفيت الأم فلا تنتقل الحضانة بعدها إلى أمها وإنما إلى أم الأب.

المادة ٤٠٣: للسلطة الشرعية أن تأذن بالحضانة إلى أم الأم إذا كانت حضانة الأب غير موفقة.

المادة ٤٠٤: إذا تيتم الأولاد من أمهم وأبيهم فالأولى بحضانتهم إلى أم الأب.

المادة ٤٠٥: إذا أنقضت حضانة الولد ببلوغه الست سنين حق لأبيه أخذه، فإذا أبى الولد مفارقة أمه فلا يلزم أبوه بنفقته.

المادة ٤٠٦: ينتقل حق أخذ الولد بعد وفاة الأب إلى أب الأب فإذا لم يكن بقي الولد في حضانة أمه ولو أوصى الأب بغير ذلك فإذا ماتت انتقل حق الأخذ إلى أمها.

المادة ٤٠٧: إذا تعلق الولد بأمه بعد انقضاء مدة حضانته فليس لوصيه أخذه منها.

المادة ٤٠٨: يحق للأم بعد الفطام أن تتخلى عن الحضانة فإذا كان الأب غائباً أو ميتاً فللسلطة الشرعية النظر فيما يتولى أمر الأولاد.

المادة ٤٠٩: الحضانة لا أجر لها وإنما للرضيع والمحضون النفقة شرعاً.

المادة ٤١٠: للسلطة الشرعية في جميع الأحوال أن ترى رأيها المناسب لمقتضى الأحوال في من يقوم أصلح للحضانة من غيره.

المبحث الرابع

قواعد ثبوت النسب والتبني عند اليهود

تأخذ الشريعة اليهودية بشرعية الأولاد المنسوبين لأبائهم من زوجية صحيحة قائمة، كما تأخذ بقرينة الولد للفراش وهو ما يعمل به الربانيون والقرائين على حد سواء. وإذا ما ثبتت الزوجية وثبت النسب ترتبت عليهما أثار ثبوته وقامت عليه الحقوق والواجبات المتبادلة بين الأبناء والوالدين، وهذا ما يتعلق بالأولاد الشرعيين من عقد شرعي، ولكن أن انتفى النسب لا يثبت لمن تم نفي النسب عنه النفقة[1].

ولكن الربانيون لا يفرقون في الحقوق والواجبات للمولود من عقد غير شرعي لابوين من الملة والمولود من عقد شرعي كما أن (مولود المحرمة شرعاً أو مولود والزنا هو كغيره في الحقوق والواجبات)[2].

وتستخلص من رأى الربانيين هذا أن قيمة حديثهم ينصب على نسبة حمل الولد اسم أبيه فهو السبب الوحيد المبرر حديثهم عن قواعد النسب.

ويقع هذا المبحث في مطالب ثلاث:

---

(١) تنص م ٢٩٨ من ابن شمعون على أنه .لا نفقة لمن انتفى نسبه) انظر د. توفيق حسن فرج ص ٧٨٧.

(٢) نصت على ذلك (م ٣٠٤و ٣٠٥) انظر أحكام الأحوال الشخصية ص ٧٨٧ / الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين ص ٨٢٧.

المطلب الأول

قاعدة الولد للفراش

نصت قواعد الربانيين الخاصة على أن أقل مدة الحمل هي سبعة أشهر أما أقصى مدة للحمل فسنة كاملة، على أن الوضع الغالب للولادة هي تسعة أشهر[1] ويجب أعتبار السبعة أشهر كاملة شرعاً ولو لم يكن إلا يوم من الشهر الأول ويوم من الشهر السابع، وتنطبق هذه القاعدة كذلك على الولد المولود لمدة تزيد عن خمسة أشهر بيومين ما لم ينف الرجل نسب المولود إليه ويمكنه أن ينفيه سواء قبل الوضع أو بعده[2] أو إذا ثبت استحالة اتصاله بزوجته في مثل المدة السابقة، ولا تكفي إشاعة زنا الزوجة وحدها لنفي نسب مولودها إذا كان زوجها غير بعيد عنها ما لم يشتهر عنها قلة العفاف[3] فحينئذ لا يجوز النفي إلا للأب أما الأم فلا يجوز لها[4].

---

(١) أحكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص ٧٨٣/ الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين ص ٨٢٨ وهو ما تؤمن به الشريعة الإسلامية بالنسبة للوضع. وأقل مدة الحمل لدينا ستة أشهر وأكثره مختلف فيه.

(٢) انظر ٩٠٩م٢٩٣) فإذا كان النفي بعد الوضع فلا يقبل إذا كان للولد دربة وهذا حكم معقول، إذ متى سكت الأب حتى تزوج أبنه وانجب فلا يقبل منه أن يأتي بعد ذلك ويبقى نسبه)انظر م ٢٩٤.

(٣) انظر م ١٩٢ في حاي بن شمعون سلامة ٨٢٨/فرج ٧٨٣.

(٤) انظر ٢٩٩ من كتاب حي بن شمعون أحكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص ٨٢٨.

المطلب الثاني

قاعدة الإقرار بالنسب

أجازت شريعة الربانيين الإقرار بالنسب ما لم يضر بالغير لما للإقرار من أثر نسبي فإذا ولد الولد لمدة تقل عن سبعة أشهر أو تزيد على عشرة فلا يثبت نسبة إلا بالإقرار، فمتى أقر الأب بنسبة المولود إليه فلا يمكنه الرجوع عن إقراره وبنفي النسب إلا إذا أثبت عدم توافر شروط الإقرار عند صدوره[1] وذلك بعكس النسب إذ يجوز الرجوع فيه عن طريق الإقرار بنسب المولود، ومن هذا يتضح أنهم يأخذون بحمل النسب على الغير دونما تفصيل:

ويثبت النسب بالإقرار بشروط هي:[2]

١- أن يصدر الإقرار من المقر نفسه وهو المراد الانتساب إليه لا من شخص آخر كورثته مثلاً لأن للإقرار طابع شخصي.

٢- أن يكون المقر له مجهول النسب أي غير معروف الأبوين وإلا نسب إليهما.

٣- أن يكون المقر في سن بحيث يولد مثل المقر له لمثله أي بحيث يمكن أن يكون المقر له ابنا للمقر، فإذا كان صغيراً لا يتصور أن تحمل منه المرأة أو كان المقر له في سن قريبة من سنه لا يصح الإقرار، وهذه الشروط نفسها التي يطلبها المشرع الإسلامي.

---

(١) انظر (م٢٩٥)من كتاب حاي بن شمعون.

(٢) أحكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص ٧٥٣ يتفق اليهود مع المسيحيين في هذه الشروط بل أننا لا نجد تفصيلاً في هذه الشروط عند اليهود مثلما هي الحال عند المسيحيين كما هو الحال في (م٩٥ و ١٠)عند الأرتذوكس الأقباط والمادة ١٤٣ سريان.

فإذا ادعى شخص على رجل بالأبوة أو على المرأة بالأمومة، فأن صدقته الأخيرة وكان يولد مثله لمثل المدعي عليه تثبت الأبوة أو الأمومة متى ما كان المدعي مجهول النسب بطبيعة الحال ويترتب على ذلك أن يصير المدعي كالابن له وأن ما للأبناء من نفقة وحضانة وتربية عليه ما للأبوين من حقوق على الأبناء [1].

ولكن ليس للإقرار الصادر من أحد الأبوين بالبنوة لأحدهم أي أثر للمقر له وليس بذي قيمة إلا للمقر وحده. فإقرار الأب بالبنوة دون الأم لا تأثير له إلا على الأب والعكس بالعكس[2].

أحوال خاصة:

وتشمل هذه الأحوال نسب الولد من زواج ثاني، وحمل الفتاة المقدسة. ونسب اللقيط.

فإذا غاب الرجل عن زوجته واعتقدت الزوجة وفاته، فتزوجت من رجل آخر، وحملت فأن شريعة الربانيين تنص على أن هذا الحمل حمل زنا بالنسبة لزوجها الأول ونسب المولود لزوجها الثاني[3] مع أن زواجه باطل[4].

ولكن لما كان الزواج الأول لا يزال قائما فالزوج الأول - وهو الزوج الشرعي - إذا حضر واختلى بالزوجة قبل التفريق بينهما وبين الرجل الآخر، وحملت ينسب الحمل له وعد ابن زنا[5].

---

(١) أحكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص ٧٥٤ وانظر م ٦٩ و ١٠١ من مجموعة الأقباط الارثذوكس / المادة ١٤٤ سريان.

(٢) أحكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص ٧٥٤ - ٧٥٥ وانظر م ٦٧و ١٠٢ من مجموعة الأقباط الارثذوكس.

(٣) الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين ص ٨٢٩- أحكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص ٧٨٦ وقد نص على هذا الحكم خوفا من القول أن الزواج الثاني باطل والولد الثاني عنه ولد غير شرعي.

(٤) أحكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص ٧٨٦ ويعد الولد ابن حرام عند القرائين انظر شعار الخضر ص ٩٧-٩٨.

(٥) أحكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص ٧٨٦ الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين ص ٨٣٠.

وبالنسبة للفتاة المقدسة[1] إذا حملت ونسب الحمل إلى خاطبها واقر بـه أو تغيب ولم يحضر لينفي النسب أو حضر وعجز عن النفي صحت نسبة المولود إليـه حتـى لـو أشيع أنه غير متمكن منـها مـا دامـت تنسـب المولـود إلى خاطبـها ولم ينجـح في نفـي إدعائها[2].

المطلب الثالث
أحكـام اللقيط

اللقيط هو مجهول الأبوين، الملقى به بقصد إهلاكه وقـد نصـت شـريعة الربـانيين أنه إذا دعى أحد أنه أبوه أو واحدة أنها أمه وكان لم يزل بمكانه، ودلت القرائـن علـى صدق الدعوى نسب إليه أو إليها فإذا نقل اللقيط مـن موضعـه ثـم إدعـاه إنسـان فـلا ينسب له ما لم يؤيد دعواه[3].

فالمكان الذي وجد فيه اللقيط وحمله منه هو الفاصل الأسـاس بـين إدعـاء نسـب اللقيط، فإن وجد في مكانه يكتفي بالقرائن وأوهن الأدلـة. وفي الثانيـة يجـب أن يقـوم الدليل الكامل على أنه ابن لمن يدعيه.

---

(١) أي الفتاة المخطوبة بعقد وصلاة وغير مدخول بها/ أن القيام الزوجية في الشريعة اليهودية لا بد من التقديس، والعقد المكتوب والصلاة الدينية صلاة البركة - ويجوز تقديم التقديـس وإرجـاء المركـنين الآخريـن فـأن هـذا وحده لا يكفي فلا تحل لآخر إلا بالطلاق ولا يحل للرجل الدخول على الزوجة قبل استكمال باقي الأركـان. فإذا أقام الرجل مع المرأة علاقة بغير كتابة عقد الزواج الشرعي كان ذلك ممنوعاً ولو كان هناك تقديس انظـر م ٦٠ و ٦١ و ٦٢ من ابن.

(٢) الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين ص ٨٢٩ أحكام الأحوال الشخصية لغر المسلمين ص ٧٨٥.

(٣) الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين ص ٣٨٠، أحكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص ٧٨٧.

ونصت المادة ٣١٨ من الأصول التشريعية للأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية للإسرائيليين أن اللقيط لا ينسب ويعد من أبناء الزنا المشكوك في امره ولا يجوز له العقد على واحدة من الملة ولو كانت بنت زنا يقيناً.

ولا يعد لقيطاً بالمعنى الشرعي إذا دلت القرائن على أن إلقاءه لم يكن الغرض منه إهلاكه وعلى هذا المعنى نصت المادة ٣١٨.

المواد التشريعية الخاصة بأحكام اللقيط:[١].

مادة ٣١٧: اللقيط لا ينسب ويعد من أبناء الزنا المشكوك في أمورهم ولا يجوز له العقد على واحدة من الملة ولو كانت بنت زنا يقيناً.

مادة ٣١٨: لا يعد لقيطاً بالمعنى الشرعي إذا دلت القرائن على أن إلقاءه لم تكن الغرض منه إهلاكه.

مادة ٣١٩: إذا أدعى أحدهم أنه أبوه أو واحدة أنه أمه وكان لم يزال بمكانه ولاح على الدعوى صدقها نسب إلى مدعيه أو مدعيته.

مادة ٣٢٠: إذا نقل اللقيط من موضعه ثم ادعاه إنسان فلا ينسب له ما لم يؤيد دعواه.

(١) الأحوال الشرعية في الأحوال الشخصية للإسرائيليين لمؤلفه م. جاي بن شمعون مطبعة كوهين ورزنتال. مصر ١٩١٢. نقلاً من كتاب شرح تشريعات الأحوال الشخصية للمصريين غير المسلمين.

الفصل الثالث

أحكام الزواج
في الشريعة المسيحية

مقدمة

الخطبة

المبحث الأول: عقد الزواج

المبحث الثاني: الحقوق الزوجية والولاية الشرعية

المبحث الثالث: قواعد ثبوت النسب في الديانة المسيحية

مُقَدِّمَة

يتميز الزواج المسيحي بسمات تختلف عما في الأديان الأخرى بصورتها الشكلية، فقد اتفقت جميع المذاهب المسيحية أن الزواج سر مقدس وأنه من المقدسات الدينية في المذاهب المسيحية جميعاً، ولكن المذهبين الكاثوليكي والأرثذوكسي ذهبا إلى معنىً أبعد من ذلك، وأبعد من كونه علاقة مقدسة وأن السيد المسيح عليه السلام قد رفع مرتبة الزواج في معتقداتهم إلى السر الآلهي، لذا يعتبر الزواج من الأسرار السبعة المقدسة التي ترتكز عليها العقيدة المسيحية.

وهو ما قررته المجامع الكنسية عندما أعلنت أن السر السابع هو سر الزواج الذي يعتبر رمزاً لاتحاد المسيح والكنيسة[1].

أما المذهب البروتستانتي فلا يرتفع بالزواج إلى مرتبة السر الألهي، وإن كان يعتبره علاقة مقدسة وشركة دائمية بين الزوجين يجب الحفاظ عليها وتقديسها، وهم يمعنون في تقديس العلاقة الزوجية ويرونها أشرف من البتوليه[2] لأن الله رسم نظام الزواج منذ بدء الخليقة وكرمه حيث جاء في رسالة بولس إلى العبرانيين (ليكن الزواج مكرماً عند كل واحد والمضجع غير نجس).

ولما كان الزواج يعد سراً مقدساً وأنه من المقدسات الدينية عند جميع المسيحيين فأنه يترتب على ذلك إلا يتم إلا في الكنيسة. وحتى يستلزم إتمام عقد الزواج المسيحي

---

(١) انظر الزواج في القواعد القانونية التي صدر بها تقنين عن البابا في روما (اكتوبر ١٩٩٠) المادة ٧٧٦ وما بعدها في الباب السابع الخاص بالزواج لدى الكاثوليك الشرقيين وانظر:

أولاً شرح أحكام الزواج للطوائف المسيحية في سوريا ولبنان فؤاد صينج – نشره مجلس كنائس الشرق الأوسط – بيروت.

ثانياً: شرح قانون الأحوال الشخصية السوري. د. مصطفى السباعي . مطابع دار الفكر – دمشق – السادسة – ١٩٦٣-١٣٨٢هـ.

(٢) أحكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين. د. توفيق حسن ص ١١٣.

في الكنيسة فأنه يعتبر عمل ديني لمجرد اتفاق بين المسيحيين المعمدين وحسب ما جاء في الكتاب المقدس (ما جمعه الله لا يفرقه إنسان) والمسيحيون يعتقدون أن الله يتدخل كطرف في العقد ليعطيه قدسية عظيمة حتى لو جرى العقد بين غير المؤمنين[1].

ومما يميز الزواج المسيحي أن من أغراضه الجوهرية الوحدة وعدم قابليته على الإنحلال.

فالوحدة في الزواج المسيحي من أولى المبادئ التي آمنت بها المسيحية في أول عهدها إذ لا يجوز للمسيحي أن يتخذ أكثر من زوجة واحدة في وقت واحد[2]، كما لا يجوز للمرأة الواحدة التزوج بأكثر من رجل واحد في الوقت نفسه.

ونظرا لاعتباره سرا مقدسا فهو غير قابلة للإنحلال إذ لا يمكن فك عرى هذا السر المقدس الذي عقده الطرفان بمباركة السيد المسيح رأس الكنيسة.

---

(١) المصدر السابق ص ١١٣.

(٢) أحكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص ١١٣ وانظر (شريعة الزوجة الواحدة في المسيحية) للبابا شنودة الثالث طبعة يونيو ١٩٧٨.

الخطبة

الخطبة: هي وعد متبادل بين رجل وامرأة في أجل محدد(١).

لا تجوز خطبة من يقل عمره عن سبع عشرة سنة ميلادية كاملة، وعمر الخطيبة خمس عشرة سنة(٢).

ويجب أن يكون الخطيبين بالغين راشدين، وانعقاد الخطبة ينعقد بإبداء رضائهما المتبادل أمام رجل دين مختص مرخص من رئاسته الدينية بإيجاب من أحدهما وقبول من الاخر.

أما إذا كان أحدهما قاصرا فلا تنعقد الخطبة إلا بموافقة وليه حسب الترتيب الآتي(٣):

الأب ثم الأم التي لم تتزوج، ثم الجد الصحيح. ثم الجد لأم ثم للأرشد من الأخوة الأشقاء ثم من الأخوة لأم ثم من الأعمام ثم من الأخوال. ثم الأعمام ثم الأرشد من أبناء الأخوال ثم من أبناء العمات ثم من أبناء الخالات. فإذا لم يوجد ولي من الأشخاص أعلاه، تعين المحكمة وليا للقاصر من باقي الأقارب أو من غيرهم من المسيحيين.

ويحرر رجل الدين المرخص له من رئاسته الدينية الوثيقة المعدة للخطبة وتشمل هذه الوثيقة ما يلي(٤):

---

(١) شرح تشريعات الأحوال الشخصية. ص ٦١٣ المادة الأولى .

(٢) شرح تشريعات الأحوال الشخصية ص ٦١٣ المادة الثالثة/ أحكام الأسرة للمصريين غير المسلمين . د. سمير عبد اليسد تناغو ص ٥٠٧ رمضان للطباعة – الإسكندرية ١٩٧٧-١٩٩٨.

(٣) أحكام الأسرة للمصريين غير المسلمين ص ٥٠٧ / شرح تشريعات الأحوال الشخصية ص ٦١٣.

(٤) أحكام الأسرة للمصريين غير المسلمين ص ٥٠٧/ شرح تشريعات الأحوال الشخصية ص ٦١٣.

١- اسم كل من الخاطب والخطيبة ولقبه وسنه وصنعته ومحل إقامته .

٢- اسم والدي الخطيبين ولقبهما وصنعتهما ومحل إقامتها أو اسم ولي القاصر من الخطيبين ولقبه وصنعته ومحل إقامته.

٣- إثبات حضور كل من الخطيبين بنفسه وحضور الولي أو من ينوب عنه إن كان أحدهما قاصراً ورضاء كل من الطرفين بالزواج.

٤- إثبات حضور شاهدين مسيحيين راشدين على الأقل واسم كل منهما وصنعته ومحل إقامته.

٥- إثبات التحقق من خلو الخطيبين من موانع وقيود الزواج.

٦- يثبت في العقد الميعاد الذي يحدد للزواج.

٧- قيمة الشبكة والاتفاقات المالية إن وجدت كلها تذكر في العقد مع توقيع كل من الخاطب والمخطوبة والولي أو ولي القاصر منهما إن وجد أو من ينوب عنه والشهود ورجل الدين الذي أجرى الخطبة وتحفظ هذه الوثيقة في مقر الرئاسة الدينية بعد تسليم كل من الخاطب والخطيبة نسخة منها.

٨- ويجوز تعديل الميعاد المحدد للزواج باتفاق الخاطبين ويؤشر هذا التعديل في عقد الخطبة ويوقع عليه كل من الخاطبين ورجل الدين، فإذا فوّت أحد الخاطبين الأجل المحدد للخطبة بغير مسوغ مقبول أعتبر عادلاً عن الخطبة فإن كان العادل الخطيب فلا يحق له استرداد ما يكون قد قدمه من شبكة أو هدايا، إما إذا كانت الخطيبة هي التي عدلت بدون مسوغ مقبول فللخطيب أن يسترد ما قدمه لها من شبكة أو هدايا غير مستهلكة.

ويعلن رجل الدين الذي حرر عقد الخطبة في ظرف أسبوع ملخصاً عن الخطبة يذيعه في كنيسة خالياً من الاتفاقات المالية أن وجدت، إمـا إذا كـان الخطيبـان أو

أحدهما يقيم خارج دائرة الكنيسة ترسل نسخة من الملخص إلى الكنيسة التي يقيم الخطيبان في دائرتها لإعلانها ضمن فترة محددة كأن تكون شهر مثلاً[١].

وإذا وجد مانع من الموانع يجوز الاعتراض على إتمام الزواج ويبلغ به رجل الدين الذي عقد الخطبة أوالذي يعقد الزواج وبينت في المسألة موضع التراع من قبل الرئاسة الدينية المختصة قبل الموعد المحدد لعقد الزواج[٢].

إذا لم يتم الزواج خلال سنة من تاريخ انقضاء الإعلان فيجب إعادة الإعلان مرة أخرى. وللرئاسة الدينية الحق في الإعفاء من إعادة الإعلان مرة أخرى[٣].

وإذا كان الطرف المسؤول عن التعويض قاصراً كان لوليه حق ضمانه الوفاء بالتزاماته للطرف الآخر[٤].

والخطبة تنتهي بأحد الأسباب التالية[٥].

١- إذا تبين وجود مانع شرعي بين الخطيبين يمنع من قيام عقد الزواج بينهما.

٢- إذا دخل أحد الخطيبين الرهبنة أو الكهنوت .

٣- إذا توفى أحد لخطيبين قبل عقد الزواج.

ويحق للخاطبين أو أحدهما باتفاقهما الرجوع في الخطبة ويثبت ذلك في محضر يحرره رجل الدين ويوقع عليه ممن عدل ويرفق بعقد الخطبة ويتولى رجل الدين إخطار الطرف الآخر بهذا التعديل بخطاب موصى عليه مصحوباً بالتعديل في ظرف شهر من تاريخه[٦].

---

(١) شرح تشريعات الأحوال الشخصية ص ٦١٤/ أحكام الأسرة للمصريين غير المسلمين ص ٥٠٨.

(٢) أحكام الأسرة للمصريين غير المسلمين ص ٥٠٨/ شرح تشريعات الأحوال الشخصية ص ٦١٤.

(٣) أحكام الأسرة للمصريين غير المسلمين ص ٥٠٨/ شرح تشريعات الأحوال الشخصية ص ٦١٤.

(٤) شرح تشريعات الأحوال الشخصية ص٦١٤/ أحكام الأسرة للمصريين غير المسلمين ص ٥٠٧.

(٥) أحكام الأسرة للمصريين غير المسلمين ص ٦١٤/ شرح تشريعات الأحوال الشخصية ص٥٠٧-٥٠٨.

(٦) شرح تشريعات الأحوال الشخصية ص ٦١٤/أحكام الأسرة للمصريين غير المسلمين ص ٥٠٧.

إن الكثير من الطوائف المسيحية اليوم تذهب إلى وجوب التعويض في حال التعسف الذي يقع على أحد الخاطبين، وقد يعمد إلى فسخ الخطبة إلا أن المسيحيين يرون أن الخطبة باعتبارها عقد يجري في الكنيسة على يد مرجع ديني مرخص من رئاسته العليا، لا يعترف به إذا وقع خارج إطار الكنيسة، أو بالتحديد خارج الإطار الديني، وتتفاوت أحكامهم حول المجريات والوقائع الطارئة على الخطبة والمؤدية إلى مسائل التعويض أو الفسخ أو التأجيل في إقامة الزواج حسب ما ترتأيه محاكمهم، فبعضها يكتفي بالحكم بعدم إرجاع ما دفعه الخاطب الفاسخ للخطبة من مهر وهدايا، وقسم آخر يضيف إليه تعويضاً آخر غير المهر والهدايا[1].

نصوص الأحوال الشخصية لجميع الطوائف المسيحية في مصر (الخطبة)

مادة ١ : الخطبة وعد متبادل بين رجل وامرأة بالزواج في أجل محدد.

مادة ٢: لا يجوز الخطبة إذا قام مانع أو قيد بين الطرفين من الموانع والقيود الواردة في الفصل الثالث من هذا الباب.

مادة ٣: لا يجوز الخطبة إلا إذا بلغ سن سبع عشرة سنة ميلادية كاملة وسن الخطبة خمس عشرة سنة.

مادة ٤: تنعقد الخطبة بني الخطيبين البالغين سن الرشد المدني بإبداء رضائهما المتبادل أمام رجل الدين المختص المرخص له من رئاسته الدينية بإيجاب من أحدهما وقبول من الآخر أما إذا كان أحدهما قاصراً وجبت موافقة وليه على الترتيب الآتي:

الأب، ثم الأم التي لم تتزوج ، ثم الجد الصحيح ثم الجد لأم ثم للأرشد من الأخوة الأشقاء ثم من الأخوة لأب- ثم من الأخوة لأم ثم من الأعمام، ثم من الأخوال، ثم أبناء الأعمام ثن من أبناء الأخوال ثم من أبناء العمات، ،ثم من أبناء الخالات، إذا لم يوجد ولي من الأشخاص المتقدم ذكرهم، تعين المحكمة ولياً للقاصر من باقي الأقارب أو من غيرهم من الأشخاص المتقدم ذكرهم ومن غيرهم من المسحيين.

---

(١) شرح قانون الأحوال الشخصية الأردني – عمر الأشقر ص ٣٥-٣٦.

مادة ٥: تثبت الخطبة بالوثيقة المعدة لذلك التي يحررها أحد رجال الدين المسيحي المرخص له من رئاسته الدينية بذلك وتشتمل هذه الوثيقة على ما يأتي:-

١- اسم كل من الخاطب والمخطوبة ولقبه وسنه ومحل إقامته.

٢- اسم كل من والدي الخطيبين ولقبهما وصنعتهما ومحل إقامتهما أو أسم ولي القاصر من الخطيبين ولقبه وصناعته ومحل إقامته.

٣- إثبات حضور كل من الخطيبين بنفسه وحضور الولي أو من ينوب عنه إذا كان أحدهما قاصراً ورضاء كل من الطرفين بالزواج.

٤- إثبات حضور شاهدين مسحيين راشدين على الأقل وأسم كل منهما وصنعته ومحل إقامته.

٥- إثبات التحقيق من خلو الخطبيين من موانع وقيود الزواج المنصوص عليها في هذا القانون

٦- الميعاد الذي يحدد للزواج.

٧- قيمة الشبكة والاتفاقات المالية إن وجدت ويوقع على هذه الوثيقة كل من الخاطب والمخطوبة وولي القاصر منهما أن وجدت أو من ينوب عنه والشهود ورجل الدين الذي أجرى الخطبة وتحفظ هذه الوثيقة في قصر الرئاسة الدينية وبعد تسليم كل من الخطيبين نسخة منها.

مادة ٦: يجوز باتفاق الخطيبين تعديل الميعاد المحدد للزواج ويؤشر بهذا التعديل في عقد الخطبة ويوقع عليه الطرفين فإذا فوت أحد الطرفين الأجل المحدد للزواج بغير مسوغ مقبول اعتبر عادلاً عن الخطبة ويسري في حقه حكم المادة (١٠) من هذا القانون.

مادة ٧: يحرر رجل الدين الذي باشر عقد الخطبة ملحقاً منه. خال من الاتفاقات المالية. في ظرف أسبوع من تاريخ حصوله ويعلنه في كنيسته إذا كان الخطيبان أو أحدهما يقيم خارج دائرة الكنيسة، وترسل نسخة منه إلى الكنيسة التي يقيم الخطيبان في دائرتها لأعلانها ويكون الإعلان لمدة شهر كامل، ويجوز الاعتراض على إتمام الزواج إذا وجد مانع من الموانع المذكورة في القانون ويبلغ به رجل الدين

الذي عقد الخطبة او الذي يعقد الزواج على أن يتم في هذا الاعتراض من الرئاسة الدينية المختصة قبل الموعد المحدد للزواج.

مادة٨: إذا لم يتم الزواج في خلال سنة من تاريخ انقضاء الإعلان المنصوص عليه في المادة السابقة فيجب إعادة الإعلان مرة أخرى بذات الطريقة. ويجوز لأسباب يقدرها الرئيس الديني المختص أن يعفى من الإعلان المذكور.

مادة ٩: يجوز الرجوع في الخطبة باتفاق الطرفين أو بإرادة أحدهما فقط ويثبت ذلك في محضر يحرره رجل الدين ويوقع بعد الخطبة، ويتولى رجل الدين إخطار الطرف الأخر بهذا العدول بخطاب موصى عليه مصحوب بعلم الوصول في ظرف شهر من تاريخه.

مادة ١٠: إذا عدل الخطيب عن الخطبة بغير مقتضى فلا يحق له استرداد ما يكون قد قدمه من شبكة أو هدايا وإذا عدلت الخطيبة عن الخطبة بغير مقتضى فللخطيب أن يسترد ما قدمه لها من شبكة أو هدايا غير مستهلكة، وذلك دون الإخلال بما يحق لأحد الطرفين من تعويض قبل الأخر وتسقط دعوى التعويض بمضي سنة كاملة من تاريخ إخطاره بالعدول عن الخطبة.

مادة ١١: إذا كان الطرف المسؤول عن التعويض ومما يجب رده قاصراً كان وليه ضامناً للوفاء بالتزاماته قبل الطرف الآخر.

مادة ١٢: تنتهي الخطبة بأحد الأسباب الآتية:

١- إذا تبين وجود مانع شرعي بين الخطيبين يمنع من إتمام عقد الزواج بينهما.

٢- إذا دخل أحد الخطيبين الرهبة أو الكهنوت.

٣- إذا توفى أحد الخطيبين قبل عقد الزواج[١].

---

(١) أحكام الأسرة للمصريين غير المسلمين ص ٥٠٧-٥٠٨، شرح تشريعات الأحوال الشخصية ص٦١٣-٦١٤.

المبحث الأول

عقد الزواج

المطلب الأول

أركان عقد الزواج

يعتبر الزواج عند المسيحيين سر مقدس يجب إعطاؤه اهتماماً خاصاً وتقديسه وعدم التقليل من أهمية هذا الرباط الديني الذي يجمع بين الرجل والمرأة والمعلن عنه طبقاً لشعائر الكنيسة بقصد تكوين أسرة جديدة تتعاون فيما بينها على شؤون الحياة.

ولا يجوز للرجل أن يعقد عقد الزواج إلا أن يبلغ ثماني عشرة سنة، والمرأة ستة عشرة سنة ميلادية كاملة[1]، وإن يكون الرضا _ رضا الطرفين _ شرطاً وركناً لعقد الزواج، والذي يبلغ من العمر إحدى وعشرين سنة ميلادية كاملة يحق له زواج نفسه بنفسه بدون ولي وكذلك الحال بالنسبة للمرأة، أما دون سن الحادية والعشرين فيشترط لصحة الزواج رضا وليه، او وليها، وإن امتنع ولي الأمر من تزويج الولد أو البنت فيرفع طالب الزواج أمره إلى المجلس المحلي الديني للفصل فيه[2].

---

(١) أحكام الأسرة للمصريين غير المسلمين، د. سمير عبد السيد تانغو ص ٥٠٩ ، الإسكندرية ١٩٩٧-١٩٩٨.

(٢) المصدر السابق ص ٥٠٩.

المطلب الثاني

إجراءات عقد الزواج

يستصدر الكاهن ترخيصاً بإتمام العقد من الرئيس الديني المختص بعد ما قدم له محضر الخطبة قبل الشروع بمباشرة عقد الزواج ثم يثبت عقد الزواج ويحرر متضمناً البيانات الخاصة بأسماء الخطيبين وأسماء أولياء أمورهما وأسماء الشاهدين وتحديد موعد الزواج.

ويحتفظ رئيس كل كنيسة بدفتر قيد عقود الزواج وتختم بختم البطريركية أو المطرانية أو الأسقفية وبعد تحرير العقد وإثباته يتلى على جمهور الحاضرين بمعرفة الكاهن الذي حرره، ويتسلم الزوج نسخة من عقد الزواج وكذلك نسخة للزوجة، وترسل نسخة إلى الجهة الدينية الرئيسية (البطريركية أو المطرانية أو الأسقفية) لحفظها. وكل كنيسة ترسل شهرياً، أو دورياً كل عقود الزواج إلى رئاستها الدينية للحفظ والعلم[1].

---

(١) أحكام الأسرة ص ٥٣١، شرح تشريعات الأحوال الشخصية .

المطلب الثالث

شروط عقد الزواج

لعقد الزواج الصحيح في الشريعة المسيحية شروط يجب توافرها وتسمى بالشروط الإيجابية وهي:

الشرط الأول :الرضا بالزواج وصحته:

الرضا قوام الزواج في الشريعة المسيحية على اختلاف فرقها وهو شرط جوهري ينشئ حالة الزواج، وبقيام الرضا المتبادل بين الطرفين تقوم العلاقة الزوجية بين الطرفين، ويتعين أن يكون الرضا حالا أي أن انصراف إرادة الطرفين إلى عقد الزواج تقع في الحال، فلا يقوم الزواج بتراضي الطرفين في المستقبل، ويمثل ذلك وعدا بالزواج الذي لا يترتب عليه ما يترتب على الزواج من حق الطرفين في العشرة الزوجية، كما أنهم لا يقرون بالشرط في عقد الزواج[1].

ويشترط في عقد الزواج البلوغ والعقل، فحددوا البلوغ لكلا الطرفين بسنين تتراوح بين ١٨-١٦ سنة للذكر وللأنثى ما بين ١٤-١٨ سنة. فمن قلت سنة عما حددته شريعتهم فإنه لا يكون صالحاً لإصدار رضا بالزواج حتى ولو وافق ولي النفس أما لو بلغها و لم يبلغ سن الرشد فأن رضاه يكون موجوداً ولكن يتطلب موافقة ولي الأمر.

ولا يعتد بالرضا الصادر من المجنون ويتحقق الزواج بتطابق الإرادتين إيجاباً وقبولاً فلا يعتد بالإرادة المنعدمة كإرادة الصبي غير المجيز والمجنون والهازل[2].

---

(١) أحكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص ٤٣٩/ الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين ص ٤٤٧.

(٢) أحكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص ٤٥٢/ الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين ص ٤٤٧-٤٤٨.

ولا توجد صيغة معينة أو الفاظ يصعب فيها الرضا بالزواج، فـأي صيغـة يفـهم منـها انصراف إرادة الطرفين إلى إنشاء عقد الزواج يعمل بها سواء كان اللفظ يدل علـى الحـال أو الاستقبال أو يدل على الماضي وهي قاعدة استقر عليها الفقه المسيحي الآن[1].

وجميع الطوائـف المسـيحية لا تبيـح الوكالـة في الـزواج خـلا. الكـاثوليك الذيـن يبيحونـه بـأذن الرئيـس الكنسـي المحلي وبحـالات خاصـة للضـرورة فقـط[2]، كمـا لا يجيزون الزواج بالمراسـلة[3]، ولا تعـرف الشـريعة المسـيحية ولايـة الإجبـار في الـزواج فالارثذوكس والبروتستانت يلزمون موافقة أولياء النفس لصحـة زواج مـن هـم تحت الولاية حتى ولو بلغ سنة الزواج[4]، بخـلاف الكـاثوليك الذيـن يرفعـون الولايـة على النفس عند بلوغ السن الشرعية[5].

ويشترط لصحة الرضا شرطان أساسيان :

أولهما :موافقة ولي النفس على الزواج القاصر وقد ذكرنا ذلك.

وثانيهما : ضرورة سلامة الإرادة مـن العيـوب ويمكـن إجمـال العيـوب بـالغلط والإكراه والخطف ولا بد من التفصيل في ذلك بالشرح التالي:

---

(١) الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين ص ٤٤٩ ويأخذون بالإشارة أو الإيماء للدلالة.

(٢) أحكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص ٤٥٥/ الأحوال الشـخصية للوطنيـين غـير المسـلمين ٤٥١ انظـر تفصيلا واسعاً في ذلك في كلا المصدرين السابقين.

(٣) الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين ص ٤٥٠-٤٥١.

(٤) ويتصور هذا بالنسبة للفتاة إذ أن الزواج يصبح ببلوغها ١٦ سنة ولا ترفع عنها الولاية على النفس إلا بعد بلوغ ١٨ سنة انظر أحكام الأحـوال الشـخصية لغـير المسـلمين ص ٤٦١ الأحـوال الشـخصية للوطنيـين غـير المسلمين ص ٤٥٦ وما بعدها.

(٥) أحكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص ٤٦١ وما بعدها.

١-الغلط

ويقصد به الغلط الناشئ عن الغش وفي بعض صوره وكذلك الجهل[١] فإذا ما وقع غش في شخص أحد الزوجين فيجوز الطعن في الزواج ممن وقع عليه الغش ويقسمون الغلط إلى غلط في الشخص وغلط في الصفة، ويقصد بالأول أن يتوهم الزوج بأن من يتزوجه هو شخص آخر، ويشمل كذلك كل من انتحل أسم شخص آخر وعقد زواجا مع الطرف الآخر، أما غلط الصفة فلا أثر له على صحة الزواج لأن صفة الشخص ليست إلا أمراً عرضياً فالغلط هنا لا يعتبر جوهريا[٢] فمن تصور وجود صفة حميدة مثلاً في الطرف الآخر وثبت له عدمها يبطل عقد الزواج. ولكن القانون الكنسي يدخله مع ذلك في الاعتبار في حالات معينة على خلاف بين القواعد الخاصة بالطوائف المختلفة، فالأرثذوكس[٣] عندهم الغلط في الصفة يدخل في الاعتبار في حالة ما إذا وقع غش في شأن بكارة الزوجة بأن ادعت أنها بكر وثبت خلافه، فالغلط هنا نشأ عن غش، وعند الكاثوليك لا يعتد بالغلط في الصفة في حالتين[٤]:

الأولى : حالة ما إذا أدى إلى غلط في الشخص وثانيها حالة الحرية، فمثال إذا رحل فرنسي إلى أمريكا منذ مدة طويلة إلا أنه بقي على صلة بأحد أصدقائه في باريس وفيما بعد طلب أمريكي يد ابنة صديقي الفرنسي لابنه إلا انه في يوم الزواج تقدم شخص آخر منتحلاً اسم ابن الأمريكي ولما كان الفرنسي وابنته لا يعرفان ابن صديقه الأمريكي إلا عن طريق السماع، وعند حصول الإيجاب والقبول بين طرفي الزواج يحصل الغلط[٥].

الثانية: مثالها إذا تعاقد شخص مع آخر يعتقد أنه حر مع أنه عبد[٦].

---

(١) الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين ص ٤٦٣.

(٢) الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين ص ٤٦٣-٤٦٤.

(٣) أحكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص ٤٧٣-٤٧٤.

(٤) أحكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص ٤٧٧.

(٥) أحكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص ٤٧٨.

(٦) الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين ص ٤٧٢.

٢-الإكراه:

هو الرهبة التي تبعث دون حق في نفس أحد الزوجين بحيث تصور له ظروف الحال أن خطرا جسيماً محدقاً يهدده في النفس أو الجسم أو الشرف أو المال إذا لم يرض بالزواج [١] ويقسم الإكراه إلى مادي ومعنوي فالمادي يؤدي إلى إنعدام الإرادة[٢].

وهو صعب التصور فلا يتصور أن يجر أحد الزوجين إلى الكنيسة وأن يضغط على رأسه لتنحني أمام الكاهن: دلالة الموافق[٣].

أما الإكراه المعنوي فهو لا يعدم الإرادة ولا يفقد الاختيار، وإنما يكون الشخص فيه قد فقد ارادته لأنه أجبر على أن يريد. فمن يرضى بالزواج خوفاً من القتل يكون فقد أرادته بلا شك ولكنه لم يرد كذلك عن حرية واختيار[٤].

ووضع الكاثوليك شروطاً للإكراه الذي يجعل الزواج غير صحيح منها وقوع الخوف الشديد، وأن يكون الغرض من الإكراه هو دفع المكره إلى الزواج[٥].

---

(١) الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين ص ٤٧٢.

(٢) الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين ص ٤٧٣.

(٣) الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين ص ٤٧٢ وانظر أحكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص ٣٧٩.

(٤) الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين ص ٤٧٣/أحكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص ٤٨٠.

(٥) الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين ص ٤٧٤/أحكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص ٤٨١.

٣-الخطف:

لا يعتد بالخطف في الشريعة المسيحية، فعند الكاثوليك[١]، يعد مبطلاً لعقد الزواج إذا ما أقيم، فمن خطف امرأة بقصد الزواج منها، وهي في حوزته لا يمكن أن يعقد عقد الزواج، إلا إذا فصلت المرأة عن خاطفها ووضعت في مكان امين حر فرضيت بالزواج منه، ويشترط لقيام الخطف شروط منها أن يكون الرجل هو الذي خطف المرأة لا العكس لأن العكس يكون الزواج صحيحاً وكذلك يجب أن يكون الباعث على الخطف هو الزواج من المخطوفة وأن يقع الخطف جبراً على المرأة وبغير رضاها[٢].

أما الأرثذوكس والإنجيليين فلم يرد في نصوصهم ما يجعل من الخطف في حد ذاته مانعاً في الزواج، ولكن إذا اصطحب الخطف إكراه فإن الزواج يكون غير صحيح للإكراه[٣].

الشرط الثاني:الشكل الديني في الزواج

يقصد بالشكل الديني في الزواج المراسيم الدينية التي يقوم بها علنا رجل من رجال الدين الذي يقوم بالصلاة ومباركة الزوجين والتكليل وفقاً لطقوس دينية معينة بمحضر من الشهود حتى تتوفر العلانية اللازمة[٤] وعدم القيام بهذه المراسيم تبطل الزواج عند جميع المسيحيين، وإن كان الكاثوليك لم يتطلبوها إلا في عصر متأخر[٥].

---

(١) الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين ص ٤٧٦.

(٢) الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين ص ٤٧٧/أحكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص ٤٨٦ وما بعدها.

(٣)الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين ص ٤٧٩/أحكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص ٤٨٥-٤٨٦.

(٤) الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين ص ٤٧٩/ أحكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص ٦٠٩.

(٥) الأحوال الشخصية للوطنيين غر المسلمين ص ٤٧٩ وذلك بمقتضى قرار صدر في مجمع (ثرنت) في ق ١٦.

ويرجع إجماع شرائع المسيحيين على قيام الشكل الديني لاعتبارات وشروط كلها تجمع على أهمية تلك المراسيم وتوثيق عقد الزواج[1] ومظاهر الشكلية هي الصلاة وقيام رجل الدين بها. والشهود والعلانية وأما الشهود فلا يشترط فيهم سوى الإدراك وبقدرة على تفهم تبادل الزوجين للرضا بالزواج، المهم أن يكونوا بالغين عاملين ولا يهم أن يكونوا ذكورا أو أناثاً وأن لا يقل عددهم عن اثنين إلا أن الإنجيليين لم يتطلبوا الشهود بل اكتفوا بحضور رجل الدين وإقامته الصلاة والتبريك[2].

والعلانية إجراء تتطلبه كافة الطوائف المسيحية خلا الكاثوليك الذين أباحوا السرية في عقد الزواج ولظروف استثنائية[3]، وحضور رجل الدين الذي يقيم الصلاة ويبارك عقد الزواج أمراً لا بد منه إلا أنه قد توجد ظروف غير عادية تحول دون استدعاؤه أو وجوده فيجوز عندها إقامة الزواج ولكن لا يمكن اقامته بدون شهود وبأي حال من الأحوال[4].

ويوثق عقد الزواج في سجلات خاصة موثق بها حضور الزوجين والشهود وتواقيعهم.

(١) راجع تفصيل تلك الشروط الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين ٤٨٠ وما بعدها.

(٢) الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين ص ٤٨٤ أحكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص ٦٢٦.

(٣) الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين ص ٤٨٥/أحكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين ، ص٦٢٦ وما بعدها.

(٤) انظر أحكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص ٦٢٨/الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين ص ٤٨١ وما بعدها.

المطلب الرابـــع

موانع الزواج

تنقسم موانع الزواج إلى قسمين اثنين:

القسم الأول الموانع الناشئة عن صلة أحد الزوجين بالآخر:

قد تنشا بين طرفين موانع تمنع الزوجين بينـــهما، والصلــة المشــروعة الـــتي تمنـــع الزواج بين شخصين أما أن تكون صلة قرابـــة أو صلـــة مصـــاهرة، أمـــا الصلـــة غـــير المشروعة فهي الصلة الناتجة عن ارتكاب أحدهما الزنا مع شـــخص آخـــر وناشـــئة عـــن قتل أحدهم لزوج من يرغب عقد زواجه بها وتبيان ذلك في مــــا يلـــي:

أولا :القرابة

تتشعب القرابة هنا إلى شعبتين هما القرابة الطبيعية والقرابـــة القانونيـــة الـــتي تشمل القرابة الروحية وقرابة الرضاع والتبني فهم يمنعـــون الـــزواج مـــن الأقـــارب من درجة معينة. فالنصارى بجميع طوائفهم يحرمون علـــى الرجـــل الـــتزوج مـــن أصوله وأن علوا وبفروعه وإن سفلوا مـــن جـــهتي الأم والأب[1].

أما قرابة الحواشي فلا تعد مانعـــا إلا إذ بلغـــت درجـــة معينـــة، وفي تحديـــد هذه الدرجة خلاف بين طوائفهم الثلاث، فـــالارثذوكس مختلفـــين فيمـــا بينـــهم فيرى السريان منهم حرمة الـــزواج بالحواشـــي الذيـــن ينتســـبون إلى الجـــد دون

(١) الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين ص ٤٩٥-٤٩٦ انظر أحكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص ٥٤٣ وما بعدها.

الذين ينتسبون للأبوين المباشرين بعكس الأقباط[1] الذين يحرمون الحواشي الذين ينتسبون للأبوين المباشرين وهي قد تشددت في الدرجة المبطلة إلى الدرجة الخامسة أما الأرمن والروم فهما لا يفرقان بين أقارب الحواشي ويجعلان القرابة مانعاً من الزواج حتى الدرجة الخامسة.

أما شريعة الإنجيليين فلم يفرقوا بين الحواشي المنحدرين من أب أو جد ولكنهم مع ذلك حرموا الزواج من حواشي الأب فقط ويحرم الكاثوليك الزواج في الخط المنحرف حتى الدرجة الرابعة عند بعضهم والسادسة عند آخرين مثل أخت الزوج فهي قريبة قرابة دموية من الدرجة الثانية على الخط غير المستقيم (المنحرف) وتعتبر قريبة لزوج اختها قرابة مصاهرة على الخط المستقيم كذلك في الدرجة الثانية[2] وكذلك يبطل الزواج بأم الزوجة وجدتها وأن علا بنتها (من غيره) وبنت بنتها أو بنت ابنها وأن نزلت وكذلك يبطل زواج الزوجة بعد وفاة زوجها بابيه وجده وأن علو بابنه(من زوجة أخرى) وابن ابنه وأن نزل.

ويبطل الزواج كذلك من بنت أخت زوجته لأنها في الدرجة الثالثة، وكذلك يبطل زواجه ببنت عمها لأن بنت العم في الدرجة الرابعة[3].

أما القرابة القانونية بصورتها الأول المسماة القرابة الروحية أو قرابة الأشابين، والأشابين جمع اشبين وهو من يتولى تعليم الطفل بعد تعميده ومتى قبل الاشبين ذلك نشأ عن قبوله قرابة روحية بينه وبين الطفل فإذا كان أجنبياً عن الطفل أو قريبا له ولكن من غير درجة مانعة للزواج فأنه يعتبر ممنوعا من

---

(١) الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين ص ٤٩٧-٤٩٨.

(٢) أحكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص ٥٥٢.

(٣) أحكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص ٥٥٢.

الزواج به إذ هو بمثابة الأب الروحي لـــه، والارثذوكـــس لم يعتـــدوا بهـــذا المـــانع سوى السريان والروم منهم فقط. أما الأرمن والأقبـــاط فبينـــهم خـــلاف ظـــاهره الآن عدم المانعيـــة[1].

أما الإنجيليين فليس ذلك بمانع عندهم[2] أمـــا الكـــاثوليك فيجعلـــون القرابـــة الروحية مانعا من الزواج[3]، وعليه فـــأن مـــانع القرابـــة الروحيـــة مـــن الموانـــع الكنسية لا الإنجيلية فيمكن للكنيسة التفســـيح منـــه.

أما قرابة الرضاع فلم تعرفها طوائفهم خـــلا طائفـــة الســـريان الارثذوكـــس الذين اشترطوا لقيام هذا المانع أن ترضـــع المـــرأة الوليـــد مـــدة ســـنتين كـــاملتين ولدته من رجل آخـــر[4].

أمـــا التبـــني فـــالأغلب عنـــد المســـيحيين يعـــد مانعـــا مـــن الـــزواج[5]، فالارثذوكس يحرمونه ولكنهم يختلفون في تحديد درجـــة المانعيـــة خـــلا الســـريان الذين يحرمونه، أما الإنجيليون فلم يتحدثوا عن التبني وبالنتيجة فـــهو ليـــس بمـــانع والكاثوليك يوقفون حرمة وحلية التبني برأي القـــانون المـــدني.

ثانيا: المصاهرة

وهي العلاقة الناشئة بين أحـــد الزوجـــين وأقـــارب الـــزوج الآخـــر فعنـــد الارثذوكس درجة المصاهرة لدى الأقباط في نفس درجـــة القرابـــة المحرمـــة وهـــي

(١) الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين ص ٥٠٠/ أحكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص ٥٥٦.

(٢) الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين ص٥٠٠.

(٣) أحكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص ٥٥٩/الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين ص٥٠١.

(٤) الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين ص٥٠٢/أحكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص٥٦٣.

(٥) الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين ص ٥٠٢/أحكام الأحوال الشخصية لغير المســـلمين ص ٥٥٩-٥٦٠.

أصول الزوجية وفروعها[1] أما السريان والأرمن فتقـــاس درجـة التحـريم علـى مثيلتها بالقرابة الطبيعية[2]، وفي شريعة الإنجيليين حرموا علـــى الرجـل أن يـتزوج بأم زوجته وأخت الزوجة وزوجة جده وابيـــه وكذلـك زوجـة عمـه وخالـه وأخيه وزوجة ابن اخته وزوجة ابنه ولا بنـت أخـي زوجتـه ولا بنـت أخـت زوجته ولا بنت زوجته ولا بنت زوجته ولا بنت أبـن زوجتـه ولا بنـت زوجـة أبيه، وما يحرم على رجل يحرم بمثـــل درجتـه علـى المـرأة[3] أمـا الكـاثوليك فعندهم المصاهرة الأهلية والأصلية محرمة لغايـــة الدرجـة الرابعـة، فـإذا تـزوج رجل امرأة نشأت قرابة مصاهرة بين أخ الـــزوج وأخـت الزوجـة ويعتـبر كـل منهما صهرا للآخر من الدرجة الرابعــة[4].

ثالثا: الزنا

يحرم الكاثوليك والارثذوكـس زواج الـزاني بالزانيـة علـى اختـلاف في التفصيلات أما الإنجيليون فلا يحرمونــه[5].

رابعا: القتل

لم تعرض شريعة الإنجيليين لمانع القتـــل وبذلـك فـهو ليـس مانعـا مـن الزواج[6] أما الكاثوليك فشريعتهم قد نصت علــى أنـه لا يصـح زواج تعـاون

---

(١) انظر تفصيل ذلك هامش الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين ص ٥٠٤.

(٢) احوال الشخصية للوطنين غير المسلمين ص٥٠٤.

(٣) أحوال الشخصية للوطنين غير المسلمين ص٥٠٥.

(٤) أحكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص ٥٥٣/ أحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين ص ٥٠٥.

(٥) الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين ص ٥٠٦ وما بعدها / أحكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص ٥٦٥.

(٦) الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين ص ٥١٠ انظر احكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص ٥٦٥ وما بعدها.

مع صاحبه تعاوناً طبيعاً أو أدبياً (أي فاعلين) فقتلا الزوج، إذن فهي تمنعه، أما الارثذوكس فالأقباط منهم انفردوا بتحريمه[1] ويشمل التحريم صور القتل العمد والقتل الخطأ.

القسم الثاني الموانع الناشئة عن صفة ذاتية في الشخص هي:

١-اختلاف الدين والملة:

لا تبيح شرائع الكاثوليك والارثذوكس الزواج بين مسيحي وآخر غير مسيحي مستندين في ذلك على ما ورد في الأنجيل (أن تكونوا تحت غير المؤمن)[2].

أما الإنجيليون فلم يذهب زعيمهم (لوثر) إلى التحريم وأن كان الوضع الحالي لشريعتهم يتفق مع رأي الكاثوليك والارثذوكس[3].

أما بالنسبة لاختلاف الملة فالأقباط من الأرثذوكس فيقولون (لا يجوز الزواج لدى الكنيسة الارثذوكسية إلا بين مسيحيين ارثذوكس)[4] ولم تحرم بقية الطوائف الارثذوكسية الزواج لاختلاف الملة.

اما الكاثوليك فيحرمونه أيضاً، ولكنهم يجوزونه بشروط هي أن تكون أسباب قيامه عادلة له وأن يؤدي الزوج غير الكاثوليكي ضماناً يدفع خطر الضلال عن الزوج الكاثوليكي وأن يؤدي كلا الزوجين معا ضماناً بتعميد

(١) الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين ص ٥١٠ انظر احكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص ٥٦٥ وما بعدها.

(٢) الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين ص ٥١٤.

(٣) الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين ص٥١٤.

(٤)الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين ص٥١٤.

جميع الأولاد وتربيتهم تربية كاثوليكيـــة لا غـــير وأن تـــدون هـــذه الضمانـــات كتابة كما تحث الزوج الكاثوليكي ان يســـعى بفطنتـــه إلى هدايـــة الـــزوج غـــير الكـــاثوليكي(١).

٢- الكهنوت

أن الكهنوتية هي (قطع العهد بخدمة الكنيسة) (٢)، فمن قطـــع علـــى نفســـه عهدا بتخصيص وقته كله بخدمة الكنيســـة اصبـــح كـــهنوتيا، إن زواج الكـــاهن يلهيه عن أداء الخدمة للكنيسة والانجيليـــون لا يحرمونـــه إذ لا يـــرون شـــيئا غـــير عادي في زواج الكـــاهن(٣).

أما الأرثذوكس فلم تحرمه ولكنها تنزل الكاهن من رتبتـــه درجـــة والأرمـــن منهم فقط تحرم ذلـــك(٤).

أما الكاثوليك فيحرمونه مـــتى كـــان الكـــاهن مـــن درجـــة معينـــة أو مـــا فوقـــها(٥).

٣- الرهبنة

وهي حياة البتولية والعزلة فلا يمس امرأة ولا يمتلـــك مـــالا وينقطـــع لعبـــادة الله وأقر هذا المانع في مجمع أنقرة، وأول من حارب هـــذه الفكـــرة (لوثـــر) قـــائلا بأن حياة الزواج أفضل من حياة العزوبـــة.

---

(١)الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين ص٥١٤.

(٢) الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين ص ٥١٧.

(٣) الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين ص ٥١٧ وما بعدها وانظر أحكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص ٥٣٠.

(٤) الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين ص ٥١٧ وما بعدها وانظر أحكام الأحـــوال الشـــخصية لغـــير المسلمين ص ٥٣٠.

(٥) الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين ص ٥١٧-٥١٨.

والارثذوكس لم يتفقوا على رأي والأقباط لهـم قـولان:

- **الكراهية والحرمة:** والأقوى الأول، أما السريان فقـد ورد عنـهم مـا يفيد المنع أما الكاثوليك فيفرقوا ما بين نوعي الرهبنة وهما الرهبنـة البسـيطة الـتي ينقطع فيها الشخص بينه وبين نفسه بسلوك حياة البتوليـة وليـس أمـام الكنيسـة وهو محرم أي أن الزواج يكون صحيحا قانونا ولكنه حـرام ديانـة إلا إذا أصـدر المرجع الديني الأعلى (الكرسي الرسـولي) يقضـي بـالبطلان أمـا الثـاني فـهو الرهبنة الاحتفالية أو النذر الرسمي وهو باطل قانونـا وديانـة.

٤- الارتباط بزواج قائم

اتفقت جميع المذاهـب المسـيحية علـى بطـلان تعـدد الأزواج أو تعـدد الزوجات فلو عقد شخص زواج آخر مع قيام زوجـة سـابقة صحيحـة فيعتـبر الزواج الثاني باطلا أما لو كان زواجه الأول باطلا فأنـه يصبـح الـزواج الثـاني صحيحا- إلا أن الكاثوليك أعطوا امتيازا سموه (امتيـاز الإيمـان) وهـو أنـه قـد يحدث أن يعقد شخص مؤمن مسيحي زواجا مع شخص آخر غـير مؤمـن فأنـه يجوز للزوج المؤمن أن يعقد زواجا آخر مع شخص ثان مؤمـن وفي هـذه الحالـة ينحل الزواج الأول لمجرد الزواج الثـاني [١].

٥- العدة

لم تتعـرض الشـرائع المسـيحية للعـدة أو تشـر إليـها سـوى شـريعة الارثذوكس وخاصة الأقباط منهم فاسموها مدة الحزن لمـن تـوفى عنـها زوجـها وحددت العدة للمرأة بعشرة أشهر للتأكد من خلو المـرأة مـن الحمـل ولحفـظ ذكرى الزوج بحيث لو تزوجت – بعـد ثبـوت عـدم حملـها – يعـد الـزواج

(١) الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين ص ٥١٨ وما بعدها / انظر أحكام الأحـوال الشـخصية لغـير المسلمين ص ٥٣١ وما بعدها.

مستقيماً وليس باطلا[1].

ونفس الحكم لدى الروم الارثذوكس الذين حددوه بثلثمائة يوم ويوجبون تقليل المدة إذا ولدت المرأة بعد وفاة زوجها[2].

والسريان حددوا العدة بعشرة أشهر للمرأة وأربعين يوماً للرجل[3]، وطائفة الروم حددته بعشرة أشهر أيضا[4]، أما الكاثوليك فلم يستوجبوا مضي مدة معينة عقب انتهاء الزواج فالزواج الكاثوليكي ينتهي بالتطليق ولكن هذا لا يبرر السكوت المطلق فهو أمام حقيقة الحفاظ على الأنساب ومنع اختلاطها، لذا رأى الأقباط منهم تحديد مدة عشرة أشهر كعدة للمتوفي عنها زوجها [5].

اما الإنجيليون فقد سكتوا عن ذلك ولم يطلبوا مدة معينة واكتفوا بالحفاظ على الأنساب ومنع اختلاطها[6].

٦- العجز الجنسي

وهو استحالة قيام الجماع على الوجه العادي وأسبابه لدى الرجل كثيره أهمها الخصاء والجب والخنوثة والعنة (العضوية).

أما عند المرأة فيمثلها انسداد الجهاز (الرتق) العظم الزائد المانع للاتصال الجنسي. ضيق فتحة الرحم. ولكي يمتنع انعقاد الزواج لابد من توافر شروط

---

(١) الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين ص ٥٢٢-٥٢٣ أحكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص ٥٢٥ وما بعدها.

(٢) الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين ص ٥٢٣/أحكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص ٥٣٥-٥٣٦.

(٤) الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين ص ٢٥٢/أحكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص ٥٣٦.

(٥) الأحوال الشخصية لوطنيين غير المسلمين ص ٢٥٢/ أحكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص ٥٣٧.

(٦) الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين ص ٥٢٦/ أحكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص ٥٣٨٠.

محددة وهي: الأول أن يكون العجز سابقا للزواج وليس لاحقا عليه والثاني أن يكون العجز لا يرجى اشفاؤه والثالث أن يكون العجز جسيما[1].

وقد أقرت جميع شرائع الارثذوكس مانع العجز الجنسي عدا شريعة الروم فهي لم تورده كمانع وإنما جعلته سببا[2] للتطبيق حتى ولو كان سابقا على الزواج[3].

وأما الكاثوليك فاعتبرته مبطلا للزواج أما العجز اللاحق على الزواج فلا يعطله[4]، كما يذهب إلى رأيهم الانجيليون.

٧- الحشمة

وهو نوع من أنواع مانع القرابة الناشئة عن المصاهرة وهو معروف عند الطوائف الكاثوليكية فقط[5] ولا اعتبار له عند غيرهم من الارثذوكس والانجيليون، وقد حصره الكاثوليك في صورتين أولهما الزواج الباطل وثانيهما حالة المعاشرة سفاحا بطريقة علنية ففي الصورة الأولى لا يهم ما إذا كان هذا الزواج الباطل مكتملا أم غير مكتمل فيبطل الزواج من الخط المستقيم بين الرجل وأقارب المرأة الدعويين غير الدمويين وبالعكس.

وصورته لو عقد زواج بين شخصين وبطل حصل الدخول أم لم يحصل، والصورة الثانية حالة قيام علاقة جنسية ظاهرة بين رجل وامرأة بحيث يعتقد

---

(١) انظر تفصيل ذلك الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين ص ٥٢٨ وما بعدها .

(٢) الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين ص ٥٣١.

(٣) الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين ص ٥٣١ انظر أحكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص ٥١١ وما بعدها.

(٤) الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين ص ٥٣٢ في الحقيقة هناك تفصيلات كثيرة في هذا انظر أحكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص ٥١١ وما بعدها.

(٥) الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين ص ٥٤٠ أحكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص ٥٦٤.

الناس أنهما زوجان في حين أنهما ليسا كذلك وتسمى حالة (التسري المشتهر).

٨-السن

حدد القانون الكنسي للمذاهب المسيحية جميعا حد أدنى للسن لا يصح الزواج قبل بلوغه ولما كان تحديد السن للزواج يقوم على اعتبارات اجتماعية بحته فأنه يختلف دائما من جهة إلى أخرى ومن زمان إلى آخر ولكن عامل القدرة على التمييز والعقل يجمع الفقهاء على توافره في الشخص الذي يريد الزواج لأن الرضا بالزواج ركن لازم لقيامه يستلزم وجود التمييز فلا ينعقد زواج المجنون أو الصبي غير المميز(١).

والأقباط من الارثذوكس يحددون سن (١٨) ميلادية للرجل والمرأة ١٦ سنة ميلادية (٢)، (والروم يشترطون سن المرأة ١٢ سنة والرجل ١٨ سنة والسريان ١٨ ميلادية للرجل و ١٤ للمرأة)(٣).

والكاثوليك بصفة عامة يحددونه للرجل بست عشرة سنة ميلادية وأربع عشرة للمرأة وكذلك عند الانجيليين ولو أنهم أخذوا الآن بسن أعلى للرجل فاشترطوا بلوغه ١٨ سنة ميلادية و١٦ للمرأة(٤).

ويحق للرئيس الديني الإعفاء من قيد السن عن طريق ما يسمى بالتفسيح من المانع(٥)..

---

(١) أحكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص٤٩٧.

(٢) أحكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص ٤٩٧.

(٣) هامش رقم (٢) ص ٤٩٧.

(٤) أحكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص ٤٦٧-٤٩٨.

(٥) أحكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص ٤٩٩.

المبحث الثاني
الحقوق الزوجية والولاية الشرعية

المطلب الأول
حقوق الزوج على زوجته

الشريعة المسيحية شأنها في ذلك شأن الشرائع الأخرى - فقد جعلت الرئاسة الدينية للرجل وحثت المرأة على الخضوع له وطاعته مستمدة من الإنجيل في رسم العلاقة بين الرجل والمرأة، فقد جاء في رسالة بولس الرسول إلى مؤمني أفسس (أيتها الزوجات اخضعن لأزواجكن كما للرب فأن الزوج هو رأس الزوجة كما أن المسيح أيضاً هو رأس الكنيسة وهو نفسه مخلص الجسد فكما أن الكنيسة قد أخضعت للمسيح فكذلك الزوجات أيضاً لأزواجهن في كل شيء)[(١)].

والأسرة لا بد لها من يقودها ويعهد إليه بمقاليد الأمور فتكون له الرئاسة وهو الرجل، وهو بدوره يراعي ما تقوم به الزوجة من دور ريادي في الأسرة يجب أن يكون مكملاً لدوره لا تضار فيه فيصبح للزوج والزوجة حقوقاً والتزامات تجاه بعضهما البعض وليس معنى أن الرئاسة للزوج يلغي دور المرأة ويجعله هامشياً بل أن دوره لا يكتمل إلا بتوافق وتناغم آرائه مع ما تطرحه المرأة من مفاهيم تجعل الحياة الزوجية أكثر سعادة وبهاءً لما يأمرها به

---

(١) رسالة بولس إلى مؤمني افسس ٥ : ٢٢-٢٥.

من أوامر شرعية أو منافية للشرع بل عليها طاعة فيما يستلزم القيام بالواجبات المناطة بها بحدود تلبية الرغبات والأعمال المشروعة فقط وقد وضعت المادة (٤٤) من مجموعة الأقباط الارثذوكس الحدود التي يجب على الزوجة أن تطيع زوجها فقالت :(يجب على المرأة أن تطيع زوجها فيما له عليها من حقوق الزوجية فكل ما يترتب للزوج على زوجته من حقوق ينشئها عقد الزواج يتعين على المرأة أن تطيعه في حدودها وعلى هذا يجب عليها أن تسكن معه وأن تتبعه إينما سار لتقيم معه في أي محل لائق يختاره لإقامته كما يكون عليها أن تحافظ على ماله وتعني بشؤون بيته وأولاده، وليس للمرأة أن تغادر بيته بغير أذنه إلا للضرورة أو الزيارة والديها مثلاً كما أنه ليس لها أن تخالط أحداً بغير أذنه كذلك)[١].

وجاء في رسالة بطرس الرسول ما نصه(كذلك أيتها الزوجات اخضعن لأزواجكن حتى وأن كان الزوج غير مؤمن بالكلمة تجذبه زوجته إلى الإيمان، بتصرفها اللائق بدون كلام وذلك حين يلاحظ سلوكها الطاهر ووقارها)[٢].

(١) أحكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص ٢٥٠.

(٢) رسالة بطرس الأولى ٣: ١-٣.

المطلب الثاني

حقوق الزوجة على الزوج

النفقة

تعريفها: هي كل ما يلزم للقيام بأود شخص في حالة الاحتياج من طعام وكسوة وسكن[(١)] وكذلك نفقة العلاج في حالة المرض[(٢)] يلتزم الزوج في الشريعة المسيحية بالأنفاق على زوجته من حين العقد، وهي واجبة حتى ولو كانت الزوجة موسرة، وإذا ما امتنع الزوج عن الإنفاق على زوجته رفعت الزوجة أمرها إلى القضاء الذي يجبره على تنفيذ التزامه بل وحبسه إذا لم يلتزم[(٣)] وهي بذلك شبيهة بأحكام الشريعة الإسلامية.

والنفقة واجبة[(٤)]:

١- بين الزوجين

٢- بين الآباء والأبناء

٣- وبين الأقارب

وحتى تستحق الزوجة نفقتها يجب أن تكون محتبسة في بيت الزوجية أو مستعدة للاحتباس في منزل الزوجية لكي تؤدي التزاماتها حيال زوجها المطالب بالإنفاق عليها وإذا رفضت الاحتباس في البيت فأنها لا تستحق النفقة، ولا تستحقها أيضاً إذا امتنعت

---

(١) أحكام الأسرة ص ٥٤٢ / أحكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص ٢٤٠.

(٢) أحكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص ٢٤٠ / شرح تشريعات الأحوال الشخصية ص ٦٢٠.

(٣) أحكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص ٢٤١/أحكام الأسرة ص٥٤٣.

(٤) أحكام الأسرة ص ٥٤٢-٥٤٣/شرح تشريعات الأحوال الشخصية ص ٦٢٠.

لأي سبب غير مشروع أو معقول للانتقال معه إلى منزل الزوجية أو مكان محل إقامته أو امتنعت من تسليم نفسها لزوجها بدون حق.

وقد نصت المادة الثانية من قانون الأحوال الشخصية المصري لغير المسلمين رقم (١٠٠) لسنة ١٩٨٥ على أنه (لا تجب النفقة للزوجة إذا ارتدت أو امتنعت مختارة عن تسليم نفسها بدون حق حتى لو اضطرت إلى ذلك بسبب ليس من قبل الزوج)[١].

وإذا ما توافرت أسباب العمل للزوجة خارج البيت فهل تستحق من زوجها النفقة الزوجية باعتبار أن التحاقها بالعمل للمساعدة على المعيشة ومتطلبات الحياة، ولكي تساعد زوجها على نفقات البيت والأولاد ما لم يشوب هذا العمل اخلالاً بالتزاماتها الأدبية تجاه زوجها.

ففرّقت المحاكم بين موافقة الزوج على عمل زوجته خارج البيت وعدم موافقته على عمل زوجته فإذا وافق الزوج على عمل زوجته خارج المنزل و لم يبد اعتراضاً فللزوجة النفقة كاملة غير منقوصة أما إذا اشتغلت الزوجة بدون رضى زوجها رغم اعتراضه على عملها، فأنها تصبح ناشزة وتسقط حينئذ نفقتها.

ولكن المادة المشار إليها اقتضت بأنه (لا يعتبر سبباً لسقوط نفقة الزوجة خروجها عن مسكن الزوجية، بدون أذن زوجها في الأحوال التي يباح فيها ذلك بحكم الشرع أو يجري بها العرف، أو عند الضرورة)[٢].

وتدخل ضمن اختصاصات المحاكم المذهبية مراعاة الزوج لمرض زوجته، فيجب عليه معالجتها وتطبيبها إذا ما أصيبت بمرض أو جنون فذلك من الالتزامات الزوجية[٣].

---

(١) أحكام الأحوال الشخصية ص ٢٤١ هامش رقم (١)، أحكام الأسرة ص ٥٤٣/انظر شرح تشريعات الأحوال الشخصية ص ٦٢٠.

(٢) أحكام الأحوال الشخصية ص ٢٤١ هامش (٢).

(٣) أخذت بذلك المحاكم المحلية عملاً بالمادة ١/٣ من قانون ٢ نيسان ١٩٥١ في لبنان استئناف بيروت في ٢ ك س ١٩٦٤.

ويباشر الزوج الإنفاق بنفسه على زوجته حال قيام الزوجية فأن اشتكت بخله في الإنفاق عليها وثبت ذلك تقدر لها النفقة وتعطى لها لتنفق على نفسها[١].

والأصل أن يقوم الزوج بما يلزم من إنفاق على زوجته من طعام أو كسوة وغير ذلك من النفقات كالسكنى معه ولكن في بعض الأحيان تطلب الزوجة باستلام النفقة بيدها كي تنفق هي منها على نفسها وعلى بيتها بسبب مماطلة الزوج في الانفاق، عندها تجاب إلى طلبها وتسلم إليها النفقة[٢]، وربما يعمد الزوج - بسبب سوء تصرفه - إلى عدم تحقيق احتباس الزوجة كي يجبرها بفعله هذا على الخروج من البيت ليسقط نفقتها، ففي هذه الحالة ترفع الزوجة أمرها إلى القضاء ليحكم لها بالنفقة من طعام وكسوة وسكنى.

يعتبر حق النفقة حق شخصي فلا يجوز لورثة من تقرر له النفقة المطالبة بالمتجمد منها[٣].

أما أساس تقدير النفقة فيعتمد على قدر حاجة من يطلبها ويسار من يجب عليه أداؤها[٤].

فالنفقة المقدرة تتغير من فترة لأخرى بتغير أحوال الطرفين يسرا وعسرا. فإذا ما أصبح حال الزوج الملزم بالنفقة لا يستطيع معها اداءها أو أنه لا يستطيع النفقة لعلة مشروعة بالمرض وفي مقدور زوجته العمل والانفاق عندها تجب عليها النفقة لزوجها المعسر الغير قادر على الكسب.

ويحق لمن يتقاضى النفقة وهو غير محتاج لكل ما قدر له أو بعضه جاز له طلب إسقاط النفقة أو تخفيض قيمتها كذلك الحال في المقابل إذا ما زاد يسار الشخص

---

(١) أحكام الأسرة ص ٥٤٣/انظر شرح تشريعات الأحوال الشخصية ص ٦١٩ وما بعدها.

(٢) أحكام الأحوال الشخصية ص ٢٤٢/ شرح تشريعات الأحوال الشخصية ص ٦١٩.

(٣) أحكام الأسرة ص ٥٤٣/ أحكام الأحوال الشخصية ص٢٤٧.

(٤) أحكام الأحوال الشخصية ص ٢٤٢/ أحكام الأسرة ص ٥٤٢

الملزم بالنفقة أو زادت حاجة المقضى له جاز الحكم بزيادة قيمتها[1].

وإذا أثبت الشخص الملزم بالنفقة أنه لا يستطيع دفع النفقة نقداً فللمجلس الملي أن يأمره بأن يسكن في مترله من تجب نفقته عليه وأن يقدم له ما يحتاجه من طعام وكسوة[2].

أن النفقة تعتبر ديناً في ذمة الزوج لا يسقط إلا بالأداء أو بالإبراء، وتستحق الزوجة النفقة من الوقت الذي امتنع فيه الزوج عن الإنفاق عليها، ويصح إبراء المدين من دين النفقة إذا ما تنازلت الزوجة عن حقها هذا له.

ولا تستحق الزوجة الناشز النفقة ابتداءً من يوم نشوزها.

النفقة بين الآباء و الأبناء وبين الأقارب:

تجب النفقة على الأب لولده الصغير الذي ليس له مال سواء كان ذكراً أو أنثى إلى ان يبلغ الذكر حد الكسب ويقدر عليه، وبالنسبة للأنثى إلى أن تتزوج، وكذلك الحال في نفقة الأب على الولد الكبير الفقير الذي لا يستطيع الكسب ونفقة الأنثى الكبيرة الفقيرة ما لم تتزوج[3].

وأن عجز الأب عن الإنفاق لعلة المرض أو غيرها عندها تجب النفقة على الأم إذا كانت موسرة فأن عجز الأبوان عن النفقة وكان معدمين أو معسرين تجب النفقة عندئذ على الجد والجدة لأم ثم الجد لأم وعند عدم وجود الأصول أو إعسارهم تجب النفقة على الأقارب[4].

ويقرر المجلس القضائي النفقة للأم إذا اشتكت من عدم إنفاق الأب أو تقتيره

---

(١) أحكام الأسرة ص ٥٤٢/أحكام الأحوال الشخصية ص٢٤٣.

(٢) أحكام الأسرة ص ٥٤٢/انظر شرح تشريعات الأحوال الشخصية ص ٦١٩ وما بعدها.

(٣) أحكام الأسرة ص ٥٤٣/ شرح تشريعات الأحوال الشخصية ص ٦٢١.

(٤)أحكام الأسرة ص ٥٤٣/ شرح تشريعات الأحوال الشخصية ص ٦٢١.

على الولد فيأمر بإعطائها لأمه لتنفق عليه(١)، وتجب النفقة على الولد الموسر كبيراً كان أم صغيراً ذكراً او اثنى نفقة والديه واجداده وجداته الفقراء ولو كانوا قادرين على الكسب(٢).

إذا لم يكن لمستحق النفقة أصول ولا فروع قادرين على الإنفاق عليه فتجب نفقته على أقاربه على الترتيب الآتي(٣):

١- الأخوة والأخوات لأبوين.

٢- الأخوة والأخوات لأب.

٣- الأعمام والعمات.

٤- الأخوال والخالات.

٥- أبناء العم والعمات.

٦- أبناء الأخوال والخالات.

ولا عبرة بالأرث في النفقة بين الأباء والأبناء ولا بين الأقارب بل تعتبر درجة القرابة بتقديم الأقرب فالأقرب، فإذا أتحد الأقارب في الدرجة تكون النفقة عليهم بنسبة يسار كل منهم، وإذا كان من تجب عليه النفقة معسراً او غير قادر على إيفائها بتمامها فيلزم بها أو بتكملتها من يليه في الترتيب(٤).

نفقة الغائب:

الغائب هو من لا يعرف مكانه ولا تعلم حياته من وفاته (٥) ولا يمكن احضارة

---

(١)أحكام الأسرة ص ٥٤٣/ شرح تشريعات الأحوال الشخصية ص ٦٢١.

(٢) أحكام الأسرة ص٥٤٣.

(٣)أحكام الأسرة ص ٥٤٤/ شرح تشريعات الأحوال الشخصية ص ٦٢١.

(٤)أحكام الأسرة ص ٥٤٤/ شرح تشريعات الأحوال الشخصية ص ٦٢١.

(٥) أحكام الأسرة ص٥٤٥/ أحكام الأحوال الشخصية ص٢٤٩.

إلى مجلس القضاء لمقاضاته سواء كان غائباً من البلد الذي توجد فيه زوجته أو متوارياً فيه، وسواء كانت غيبته قريبة أم بعيدة.

وبدءاً إذا غاب الزوج عن موطنه أو محل إقامته و لم تعرف أخباره لمدة تقدر بأربع سنين فأن لذوي الشأن - أي زوجته - أو أقاربه إذا لم يكن متزوجاً ان يطلبوا من المجلس الملي الحكم بإثبات غيبته.

فيقوم المجلس قبل إصدار حكمه بإثبات الغيبة بأن يأمر بتحقيق في دائرة المركز الذي به موطن الغائب والمركز الذي به محل إقامته أن كانا مختلفين، كما يراعي المجلس في القضية أسباب الغياب والظروف التي منعت من الحصول على أخبار الشخص الغائب فإذا ثبت غيبته و لم تعرف له أخبار حكم بإثبات غيبته وترتب على ذلك أحكاماً منها إذا كان للزوج الغائب مالاً وترك زوجة فأن من حقها أن تطلب من المجلس الملي أن يفرض لها نفقة بعد أن تثبت في دعواها صحة ما تدعي فأن صدقها المجلس أمر لها القاضي بنفقة في مال زوجها.

وكذلك الحال بالنسبة للولد الذي يملك مالاً وترك والدين له في الحياة عاجزين عن العمل لكبر السن أو عدم القدرة على الكسب فيتصرف القاضي وفق ما تقدم ويصدر لهم حق النفقة من مال ولدهم[1].

النفقة المؤقتة:

وتفرض حال قيام سبب استحقاق النفقة وتوافر شروطه، فإذا ما رفع المتضرر بالنفقة دعوى ضد من عليه النفقة فمن حق القاضي أن يفرض في مدى أسبوعين على الأكثر من تاريخ رفع الدعوى نفقة مؤقتة (بحاجتها الضرورية) بحكم غير مسبب

---

(١) أنظر أحكام الأحوال الشخصية ص٢٤٧-٢٤٨/أحكام الأسرة ص٥٤٤.

واجب النفاذ فوراً إلى حين الحكم بالنفقة بحكم واجب النفاذ[1].

أن استصدار القاضي بأمر النفقة المؤقتة أنما جاء بعد قيام القاضي بالتحقق من قيام سبب استحقاقها وتوافرت شروط هذا الاستحقاق إذ يتعلق الأمر بمسألة إجرائية يقوم بها القاضي مراعاة للظرف المبسوط أمامه ومن تلقاء نفسه .

المطلب الثالث

الحقوق المشتركة بين الزوجين

تترتب على عقد الزواج الصحيح اثار مشتركة بين الزوجين يجب احترامها من كليهما. فعقد الزواج يجعل من أقارب أحد الزوجين أقارب للزوج الآخر وعليهما احترام هذه القرابة.

وتترتب كذلك أن يرث أحد الزوجين الآخر إذا مات قبله وبه يثبت نسب الأولاد الذين تأتي بهم الزوجة من زوجها بعد قيام الزوجية.

وقد نصت المادة (أربعون) من أحكام الأسرة للمسيحيين أنه يجب لكل من الزوجين على الآخر الأمانة والاحترام والمعاونة على المعيشة والخدمة عند المرض والمساندة في مجابهة الحياة وما ينطوي ذلك عليه من واجب المساكنة وحسن المعاشرة والمخالطة الجسدية.

وقد ركزت التشريعات المسيحية على واجب حسن المعاشرة بين الأزواج باعتباره هو الأساس لسعادة الإنسان في ظل أسرته لذلك فأن كل الشرائع المختلفة للطوائف المسيحية تحث عليه وتطلب الالتزام به والتقيد بفحواه وهو التزام تقتضيه طبيعة الأمور الحياتية وقد نصت على ذلك التعاليم المسيحية إذ تقول (احتملوا

---

(١) أحكام الأحوال الشخصية ص٢٤٨.

بعضكم أيها العبيد أبناء الله ليحتمل الرجل امرأته و لا يكون متعاظما ولا وجاها (ذو وجهين) ولا مرائيا، بل يكون رحيما ومستقيما ومسرعا أن يرضى امرأته وحدها ويلين معها بكرامة ويكون محبا لها)[1].

وفي المقابل على الزوجة أن تكون ودودة مع زوجها مطيعة له ، وقد حثت التعاليم المسيحية المرأة على ذلك بقول الرب(وإلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك)[2].

وتقول المادة إحدى وأربعون المتعلقة بالحقوق الزوجية بين الأزواج وواجباتهم (يجب على الزوج حماية زوجته ومعاملتها بالمعروف ومعاشرتها بالحسنى ويجب على المرأة إطاعة زوجها فيما له بجبها من حقوق الزوجية والمحافظة على ماله وملاحظة عليها شؤون بيته وعليهما العناية بتربية أبنائهما تربية صالحة كريمة)[3].

وجاء على لسان بطرس الرسول بخصوص حسن المعاشرة: (والنهاية كونوا جميعا متحدين في الرأي متعاطفين بعضكم مع بعض مبادلين أحدكم الآخر المحبة الأخوية شفوقين متواضعين لا يتبادلوا الشر بشر ولا الشتيمة بشتيمة ، بل العكس، باركوا، فترثوا البركة لأنه لهذا دعاكم الله)[4].

ويقول بطرس الرسول أيضا في رسالة إلى أهل افسس (أيها الأزواج احبوا زوجاتكم مثلما أحب المسيح الكنيسة وبذل نفسها لأجلها... وعلى هذا المثال يجب على الأزواج أن يحبوا زوجاتهم كأجسادهم أن من يحب زوجته يجب نفسه فلا أحد يبغض جسده البته بل يغذيه ويعتني به لذلك يستقل الزوج عن أبيه وأمه ويتحد

---

(١) أحكام الأحوال الشخصية يقر المسلمين ص٢٣٤.

(٢) المصدر السابق ص ٢٣٤-٢٣٥.

(٣) أحكام الأسرة ص٥١٣.

(٤) رسالة بطرس الأولى ٣: ٨ من كتاب (الأنجيل كتاب الحياة). الطبعة السابعة (NAV Copyright) ١٩٩٨م.

بزوجته فيصير الأثنان جسداً واحداً... ليحب كل واحد منكم زوجته كنفسه وأما الزوجة فعليها أن تهاب زوجها)[1].

أن التزام الزوجة بطاعة زوجها هو التزام روحي وأدبي لا أكراه فيه ولا إجبار وإنما هو نابع من روح المحبة التي يضفيها الزوج على زوجته فتبادلة الشعور ذاته[2].

ولكن إن جدّ الخلاف والشقاق بين الزوجين فأنه سيؤدي إلى نتائج وخيمة ويلحق بالطرف الآخر إيذاء جسيماً قد يؤدي إلى الانفصال الجسماني عند الطوائف الكاثوليكية أو إلى الطلاق عند الطوائف التي تتخذ منه سبباً للتطليق.

ومن الحقوق المشتركة بين الزوجين حق المساكنة وما يستتبع ذلك من واجبات مشتركة تتمثل بتهيئة الزوج منزل الزوجية وأن يقوم بالانفاق على احتياجاتها المعيشية قدر طاقته[3].

ومن جانب الزوجة فأن عليها لزوجها حق الطاعة وهو التزام روحي وأدبي لا يجوز معه إكراه الزوجة بالقوة الجبرية على الإقامة في منزل الزوجية عند الخلاف [4].

ولما كانت الشريعة المسيحية قد جعلت حق رئاسة الأسرة للرجل فعليه أن يرتب لأسرته اختيار المسكن الملائم لسكن زوجته التي تتبعه فيه لتسكن معه ويظل له هذا الحق طالما بقي هو رب الأسرة والمسؤول الأول عنها فإذا ما انعدمت أهليته لعارض من عوارض انعدام الأهلية كالجنون فتتولى الزوجة مسؤولية إدارة شؤون أسرتها[5].

وهذا ما نصت عليه بعض القوانين كالقانون الفرنسي الذي يرى أن المسكن

(١) رسالة بطرس إلى مؤمني افسس: ٥: ٢٥ و ٢٨و ٢٩و ٣٠و ٣٢و ٣٣.

(٢) انظر المادة ٤٣ من أحكام الأسرة ص٥١٣

(٣) انظر المادة ٤٤ من أحكام الأسرة ص ٥١٣.

(٤) أحكام الأسرة المادة ٤٣.

(٥) أحكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص ٢٣٥.

الشرعي يجب أن يكون مناسبا لحال الزوجين لائقا للإقامة فيه فأن كان غير صحي ويضر بالصحة لا يعد مترلا شرعيا وكذلك الحال أن كان المترل يعرض الأسرة للخطر أيا كانت هذه المخاطر أدبية أو معنوية أو مادية فأن اختلفت الزوجة مع الزوج حول طبيعة المسكن حق لها رفع أمرها إلى القضاء لكي يصرح لها بعدم متابعة الزوج في ذلك المسكن غير الشرعي ويحدد لها القضاء المسكن الملاءم[1].

ولا تجبر الزوجة على إسكان أحد معها في البيت الذي يشترط فيه أن يكون مستقلا ولو كان من أهل زوجها سوى أولاده من غيرها ما لم يأمر القضاء بغير ذلك[2].

تقول المادة الثانية والأربعون من أحكام الأسرة: ولا يجوز إقامة أي من والدي الزوجين معهم في المترل بدون رضائهما إلا إذا كانا غير قادرين على المعيشة بمفردهما بسبب الشيخوخة أو المرض ويجوز للمحكمة أن ترخص للزوجة بناء على طلبها بالإقامة في محل آخر إذا اقتضت مصلحة الأسرة أو الأولاد ذلك[3].

وإذا ما اتم الزوج متطلبات بيت الزوجية كاملة وامتنعت الزوجة من مساكنة الزوج في بيت الزوجية فيحق للزوج عندها أن يدعوها إلى تنفيذ التزاماها بالمساكنة فإذا رفضت اعتبرت ناشزا ويترتب على ذلك سقوط حقها في النفقة[4].

ولا يعد امتناع الزوجة عن مساكنة زوجها في بيت الزوجية غير الشرعي نشوزا من جانبها لأنها تملك سببا مشروعا يبرر هذه الممانعة، ويحق لها اللجوء إلى القضاء ليقرر لها حق الانتقال إلى مكان آخر، فأن أبى الزوج متابعتها كان مخلا بالتزاماته

---

(١) أحكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص٢٣٧.

(٢) أحكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص ٢٣٧.

(٣) أحكام الأسرة ص ٥١٣ المادة ٤٢.

(٤) أحكام الأحوال الشخصية ص ٢٣٨.

ويترتب عليه الانفاق على زوجته[1].

وإذا ما رفض الزوج معاونة زوجته في ظل الحياة الأسرية الزوجية التي تتطلب المساعدة والمعاونة أو لسوء معاملة الزوج بتصرفات تخل بالآداب أو الحشمة أو المساس بكرامة الزوجة يحق لها حينئذ عدم مساكنته وتلزمه بالنفقة.

ومن اغراض الزواج الرئيسية في ظل المساكنة الشرعية حق المخالطة الجسدية الذي يقابله حق كل من الطرفين في الاتصال بالطرف الآخر على الوجه المشروع.

فلا يجوز لاحد منهما الامتناع عن الآخر إلا لسبب مشروع مثلما هي الحال في أيام الحيض والنفاس عند المرأة، ولا يحق للزوج الاتصال بغير زوجته جماعا فالزنى محرم وهذا ما تمليه طبيعة الزواج المسيحي من حيث وحدة الزواج فأن خان أحدهما الآخر باتصاله بالغير سواء الرجل أو المراة فأنه يعتبر أخلالا بما يجب عليه من الإخلاص والوفاء للزوج الآخر وهذا من شأنه أن يؤدي إلى الانفصال الجسماني أو التطليق، وكذلك الحال فيما لو اتصل أحدهما أو تزوج أحدهما بزوج آخر حال قيام الزوجية لأن هذا الزواج الثاني يعد زنا في الشريعة المسيحية التي لا تتيح الزواج بأكثر من زوجة واحدة.

ونصت المادة السادسة والأربعون من قانون الأحوال الشخصية المنظم للحقوق الزوجية على أن الارتباط الزوجي لا يوجب اختلاط الحقوق المالية لكلا الزوجين بل تظل ذمة كل من الزوجين المالية منفصلة فيحق للزوجة التصرف بأموالها الخاصة دونما تدخل من الزوج وكذلك الحال بالنسبة للزوج في أمواله الخاصة عدا مال النفقة المخصص لعائلته بما يغطي احتياجاتهم الأساسية ويوفر لهم الحياة الكريمة التي تناسب مستواهم الاجتماعي[2].

---

(١) أحكام الأحوال الشخصية ص ٢٣٨.

(٢) انظر المادة ٤٦ من أحكام الأسرة ص ٥١٣.

المطلب الرابع

المهـــر

لا يعتبر المهر في الشريعة المسيحية ركنا من أركان الـــزواج ولا شـــرطا مـــن شروطه[1]، فكما يجوز تسمية المهر في الخطبة يجوز أيضا عدم تسميته، ويحق للطرفـــين نفي المهر وهي بذلك تخالف الشريعة الإسلامية في احتسابه حقا للمـــرأة لا يســـقط بتركه أو الاتفاق على نفيه – وقد يسمى للزوجة عند الخطبة مهرا يتفق عليه الطرفـــان وبذلك يصبح حقا لها وبمجرد الأكليل في الزواج الصحيـــح – وإذا مـــا تم الـــزواج الصحيح استحقت المرأة المهر وقد يدفع كله كما قد يدفع بعضه وإنما ذلـــك يتبـــع العرف الجاري بين الأفراد والمتجمعات.

والمرأة الرشيدة تستلم مهرها بيدها ولا يجوز لغيرها قبض مهرها إلا بتوكيل منها وللولي أو الوصي أن يقض مهر القاصر[2].

ولها أن تتصرف به كيفما شاءت متى كانت رشيدة وإذا ماتت قبل أن تســـتوفي جميع مهرها كان لورثتها مطالبة الزوج أو ورثته بما يكون باقيا في ذمته من المهر بعـــد إسقاط يصبح نصيب الزوج الذي يئول إليه بالميراث[3].

وفي حالة بطلان الزواج يحكم القاضي أن كان السبب أتيا مـــن قبـــل الرجـــل وكانت المرأة تعلم به فلا مهر لها. وإن كانت لا تعلم به فلها مهرها[4].

---

(١) أحكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص ٢٣٢/أحكام الأسرة ص ٥٣٦.

(٢) أحكام الأسرة ص ٥٣٦/أحكام الأحوال الشخصية ص ٢٣٢.

(٣) أحكام الأحوال الشخصية ص ٢٣٢/أحكام الأسرة ص ٥٣٦.

(٤) أحكام الأسرة ص ٥٣٦.

أما إذا كان السبب في البطلان أتيا من الزوجة والرجل يعلم به فلها أن تستولي على مهرها وأن لم يكن عالما به فلا حق لها في المهر[1].

ويكون من حق المرأة الاستيلاء على مهرها إذا كان الحكم بالطلاق بسبب الفسخ قهريا، أي لا دخل لإرادة أحد من الزوجين فيه. أما إذا كان سبب الفسخ غير قهري فأن كان آتيا من قبل الرجل فللمرأة الحق في أخذ مهرها، وأن كان اتيا من قبل المرأة فلا حق لها في المهر[2].

أما فيما يخص الجهاز [3] وهو ما تأتي به المرأة إلى بيت الزوجية من ملابس ومصاغ وامتعة من مالها الخاص أو من مال أبيها فهذه الأموال تعتبر ملك للزوجة وحدها فلا حق له في شيء منها، وإنما له حق الانتفاع بما يوضع منه في مترل الزوجية، وإذا ما اغتصب شيئا منه حال قيام الزوجية أو بعدها فللزوجة مطالبته برده أو بقيمته[4].

والمرأة لا تجبر على تجهيز مترل الزوحية من مهرها ولا من غيرها فلو زفت بجهاز قليل لا يليق بالمهر الذي دفعه الزوج أو بلا جهاز أصلا فليس له مطالبتها ولا مطالبة أبيها بشيء منه ولا ينقص شيء من مقدار المهر الذي تراضيا عليه[5].

أما بالنسبة للأموال التي تعطيها المرأة أو شخص آخر من أجلها للزوج بمناسبة الزواج لتخفيف أعباء الحياة الزوجية وتعرف باسم (الدوطة) وقد تكون هذه الأموال عقارات أو منقولات أو يكون محلها أموالا حاضرة أو مستقبلية فأن تلك الأموال

(١)أحكام الأسرة ص ٥٣٦.

(٢)أحكام الأسرة ص ٥٣٦.

(٣) شرح تشريعات الأحوال الشخصية ص ٦٢٧.

(٤) شرح تشريعات الأحوال الشخصية ص ٦٢٧/ أحكام الأسرة ص ٥٣٧.

(٥) أحكام الأسرة ص ٥٣٦.

تخضع لاتفاق الطرفين والعرف الجاري بين أبناء الطائفة التي ينسب إليها الزوجان[١].

والدوطة ليست ركنا من أركان الزواج ولا شرطا من شروطه وهي ليست أثـرا مترتبا عليه كما أن عدم الوفاء بها لا يترتب عليه فسخ الزواج ولكنه يقوم صحيحـا مرتبا لإثاره ومنها التزام الزوج بنفقة زوجته[٢].

وإذا اشترى الأب لابنته القاصر في حال حياته جهازا ملكته بمجرد شرائه وليـس له ولا لورثته أخذ شيء منه[٣] وإذا جهز الأب ابنته من مهرها وبقي عنده شئ منـه فلها مطالبته به[٤].

وفي حالة اختلاف الزوجين حال قيام الزوجية أو بعد الفسخ في متاع موضـوع في البيت الذي يسكنان فيه فحكمه أن ما يصلح للنساء عادة فهو للمرأة إلا أن يقيـم الزوج البينة على أنه له وما يصلح للرجل أو يكون صالحا لهما فهو للزوج ما لم تقـم المرأة البينة على أنه لها [٥].

وإذا توفي أحد الزوجين ووقع نزاع في متاع البيت بين الحي وورثة الميت فمـا يصلح للرجل والمرأة يكون للحي منهما عند عدم البينة[٦].

---

(١) أحكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص ٢٣٢-٢٣٣.

(٢) أحكام الأحوال الشخصية ص ٢٣٣.

(٣) أحكام الأسرة ص ٥٣٦.

(٤) أحكام الأسرة ص ٥٣٧.

(٥) أحكام الأسرة ص ٥٣٧/شرح تشريعات الأحوال الشخصية ص ٦٢٧.

(٦) أحكام الأسرة ص ٥٣٧/شرح تشريعات الأحوال الشخصية ص ٦٢٧.

المطلب الخامس

الحضانـــة

هي حفظ الصغير وتربيته والقيام بشؤونه المادية والأدبية في سن معينة مناطـــــها مصلحة الصغير[1].

والحضانة للصغير تكون لأمه حتى بلوغه سن الحادية عشرة من عمره إذا كـــان ذكرا والثالثة عشرة أن كان انثى وبعدها يسلم إلى أبيه وعند عدمـــه يســلم إلى ولي نفسه. وإذا اقتضت مصلحة الصغير بقاءه مع أمه بعد هـــذه الســن إذا تنكــر الأب لواجباته الأبوية أثناء فترة الحضانة ، فللمحكمة أن تقضي بذلك[2]، ولهم رأي آخر في سن البلوغ الذي تنتهي به مدة الحضانة ذكرناه في صفحة (٥٧).

وتأتي الجدة للأم في الحضانة بعد الأم ثم للجدة لأب ثم لأخوان الصغير إذ تقــدم الأخت الشقيقة ثم الأخت لأم ثم الأخت لأب ثم لبنات الأخوات بتقديم بنـــت الأخ لأبوين ثم لأم ثم لأب ثم لبنات الأخ كذلك ثم لخالات الصغير وتقدم الخالة لأبويــن ثم الخالة لأم ثم لأب ثم لعمات الصغير كذلك ثم بنات الخـــالات والأخــوال ثم لبنـــات العمـــات والأعمام ثم لخالة الأم ثم لخالة الأب ثم لعمة الأم ولعمة الأب بهذا الترتيب [3].

وفي حالة وفاة الأم يكون لأب الصغير الحق في اختيار حاضنته ممن له الحـــق في الحضانة دون التقيد بترتيب الحاضينن إذا كان الصغير يعيش في كنف والديه حتى وفاة الأم ولم تكن ثمة خصومات قضائية قائمة بينهما وكان في ذلك مصلحة الصغير[4].

---

(١) شرح تشريعات الأحوال الشخصية ص ٦٢٢.

(٢) شرح تشريعات الأحوال الشخصية ص ٦٢٢.

(٣) أحكام الأسرة ص ٥٤١/شرح تشريعات الأحوال الشخصية ص ٦٢٢.

(٤) شرح تشريعات الأحوال الشخصية ص ٦٢٢/ أحكام الأسرة ص ٥٤١.

وإذا لم يكن للصغير قريبة من النساء أهل للحضانة تنتقل إلى الأقارب الذكور ويقدم الأب ثم الجد لأب ثم الجد لأب ثم الأخ الشقيق ثم الأخ لأب ثم الأخ لأم ثم بنو الأخ الشقيق ثم بنو الأخ لأب ثم بنو الأخ لأم ثم العم الشقيق ثم العم لأب ثم العم لأم ثم الخال لأبوين ثم الخال لأب ثم الخال لأم ثم أولاد من ذكروا بهذا الترتيب[(١)].

وإذا تساوى المستحقون للحضانة في درجة واحدة يقدم أصلحهم للقيام بشؤون الصغير[(٢)].

ويشترط في الحاضن أو الحاضنة عدا الأبوين أن يكون قد تجاوز سن الرشد ويشترط في كليهما أن يكون مسيحيا عاقلا أمينا قادرا على تربية الصغير وصيانته وأن لا يكون مطلقا لسبب راجع إليه ولا متزوجا بغير محرم الصغير[(٣)].

وإذا قام لدى الحاضن أو الحاضنة سبب يمنع الحضانة سقط حقه فيها وانتقل إلى من يليه في الاستحقاق ومتى زال المانع يعود حق الحضانة إلى ما سقط حقه فيها[(٤)].

يشترط في الحاضنة أن تكون قد تجاوزت السادسة عشرة من عمرها وفي الحاضن أن يكون قد تجاوز سن الثامنة عشرة وأن يكونا مسيحيين عاقلين بالغين[(٥)].

ويحق لكل من الوالدين رؤية الصغير إذا كان في حضانة الآخر أو غيره، ويجوز له كذلك السماح بقضاء العطلات المدرسية او السنوية أو الأسبوعية مع الصغير وتحدد المحكمة ميعاد الرؤية ومدتها ومكانها والفترة المصرح بها من العطلات، وعليه – أي الوالدين أو حدهما – أن يعيد الصغير إلى حاضنته في الميعاد المحدد وإلا فقد حقه في

---

(١) أحكام الأسرة ص ٥٤١/شرح تشريعات الأحوال الشخصية ص ٦٢٢.

(٢) أحكام الأسرة ص ٥٤١.

(٣) شرح تشريعات الأحوال الشخصية ص ٦٢٣/أحكام الأسرة ص ٥٤١.

(٤) أحكام الأسرة ص ٥٤١/ شرح تشريعات الأحوال الشخصية ص ٦٢٣.

(٥) شرح تشريعات الأحوال الشخصية ص ٦٢٣/أحكام الأسرة ص ٥٤١.

هذا الطلب مستقبلاً[1].

وللمحكمة الحق بأن تقضى بتسليم الصغير لأبيه مباشرة بناء على طلبه إذا يثبت لديها أن في ذلك مصلحة للصغير كأن يثبت للمحكمة إهمال الأم في واجباتها تجاه الصغير أو انشغالها في أمور عملية أخرى مثل تركه لتربية الخدم أو أن صحته ساءت أو إلى غيرها من الأسباب المؤدية إلى تدهور صحة أو أخلاق الرضيع[2].

وللمحكمة أن تعين من تراه مناسباً للصغير إذا ما حصل نزاع على صلاحية الحاضنة أو الحاضن، ويكون لها ذلك أيضاً كلما رأت أن مصلحة الصغير تقتضي تخطي الأقرب إلى من دونه في الترتيب[3].

وإن لم يوجد مستحق أهل للحضانة أو وجد وامتنع عنها فمن واجب المجلس أن يعين امرأة تقية أمينة من أقارب الصغير أو من غيرهم[4].

وتعتبر أجرة الحضانة غير النفقة وهي تلزم أبا الصغير أن لم يكن له مال[5].

والزوجة ما دامت في عصمة زوجها لا تستحق الأجرة على حضانة طفلها، ولكن لها الحق في الأجرة إن كانت مطلقة[6].

ويلزم الأب الموسر بأجرة خادم أو مرضع إذا احتاج المحضون لذلك وغير الأم من الحاضنات لها الأجرة[7].

وإذا كان الصغير في حضانة أمه فلا يحق للأب أن يخرجه من بلد أمه بلا رضاها[8].

---

(١) شرح تشريعات الأحوال الشخصية – ص٦٢٣.
(٢) شرح تشريعات الأحوال الشخصية ص ٦٢٢.
(٣) شرح تشريعات الأحوال الشخصية ص ٦٢٣/أحكام الأسرة ص ٥٤٢.
(٤)أحكام الأسرة ص ٥٤٢ / شرح تشريعات الأحوال الشخصية ص ٦٢٣.
(٥)أحكام الأسرة ص ٥٤٢.
(٦)أحكام الأسرة ص ٥٤٢.
(٧)أحكام الأسرة ص ٥٤٢.
(٨)أحكام الأسرة ص ٥٤٢/ شرح تشريعات الأحوال الشخصية ص ٦٢٣.

وليس للأم المحكوم بتطليقها أن تسافر بالصغير الحاضنة له من محل حضانته بدون أذن أبيه إلا إذا كان هناك مصلحة للصغير في ذلك السفر كالعناية بصحته أو لضرورة مفاجئة أو كان انتقالها إلى محل إقامة أهلها أو عملها وأن يخطر بالأب بذلك[1]. ولهم رأي أخر في انتهاء مدة الحضانة ببلوغ الصبي سبع سنين وبلوغ الصبية تسع سنين، وحينئذ يسلم الصغير إلى أبيه وعند عدمه إلى من له الولاية على نفسه، فأن لم يكن له ولي ترك الصغير عند الحاضنة إلى أن يرى المجلس من هو أولى منه باستلامه[2].

أما إذا كانت الحاضنة غير الأم فلا يحق لها على أية حال أن تنتقل بالود من محل حضانته إلا بأذن أبيه أو وليه[3].

المطلب السادس

الولاية الشرعية

تعريفها : هي قيام شخص رشيد عاقل بشؤون القاصر أو من في حكمه سواء ما كان منها متعلقا بنفسه أو بماله[4].

وشرعا الولاية على النفس للأب[5] ثم لمن يوليه الأب قبل موته فأن لم يول أحدا فالولاية للجد الصحيح ثم للأم ما دامت لم تتزوج ثم للجد لأم ثم للأرشد من الأخوة الأشقاء ثم من الأخوة لأب ثم من الأخوة لأم ثم من الأعمام ثم من الأخوال ثم من أبناء الأعمام ثم من أبناء الأخوال ثم من أبناء العمات ثم من أبناء الخالات. فأن عدموا

(١) شرح تشريعات الأحوال الشخصية ص٦٢٣/أحكام الأسرة ص ٥٤٢.

(٢) أحكام الأسرة ص ٥٤٢.

(٣) أحكام الأحوال الشخصية ص ٥٤٢.

(٤) أحكام الأسرة ص ٥٤٤.

(٥)أحكام الأسرة ص ٥٤٤.

هؤلاء جميعا يعين المجلس المحلي وليا من باقي الأقارب أو من غيرهم.

وتشترط الكنيسة الارثذوكسية في الولي أن يكون مسيحيا [1] (ارثذوكسيا) عاقلا رشيدا غير محجور عليه ولا محكوم عليه في جريمة ماسة بالشرف أو النزاهة وعليه أن يقوم للقاصر بما يعود بالفائدة على نفسه من تربية وتعليم، لما يكون أمينا على ماله من الضياع والتلف ويجب على الولي أن يقدم للمجلس الملي الذي يقيم القاصر في دائرته كشفا بأموال القاصر من مال وعقارات وسندات فتحفظ نسخة من هذا الكشف عند خزانة المجلس الملي ولا يجوز للولي أن يسحب شيئا من أموال القاصر المودعة في البنك إلا بأذن المجلس، كما على الولي أن يقدم للمجلس حسابا سنويا مفصلا بأموال القاصر ومصروفاته وأن ارتأى أعفاءه من تقديم حسابات القاصر فله ذلك[2].

وتنص لائحة الارثذوكس في الولاية الشرعية أن على الولي الحصول على أذن المجلس الملي لمباشرة أحد التصرفات التالية[3]:

١- شراء العقارات أو بيعها أو رهنها أو استبدالها أو قسمتها أو ترتيب حقوق عينية عليها.

٢- بيع أو رهن المستندات المالية.

٣- التنازل عن كل أو بعض التأمينات المقررة لمنفعة القاصر أو أي حق من حقوقه .

٤- إقراض أموال القاصر أو الاقتراض لحسابه.

وتسلب الولاية بناء على طلب كل ذي شأن في الأحوال الآتية:[4].

---

(١)أحكام الأسرة ص ٥٤٤.

(٢) أحكام الأسرة ص ٥٤٥.

(٣)أحكام الأسرة ص ٥٤٥.

(٤)أحكام الأسرة ص ٥٤٥.

١- إذا أساء الولي معاملة القاصر أساءة تعرض صحته للخطر وأهمل تعليمه وتربيته .

٢- إذا كان مبذرا متلفا مال القاصر غير أمين على حفظه.

٣- إذا حجر على الولي أو حكم عليه في جريمة ماسة بالشرف أو النزاهة أو اعتنق دينا غير الدين المسيحي أو مذهبا غير المذهب الارثذوكسي.

٤- إذا أصبح طاعنا في السن أو أصيب بمرض أو عاهة تمنعه من القيام بعمله.

وللمجلس الحق في أن يعيد الولاية إلى من سلبت منه إذا زال السبب الذي أوجب سلب الولاية[1].

وتنتهي الولاية على القاصر إذا بلغ إحدى وعشرين سنة ميلادية [2] إلا إذا قرر المجلس استمرارها، أما إذا بلغ القاصر معتوها أو مجنونا تستمر الولاية عليه في النفس وفي المال، وإذا بلغ عاقلا ثم عته أو جن عادت عليه الولاية.

---

(١)أحكام الأسرة ص ٥٤٥.

(٢)أحكام الأسرة ص ٥٤٥.

المبحث الثالث

أحكام قواعد وثبوت النسب في الديانة المسيحية

تمهيد:-

القرابة هي الصلة التي تربط بين شخصين بمفهومها العام وتنشئ عنها أثار تختلف في قوتها وضعفها حسب مصدر الصلة بين الشخصين ويمكن تقسيم القرابة بين الشخصين إلى (قرابة دم) و (قرابة مصاهرة) و (قرابة قانونية التي تشمل قرابة التبني وقرابة الرضاع والقرابة الروحية).

وتنشأ القرابة بين مصادر مختلفة منها عن طريق الولادة، وحينئذ تقوم الصلة بين المولود والوالدين، وقد تنشأ القرابة نتيجة التزاوج بين شخصين ليس بينهما صلة قرابة، فتنشأ عندها قرابة المصاهرة. أما قرابة التبني فهي القرابة الناشئة عن طرف من شأنه أن يخلق صلة القرابة.

وأخيراً القرابة الروحية وهي الناشئة بين الأشبين والطفل المعمد، وعليه يمكن إيجاز أنواع القرابة وإدراجها تحت تقسيمات ثلاث هي:

١- القرابة الطبيعية

٢- قرابة المصاهرة

٣- القرابة القانونية.

١- القرابة الطبيعية: وتسمى قرابة الدم وهي الصلة التي تربط بين الأقارب فأن

كانت القرابة من الصلة الأولى مثل صلة الأب بالابن أو بالبنت أو بالأم فهذه تبطل الزواج حتما أما ما يناسب كلا منهم فيختلف حكمه في التشريعات الرسالية الثلاثة وضعا وحكما كالقرابة المباشرة والقرابة الغير مباشرة وهذا يتبع كله درجة احتساب القرابة.

٢- **قرابة المصاهرة:** هي الصلة الناشئة عن التزاوج فترتبط بين أحد الزوجين وأقارب الطرف الآخر، وهي شبيهة بقرابة الدم وتسمى أيضا بقرابة الزوجية، وهي تسمية لها مدلول أقوى من مدلول قرابة المصاهرة فإذا كان لاحد الزوجين قريب قرابة مباشرة أو غير مباشرة فأنه يعتبر قريبا قرابة طبيعية لأحد الزوجين وقريبا بالمصاهرة بنفس الدرجة للزوج الآخر فمثلا أخ الزوجة يعتبر قريبا للزوج عن طريق المصاهرة (قرابة من الدرجة الثانية). أما أب الزوجة فأنه قريب قرابة مباشرة عن طريق المصاهرة ومن الدرجة الأولى.

٣- **القرابة القانونية:** هي الصلة التي يلحقها القانون بصلة الدم، وهي (قرابة التبني) (وقرابة الرضاع) (والقرابة الروحية التي سبق بيانها).

و لم تتضمن شرائع المسيحيين على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم قواعد ثبوت النسب، بل ورد الحديث في بعضها فقط، فعند الارثذوكس لم تتحدث طائفة الروم عن هذه القواعد.

وعند الكاثوليك سكتت الإرادة الرسولية حيال هذه القواعد وهو سكوت له ما يبرره خاصة إذا ما عرفنا أنها قد صدرت لتنظيم الزواج فقط. وأوجدت طائفة الأقباط الكاثوليك في مصر قواعد يجب على متبعي كنيستها تطبيقها، فهي لم تلغ صدور الإرادة الرسولية لعدم تصور التعارض بينها، أما الإنجيليون (البروتستانت) فلم يعرض قانونهم لإثبات النسب قط وبوجود هذا النقص في بعض الشرائع يثير مشكلة تحديد الشريعة التي يرجع إليها لسد هذا النقص فلو أن نزاعا قام بين بروتستانتيين حول إثبات النسب و لم يجد القاضي ما يحكم به في قوانينهم فهل يعمد إلى اختيار شريعة

مسيحية أخرى وهذا يعضده قرار القاضي بتطبيق أقرب الشرائع إلى المتنازعين أم أنــه يعمد إلى تطبيق الشريعة الإسلامية كونها الشريعة العامة؟

المطلب الأول

أحكام النسب في شريعة الأرثذوكس[(١)]

تكاد الطوائف المسيحية المختلفة تتشابه حول أحكام قواعد ثبوت النسب وبغيــة الإطلاع الأوسع على تلك الأحكام أتعرض إليها بشيء من التفصيــل كــل حكــم حسب طائفته.

١-أحكام ثبوت النسب عند الأقباط: توضع شــريعة الأقبــاط أحكامــهم في صورتين:

أ- ثبوت نسب الأولاد الذي يولدون حال قيام الزوجية أو بعد إنحلالها.

ب- ثبوت نسب الأولاد الذين يولدون قبل الزواج أو الذين يولدون أثناءه ولكن قبل مضي ستة أشهر من انعقاده.

فالصورة الأولى: تحكمها قاعدة (الولد لصاحب الفراش) أي أن الزوجية هنــا قائمة بين الرجل والمرأة أم الولد ويفرق في هذه الصورة بين غرضين[(٢)].

الغرض الأول: ثبوت النسب بالولادة أثناء قيام الزواج فكل ولد مولود من عقد

---

(١) دعوى ثبوت النسب ودعاوى ثبوت الزوجية والتبني للمسلمين وغير المسلمين . ممدوح عزمي المحــامي ص ١١٤، دار الفكر الجامعي – الإسكندرية.

(٢) الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين وللأجانب ص ٨١٧/أحكام الأحوال الشخصية لغير المســلمين ص ٧٤٣/ دعوى ثبوت النسب ودعاوى ثبوت الزوجية والتبني للمسلمين وغير المسلمين . ممدوح عزمي المحــامي ص ١١٤/ دار الفكر الجامعي الإسكندرية.

شرعي في تمام ستة أشهر (وهي أدنى مدة الحمل) فصاعدا من حين عقد الزواج فأن نسبه يثبت إلى الزوج دون أي شرط وللزوج أن ينفي ثبوت نسب الولد إليه بين اليوم السابق على الولادة بعشرة أشهر واليوم السابق عليها بستة أشهر كأن يستحيل عليه الاتصال مادياً بزوجته لأي سبب كان مثل بعد المسافة بينهما أو بسبب وجوده في السجن أو أي سبب آخر، أما إذا لم تقم هذه الاستحالة المادية بصورها المنعقدة وولد الولد في المدة أعلاه فأن الزوج لا يستطيع نفي نسب المولود إليه إلا إذا اثبت أن زوجته فقد زنت وأخفت الزنا عنه.

الغرض الثاني: ثبوت النسب بالولادة بعد انحلال الزوجية.

قلنا ان الأصل في ثبوت نسب الولد لأبيه إذا ولد خلال العشرة شهور التالية (وهي أقصى مدة للحمل) على انحلال الزوجية سواء كانت بوفاة الأب أو على تاريخ حكم التطليق فإذا ولد ولد بعد ذلك فأنه يجوز للزوج رفع دعوى الطلاق فقط وأن ينفي نسب الولد الذي يولد بعد مضي عشرة أشهر من انفصالهما. أو مضي ستة أشهر من تاريخ رفض الدعوى أو الصلح[1] أي أن الحالة الأولى تأخذ حكم الوفاة أو التطليق والحالة الثانية تأخذ حكم الزواج الجديد وعلى هذا الحكم يجري التفريق بين الزوجين في مسكن مستقل لكل منهما حتى لا يكون هناك اتصال بينهما.

وينبني على ما تقدم أن نفي الأب نسب الولد إليه، أو تمت الولادة لا قل من ستة أشهر من تاريخ بدء الزواج أو لأكثر من عشرة شهور على تاريخ انحلاله كان الولد غير شرعي.

أما الصورة الثانية: فالقاعدة فيها[2] أن نسب الأولاد لابيهم لا يثبت إلا بالإقرار أو الاعتراف بالنسب. والإقرار تصرف يقتصر أثره على المقر ويعترف فيه

---

(١) الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين وللأجانب ص ٨١٨/أحكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص ٧٤٤.

(٢) الأحوال الشخصية للوطنيين ص ٨١٩/انظر أحكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص ٧٨٣.

الرجل ببنوة الولد وبه تعتبر البنوة شرعية ويشترط في المقر البلوغ والرشد والرضا الصريح[1].

وتنص المادة (٨٦) من قانون الأقباط الارثذوكس على انه إذا ولد المولود قبل مضي ستة أشهر من تاريخ الزواج فلا يمكن للزوج أن ينفيه إلا[2]:

١- إذا كان يعلم أن زوجته كانت حاملا قبل الزواج.

٢- إذا بلغ عن الولادة أو حضر التبليغ عنها.

٣- إذا ولد الولد ميتاً أو غير قابل للحياة.

وتقول المادة (١٠١) عن الرضا يجوز الحكم بثبوت نسب الأولاد غير الشرعيين من أبيهم في الأحوال التالية: [3].

أولاً: في حالة الخطف والاغتصاب إذا كان زمن حصولهما يرجع إلى زمن الحمل.

ثانياً: في حالة الإغراء بطريق الاحتيال أو باستعمال السلطة أو بالوعد بالزواج.

ثالثاً: في حالة ثبوت وجود خطابات أو محررات أخرى صادرة عن الأب المدعي عليه تتضمن اعترافه بالأبوة اعترافاً صريحاً.

رابعاً: إذا كان الأب المدعي عليه والأم قد عاشا معا في مدة الحمل وعاشرا بعضهما بصفة ظاهرة.

خامساً: إذا كان الأب المدعي عليه قد قام بتربية الولد والانفاق عليه أو اشترك في ذلك بصفته والد له.

---

(١) الأحوال الشخصية للوطنين غير المسلمين ص ٨١٩-٨٢٠.

(٢) الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين ص ٨٢٠.

(٣) الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين ٨٢٠/ أحكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص ٧٥٦.

والإقرار: يجعل البنوة شرعية بالوجوه كافة ويرتب عليها حقوقا وواجباً على كل من المقر والمقر له، وهذه الآثار مرتبطة بتوافر شروط معينة وهي أن يولد مثل الولد لمثل المقر، وأن يكون الولد مجهول النسب وأن لا يكون من أولاد الزنا أو أولاد المحارم، وأن يصادق على الإقرار فأن لم يتحقق أحد هذه الشروط ينتهي الأمر إلى قيام التبني.

وللشريعة الإسلامية طريقا آخر لإثبات النسب هو شهادة الشهود رجلين أو رجل وامرأتين وهي أقوى من الإقرار بمعنى أنه لو أقر فلان بأن فلانا أبنه وأتى شخص آخر وأثبت بشهادة لشهود أن المقر له ليس ابنا للمقر وأنما ابنا له هو فأنه يقضي له بثبوت النسب.

والإقرار نوعان[1]: إقرار مباشر وهو تحميل النسب على المقر وإقرار غير مباشر وهو تحميل النسب على غير المقر.

١- **الإقرار المباشر**: وهذا الإقرار حجة على المقر دون أدنى تأثير على الغير، وقد نصت المادة ٩٧ من لائحة الأحوال الشخصية للأقباط الارثذوكس أن (إقرار الأب بالبنوة دون إقرار الأم لا تأثير له على الأب والعكس بالعكس).

شروط الإقرار:

أ- أن يكون المقر له مجهول النسب.

ب- أن يكون المقر له ممن يولد مثله لمثل المقر.

ج- أن يصادق المقر له المقر إذا كان أهلا للمصادقة.

٢- **الإقرار غير المباشر**: وفيه تحميل النسب على الغير فأنه لا يثبت النسب

---

(١) دعوى ثبوت النسب ودعاوى ثبوت الزوجية والتبني للمسلمين وغير المسلمين ص ١١٥ محمد عزمي المحامي ص دار الفكر الجامعي / الإسكندرية.

إذا صادف المقر الشخص المحمل عليه النسب في إقراره.

ثالثاً: ثبوت النسب بالكتابة: اللائحة الشرعية للأقباط الارثذوكس ذكرت أن في حالة ثبوت وجود خطاب أو محررات أخرى صادرة من الأب المدعى عليه تتضمن اعترافاً بالأبوة اعترافاً صحيحاً فهذه الأمور تثبت النسب فيثبت المدعى دعواه بأية محررات تثبت النسب نصت المادة (١٠٠) من قواعد الأقباط الارثذوكس على أن:[١]

المادة ١/١٠٠ : يثبت النسب في حالة الخطف أو الاغتصاب إذا كان زمن حصولهما يرجع إلى زمن الحمل.

المادة ٢/١٠٠: في حالة الإغراء بطريقة الاحتيال أو باستعمال السلطة أو الوعد بالزواج.

المادة ٣/١٠٠: إذا كان الأب المدعى عليه والأم قد عاشا معاً في مدة الحمل وعاشرا بعضهما بصفة ظاهرة.

المادة ٤/١٠٠: إذا كان الأب المدعى عليه قد قام بتربية الولد والانفاق عليه أو اشترك في ذلك بصفته والدته.

ويشترط للأخذ في ثبوت النسب بالحالة الظاهرة إلا تكون الأم مشهورة بسوء السلوك وإلا تكون قد عاشرت آخر غير المدعي عليه بالأبوة.

أحكام ثبوت النسب عند السريان:

تطبق شريعة السريان قواعد تقرب من قواعد الأقباط الارثذوكس ولكنها تفرق بين الصورتين الانفتي الذكر عند الاحتياط، فهي ترى[٢] أن كل من يولد لمدة لا تقل عن ستة أشهر من الاقتران وهي أقل مدة للحمل يعتبر أبناً شرعياً لصاحب الفراش

---

(١) دعوى ثبوت النسب ودعاوى ثبوت الزوجية والتبني للمسلمين وغير المسلمين ص ١١٥-١١٦.

(٢) الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين ص ٨٢٢.

وكذلك إذا ولد لمدة لا تزيد عن عشرة أشهر من تاريخ إنحلال الزواج إلا إذا نفى الرجل نسبة الوليد إليه. وللرجل أن ينفي نسب الولد إليه إذا أثبت أثناء الزوجية انفصاله انفصالاً ظاهراً محققاً مستمراً لمدة تزيد على عشر أشهر و لم يكن هناك دليل شرعي يدل على تأخير الجنين في بطن أمه تأخيراً يزيد على المدة المعقولة وهي مسألة تثبت بتقرير الأطباء[1].

أما إذا ولد الولد لمدة تقل عن الستة أشهر التالية على بدء الزواج أو تزيد على العشرة أشهر التالية على انحلاله فلا يثبت النسب إلا بالإقرار والإقرار هنا كما هو عند الأقباط بشروطه المذكورة أنفا وشريعة السريان تغلب البينة على الإقرار كما تفعل الشريعة الإسلامية.

أحكام ثبوت النسب عند الأرمن:

نصت قواعد ثبوت النسب عند الأرمن على أساس قاعدتي الولد للفراش والإقرار، وهي بذلك لا تعترف بغير الأولاد الشرعيين ولا تجيز إثبات البنوة الطبيعية[2].

وقد نصت (م٨٥) من قانون الأحوال الشخصية لطائفة الأرمن الارثذوكس على أن المولود أثناء الزواج ينسب إلى الزوج ويعد مولوداً أثناء الزواج الوالد المولود بعد مئة وثمانين يوماً ويتم احتساب المدة من بدأ الاحتفال بالزواج أو التكليل وليس من الدخول الفعلي وكل ولد يولد بعد هذه المدة ينسب إلى الزوج بقوة القانون متى كان الزواج قائماً ولا يستطيع الزوج إنكاره بقوة الولد إلا في حالة الاستحالة المادية وحالة زنا الزوجة مع إخفاء المولود فالحالة الأولى مطابقة لما عند الأقباط مع فارق أن إثبات الرجل عجزه الجنسي عن إتيان زوجته لا يؤدي بذاته إلى إنكار ثبوت نسب

---

(١) الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين وللأجانب ص ٨٢٢.

(٢) المصدر السابق ص ٨٢٣.

المولود[1].

أما الحالة الثانية فيجب اقتران الزنا بثبوت إخفاء الولادة وحتى إذا نجح في إثبات هذين الأمرين بل لا بد أن يعضدهما بإثبات واقعة ثالثة تفيد قيام الاستحالة المعنوية بالنسبة للاتصال الجنسي بين الزوجين كأن يكون بينهما بغض شديد أو غيره.

ويمكن للأب أن ينفي النسب بمجرد إنكاره البنوة قبل ولادة المولود لمدة تقل عن مائة وثمانين يوماً رغم تحقق القاعدتين (الولد للفراش والإقرار) وإن كان لا يقبل منه هذا الإنكار في الحالتين الآتيتين:[2]

١- إذا علم الزوج أن الزوجة حامل قبل الزواج.

٢- إذا حضر كتابة شهادة الميلاد أو حضر عماد الطفل ووقع الشهادات بنفسه أو اشتملت هذه الشهادات على إقراره بأنه لا يستطيع التوقيع.

وقد نصت (م٨٩) من مجموعة الأرمن [3] أنه يعد شرعياً الولد المولود في مدة الثلاثمائة يوم اللاحقة على فسخ الزواج أو الحكم بالانفصال بين الزوجين ولكن يجوز للزوج إنكار النسب إذا أثبت أن هناك حائلاً طبيعياً يمنع اتصاله بزوجته هذه المدة اللاحقة على الفسخ لغاية الولادة لبلغت ثلاثمائة يوم وهي أقصى مدة الحمل في نظر الأرمن.

كما أوجبت م ٩٠ بأنه يجوز للأب أن ينكر البنوة [4] وعليه أن يرفع دعوى إنكار النسب خلال شهر من ولادة الطفل إذا كان موجوداً في محل ولادة الطفل. فإذا كان غائباً ففي خلال شهرين وإذا اخفيت عنه ولادة الطفل يكون له أن يرفع

(١) المصدر السابق ص ٨٢٤.

(٢) الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين وللأجانب ص ٨٢٥.

(٣) المصدر السابق ص ٨٢٥.

(٤) المصدر السابق ص ٨٢٥.

الدعوى خلال شهرين من اكتشاف الغش أما نقطة الخلاف الجوهرية بين الأرمن والأقباط هو إن الإقرار لا يعرض عند الأرمن إلا حيث يولد قبل الزواج، فقد نصت م ٩١ على أن الأولاد المولودين قبل الزواج يعدون شرعيين إذا تزوج والداهم واعترفا بهم أمام الكاهن المختص قبل الزواج أو عند حصوله وفي الحالة الثانية يحرر الكاهن إقرار الوالدين في عقد مستقل(١).

أما شريعة الأرمن الارثذوكس فقد نصت المادة (٩٣) أن الشخص الواحد لا يتبناه عديدون اللهم إلا إذا كانوا زوجين ولا يجوز لزوج أن يتبنى بغير رضاء الزوج الآخر(٢).

وأشارت المادة (٩٤) بأنه لا يجوز التبني إلا إذا كان عمر المتبني أربعين سنة على الأقل ولم يكن له أولاد ولا أحفاد عند التبني وكان يكبر المتبني بما لا يقل عن عشرين سنة.

ونصت المادة (٩٥) : إذا كان المتبني قاصراً فلا يجوز التبني بغير رضاء والديه أو أحدهما إذا كان الآخر متوفى فإذا كان الوالدان مجهولان أو متوفيان يكتفي برضاء الرئيس الديني(٣).

وترى المادة (٩٦) أنه يثبت التبني بمحرر أن يسجل في البطريركية ويكون موقعاً عليه من الكاهن المعين لذلك والقائم بعمل موثق العقود ومن المتبني إذا كان بالغاً وممن يلزم الحصول على رضائهم بذلك المتبني ومن شاهدين اثنين(٤).

ويعطى المتبني لقب المتبنى ويضاف هذا اللقب إلى اسم المتبنى ويصبح له ما للولد الشرعي من حقوق وإلى ذلك أشارت المادة (٩٧).

---

(١) الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين وللأجانب ص ٨٢٦.

(٢) دعوى ثبوت النسب ودعاوى ثبوت الزوجية والتبني للمسلمين وغير المسلمين ممدوح عزمي المحامي ص ١٢٠.

(٣) دعوى ثبوت النسب ودعاوى ثبوت الزوجية والتبني للمسلمين وغير المسلمين ص ١٢٠.

(٤) دعوى ثبوت النسب ودعاوى ثبوت الزوجية والتبني للمسلمين وغير المسلمين ص ١٢٠-١٢١.

ويحفظ المتبنى بكل الحقوق التي يستمدها من أسرته الطبيعية وقد نصت على ذلك المادة (٩٨).

أما المادة (٩٩) فقد أشارت إلى أنه لا يكتسب المتبني حق أرث ما في أموال أقارب المتبنى ولكن يكون له في تركة المتبنى الحقوق التي تكون للولد المولود من الزواج حتى ولو ولد للمتبنى أولاد من بعد التبني[1].

المطلب الثاني

أحكام قواعد ثبوت النسب عند الكاثوليك

لا تخرج في جملتها ما عند غيرهم فنصت م ٤٢ من شريعة الكاثوليك الأقباط على [2] أن كل طفل يولد في حالة قيام الزوجية يعتبر ابنا شرعياً إلا إذا أنكره الزوج وحكم بصحة إنكاره ولا يجوز إنكاره لتمام ستة أشهر فصا عدا من عقد الزواج أو لتمام عشرة شهور فأكثر من وقت انقطاع الحياة الزوجية.

كما نصت م ٤٣ على إمكان إنكار النسب رغم ولادة المولود في مثل المدتين (٦ أشهر أو عشرة أشهر) إذا كان الرجل في حالة استحالة مادية[3].

وتحدثت المادة ٤٥ عن الإقرار بالنسب حيث لا تطبق قاعدة الولد لصاحب الفراش فأفادت بتصحيح نسب الأولاد إذا عقد الوالدان زواجهما بعد ولادتهم بشرط أن يكون الزواج ممكناً بينهما في وقت الحمل أو عند الولادة وبشرط أن يعترف بهم عند عقد الزواج[4].

---

(١) دعوى ثبوت النسب ودعاوى ثبوت الزوجية والتبني للمسلمين وغير المسلمين – ممدوح عزمي المحامي ص ١٢١.

(٢) الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين وللأجانب ص ٨٢٦.

(٣)الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين وللأجانب ص ٨٢٦.

(٤)المصدر السابق ص٨٢٦.

وعرضت م (٤٦) للأولاد الذين يولدون من زواج باطل مع عـدم توفـر شـروط الزواج الظني فذكـرت أن الأولاد الذيـن يولـدون مـن زواج عقـده بـاطل بعلـم أحـد الزوجين أو كلاهما يمكن أن يصحـح نسـبهما بشـرط صـدور الإقـرار عنـد تصحيـح العقد ويكون لهم ما للأولاد الشرعيين من الحقوق.

أما م٤٤ فقد نصت على أن الأولاد الذيـن يولـدون مـن زواج تم أمـام الكنيسـة وحكم بعد ذلك ببطلانه لوجود مانع مبطل يعتبرون شرعيين بشـرط أن يكـون المـانع مجهولا من أحد الزوجين أو كليهما وقت الزواج[١].

المطلب الثالث

أحكام التبني في الشريعة المسيحية

يعرف التبني بأنه تصرف قانوني ينشأ بـين شـخصين علاقـة أبـوة وبنـوة صوريـة ومدنية بحقه[٢] وهذا التصرف غايته إعطاء الفرصة لمن لا ينجب ولدا أن يكون له ولد بالتبني ولا يحرم من عاطفة الأبوة.

الآثار المترتبة على التبني وهي:[٣].

١- يترتب على قيام التبنى قيام مانع من الزواج بين المتبنى وأقاربه بـالتبنى لـدى بعض الطوائف المسيحية، فالأرثذوكس ومنهم الأقباط لا يجوزون الـزواج بـين المتبنـى وزوج المتبني، وكذلك بين المتبنى وأولاد المتبنى الذين رزق بـهم بعـد التبنـى وكذلـك

---

(١)المصدر السابق ص٨٢٦.

(٢) أحكام الأحوال الشخصية نقلا عن كتاب (كولان وكابيتـان وآخـرون فـق ١٤٤٥) / وانظـر دعـوى ثبـوت النسب ودعاوى ثبوت الزوجية والتبني للمسلمين وغير المسلمين ممدوح عزمي المحامي ص ١١٧.

(٣) أحكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص ٥٥٩/ دعاوى ثبوت النسـب ودعـاوى ثبـوت الزوجيـة والتبـني للمسلمين وغير المسلمين . ممدوح عزمي المحامي ص ١٢٤.

الأولاد الذين تبناهم شخص واحد. وتشمل حرمة الزواج أيضاً بين المتبنى وزوج المتبني والعكس أيضاً. ويرى أبن عسال من فقهاء الكنيسة الارثذوكسية القبطية المصرية - بعد أن ندبت تعاليم رسلهم للإنسان أن يزوج ولده بالفتاة العذراء اليتيمة التي رباها - إن هذا الإيضاح فيه رحمة فهو اولى بالاتباع من المنع[1].

أما عند الطوائف الكاثوليكية فقد قصر وجود المانع على وجوده في التشريع المدني وإذا لم يوجد مانع في التشريع المدني اعتبر أنه غير موجود أيضاً في القانون الكنسي وعليه فأن التشريع المدني لبلد ما يوجب المانع العمل به في ذلك البلد. وإن كان لا يوجب المانع في بلد ثان عمل به وهو ما عالجته الإرادة الرسولية الكاثوليكية المرقمة (٤٩)، والمادة(٧١) ضمن المواقع المبطلة[2].

ويرى قانون الأحوال الشخصية للكاثوليك المصري في مادته التاسعة والعشرون على أن القرابة الناشئة عن التبنى الصحيح قانونا تجعل الزواج باطلا[3]:

أ- بين المتبني والمتبنى

ب- بين كل منهما وزوج الآخر

ج- بين كل طرف وفروع الآخر

د- بين الحواشي إلى الدرجة الثانية.

٢- يخول التبني للمتبنى الحق في أن يحمل لقب من تبناه مضافاً إلى اسمه الأصلي[4].

---

(١) الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسلمين وللأجانب ص ٨٣٢- ٨٢٣

(٢) الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص ٥٦٠-٥٦١.

(٣) الأحوال الشخصية للوطنين غير المسلمين ص ٨٢٧.

(٤) الأحوال الشخصية للوطنيين غير المسملين وللأجانب ص ٨٣٣/ دعاوى ثبوت النسب ودعاوى ثبوت الزوجية والتبنى للمسلمين وغير المسلمين ممدوح عزمي المحامي ص ١٢٤.

٣- أن يكون للمتبنى وحده حق تأديب المتبنى وتربيته وحق الموافقة على زواجه إن كان قاصراً.

٤- تجب النفقة بين المتبني والمتبنى أن كان أيهما محتاجاً.

٥- التبني لا يخرج المتبنى من عائلته الأصلية ولا يحرمه من حقوقه فيها ويرتب له الحق في الأرث من والده الحقيقي كما يلتزم والده بالانفـاق عليـه أن ثبـت عجـز مـن تبناه عن ذلك ويلتزم بالانفاق على والديه الحقيقيين عند الحاجة.

٦- لا يرث المتبني تركة المتبنى ولا المتبني في تركة من تبناه إلا بوصية.

أما (م٥٤) من مجموعة الأقباط الكاثوليك فقد ذكرت شروطاً للتبني وهي:(١).

١- أن يكون للمتبني أولاد ولا فروع.

٢- أن يكون المتبني (بالكسر) قد بلغ من العمر أربعين سنة على الأقل وأن يزيد عـن خمسة عشر عاماً على الأقل عن سن المتبنى.

٣- أن يوافق المتبني (بالكسر) التبني عندما يكون متزوجاً.

٤- أن يوافق المتبنى (بالفتح) بالتبني وإذا كان متزوجا فيشترط موافقة الزوجة.

٥- أن يتم التبني بإشهاد رسمي أمام مكتب التوثيق.

---

(١) المصدر السابق ص ٨٣٥.

الباب الثالث

الطلاق في الأديان

بحث تمهيدي

الطلاق في الأديان القديمة

أولاً: الطلاق عند العراقيين القدماء[1]

نظم العراقيون القدماء قضايا الطلاق بتشريعات دقيقة حافظت على حقوق الرجل والمرأة على السواء، فالرجل الذي يبغي طلاق امرأته عليه أن يذهب إلى المحكمة ويثبت شكواه بأدلة عادلة وقوية تثبت حقه في الحصول على الطلاق كأن يكون مستند دعواه سوء سلوك زوجته، وفي المقابل يعتبر سوء سلوك الزوج مع زوجته والاعتداء عليها وظلمها يعطي الحق للزوجة بإقامة دعوى مماثلة في طلب الطلاق لتعود إلى بيت أهلها أو ذويها من الأقارب. وفي كلا الحالتين تأخذ الزوجة معها كل ما يخصها وغالباً ما تحصل على تعويض تقدره القوانين.

وإذا ما زنى الزوج بعاهرة فأن ذلك لا يكون مدعاة للزوجة العاقر طلب الطلاق وهذا ما نصت عليه شريعة (ليبيث عشتار)، ولم يذكر القانون العراقي القديم حالة جرم الزوج في مواطن محددة من تشريعات بينما تجده يفصل في مواطن أخرى تشريعات تحد في أحكامها من طغيان الرجل وتعسفه. وإذا ما ثبت الزنى بين رجل

(١) راجع في مصادر هذا البحث المصادر التالية : أ- تاريخ الحضارات العام تأليف اندريه إيمار وآخرون نقله إلى العربية فريد م. داغر وفؤاد ج أبو ريحان ١٥٣/١ منشورات عويدات - بيروت باريس / حضارة مصر والعراق ص ٤١٧/تاريخ الشرق القديم (٢) بلاد ما بين النهرين د. أحمد أرحيّم هبو - ص ١٦٦ وما بعداها - دار الحكمة اليمانية - ط١- ١٤١٧هـ -١٩٩٦م.

وامرأة فأنهما يلقيان في الماء غرقا. ومن حق الرجل أن يصفح عن زوجته التي ارتكبت الزنا ويحق للزوجة العاقر أن تهدي زوجها امرأة (عبده) بمثابة خليلة، ويعتبر العقم والمرض عند المرأة سبباً لطلاقها ولكن المادة (١٤٨) من قانون حمورابي نصت على أن (المرض ليس سبباً لطلاق الزوجة ومن حق الزوجة البقاء في البيت ولكن لو رفضت الزوجة المريضة البقاء في البيت الزوجي ردّت إليها بائنتها التي جاءت بها من بيت أبيها).

وإذا عوّلت الزوجة على ترك زوجها فعليها أن تترك لأولادها هدية زواجها وإذا كرهت الزوجة زوجها فقالت له (لا صلة لك بي) فيتحرى عن حالتها أمام مجلس المدينة فإذا كانت حريصة بحيث لا يبدو منها ما يعيبها عندئذ يمكن للزوج طلاقها وتسريحها إلى بيت أبيها ولها بائنتها.

وإذا هجر رجل مدينته وهرب لفترة طويلة ثم دخلت زوجته بيت رجل آخر بعد رحيله (أي تزوجت رجلاً آخر) فأنه عند عودة زوجها الأول ورغب في أرجاعها إلى عصمته فأنها لا تعود إليه لأن الزوج الهارب أحتقر مدينته وفر هارباً.

وإذا أراد رجل أن يطلق زوجته التي لم ترزق أطفالاً فعليه أن يسلّم لها بالكامل كل ثمن زواجها وكذلك بائنتها التي جاءت بها من بيت أبيها ثم يطلقها. وإذا لم يكن هناك ثمن زواج عند عقد الزواج فأنه يعطيها (مينا) واحدة من الفضة لإتمام الطلاق.

وللزوجة حق استرداد بائنتها حين طلاقها ما لم تكن ناشزاً، وأضاف المشرع العراقي إلى بائنة المطلقة ذات الأولاد نصف أملاك زوجها لتستغله في تربية الأولاد حتى يبلغوا أشدهم ثم تجتزئ منه نصيباً تستعين به على زواج جديد أن أستحبت فراقهم كما أضافت إلى بائنة الزوجة المطلقة العاقر تعويضاً إضافياً مجزياً، كما جعلت بائنة الزوجة العاقر المتوفاة من حق أبيها بعد أن يسترد زوجها منها قيمة هداياه إليها حين عرسها. وإذا أعتزم الزواج من امرأة ثانية لمرض أصاب زوجته فله ذلك. ولكن للزوجة الأولى أن تبقى في بيته وعليه أن يعطيها بائنتها التي جلبتها معها وتترك البيت.

ثانياً:الطلاق عند اليونانيين القدماء[1]

رغم أن المجتمع اليوناني القديم مجتمع ذكوري بالدرجة الأولى إلا أنه احتفظ للمرأة ببعض الحقوق، إذ أن من حقها أن تطلب الطلاق من زوجها إذا ما عاملها بقسوة واعتاد ضربها وإهانتها متعدياً بذلك حد الاعتدال في تصرفاته.

والطلاق في تشريعاتهم مباح للطرفين إذا تراضيا على الطلاق، ويعبر عن هذا التراضي عادة بأعلانه رسمياً إلى عامة الناس والرجل من حقه أن يطلق زوجته بسهولة وفي وسعه أن يطرد زوجته من بيت الزوجية متى شاء ودون أن يبدي لذلك سبباً.

ويعتبر عقم الزوجة سبباً من أسباب الطلاق لأنهم يعتبرون أن الغرض من الزواج هو الإنجاب ولما كانت المرأة لا تنجب فأنها بالتالي لا ترفد المجتمع بالذكور الذين يقومون بالمستقبل بحماية الدولة الحربية في وجه الأعداء، وفي المقابل فأن عقم الرجل يعتبر سبباً موجباً للمرأة لطلب الطلاق للعلة ذاتها وقد نص القانون الروماني على ذلك ولكن الرأي العام يحبذ أن يتبنى الرجل في هذه المهمة طفلاً ينسب إليه.

وإذا أفترق الزوجان بطلاق وكان لديهما أطفالاً فأنهم يلحقون بالأب، ولكن لو ثبت زنى الأب فأن الأولاد يلحقون بأمهم.

ثالثاً: الطلاق عند الرومانيين القدماء[2]

على النقيض من المجتمع اليوناني الذي يسهّل عملية الطلاق على الرجل والمرأة نجد أن المجتمع الروماني في تشريعاته الخاصة بالطلاق يجعل من وقوع الطلاق أمراً مستحيلاً وعسيراً ونادراً إذ أن أول حالة طلاق سجلت في قيودهم يرجع إلى سنة

---

(١) قصة الحضارة – ول ديورانت – ترجمة محمد بدران ٧/١٥٥-١١٦ لجنة التأليف والترجمة والنشر – جامعة الدول العربية.

(٢) قصة الحضارة ٩/١٤٤.

٢٦٨ قبل الميلاد وقيل أن هذا لم يحدث منذ أن نشأت مدينة روما.

ويعتبر عقم الزوجة سببا للطلاق، ومن حق الزوج يقتل زوجته إذا ثبت زناها حقيقة، ولا عقوبة للرجل إذا مارس الزنا. يقول حكيمهم القانوني كاتو الكبير (إذا وجدت زوجتك تزني فأن القانون يبيح لك أن تقتلها، وأنت ترتكب هذه الجريمة نفسها فليس لها أن تمسك حتى بأطراف أصابعك لأن القانون يحرم عليها ذلك)

رابعا : الطلاق في الديانة الصابئية

تنحصر الأسباب الموجبة للرجل بطلاق زوجته بثبوت الزنا[١]، وإذا سرقت بيت زوجها وإذا كانت عاقرا، وإذا أطعمت زوجها من طعام عمته وهي على نجاسة، وإذا كانت مصابة بمرض معد لا شفاء منه - كالجذام مثلا -وإذا كانت سيئة السلوك والخلق.

والمطلقة والأرملة لا تتزوج إلا بعد أن تعتد لمدة ثلاثة أشهر ويحرم على أولاد الثيب أن يصبحوا كهنة لثلاثة أجيال قادمة، والمرأة الخاطئة لا تقتل عند الصابئة لانهم يحرمون القتل، ولكن الخاطئة تصبح محتقرة في نظر مجتمعها[٢].

ويحق للرجل الصابئي أن يتزوج بأكثر من زوجة ولكنهم يفضلون زوجة واحدة.

ويحق للزوجة طلب الطلاق بالشروط السابقة إلى جنب ما إذا كان الزوج (عاجزا) عن إعاشتها وأطفالها أو أن العجز سببه جنسي، أو إذا ترك دينه وتزوج من غير صابئية أو إذا طلب من زوجته ممارسة الفحش[٣].

---

(١) موسوعة الأديان في العالم ص ٢٦١، المندائيون الصابئة ص ١٩٨.

(٢) موسوعة الأديان في العالم ص٢٦٢، تاريخ الصابئة المندائيون ص ١٣٥.

(٣) المندائيون الصابئة ص ١٩٨.

الفَصْلُ الأَوَّل

الطلاق في الشريعة اليهودية

-المبحث الأول : مدخل إلى الطلاق

- المبحث الثاني : شروط الطلاق وأسبابه.

- المبحث الثالث : الطلاق وحقوق المرأة .

مُقَدِّمة

نزلت التوراة على نبي الله موسى عليه السلام وفيها مجمل التشريعات الخاصة بالديانة اليهودية، وظلّت الوحدة التشريعية لبني إسرائيل قائمة حتى القرن الثامن الميلادي عندما ظهر مذهب القرائين إلى جنب المذهب الأصلي (الربانيّين) الذين يكونون غالبية اليهود، وظهرت بوادر الاختلاف في الأحكام التشريعية عندما سنّ الربانيون لهم أحكاماً زائدة عما ورد في التوراة سموها (التلمود) ، فالربانيون يعتقدون بالتلمود والتوراة ويقولون أن الله تعالى لم يتزل على موسى التوراة وحدها بل أنه أنزل عليه أحكاماً أخرى أمره إلا يكتبها وإنما يبلغها شفوياً، وظلّت هذه الأحكام غير مدونة يتناقلها الخلف عن السلف كالسنة والإجماع في الإسلام حتى دونت.

وبعدما تَفرّق بنوا إسرائيل وتشتتوا ضاعت كتبهم وهلك علماؤهم، فخشي اليهود ضياع تواريخهم الشفوية (التلمود) فقام أحبارهم بتدوينها وشرحها في كتابٍ أسموه (المشنا) وأعقبوه بإضافات فيها ترجيحات لآراء الأحبار، وسموا هذا الكتاب (الجمرا) أي بمعنى التكملة والاتمام، ويطلق على (المشنا والجمرا) اسم التلمود، والتلمود أثنان الأول تلمود أورشليمي وضعه الفلسطينيون والثاني بابلي وضعه العراقيون والربانيون يؤمنون بالتوراة المترلة وبالتلمود، بينما القراءون يؤمنون بالتوراة المترلة على موسى عليه السلام وهم يأخذون أحكامهم من واقع النصوص المدونة في التوراة وحدها وتفسيرها وشرحها بالأدلة العقلية والقواعد العلمية مع القياس والإجماع فيما لا يخالف التوراة.

ويعتبر كتاب الأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية للإسرائيليين الذي وضعه مسعود حاي ابن شمعون المرجع الأساسي لمذهب الربانيين فيما وضع (الياهوبشيبص) كتاب (شعار الخضر) الذي يعتبر المرجع الأساسي لمذهب القرائين. وواضع هذا الكتاب من أبناء القرن الخامس عشر.

المبحث الأول

مدخل إلى الطـــــلاق

تعريف الطلاق:

عرفت الشريعة اليهودية طلاق الرجـل لامرأتـه هـو حـق إنـهاء العلاقـة الزوجيـة بالإرادة المنفردة التي يملكها الملطق[1].

مسوّغ الطلاق:

يختلـف مـبرر الطـلاق في الشـريعة اليهوديـة مـن طائفـة إلى أخـرى، فالربـــانيون يتوسعون في المسوّغ للطلاق، فـهم يجعلـون مجـرد عـدم حظـوة المـرأة في نظـر الرجـل مسوغ للطلاق وإذا رغب الزوج في الزواج بأجمل من زوجته الأولى فهذا أيضـاً يعتـبر مبرراً للطلاق[2].

ويختلف القراءون عن الربانيين بالمســوغ، إذ يـرون أن لا مســوغ عندهـم سـوى العيب في المرأة لا مجرد عدم الحظوة في نظر الزوج وهو ينصرف إلى مالا يحتمـل عـادة في الخلق، والعيب إن كان هينـاً يحتمـل أو يرجـى بـرءوه أو لا مسـاس لـه بـالدين أو الآداب فلا يعد مسوغاً[3].

وإذا ما وقع الطلاق بمسوغ – أي مبرر – فليس للزوجة أي حقوق على زوجـهـا وإلا فلها كامل حقوقها الشرعية أما إذا كان الطلاق بقبول المرأة ورضاهـا فـلا داعـي لتوفر المبرر في هذه الحالة ولا فائدة من البحث فيـه لأن اتفـاق الطرفـين علـى الطـلاق

---

(١) موسوعة الأحوال الشخصية – هلال يوسف إبراهيم ص ٢٥٦.

(٢) موسوعة الأحوال الشخصية – هلال يوسف إبراهيم ص ٢٥٦.

(٣) موسوعة الأحوال الشخصية ص ٢٥٦.

وما يترتب عليه من حقوق يكون اتفاقاً مشروعاً ملزماً لطرفيه في شريعة اليهود[(١)].

التوكيل في الطلاق

أجازت الشريعة اليهودية التوكيل في الطلاق بحضور شاهدين اثنين، ويجب أن يحصل ذلك أمام السلطة الشرعية وقت الطلاق[(٢)] وهو حق يملكه الطرفان.

وللمطلقة أن توكّل عنها من تشاء لمطالبة الرجل بمالها من حقوق[(٣)] ويجوز للمطلق إعالة مطلقته بشرط أن لا يوجب هذا أختلاطه بها والأوجب أن يناب عنه[(٤)].

والتوكيل من الصغيرة غير جائز وإنما لأبيها أن يقيم لها وكيلاً لقبول الطلاق إذا لم يكن إلا مجرد تقديس[(٥)].

ويجوز للرجل أن يوكل عنه في تسليم وثيقة الطلاق ومشافهة المطلقة ولا يتم الطلاق شرعاً إلا بعد التسليم إليها[(٦)].

وللسلطة الشرعية أن تقيم لمن أعتنقت ملة أخرى وكيلاً يقبل عنها الطلاق إذا أمتنعت[(٧)].

الأيام المحرمة للطلاق:

لا تجيز الشريعة اليهودية الطلاق أيام السبت والأعياد. وكذلك يوم الجمعة ضرورة دخول يوم السبت وتمنع وقوعه ليلاً إلاّ إذا دعت الضرورة إلى ذلك.

---

(١) موسوعة الأحوال الشخصية ص ٢٥٧

(٢) قوانين الأحوال الشخصية – نجاة قصاب حسن ص ٤٣٤.

(٣) قوانين الأحوال الشخصية ص ٤٣٣.

(٤) قوانين الأحوال الشخصية ص ٤٣٣.

(٥) قوانين الأحوال الشخصية ص ٤٣٣-٤٣٤.

(٦)قوانين الأحوال الشخصية ص ٤٣٣-٤٣٤.

(٧)قوانين الأحوال الشخصية ص ٤٣٣-٤٣٤.

المبحث الثاني

أسباب وشروط الطلاق

المطلب الأول

أسباب الطلاق في الشريعة اليهودية

لا خلاف بين الفقهاء اليهود على حالات الطلاق التي يجب فيها الحكم للزوجة بالتطليق فقد أتفق الربانيون والقراءون على الأسباب التالية[1]:

١- **هجر الزوج زوجته:** تطلق الزوجة من زوجها إذا هجرها دون مبرر مقنع وكذلك إذا أمتنع الزوج عن معاشرة زوجته بلا موجب.

٢- **زنا الزوج:** إذا أرتكب الزوج جريمة الزنا فمن حق الزوجة أن تطلب الطلاق.

٣- مرض الزوج: إذا أصيب الزوج بعد زواجه بمرض معد أو إذا أصيب بالبرص وجب تطليق زوجته، أما إذا كان المرض صرعا وجب التطليق سواء كان المصاب به الزوج أو الزوجة ولكن القراءون يشترطون في الطلاق في حالة كهذه أن يكون مرض الزوج مزمنا بحيث ينقطع الأمل بشفاءه.

٤- عقم الزوج: عقم الزوج المحقق يوجب التطليق.

٥- اعتياد الزوج إيذاء زوجته بالضرب: إذا أعتاد الزوج إيذاء زوجته بالضرب فللزوجة الحق في طلب الطلاق، ويسقط هذا الحق إذا كان لهذا الاعتداء باعث شرعي من جهتهما.

٦- عنه الزوج: إذا كان الزوج عنينا غير قابل للشفاء كان للزوجة الحق في طلب التطليق.

---

(١)موسوعة الأحوال الشخصية ص٢٥٧.

٧- غدر الزوج بزوجته: للزوجة أن تطلب التطليق من زوجها إذا تزوج زوجها بغيرها غدراً وهو يعتبر كذلك إذا كانت من تزوجها ثانياً غير يهودية.

٨- عوز الزوج: إذا أعوز الزوج ووصل به عوزه إلى حد عدم القدرة على تحصيل قوته الضروري وجب تطليق زوجته منه.

٩- تكدر المعيشة والتشدد في الإنفاق: إذا تكدرت المعيشة بسبب سوء أخلاق الزوج أو لتشدده في الإنفاق كان لزوجته أن تطلب الطلاق في هذه الأحوال.

١٠- عيوب الزوج: إذا كان بالزوج عيب لا يحتمل كأنبعاث رائحة كريهة من فمه أو أنفه أو إصابته بالعمى أو الصم وجب الحكم لزوجته بالتطليق.

المطلب الثاني

شروط الطلاق وأسبابه

وضعت الشريعة اليهودية شروطاً للطلاق هي[1]:

١١- يجب التحقق شرعاً قبل الطلاق من أن الطرفين أو الأثنين هما نفس الزوجين.

١٢- يشترط عند الطلاق أن يكون الرجل بصحوة عقله.

١٣- المرض لا يمنع من الطلاق ما لم يكن مؤثراً على القوى العقلية ولو كان مرض الموت.

١٤- مصاريف ورسوم الطلاق على الرجل ويجب أداؤها معجلاً أو على المرأة إذا شاءت.

١٥- الطلاق يجب أن يكون أمام السلطة الشرعية بوثيقة محررة وبحضور شاهدين.

---

(١) قوانين الأحوال الشخصية ص ٤٣١-٤٣٢.

المطلب الثالث

أحكام عامة في الطلاق

١٦- وردت في الشريعة اليهودية(١) أحكام بالطلاق تحدد ملامح أحكامهم وتشريعاتهم الخاصبة بالطلاق منها:

١٧- لا يرفع قيد الزواج إلا بالطلاق.

١٨- أن الطلاق في يد الرجل.

١٩- لا يليق بالرجل أن يطلق أول زوجة له بغير مقتضى

٢٠- قبول المرأة الطلاق ليس شرطا

٢١- إذا أعتنق أحد المتعاقدين ملة أخرى فلا يزال عقدهما قائما حتى يحصل الطلاق.

٢٢- لا يعلق الطلاق على دفع الرجل حقوق المرأة إذا كان معسرا.

٢٣- يجوز تسويف أمر الطلاق سنة أو أقل،و يفرق فيها بين الزوجين في حال كراهة الزوجة إياه أو في حالة المرض.

٢٤- يحبذ للرجل أن يطلق امرأته إذا كان لا يصلح للنساء خاصة إذ عالج نفسه ثلاث سنين و لم ينجح فيها العلاج.

٢٥- إذا ساءت أخلاق الزوجة أو خرجت عن الحشمة فلزوجها الخيار أن أراد أن يخلي سبيلها مع تأدية حقوقها ولو كانت أول زوجة له.

٢٦- يجوز طلاق الخرساء إذا كان الخرس طارئا.

٢٧- يجوز طلاق الصغيرة المميزة.

٢٨- لا يجوز طلاق المجنونة قبل شفائها وإنما للرجل أن يتزوج عليها بحيث لا يضر هذا بمؤنتها وعلاجها.

٢٩- يقبل الطلاق من الأخرس بأشارته إذا كان الخرس طارئا.

---

(١) قوانين الأحوال الشخصية ص ٤٣١.

٣٠- لا يملك المطلق تحريم المرأة على أحد فكل شرط في الطلاق من هذا القبيل باطل وإنما للرجل عند الطلاق أن يخبر عمن تسبب فيه وللسلطة الشرعية منع زواجه بالمطلقة تحريماً لها عليه.

٣١- يكلف الرجل شرعاً بطلاق امرأته ولو رزقت منه إذا كان هو السبب في طلاقها من غيره بزناه معها ولا يلزم بما لها من حقوق.

٣٢- لا يسوغ للرجل بعد طلاق امرأته إقامته معها.

٣٣- إذا كان المسكن للاثنين جميعاً كلفت المرأة بالانتقال إلى مسكن آخر، فإذا كان الملك لها أو لأبويها ، فالمكلف بالانتقال هو الرجل.

٣٤- إذا كان المرض أضر بالنطق وأمكن فهم ارادة الطلاق بالإشارة فلا مانع من الطلاق.

٣٥- زواج اليتيمة القاصرة يرفع بالفسخ متى أرادت ذلك.

٣٦- يسلم الرجل بيد وثيقة الطلاق إلى مطلقته قائلاً لها أستلمي وثيقة طلاقك ، فأنت طالق وصرت حلاً لغيري.

٣٧- إذا خرج الزوج عن الملّة وأراد أن يطلق في غياب الزوجة أقام لها وكيلاً يدفع إليه وثيقة الطلاق.

٣٨- إذا فجرت المرأة وامتنعت عن الحضور أقامت لها السلطة الشرعية وكيلاً يقبل الطلاق عنها.

المبحث الثالث

الطـلاق وحقـوق المرأة

يندرج تحت هذا العنوان مطلبين اثنين :

الأول: يقضي بطلاق المرأة بلا حقوق في الأحوال التالية(١):

٣٩- إذا تكرر من الزوجة شتم زوجها: عندها توبخ وتنـذر، فـأن عـادت لفعلتـها سقطت جميع حقوقها.

٤٠- إذا منعت نفسها من زوجها لكراهيتها إياه، فليس لها غير ما هـو موجـود مما دخلت به، ولا حق لها فيما اشتراه لها من ماله وأهداه إليها.

٤١- إذا كرهت المرأة الرجل وأبت منه الطلاق،أعطيت مهلة أما سنة واحدة، فـإن رغبت في الصلح قبل انتهاء مدة السنة والرجل يأبى إلا طلاقـها فعليـه حقوقـها، وإذا كانت رغبتها في الصلح بعد انقضاء السنة فالرجل مخيّر فله أن يطلق ولا حقوق لها).

٤٢- إذا زنت الزوجة فلا حقوق لها.

٤٣- إذا خرجت عن مفاهيم الأدب والحشمة والشرع تطلق بلا حقوق.

٤٤- عند مخالفتها للأدب وبشـهادة شـاهدين عدلـين وإنـذار بسـقوط حقوقـها إذا عادت للمخالفة.

٤٥- ليس لمن يثبت عليها الزنا عند الطلاق غير ما هو موجود ممـا دخلـت بـه فمـا فقد أو سرق أو تلف أو بيع لاحق لها فيه.

---

(١) قوانين الأحوال الشخصية ص٤٣٥.

٤٦- إذا نظر الرجل إلى امرأته وهي تزني، أو علم من ثقة أو أعتقد زناها، فلا حقوق لها إلا إذا أنكرت ذلك، فعليها حينئذ البينة عدا حالة الرؤية.

٤٧- إذا حلف الزوج على زوجته أن لا تكلم إنسانا معينا وأنذرها بسقوط حقوقها و لم تمثل الزوجة كانت مخالفة شرعا وضاعت عليها حقوقها.

٤٨- ليس للزوجة مهرها ومؤجل صداقها إذا لم تتبع الزوج إلى جهة إقامته المنتقل إليها، ما لم ينص في العقد خلاف ذلك.

٤٩- إذا ظهر بالزوجة عيب شرعي لم يكن الزوج يعلم به فليس لها عند الطلاق إلا ما دخلت به، فإذا أدعت اللياقة فحصت شرعا وبقيت بلا نفقة حتى تظهر نتيجة الفحص.

٥٠- إذا تكرر ثلاث مرات متتاليات عقب الزواج ظهور دم الحيض في الزوجة حين اختلاء الرجل بها فليس لها إلا ما دخلت به، وكذلك لها ما دخلت به إذا أثبت الزوج أنها تصرفت في بكارتها أو هي أقرت بذلك أو أبت أن تحلف اليمين.

ثانيا: يقضى بطلاق الزوجة مع احتفاظها بكامل حقوقها وذلك في الأحوال التالية(١):

٥١- إذا منع الرجل نفسه عن زوجته بلا موجب مشروع عد شرعا كارها فيلزمه حقوقها.

٥٢- يعتبر ضرب المرأة محرما شرعا – عند اليهود – فإن أعاده مرارا وتكرارا بعد حلفه بعدم الإتيان به أمر بالطلاق ودفع الحقوق كاملة لزوجته.

٥٣- إذا مات الرجل عن غير عقب، وكان أخوه معيبا مثله في رائحته حرمته نفسها فلها شرعا أن ترفض الزواج به وعليه إبراؤها ولا تسقط حقوقها.

---

(١) قوانين الأحوال الشخصية ص ٤٣٦.

٥٤- إذا كان بالرجل رائحة كريهة في أنفه أو فمه أو أنه اشتغل دباغاً أو ما شـلبه، جاز إجابة طلب زوجته بالطلاق منه.

٥٥- إذا كان المرض صرعاً في أحد الزوجين وجب الطلاق ولا تسـقط حقـوق الزوجة وإذا أعسر الرجل، فنظرة إلى ميسره وإذا كان الزنا اغتصاباً شرعاً فلا تحـرم الزوجة ولا تسقط حقوقها.

٥٦- إذا كان العيب غير خفي أو علم به الرجل وسكت، عُدّ سكوته رضى مـن قبله. فإذا رغب في الطلاق لزمته حقوق زوجته جميعها.

٥٧- عقم الزوجة عشر سنين أو خمساً إذا كانت ثيباً يوجب ذلك علـى الرجـل شرعاً ان يطلقها ولها مالها من الحقوق.

٥٨- للمرأة كل الحقوق في العقد إذا مر أول اختلاء بها بلا ظـهور دم تم تكـرر الظهور.

الفصل الثاني

إنحلال الزواج في الشريعة المسيحية

- تمهيد
- المبحث الأول: انحلال الزواج (الموت الحقيقي والموت الحكمي)
- المبحث الثاني: انحلال الزواج بغير الموت

تمهيد:

يعبر الطلاق عن حق إنهاء العلاقة الزوجية بالإرادة المنفردة دون تدخل من المحكمة وهذا هو المعنى المقصود به في الشريعة الإسلامية لمفهوم لفظ الطلاق.

ولكن الشريعة المسيحية لا تعرف الطلاق على هذا المعنى وعلى اختلاف مذاهبها لا تعرف الطلاق بالإرادة المنفردة للزوج كما هو شأن الشريعتين الإسلامية واليهودية، فالزواج لا ينحل في الشريعة المسيحية إلا لأسباب محددة، ولا بد من صدور قرار بإنحلاله من السلطة التي تهيمن على علاقات الأسرة سواء كانت سلطة الدولة أم سلطة الكنيسة.

فلا يصح لأحد الزوجين أن ينهي العلاقة الزوجية بأرادته المنفردة. ومن جهة أخرى فالشريعة المسيحية لا تجيز للطرفين الاتفاق على إنهاء الرابطة الزوجية[1]، أي أنها لا تقبل بالتراضي بين الطرفين لإنهاء عقد الزواج وهذا الأمر لا خلاف فيه بين جميع الطوائف المسيحية حتى بالنسبة للحالات التي يفرض فيها بين الزوجين عن طريق الانفصال الجسماني.

فلا يجوز أن يتم ذلك بالإرادة المنفردة كما لا يجوز أن يتم عن طريق الاتفاق بل يتم دائما بتدخل السلطة القضائية حتى لو وجد سببا من أسباب التطليق التي تقرها الشرائع الكنسية التي تحدد وتقضي ما إذا كان السبب متوافرا أو غير متوافر، فلو أبيح للطرفين الاتفاق على التطليق لسهل عليهما الأمر في الإدعاء بأي سبب صوري لكي يتوصلا بذلك إلى إنهاء الرابطة الزوجية.

وعندما أباح رجال الكنيسة إنحلال الزواج أستلزموا أن يتم ذلك على يد سلطة الكنيسة المختصة وبحكم يصدر عنها وهم ينظرون إلى أن الزواج هو رابطة مقدسة وسر من أسرار الكنيسة ، وإن الإرادة الألهية تتدخل في انعقاده إذ يتم انعقاد عقد

---

(١) انظر تشريعات الأحوال الشخصية / فتحية قورة ص ٢٢٩ – دار المطبوعات الجامعية / الإسكندرية ١٩٩٣.

الزواج على يد رجل الدين لذا لا يصح أن يترك حل رابطة الزواج لإرادة البشر ولا بد من إتمامها أمام الكنيسة.

والمشهور عن الشريعة الكاثوليكية أنها لا تعرف التطليق، ولكن مع ذلك هناك ثلاثة أسباب للإنحلال وهي الترهب الاحتفالي وصدور قرار من البابا إذا لم يكن الزواج قد اكتمل بالدخول وكذلك خروج أحد الزوجين عن الدين المسيحي ولو كان الزواج مكتملاً.

ويعتبر الزنا هو السبب الأول للتطليق في الشريعة المسيحية على أساس أن السيد المسيح قد ذكره كسبب مبرر للتطليق ومع ذلك فالكنيسة الكاثوليكية لا تجعله سبباً لإنحلال الزواج ولكن للأنفصال الجسماني فقط.

ورغم وجود قدر مشترك بين الطوائف المسيحية المختلفة حيال التطليق فأنها تعزوا إنحلال الزواج إلى أسباب محددة لكنها تختلف فيما بينها في تحديد هذه الأسباب.

المبحث الأول

إنحلال الزواج

(الموت الحقيقي والموت الحَكمي)

تنقضي الرابطة الزوجية بموت أحد الزوجين، ويحل لمن لم يمت أن يتزوج ثانية، وبالموت تتوقف كافة الآثار التي كانت مترتبة على العلاقة الزوجيةن ولا خلاف بين جميع المذاهب المسيحية حيال ذلك[1] ويجب التثبت حقيقة من وفاة الزوج الآخر بيقين تام لا شك فيه.

ومع ذلك ففي بعض الأحيان تحكم الكنيسة المسيحية بموت الشخص إذا لم يمكن القطع بحياته أو مماته والمقصود هنا (المفقود).

المفقود: هو الشخص الذي غاب عن موطنه أو محل إقامته غيبه منقطعة وانقطعت اخباره بحيث لا تعرف حياته من مماته[2].

وفي هذه الحالة يبيح القانون اعتباره ميتاً متى توافرت شروط معينة تدعم الوفاة. فالكنيسة القبطية الارثذوكسية نصت على أنه إذا غاب أحد الزوجين خمس سنوات متتالية بحيث لا يعلم مقره ولا تعلم حياته من وفاته وصدر حكم بإثبات غيبته جاز

---

(١) انظر شرح تشريعات الأحوال الشخصية ص ٥٤٣/ تشريعات الأحوال الشخصية ص ٣٥٣/ قوانين الأحوال الشخصية نجاة قصاب ص٣٣٦.

(٢) أحكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين د. توفيق حسن فرج ص ٢٧٠.

للزوج الآخر أن يطلب الطلاق[1].

ويحكم بموت المفقود بعد أربع سنوات من تاريخ فقده إذا كان يغلب عليه الهلاك في حرب أو كارثة[2].

ويفوض أمر تحديد المدة للمفقود الذي انقطعت أخباره – كمن سافر إلى بلدٍ آخر طلباً للعلم أو للسياحة – إلى القاضي الذي يتحرى عنه بجميع الطرق الموصلة لمعرفة ما إذا كان حياً أو ميتاً[3].

وصدر في مصر قانون رقم ٣٣ لسنة ١٩٩٢ بمناسبة حادث غرق أحد العبارات في البحر الأحمر، وتيسيراً على أسر المفقودين نصّ على أعتبار المفقود ميتاً بعد مضي سنة واحدة من تاريخ الفقد خاصة في تلك الحالة او في حالة طائرة سقطت أو كان المفقود من أفراد القوات المسلحة وفقد أثناء العمليات الحربية[4].

---

(١) شرح قانون الأحوال الشخصية للمسلمين وغير المسلمين المستشار أنور العمروسي ص ٣٥١ دار المطبوعات الجامعية الإسكندرية ط٢-١٩٩٣ / تشريعات الأحوال الشخصية ص ٢٢٥.

(٢) أحكام الأحوال الشخصية ص ٢٧١.

(٣) أحكام الأحوال الشخصية ص٢٧١.

(٤) أحكام الأحوال الشخصية ص٢٧١.

المبحث الثاني

إنحلال الزواج بغير الموت

تيسيرا للبحث في هذا المبحث آثرت تقسيمه إلى مطلبين أثنين هما:

المطلب الأول : التطليق

المطلب الثاني : أسباب التطليق

المطلب الأول

التطليق

الزواج رابطة مؤبدة غير قابلة للإنحلال في الشريعة المسيحية وهي من أهم الخصائص الجوهرية لسر الزواج المسيحي. ووصف التأبيد الذي يلحق بالزواج وعدم قابليته للإنحلال نابع من أقوال مشرعة للسيد المسيح وكذلك أقوال الرسل، وجعلته الكنيسة كمبدأ لقاعدة عامة ومع ذلك توجد حالات تحل فيه الرابطة الزوجية لكن تلك الحالات لم تنل من الأصل العام وهو قابلية الزواج للإنحلال سواء كان بالموت أو بأسباب سيأتي بيانها لاحقا.

ويباح إنحلال الرابطة الزوجية حال حياة الزوجين عند المذهبين الأرثذوكسي والبروتستانتي فالمذهب الأرثذوكسي بطوائفه المختلفة لم يتفق فيما بين طوائفه على الأسباب الموجبة لإنحلال الرابطة الزوجية في غير حالة الزنا، فمنهم من يتوسع في بيان تلك الأسباب، وآخرون يضيق فيها، أما المذهب البروتستانتي فأنه يجعل من الزنا ومن

الخروج عن الديانة المسيحية سببين لانحلال الرابطة الزوجية عن طريق التطليق.

واستبعد التطليق في غير الحالات المحددة مثلما هو الحال في تشريعات الكنيسة القبطية الارثذوكسية من رفض التطليق للإعسار إذ الإعسار لم يرد بين أسباب التطليق في شريعة هذه الطائفة[1].

ولما كان تحديد أسباب التطليق عند الطوائف المسيحية التي تبيحه هو الذي أدى كذلك إلى رفض أغلبية المحاكم الكنسية لأسباب لم ترد في شرائعها مثل حالة العقم.. ومن الطبيعي أن هذا الاتجاه في الأحكام الطائفية المسيحية له سنده في الكتاب المقدس إذ يتبين من خلال الشروحات الكنسية وأجوبتها أنه لا توجد قاعدة للقول بأن أحد الزوجين أو كليهما عاقر، وهناك نماذج في الكتاب المقدس صورت حالات استمرت فيها العلاقة الزوجية دون أن ينجب الزوجان ذرية ثم رزق بها فيما بعد.

وفي المقابل وجدت هناك أحكاماً تبيح التطليق بسبب العقم على أساس عدم تحقق الغاية من عقد الزواج وهو الإنجاب وخاصة إذا تعلق الأمر بحالة يتحقق فيها سبب العقم. ولما كان الأصل هو عدم قابلية الزواج للانحلال والخروج على هذا الأصل يتعين وجود نص صريح على ذلك فإذا لم ينص على العقم كسبب من أسباب التطليق فأن معنى ذلك تطبيق الأصل العام وعدم إدخاله في الاعتبار كسبب من أسباب التطليق.

ورغم أن الأحكام التشريعية للأقباط الارثذوكس قد ذكرت نوعين من الموانع الموجبة لانحلال الرابطة الزوجية متمثلة أولاها بنوع لا يمكن معه الاتصال الجنسي الكامل كالعنين، ونوع آخر تحقق منه خطورة على الزوج وهو الأمراض الخطيرة كالجذام والبرص ولكنها مع ذلك لا تدخل العقم فيها كسبب معتبر. وكذلك الحال عند الكاثوليك الذي نص قانونهم في مادته المرقمة ٣/٨٠١ على أن (العقم لا يحرم

---

(١) أحكام الأحوال الشخصية ص ٢٨٥.

الزواج ولا يبطله)[1].

ومما لا شك فيه أن تحديد أسباب التطليق يحقق حصر نطاق الحالات التي يباح فيها الطلاق، ولاحظت الشرائع الكنسية أن تضييق الأسباب التي يباح فيها الطلاق وحصرها في أضيق نطاق يعني ترك المجال فيها واسعاً لتقدير القضاء نظراً لمرونة المعايير التي تقوم عليها مثل ما يعتبر (تزعزع الحياة الزوجية أو تصدعها) في القانون اليوناني. وما يعتبر (أساءة بالغة) يبرر الطلاق في القانون الفرنسي .(والإخلال بالتزامات الزواج) كسبب مبرر للطلاق في القضاء الإلماني[2].

والتشريعات الكنسية تختلف من حيث نظرها إلى أسباب التطليق[3] فمنها ما يجعله علاجاً ومنها ما تجعله عقوبةً، فالعلاج في نظرهم وسيلة للتخلص من رابطة لا يمكن أن تتحقق في ظلها غايات الزواج حتى ولو لم يثبت خطأ في جانب أحد الزوجين مثل الأمراض بصفة عامة، أما الذين ينظرون إلى التطليق كعقوبة جزاء على خطأ جسيم ارتكبه أحد الزوجين ضد الآخر وفي هذه الحالة يجب أن تكون الوقائع خطأ فأن لم تكن كذلك فأنه لا يؤخذ بها كسبب للتطليق وعلى الزوج الآخر أن يتحملها مهما كانت العواقب وخيمة مثل زنا أحد الزوجين أو اعتداؤه على حياة الآخر أو إيذاؤه

والقانون المدني اليوناني يجمع بين فكرة الطلاق كجزاء وعلاج وهو نفس الشأن أيضاً بالنسبة للقواعد الخاصة بالطوائف الارثذوكسية[4].

---

(١) أحكام الأحوال الشخصية ص ٢٨٢.

(٢) انظر نماذج تشريعات الطلاق في القوانين الغربية التي سيأتي بيانها لاحقاً.

(٣) أحكام الأحوال الشخصية ص ٢٨٣-٢٨٤.

(٤) أحكام الأحوال الشخصية ص ٢٨٤.

المطلب الثاني

أسباب التطليق

أولا: الأسباب المشتركة للتطليق بين الطوائف المسيحية

الخروج عن الدين المسيحي

اتفقت جميع الشرائع المسيحية أنه لو خرج أحد الزوجين عن الدين المسيحي يعد الزواج منحلا، وانحلاله ليس تلقائيا بل بطلب يقدم من الزوج الآخر بحيث إذا رضى الزوج المسيحي أن يستمر بالارتباط بالزوج الذي خرج من الدين المسيحي فأن الزواج يظل قائما.

وذكرت المادة (٤٩) من قانون الأقباط الاثذوكس ما نصه (ينفسخ الزواج إذا خرج أحد الزوجين عن الدين المسيحي)[(١)] وكذلك الحال في قانون الانجيليين الذي نص أنه (لا يجوز الطلاق إلا بحكم وفي الحالتين الآتيتين... ثانيا إذا أعتنق أحد الزوجين ديانة أخرى غير الديانة المسيحية وطلب الزوج الآخر الطلاق)[(٢)].

أما الإرادة الرسولية للكاثوليك فقد وضعت نصوصا مفصلة اشترطت أن يكون اختلاف الدين طارئا بعد الزواج أما إذا تم الزواج بين شخص مسيحي وشخص غير مسيحي بمقتضى إذن بذلك من الكنيسة وإعطاء الأذن في هذه الصورة جائز عند الكاثوليك فلا يحق للزوج المسيحي أن يطلب بعد ذلك انحلال الزواج بسبب اختلاف الدين[(٣)].

---

(١) أحكام الأسرة للمصريين غير المسلمين / د. سمير عبد السيد تناغو ص ٣٣٦- رمضان للطباعة – الإسكندرية ١٩٩٧-١٩٩٨/ أحكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص ٢٨٨.

(٢) أحكام الأسرة للمصريين غير المسلمين ص ٣٣٦.

(٣) أحكام الأسرة للمصريين غير المسلمين ص ٣٣٨/أحكام الأحوال الشخصية ص٢٨٩.

أن القواعد الخاصة بالطوائف المسيحية لم تتحدث عن حالة الخروج عن المذهب كسبب التطليق، ولكن الظاهر أن مثل هذا الخروج لا يعتبر سبباً للتطليق، فالقواعد الخاصة بالسريان الأرثذوكس قد بينت أنه إذا أنتحل أحد الزوجين مذهب إحدى الفرق المسيحية الأخرى فلا يفسخ عقد زواجه بل يوعظ(١) وعليه فأن إنطباق الشريعة المسيحية محكوم بشروط معينة ينبغي توافرها ومنها اتحاد الأفراد في الملة والطائفة.

ومجمل هذه الأحكام في الشريعة المسيحية مصدرها الأنجيل وتسمى (الأمتياز البولسي) نسبة إلى بولس الرسول إذ جاء على لسانه ما نصه (أقول أنا، لا الرب إن كان أخ له امرأة غير مؤمنة وهي ترتضي أن تقيم معه فلا يتركها والمرأة التي لها رجل غير مؤمن وهو يرتضي أن يقيم معها فلا تترك رجلها فأن الرجل غير المؤمن يقدس بالمرأة المؤمنة والمرأة الغير مؤمنة تقدس بالرجل المؤمن والا فيكون أولادكم نجسين والحال أنهم قديسون وإن فارق الغير مؤمن فليس الأخ أو الأخت مستعبداً في مثل هذه الأحوال ولكن دعانا الله إلى السلام)(٢).

ويقصد بالحكم هنا أن اختلاف الدين بين الزوجين الطارئ بعد الزواج، وهذا الأمر يصوره تمام الزواج بين شخصين اثنين غير مسيحيين ثم آمن أحدهما بالدين المسيحي وينطبق أيضاً على الزواج بين شخصين مسيحيين ثم خرج أحدهما عن الدين المسيحي.

إن بولس الرسول يدعو الزوج المسيحي إلى المحافظة على العلاقة الزوجية وعدم المساس بها والعمل على عدم انحلالها، وأن الزوج المسيحي لا يظل مستعبداً ومعنى ذلك أنه لا يظل مرتبطاً بالزواج رغم أن زوجه قد فارقه فيجوز له أن يتحرر من

---

(١) أحكام الأحوال الشخصية ص ٢٨٩.

(٢) الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس ٧: ١٢-١٥.

الزواج وأن يعقد لنفسه زواجا ثانيا[1]. وهذا الرأي يعارض ما ذهب إليه الانجيليون من رفض الزوج الذي خرج عن الدين المسيحي أن يتقدم بطلب الطلاق.

وبمعنى آخر فالزوج المسيحي لا يعتبر زواجه منفسخا إلا إذا رفض الزوج الآخر أنه يعود إلى الدين المسيحي مرة أخرى وكذلك رفضه المساكنة بسلام لأنه (يجب على الزوج المهتدي إلى الإيمان والمتعمد قبل أن يعقد زواجا صحيحا آخر... أن يستوجب الفريق غير الكاثوليكي هل يريد هو أيضا أن يهتدي ويتعمد هل يريد على الأقل أن يساكنه بسلام دون أهانة الخالق وللكرسي الرسولي (الكاثوليك) وحده الأعفاء من القيام بهذا الاستجواب ويجب أن يتم الاستجواب أمام الرئيس الكنسي أو على الأقل أمام شاهدين حتى يمكن إثباته عند النزاع)[2].

ومن خلال هذه الأحكام يريد بولس الرسول أن يحث الزوج المسيحي أن يحافظ بقدر طاقته على الزواج بحيث لا يأتي انحلاله إلا من جهة الزوج غير المسيحي. وهو ما نصت عليه أحكام الكاثوليك في إرادتهم الرسولية التي أكدت على أن حق الزوج المسيحي في طلب الزواج مرة أخرى يسقط إذا كان هو الذي رفض أن يساكن الزوج غير المسيحي حتى اضطر أن يفارقه وهو ما يعبر عن النص بقوله (إذا كان بعد عماده أحدث للفريق غير المتعمد سببا عادلا لمغادرته)[3].

ويسمى الامتياز البولسي امتياز الإيمان لأنه يغلب الإيمان على الزواج وأما لأنه يسمح بالإبقاء على الزواج من شخص غير مسيحي على خلاف الأصل في عدم صحة الزواج بين شخص مسيحي وآخر غير مسيحي والامتياز هنا هو المحافظة على الرابطة الزوجية ولو اختلف الإيمان[4].

---

(١) أحكام الأسرة ص ٣٣٧.

(٢) أحكام الأسرة ص ٣٣٨.

(٣) أحكام الأسرة ص ٣٣٩.

(٤) أحكام الأسرة ص ٣٣٩-٣٤٠.

ومجمل القول في هذه الأحكام أن خروج أحد الزوجين على الدين المسيحي لا يكفي وحده لطلب التطليق بل يجب أن يكون معه سوء معاملة الزوج غير المسيحي للزوج المسيحي وعدم رغبته في مساكنتة بسلام وكذلك احترام عقيدته.

والواقع أن التطليق في الشريعة المسيحية بسبب الخروج عن الدين المسيحي هو في حقيقته تطليق للضرر مما يجعل الحكم متفاديا بين الشريعة المسيحية والشريعة الإسلامية. ففي حكم الإسلام أن التغيير إذا كان الزوج هو الذي اعتنق الإسلام فالزواج يبقى قائما مع الزوجة سواء أسلمت أم بقيت على ديانتها المسيحية، وأما إذا كانت الزوجة هي التي أسلمت فينفسخ عقد الزواج تلقائيا ما لم يقبل الزوج المسيحي عرض زوجته بالدخول في الإسلام.

أما إذا كان التغيير في الديانة إلى اليهودية فأن الزواج يظل قائما سواء حدث التغيير من الزوج أو الزوجة لأن ملة الإسلام ملة واحدة والإسلام يقر الزواج بين مختلفي الملة أو المذهب طالما كان الطرفان يدينان بكتاب سماوي.

ثانيا : الأسباب المشتركة لانحلال الزواج بين الأرثذوكس والانجيليين

وردت نصوص من الكتاب المقدس تشير إلى انحلال الرابطة الزوجية بسبب الزنا، وأشارت إليها كذلك كتب الفقه الكنسي على اختلاف أنواعها، وبها جميعا انعقد إجماع الطوائف الاثذوكسية والبروتستانتية على الأخذ بها بجانب اشتراكهم مع الكاثوليك في اعتبار الخروج عن الدين المسيحي سببا لذلك أيضا ولكن الكاثوليك لا يأخذون بسبب الزنا انحلال الرابطة الزوجية بل يعتبرونه من أسباب الانفصال الجسماني فقط.

وورد في انجيل (متى) التطليق بسبب الزنا على لسان السيد المسيح قوله (من

طلق امرأته إلا بسبب الزنا وتزوج بأخرى يزني)[1]. والتفسير اللفظي للنص يجعل الزنا هو السبب الوحيد للتطليق.

ولم يفرقوا بين زنا الزوج وزنا الزوجة فنص المادة (٤٨) من قانون الأقباط الاثذوكس تقرر أنه (يجوز لكل من الزوجين أن يطلب الطلاق لعله الزنا)[2] وكذلك الحالة بالنسبة للأنجيليين فقد نص قانونهم على أنه (لا يجوز الطلاق إلا بحكم وفي الحالتين :- أولا: إذا زنى أحد الزوجين وطلب الطلاق الزوج الآخر)[3].

أن حل الرابطة الزوجية إذا كان في الأصل غير مطبق في الكنيسة الكاثوليكية إلا أنه في حالة الزنى إذا لم يغفر الزوج لزوجته الزانية صراحة أو ضمناً يحق له حل الشراكة في الحياة الزوجية ما لم يكن قد رضى بالزنى أو أتاح له سبباً أو أقترف هو نفسه الزنا.

والظاهر أن كتب الفقه الكنسي قد نظرت إلى زنا الزوجة وجعلت منه سبباً لأنهاء الرابطة الزوجية على أساس أن النتائج المترتبة عليه تعتبر أكثر خطورة من زنا الرجل، وخاصة فيما يتعلق باختلاط الأنساب.

ونصوص طائفة السريان الاثذوكس قد تعرضت لزنا المرأة فقط باعتباره سبباً للتطليق مبررة وجهة نظرها بأسباب ثلاثة[4]:

١- أن فضيحة المرأة بسبب الزنا، بسبب الحبل أكثر من الرجل.

٢- أن أولاد الرجل الزاني لا يختلطون بأولاد امرأته الشرعية ولا يرثون معهم أما أولاد المرأة الزانية فأنهم يختلطون بأولاد زوجها الشرعي ويرثون معهم.

---

(١) انجيل متى ١٩: ٩.

(٢) أحكام الأسرة ص ٣٤١-٣٤٢.

(٣) أحكام الأسرة ص ٣٤١-٣٤٢.

(٤) أحكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص ٢٨٦.

٣- أن أولاد الزناة هم أولاد بالظن وأولاد الزانيات أولاد حق.

ومع أن الأنجليين والارثذوكس اتفقا على اعتبار الزنا من أسباب التطليق من حيث المبدأ إلا أن خلافاً كان يجري بينهما من حيث التطبيق بسبب صعوبة إثبات الزنا في الواقع مما دعا البروتستانت إلى اعتبار إثبات الزنا من الأمور المستحيلة وبالتالي إلى رفض الحكم بالتطليق لهذا السبب مهما كان الأدلة[١].

وعلى العكس من ذلك فالارثذوكس لم يتشددوا في إثبات الزنا بل أنهم اعتبروا سوء السلوك من دلائل الزنا وله نفس الحكم وهو ما نصت عليه (مجموعة ١٩٣٨) للأقباط الاثذوكس التي تقرر أنه (إذا ساء سلوك أحد الزوجين وفسدت أخلاقه وأنغمس في حمأة الرذيلة ولم يجد في إصلاحه توبيخ الرئيس الديني ونصائحه جاز للزوج الآخر أن يطلب الطلاق)[٢].

ومستندهم في هذا الرأي ما ورد في كتاب (المجموع الصفوي) لابن العسال الذي يقرر أنه إذا (شربت المرأة بغير رأي زوجها مع رجال أو استحمت أو مضت إلى مواضع العيد والجموع وزوجها مانع ذلك أو باتت خارج منزله إلا إن كان بياتها في بيت والديها أو لم يكن لها أب وكان هو السبب في بياتها خارجاً)[٣] وبهذا الحكم أخذ القانون المدني الفرنسي[٤].

ويذهب القانون الكنسي إلى ما هو أبعد من الزنا ومدلوله باعتباره سبباً للتطليق، إذ يمتد إلى حالات أخرى لا يقع فيه أتصال جنسي وإنما يكون من شأنها أن تحمل على الاعتقاد بوجوده لأنها تؤدي إليه وقد عبر (ابن العسال) عن ذلك بقوله (ما يستلزم الزنا في الأكثر)[٥] وإن لم يثبت أرتكابه فعلاً.

---

(١) وهو ما صرح به الدكتور إبراهيم سعيد رئيس الطائفة الانجلية بمصر.

(٢) أحكام الأسرة ص ٣٤٢/انظر تشريعات الأحوال الشخصية ص٢٢٦.

(٣) احكام الأسرة ص ٣٤٢/ تشريعات الأحوال الشخصية ص ٢٢٧.

(٤) انظر النصوص القانونية لتشريع الطلاق في القانون المدني الفرنسي آخر المبحث.

(٥) أحكام الأحوال الشخصية ص ٢٨٧.

وجاء في الخلاصة القانونية للارثذوكس أنه (إذا تمادت الزوجة على إجراء ما يستلزم أفساد عفتها كما إذا سكرت أو سمعت الملاهي مع رجال أجانب أو ترددت إلى أماكن اللهو بدون أذن الرجل أو ما يجري مجرى ذلك مما يشين عرضها ويعرضها لخطر الفساد ولم تنته ولم تتب واستمرت بعد نصحها وتوبيخها وردعها من الرئيس ثلاث مرات، مواظبة على قباحتها يكون ذلك موجباً لفراقها من الرجل بفسخ زيجتها)[1].

ولا يشترط وقوع الزنا في منزل الزوجية خاصة بالنسبة للرجل فلو ارتكب الرجل الزنا في مكان ما جاز لزوجته طلب التطليق، كما لا يشترط الاعتياد على الزنا من أي من الزوجين بل يكفي ارتكاب الفعل ولو مرة واحدة[2].

ويشترطون توافر الركن المعنوي في الزنا وهو ارتكاب الفعل عن حرية واختيار وهو ما لا يتحقق إذا كان الزوج قد دخل في علاقة جنسية تحت اكراه او اغتصاب أو وقع في غلط بأن أعتقد أن الطرف الآخر في العلاقة هو زوجته، وهذا الفعل الصادر عن حرية أو اختيار لا يعتبر أو يعتد به إذا كان من قام به عديم القوى العقلية بأي وصف من الأوصاف[3].

ولا يحق لأحد الزوجين أن يطلب التطليق بسبب الزنا إذا كان هو الآخر قد ارتكب نفس الجرم. وكذلك الحال لا يحق للزوج طلب التطليق بسبب الزنا من الزوج الآخر إذا كان هو دفعه إلى ذلك بخطئه كما لو حرّض الزوج زوجته على الزنا والدعارة[4].

---

(١) أحكام الأحوال الشخصية ص ٢٨٧/ قوانين الأحوال الشخصية ص ٢٠٤.

(٢) أحكام الأسرة ص ٣٤٣/ تشريعات الأحوال الشخصية ص ٢٢٧.

(٣) أحكام الأسرة ص ٣٣٤-٢٤٥.

(٤) أحكام الأسرة ص ٣٤٥.

ويثبت زنى الزوجة بالأحوال التالية:[1]

١- بشهادة أربعة شهود مسيحيين عاقلين بالغين.

٢- إذا حبلت الزوجة وكان زوجها غائباً أو كان حاضراً وكان من المتعذر عليه معاشرتها معاشرة الأزواج لعله ثابتة.

٣- إذا اشتهر أمرها بالزنا أو التردد إلى محلات معروفة بالدعارة أو مشتبه بها وما أشبه ذلك.

٤- إذا ثبت على المرأة تهمة الزنا في أحد المحاكم الجزائية واكتسب الحكم الدرجة القطعية.

ثالثاً: التطليق عند الانجيليين:[2]

نصت المواد التالية على إنحلال الزواج بالتطليق عند الإنجيليين وهي:

المادة ١٧: الطلاق هو فسخ عقد بين زوجين.

المادة ١٨: لا يجوز إلا بحكم من المجلس العمومي وفي الحالتين التاليتين:

١-إذا زنى أحد الزوجين وطلب الطلاق الزوج الآخر.

٢-إذا اعتنق أحد الزوجين ديانة أخرى غير الديانة المسيحية وطلب الزوج الآخر الطلاق.

المادة ١٩ : في الحالة الثانية المذكورة في المادة السابقة لا يحكم بالطلاق إلا لصالح الزوج الذي بقي على دينه المسيحي.

---

(١) قوانين الأحوال الشخصية ص ٢٠٤-٢٠٥.

(٢) تشريعات الأحوال الشخصية ص ٤٠٣.

رابعاً: أسباب انحلال الزواج الخاصة بالارثذوكس

السبب الأول: الغيبة

لم تتعرض الطوائف المسيحية للغيبة كسبب من أسباب التطليق، وانفردت الطائفة الأرثذوكسية بجعله سبباً للتطليق وفرقت بين حالتين: حالة الغائب الذي انقطعت أخباره بحيث لا تعلم حياته من وفاته، وحالة الغائب الذي تأكدت حياته.

فالغيبة بالمعنى الأول قررت معناه وحكمة المجموعة القانونية للأقباط الأرثذوكس بما نصه (إذا غاب أحد الزوجين خمس سنوات متوالية بحيث لا يعلم مقره ولا تعلم حياته من وفاته وصدر حكم بإثبات غيبته جاز للزوج الآخر أن يطلب الطلاق)[1] ويترك تقدير المدة في أحوال أخرى يغلب فيها الهلاك إلى القاضي وذلك كله بعد التحري عنه بجميع الطرق الممكنة الوصول إلى معرفة أن كان المفقود حياً أو ميتاً، وبعد صدور الحكم تعتد زوجة المفقود عدة الوفاة.

أما الحالة الثانية فهو حالة الغائب غيبة منقطعة ولكن لا يحكم بفقده بعد أربع سنين ويكون ذلك في حالة الغياب في ظروف لا يغلب عليه فيها الهلاك[2].

ولا يعتبر انحلال الزواج في هذه الحالة تطليقاً بسبب الغيبة ولكنه انحلال بسبب الوفاة الحكمية للزوج الغائب أو المفقود ويرى فريق من فقهاء الارثذوكس أنه لا يمكن حل الرابطة الزوجية بسبب الغيبة المنقطعة المعلوم فيها حياة الغائب يقول ابن العسال في هذا الصدد (... لكنه ما دام ظاهراً أن الرجل والمرأة باقيان فنحن نترك الخلطة على جملتها ولا تصير إلى تزوج ثان لا النساء ولا الرجال فأن تهجموا عوقبوا)[3].

(١) أحكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص ٢٩٠/تشريعات الأحوال الشخصية ص٢٢٥/أحكام الأسرة ص ٣٤٧.

(٢) أحكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص ٢٩٠/أحكام الأسرة ص ٢٤٧/تشريعات الأحوال الشخصية ص٢٢٥.

(٣) أحكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين – ٢٩٢-٢٩٣.

ويرى بعضهم أن (إذا ثبت بقاء الغائب على قيد الحياة أنتظر الآخر حتى يعود لأمر الكتاب)[1] وهذا الرأي يمثل الاتجاه الأول في الفقه والمجموعات الفقهية الحديثة، والاتجاه الثاني فأنه يرى أمكان إنهاء الرابطة الزوجية حتى في هذه الحالة ولكنه يمدد الفترة للغيبة إلى سبع سنوات أو ثبت أن الغائب قد تزوج[2].

أن الحاضر بين الزوجين يتضرر من غيبة الآخر بسبب بعده عنه كما هو الشأن في حالة الغيبة المنقطعة إلا أن تضرره أقل من تضرر الغيبة التي يغلب فيها الهلاك فالحالة الأولى الأمل قائم في عودة الغائب وتوقع عودته في أي وقت مما يتطلب منه أن يطيل صبره في الانتظار وأكثر.

السبب الثاني :الحكم بعقوبة مقيدة للحرية

ربطت الكنيسة المسيحية الارثذوكسية سبب الحكم بالعقوبة المقيدة للحرية. والغيبة على أحد الزوجين بعقوبة مقيدة للحرية نظراً لتشابه الأساس الذي يقوم عليه كل من السببين فقد نصت المادة (٥١) من قانون الأقباط الاثذوكس على أن (الحكم على أحد الزوجين بعقوبة الأشغال أو السجن أو الحبس لمدة سبع سنوات فأكثر يسوغ للزوج الآخر طلب الطلاق)[3].

والتطليق هنا له ما يبرره من عدم إجبار الزوج على الارتباط بزواج على شخص أدين بعقوبة جنائية، والزوج الذي يطلب التطليق يتضرر من الانتظار مدة طويلة فيكون من العدل اعتبار زواجه مخلاً ليأذن له بالزواج مرة أخرى.

واشترطوا ليتم الحكم بالتطليق أن يكون الحكم بالعقوبة المقيدة نهائياً لا يقبل

(١)أحكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين – ٢٩٢-٢٩٣.

(٢)أحكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين – ٢٩٢-٢٩٣.

(٣) أحكام الأسرة ص ٣٤٨.

الطعن[1] والمجموعات الفقهية للأقباط الارثذوكس اختلفت فيما بينها بالتفصيلات.

السبب الثالث : المرض

ويدخل تحت هذا السبب حالات عدة منها العجز الجنسي والجنون والأمراض المعدية والمنفرة وجميعها يستلزم أن تكون طارئة بعد قيام الزواج.

وقد بينت المجموعات الفقهية الخاصة بالطوائف الأرثذوكسية حكم المرض بصفته العامة وتوسعت فيه إلى ما يعتبر سببا للتطليق من هذه الأمراض.

ويعتبر العجز الجنسي مانعا من موانع الزواج ووضعت القواعد الفقهية الارثذوكسية له شروطا هي[2]:

١- أن يكون العجز الجنسي طارئا بعد قيام الزوج وأن يثبت ذلك بصورة قاطعة بتقرير الأطباء المختصين ومن صور العجز الجنسي (العنة) بالنسبة للرجل.

٢- يلزم أن يكون العجز الجنسي دائما ومؤبدا أي يكون المريض غير قابل للشفاء ولا يرجى زواله. وتشترط المجموعة الفقهية ١٩٣٨ للأقباط على ضرورة مرور ثلاث سنوات على الإصابة به، أما المجموعة الفقهية ١٩٥٥ لدى هذه الطائفة فأنها لا تستلزم مرور مدة معينة متى ثبتت عدم القابلية للشفاء أي أنها لا تكتفي بمجرد ثبوت للشفاء وبذلك يعتبر العجز مؤبدا.

٣- ويلزم الطلاق في حالة العجز الجنسي أن يكون شأنه الإضرار بالزوج الآخر ذلك أن العجز يؤدي بالزوج الآخر لعدم استطاعته القيام بفروض الزوجية بصورة كاملة متى طرأ في ظروف معينة خلال الحياة الزوجية. وربما يطرأ العجز في ظروف لا يتحقق فيها الإضرار بالطرف الآخر أو يفترض أنه

---

(١)أحكام الأسرة ص ٣٤٨.

(٢) أحكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص ٢٩٥.

كذلك، فإذا كانت الزوجة قد تجاوزت السن الذي يخشى فيه عليها من الفتنة، فلا يتحقق الإضرار بها وبذلك تنتفي مصلحتها في طلب التطليق[1].

أما الجنون الطارئ على أحد الزوجين فأنه يوجب للزوج الآخر طلب التطليق، فقد نصت المادة (٥٢) من قانون الأقباط الارثذوكس على أنه (إذا أصيب أحد الزوجين بجنون مطبق يجوز للزوج الآخر أن يطلب الطلاق إذا كان قد مضي خمس سنوات على الجنون وثبت أنه غير قابل للشفاء.

ويجب توافر شروط معينة للجنون حتى يصبح سبباً للتطليق، وهذه الشروط هي:[2]

١- أن يكون جنونهُ مطبقاً والجنون المطبق هو الذي يفيق الشخص منه ويعتبر سبباً للتطليق لأنه يؤدي إلى الإضرار بالطرف الآخر ويجعل الحياة الزوجية غير محتملة أما الجنون غير المطبق، أي المتقطع فيدخله الفقهاء في حكم الجنون المطبق ولكنهم يشترطون الحكمة هنا أيضاً وهذا يتضح في أقوال ابن العسال الذي يجعل من الموانع العرضية (الجنون الذي يكون زمن الإقامة منه أقل)[3].

٢- ويلزم أن يكون الجنون غير قابل للشفاء وإلا لا يعد سبباً للتطليق ولمعرفة ما إذا كان المرض قابلاً للشفاء أو غير قابل له يرجع إلى أهل الخبرة من الأطباء وعلى هدى ما يدلون به يتقرر توافر هذا الشرط أو عدم توافره.

٣- ويلزم إلى جنب شرط عدم القابلية للشفاء أن تمر مدة معينة حتى يمكن طلب التطليق، واختلفوا في تحديد المدة فقدرها البعض بثلاث سنوات منذ الإصابة بالمرض دون أن يشفى المريض خلالها ولكن بعض الأحكام الفقهية للأقباط تستلزم مرور خمس سنوات على الجنون متى ثبت أنه غير قابل للشفاء.

---

(١) أحكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين ص ٢٩٩.

(٢) أحكام الأحوال الشخصية ص ٣٠٠/ أحكام الأسرة ص ٣٥١

(٣) أحكام الأحوال الشخصية ص ٣٠١.

وأضاف القضاء إلى الجنون أمراض خطيرة ومعدية لا تستقيم معها الحياة الزوجية كأمراض السل والجذام والبرص وما يجري هذا المجرى[1] وذهبت بعض الأحكام إلى أن الأمراض التي يترتب عليها عدم صلاحية أحد الزوجين للمعاشرة الزوجية تعتبر سبباً للتطليق متى كان في الإبقاء على الحياة الزوجية ضرر جسيم للآخر حيث لا تتحقق غايات الزواج[2].

السبب الرابع : الاعتداء على الزوج

نصت المادة (٥٣) من قانون الأقباط الارثذوكس على أنه (إذا اعتدى أحد الزوجين على حياة الأخر أو اعتاد إيذاءه إيذاء جسمياً يعرض صحته للخطر جاز للزوج المجنى عليه أن يطلب الطلاق)[3].

وهذا النص يتعرض للأفعال التي تسمح بالتطليق والتي من شأنها المساس بحياة الزوج الأخر أو سلامة جسمه أو صحته وهو مستمد من الكتابات القبطية القديمة ويتفق إلى حد كبير مع القانون الفرنسي الذي يجعل الاعتداء والإيذاء من أسباب التطليق ويجب التفريق بين حالتين[4]: حالة الاعتداء على الحياة وحالة الاعتياد على الإيذاء إيذاءً جسيماً من شأنه أن يعرض صحة المعتدي عليه للخطر.

فإذا وقع الاعتداء في الحالة الأولى فأنه يجيز للمعتدى عليه طلب الطلاق لأنه يكشف عن غدر وخيانة وإخلال بالالتزامات الناشئة عن عقد الزواج وورد في النصوص الفقهية لدى الأقباط ما نصه (إذا تخيل أحد الزوجين على أضرار حياة الآخر

---

(١) أحكام الأسرة ص ٣٥١.

(٢) أحكام الأحوال الشخصية ص ٣٠١.

(٣) أحكام الأسرة ص ٣٥٢/ أحكام الأحوال الشخصية ص ٣٠٥.

(٤) أحكام الأحوال الشخصية ص ٣٠٤/ تشريعات الأحوال الشخصية ص ٢٢٦.

بأية وسيلة كانت أو علم أن أخرين يسعون في ذلك فيكتمه و لم يظهره بقرينه، ثم انكشف الأمر وثبت يفسخ الزواج ويفارق الخائن)[1].

فكأن التطليق هو جزاء الإخلال بواجبات الزوج وأحكامه.

وتشمل حالات الاعتداء ما يقع منه مباشرة من أحد الزوجين على الآخر أو ما يقع بتدبير أحدهما مع آخرين، فالاعتداء يجب أن يكون مدبراً مقصوداً عن عمد ومعرفة لذا لا يكتفى أن يكون ارتكاب الاعتداء عن غير قصد لأنه يعتبر موجباً لطلب التطليق.

والاعتداء على الحياة ليس له صورة محددة فهو بأي وجه أو وسيلة لاتهم طالما كان من شأنه الإضرار بحياة الزوج الاخر والقضاء هو الذي يقدر متى تكون الوسيلة المتبعة اعتداء على حياة الشخص.

أما الحالة الثانية وهي الاعتياد على الإيذاء فهي حالة لا يصل الأمر فيها إلى مرتبة الاعتداء على حياة الزوج الآخر، وتركز الأحكام الفقهية على أنه يستلزم أن يقع الاعتداء على سبيل التكرار والاعتياد ناظرة إلى أن في تكرار الاعتداء ما يرقى به إلى مصاف الاعتداء على الحياة من حيث الأثر ومن حيث الإضرار بالمعتدى عليه، أي من وجهة أخرى أن يقع اعتداء جسيم يؤدي إلى الإضرار بالزوج الآخر وأن يكون ذلك على وجه الاعتياد.

ويترك للقاضي تقدير توافر حالة الاعتياد فلا يكفي أن يقع الاعتداء لمرة واحدة بل لا بد أن يصبح الاعتداء عادة معتادة ويتكرر الإيذاء إذ أن في تكراره ما يكشف خطورة الأمر بالنسبة للحياة الزوجية مما يجعلها غير مطاقة، وفي الإبقاء عليها إضرار بالطرف الآخر، والقاضي يقدر عدد الوقائع التي يمكن معها توافر الاعتداء ولا يشترط أن تكون الاعتداءات بالضرب فقط وإنما تكون بوسائل أخرى كالإتهام بالسرقة، أو بالزنا أو غيرها.

---

(١) أحكام الأحوال الشخصية / تشريعات الأحوال الشخصية ص ٢٢٦.

ولا تهم وسيلة الاعتداء سواء كانت مادية أو معنوية إذ العبرة بأثره من حيث الضرر بالزوج المعتدى عليه فمن صورة الاعتداء المادي بقصد الإضرار[1]: استعمال الزوج حقه في الاتصال بزوجته بطريقة فظة بأن يفرض عليها ذلك بطريقة مبالغ فيها مضرة بصحتها، أو بأن يستعمل حقوقه بطريقة شاذة غير طبيعية كأن يأتيها من الخلف مما يسبب لها إيلاماً جسيماً ويعرض صحتها للخطر، وبصفة عامة يعتبر إيذاء كل ما يمس سلامة الشخص الآخر ويكون من شأنه أن يؤدي الإضرار به.

أما الاعتداء المعنوي فهو لا يقل شأناً عن الاعتداء المادي رغم أن النصوص الفقهية لم تصرح بذلك تصريحاً يوجب الحكم بالتطليق لكنه ما دام كونه واقعاً على سبيل الاعتياد وكان من شأنه أن يؤدي إلى النتيجة المنصوص عليها وهي تعريض صحة المعتدى عليه للخطر أو بصفة عامة إلى الإضرار بالمعتدى عليه أكثر من أي نوع من أنواع الإيذاء فأنه لا يقصر إيذاء على نوع دون آخر متى توافر فيه الوصف المطلوب.

والأفعال الناتجة عن الاعتداء المعنوي غير محصورة ومن أمثلتها هجر الزوج منزل الزوجية وسوء السلوك والامتناع عن مباشرة العلاقات الزوجية ونقل الأمراض المعدية وتحريض الزوج الآخر على الفسوق والفجور والشقاق بين الزوجين أو التنافر في طباعهما الذي من شأنه إذا استمر أن يؤدي إلى الإضرار مما يسمح بالتطليق، أما إذا لم يستمر فهناك فرصة لعودة الحياة الزوجية إلى الانتظام من جديد[2].

(١) أحكام الأسرة ص ٣٥٣

(٢) أحكام الأسرة ص ٣٥٣.

السبب الخامس : تصدع الحياة الزوجية

أخذت بهذا السبب جميع الطوائف الارثذوكسية مع اختلاف يسير مما بينهما من حيث الشروط المستلزمة لتطبيقه.

ووضعت طائفة الأقباط الارثذوكس شروطاً للتطليق بسبب تصدع الحياة الزوجية أوجزها بما يلي:[1]

١-استحكام النفور: أي أن يصل الأمر بينهما إلى حالة لا يمكن معها إعادة الحياة الزوجية إلى مجراها الطبيعي إذ تتصدع أواصرها فتصبح الحياة جحيماً لا يطاق، وإذا توافر هذا الشرط للمحكمة بطريقة يقينية مع الشروط الأخرى ولم تفلح كل مساعي التوفيق بين الزوجين كان على المحكمة أن تقضي بالتطليق .

إن جوهر هذا الشرط كما تقتضي القواعد الخاصة بالأقباط بأن يكون ذلك بسب إساءة أحد الزوجين معاشرة الآخر أو أخلاله بواجباته نحوه إخلالا جسيما ويعني هذا أنه ينبغي أن يثبت خطأ من جانب أحد الزوجين مثل أسائته معاشرة الآخر وعلى القضاء أن يتأكد أن حالة استحكام النفور شديدة بحيث يثبت معها استحالة الحياة الزوجية حقيقة وأن الأمر لم يصل للمحكمة إلا بعد أن استنفذت كل محاولات الإصلاح.

ونصت المادة ١٤ من الأحكام الفقهية للروم الارثذوكس على ان لكل من الزوجين طلب التطليق إذا نسب إليه سبب تصدع جسيم في آصرة الزواج بحيث يجعل استمرار الحياة الزوجية أو العودة إليها غير محتملة ومستحيلة على طالب الطلاق[2].

أما طائفة الأرمن فأن التنافر في الطباع لديهم لا يختلف في جوهره عما جاءت به الطوائف الأخرى ويستلزم التطليق أيضا أن يوجد تنافر بين طباع الزوجين ويجعل

---

(١) أحكام الأحوال الشخصية ص ٣١٣ وما بعدها.

(٢) أحكام الأحوال الشخصية ص ٣١٤.

اشتراكهما في المعيشة مستحيلاً، أي يلزم أن يستحكم النفور بينهما بصورة يستحيل معها التوفيق بينهما لأن الحياة تصير وجحيماً[1].

٢-الفرقة: أن القواعد الخاصة بالأقباط والسريان تستلزم أن ينتهي الأمر بافتراق الزوجين عن بعضهما البعض مدة تستمر ثلاث سنوات متصلة فإذا لم تحصل فرقة حتى لو كان النزاع مستحكماً وحدث من الشر والخصام ما يضر بنظام الزواج لا يجوز التطليق.

إذ أن في بقائهما معاً رغم المنازعات ما يكشف أن الحياة الزوجية ليست مستحيلة ويجب أن تكون الفرقة متصلة لأنها لو كانت منقطعة - يفترق الزوجان لفترة ويعودان فترة أخرى وأثير خلاف حول معنى الفرقة بالمفهوم العام هو فرقة الطعام والفراش والمسكن أو فرقة الفراش لمدة مستمرة خلال الثلاث سنوات والظاهر أن معنى الفرقة هو المعنى المألوف فرقة (الطعام والفراش والمسكن) لأنه لو كانت الفرقة (فراشاً) فقط مع اختلاط الزوجين طعاماً ومسكناً ما أمكن طلب التطليق استناداً إلى هذا السبب.

أما المدة اللازمة للفرقة فقيل أنه يستلزم الفرقة ثلاث سنوات متصلة وهو الأرجح في محاكم الأقباط، ونادى البعض أنه لا يستلزم ضرورة مرور مدة معينة وإنما يكتفي بالكلام عن استحكام النفور بين الزوجين وهو ما ذهب إليه ابن العسال[2].

ولكلٍ من الرأيين ما يسنده من المصادر.

٣-أن يطلب التطليق من لا ينسب إليه الخطأ: إضافة إلى استحكام النفور والفرقة يلزم أن يكون طالب التطليق هو من لا ينسب إليه خطأ فالقاعدة أنه ليس للشخص أن يفيد من خطئه أو أثمة وهي قاعدة عادلة فربما يفترق أحد الزوجين ويصطنع أسباباً للنفور والفرقة ثم يبادر إلى طلب التطليق دون أن يعزى إلى الاخر خطأ ما.

---

(١) أحكام الأحوال الشخصية ص ٣١٥.

(٢) أحكام الأحوال الشخصية ص ٣١٦.

وذكرت الأحكام الفقهية أنه يجب التمييز بين حالتين أحدهما: حالة ما إذا كان الخلاف بين الزوجين صادراً من أحدهما فقط وهنا يجوز التطليق إذا ما طلبه المظلوم وحالة ما إذا كانا مشتركين في الخطأ وفي هذه الحالة لا يجوز التطليق.

السبب السادس : الرهبانية

نصت المادة ٥٨ من مجموعة الأحكام الفقهية للأقباط[1] (يجوز الطلاق إذا ترهب الزوجان أو ترهبن أحدهما برضاء الآخر) و (إذا ترهبن الزوجان أو أحدهما برضاهما معاً انفسخ العقد)[2].

وحتى يتم انحلال الزواج على هذا السبب يلزم أن يتم ذلك طبقاً للقواعد الدينية التي تتطلب للرهبانية التي تضع شروطاً خاصة ينبغي توافرها للدخول في مسلك الرهبانية.

وهناك أسباب أخرى لدى بعض الطوائف الأرثذوكسية توجب انحلال الزواج أشارت إليها القواعد الخاصة لكل من الروم الأرثذوكس والأرمن والأرثذوكس.

فالروم الارثذوكس طرحوا الحالات التالية:

١- حالة زوال البكارة: فللزوج طلب الحكم بطلاقه من زوجته إذا لم يجدها باكراً يوم زواجه إذا كان زواجه من بكر لا من ثيب وعليه أن يعلن الأمر حالا إلى السلطة الكنسية العليا بجهته وأن يقوم بإثباتها.

٢- حالة طرح الحمل: وللزوج أن يطلب التطليق إذا طرحت الزوجة حملها منه بإرادتها.

٣- حالة الهجر المتعمد: لكل من الزوجين أن يطلب الطلاق عندما يتركه الآخر عن قصد سيء ثلاث سنوات والمقصود بالهجر هو الهجر المتعمد الذي يتم

---

(١) أحكام الأحوال الشخصية ص ٣١٨.

(٢) أحكام الأحوال الشخصية ص ٣١٨.

بإرادة أحد الزوجين وبقصد سيء دون أن يكون للزوج الآخر دخل في حدوثه ودون أن يكون له ما يبرره من ناحية هذا الأخير.

أما الحالات التي انفردت بها طائفة الأرمن الأرثذوكس فيه[(١)]:

١- العمل على البقاء في حالة عقم:(يقضي بالطلاق إذا عمل أحد الزوجين على البقاء في حالة عقم وعلى الأخص عند اتخاذ وسائل الإجهاض.

٢- الإضرار بالمصالح المالية للآخر: إذا أضر أحد الزوجين بالمصالح المالية للزوج الآخر ضرراً بليغاً بسوء قصد فيحكم هنا بالطلاق.

٣- حالات تعد إخلالاً بالالتزامات الزوجية ومن هذه الحالات:

أ- إذا أبى أحد الزوجين الاختلاط الزوجي

ب- رفض أحد الزوجين الاتصال الجنسي أثناء الزواج لغير مانع شرعي ما لم يكن هذا الرفض ناشئاً عن سلوك الزوج الآخر.

ج- إذا قصر أحد الزوجين في واجبات المعونة والنجدة والحماية التي يفرضها الزواج عليها نحو الزوج الآخر.

د- إذا رفض أحد الزوجين معاشرة الآخر ما لم يكن لهذا الرفض مبرر.

خامساً : أسباب انحلال الزواج الخاصة بالكاثوليك

أن الرابطة الزوجية لا تنحل عند الكاثوليك بأي سبب من السباب خلا الموت لكنه يفرق بين حالتين هما[(٢)]:

١- الزواج الصحيح المقرر المكتمل بين المؤمنين (المسيحيين) فأنه غير قابل للانحلال إلا بالموت.

---

(١) أحكام الأحوال الشخصية ص٣٢٠.

(٢) أحكام الأسرة ص ٣٤٥ وما بعدها / أحكام الأحوال الشخصية ص٣٢١.

٢- الزواج غير المكتمل: إذا كان الزواج صحيحاً مقرراً لكنه غير مكتمل أي لم تتم فيه المخالطة الجسدية بين الطرفين رغم انعقاده صحيحاً فإن من الجائز حل الرابطة بالنسبة له في حالتين:

١- الترهب الاحتفالي وقرار البابا: ويسمى بالترهب الكبير والاحتفالي أيضاً وهو السبب الأول لانحلال الزواج غير المكتمل لأحد الزوجين ولو تم دون إرادة الزوج الاخر، ويجب أن يكون الترهب الكبير أو الترهب الرسمي الذي يتم بطقوس وصلاة أما الترهب البسيط وهو النذر الصادر من الشخص دون أن يصحبه الاحتفال الديني فأنه لا يحل رابطة الزوجية، والرابطة الزوجية هنا تنحل بقوة القانون أي أن يكون للطرف الآخر أن يتزوج من جديد بمجرد دخول الطرف الثاني في الرهبانية، والزوجين في هذه الحالة لم يصيرا جسداً واحداً وتبعاً لذلك يكون لأحدهما أن ينتقل إلى الرهبانية ويبقى الآخر في الدنيا وله أن يعقد زواجاً جديداً.

٢- السبب الثاني لانحلال الزواج فهو صدور قرار بذلك من الحبر الأعظم وهو وحده الذي يملك ذلك دون غيره من الرؤساء الكنسيين ولو كانوا في أعلى المراتب كالبطريرك مثلاً. وينبغي أن يكون القرار بناء على طلب من أحد الزوجين فالبابا لا يصدر قرارا من تلقاء نفسه، وأن يكون الطلب مبنياً على سبب عادل يقرره البابا ويجب أن يثبت (الكرسي الرسولي) من أن الزواج حقيقة غير مكتمل أي لم يحصل فيه دخول أو إتصال بين الطرفين.

المطلب الثالث

الانفصال الجسماني

الفرع الأول : الهجر والفراق

تعريفه وأسبابه:

يقصد به الحالة التي يفرق فيها بين الزوجين في المعيشة مع بقاء الرابطة الزوجية وتتوقف الآثار التي تعتبر نتيجة للمعيشة المشتركة بينهما مع بقاء الآثار الأخرى التي تترتب على الزواج باعتبار أن الرابطة الزوجية لم تنفصم[1].

وقد عرفت جميع المذاهب المسيحية الانفصال الجسماني وأشارت إلى إمكان الأخذ به بدلاً من الالتجاء إلى الطلاق ولكن المذهب الكاثوليكي فصل كثيراً في حكم هذا النظام.

فبالنسبة للطوائف الارثذوكسية فقد نصت (م٦٤) من أحكام الأرمن الارثذوكس أنه (في الأحوال التي يصح فيها الطلاق يجوز للزوجين أن يطلبا الانفصال) وأضافت (م٦٦) على أن (للزوجين في أية حالة كانت عليها الدعوى أن يعدلا طلب الطلاق إلى طلب الانفصال).

أما الأقباط والسريان الارثذوكس فقد عرفوا نوعاً من المفارقة تطرقت إليه سابقاً يختلف مفهومه بعض الشيء عن الانفصال الجسماني عندما ذكرت (بقاءها معاشرة الزوجين دون اختلاط الفراش).

---

(١) أحكام الأحوال الشخصية ص٣٤٠.

لم تورد أسباب الانفصال الجسماني في الأحكام الفقهية للكاثوليك على سبيل الحصر بل تحدثت عنه تحت عنوان الانفصال بسبب الزنا والانفصال لأسباب أخرى.

الانفصال بسبب الزنا

المعروف عن المحكمة الكاثوليكية أنها لا تسمح بأنحلال الزواج لعلة الزنا لكنها تجعل منه سبباً للانفصال، فلو زنا أحد الزوجين كان من حق الزوج الأخر بهجره بصورة دائمية ولكن أن تحقق ما يلي[1]:

١- إلا يكون قد وافق على جرم الآخر.

٢- أو دفعه إليه

٣- أو ارتكب هو نفسه الزنا

٤- أو إذا صفح عنه صراحة أو ضمناً.

والكاثوليك يرون أن الزنا من الأسباب الدائمة للانفصال، والانفصال هنا كجزاء أو عقوبة على من ارتكب الزنا من الزوجين.

الانفصال لأسباب أخرى:

ذكرت الكنيسة الكاثوليكية أسباباً أخرى للانفصال لا على سبيل الحصر مثل (إذا انتمى أحد الزوجين إلى بدعة غير كاثوليكية أو إذا ربى الأولاد تربية غير كاثوليكية أو سلك سلوكاً مجرماً أو شائناً أو إذا كان أحد الزوجين خطراً جسيماً على نفس الأخر أو جسده، أو إذا جعل الحياة المشتركة صعبة جداً بسبب تصرفه القاسي أو بما شابه ذلك من الأسباب، وتدخل أسباب أخرى للانفصال لدى الإنجيليين تحت هذا النوع من الأسباب)[2].

---

(١) أحكام الأحوال الشخصية ص ٣٤٠.

(٢) أحكام الأحوال الشخصية ص ٣٣٩.

أما إذا أتفق الزوجان على الانفصال رضاءً منهما فلا يعتد باتفاقهما لأن الكنيسة الكاثوليكية لا تقر هذا النوع من الانفصال إلا في حالة الترهبن، إذ تقضي المراسيم الكنسية أن القاضي الكنسي هو الذي ينبغي أن يقرر الانفصال ما لم يكن السبب محققاً وفي حالة الاستعجال.

ويحبذ فقهاؤهم أن من الأجدى إلا يلجأ إلى الانفصال الجسماني إلا بعد صدور قرار نهائي من الجهة الكنسية المختصة حتى ولو كان في حالة الزنا المحقق والكاثوليك الشرقيون يرون أنه على فقهائهم تقديم النصح للزوج بأن يصفح عن الطرف الزاني فلا يعمد إلى الانفصال وإذا لم يصفح أو يغفر صراحة أو ضمناً يحق له حل شركة الحياة الزوجية ما لم يكن قد رضي بالزنى أو أتاح له سبباً أو أقترف هو نفسه الزنى[1].

الفرع الثاني : أثار الانفصال الجسماني

إذا حكم بالانفصال الجسماني يترتب عليها أثاراً عدة أوجزها بما هو آت:

أولاً: الآثار المتعلقة بالزوجين:

إذا انفكت الرابطة الزوجية بين الزوجين عن طريق الانفصال فأنه يترتب عليه توقف الحياة المشتركة للزوجين من حيث المساكنة والعيش معاً مما يتوقف معه أيضاً جميع الالتزامات المترتبة عليه ومنها إسقاط واجب الرعاية والمعونة الأدبية والأمانة وجميع المساعدات المتبادلة التي كانت مفروضة عليهما، ولا يحق للمرأة أن تحمل شهرة عائلة زوجها[2].

ويصبح كلا الزوجين حرين من واجب تأمين الواحد معيشة الآخر، ولكن لو أن الزوج أو الزوجة أصبح معسراً بسبب (حالة فسخ العقد) يمكن الحكم على الفريق الآخر بالنفقة بنسبة اقتداره لمدة ثلاث سنوات[3].

---

(١) أحكام الأحوال الشخصية ص ٣٤٠.

(٢) قوانين الأحوال الشخصية ص ١٦٠/ أحكام الأحوال الشخصية ص ٣٤٢.

(٣) قوانين الأحوال الشخصية ص ١٦٠.

وتستطيع الزوجة أن تختار لها موطناً تعيش فيه بعيداً عن منزل الزوجية مع مراعاة واجب الإخلاص ولا يمكنها ان تحدد مثلاً مسكنها مع شريكها في الزنا متى ما كان الانفصال بسبب الزنا ومع مراعاة حق الزوج في الإشراف على اولاده متى كانت لها حضانتهم بحيث يتيسر له مباشرة حقه بسهولة(١).

وينبغي مراعاة أن الرابطة الزوجية تظل قائمة مما يترتب عليه عدم إمكان أي منهما عقد زواج جديد طالما بقي زوجه على قيد الحياة مع بقاء واجب الإخلاص بين الزوجين، ومن حق الواحد منهما أن يحرك دعوى الزنا إذا ما أرتكب الأخر هذه الجريمة.

الآثار المالية

وتشمل الميراث وأثاراً مالية أخرى، إذ لم يتعرض فقهاء المذهب الكاثوليكي إلى الميراث هنا لعدم وجود حالة طلاق ولأن الرابطة الزوجية ما زالت قائمة، وكذلك لم يتحدث الانجيليون عنها، ولكن القانون المدني الفرنسي يقرر أن الحق في الميراث يبقى لمن حصل على حكم التفريق ويزول بالنسبة لمن صدر الحكم ضده بحيث يكون الحكم قد صار نهائياً، كما يزول أيضاً بالنسبة للطرفين متى كان التفريق بخطئهما، ويظل حق الميراث قائماً للطرف الآخر إذا ما توفي الطرف الأول، ويضيف القانون المدني الفرنسي (أنه ليس لزوجات الموظفين والعسكريين الحق في المعاش متى كان حكم الانفصال في غير صالحهن)(٢).

أما بخصوص الالتزام بالمساعدة المادية فالمحاكم الكاثوليكية لم تتعرض له، ولكن الأحكام الفقهية لمذهب الانجيليين في مادتها (١٥) نصت على انه إذا كان الزوج سبب المفارقة وجبت عليه النفقة لامرأته وأولاده الذين في رضاعتها أو حضانتها،

---

(١) أحكام الأحوال الشخصية ص ٣٤٠/ قوانين الأحوال الشخصية ص ٢٠٢-٢٠٣.

(٢) أحكام الأحوال الشخصية ص ٣٤٢-٣٤٣/ تشريعات الأحوال الشخصية ص ٣٣١.

وتكون النفقة أما باتفاق الزوجين أو بتقدير السلطة المختصة أو إذا كانت الزوجة سبب المفارقة فلا تلزمه النفقة عليها إلا إذا كان له أولاد في رضاعتها. وإذا كانت علة المفارقة في الزوجة فلها متاعها (فقط) المزودة به من بيت أبيها خاصة وإلا فلها متاعها ومهرها[1].

الآثار بالنسبة للأولاد

كنّا قد بينا الأحكام الخاصة بالأولاد عند التطليق في مبحث الحضانة ونضيف أنه يربي الأولاد بصفة عامة لدى الزوج البريء الذي صدر الحكم لصالحه ولما كانت التربية المقصود منها تربية كاثوليكية فقد نصت التعاليم الكنسية الكاثوليكية على أنه (عند الافتراق يجب أن يربي الأولاد لدى الزوج البرئ وإذا كان أحد الزوجين غير كاثوليكي فلدى الزوج الكاثوليكي ما لم يرى الرئيس الكنسي خلاف ذلك من مصلحة للأولاد في أنفسهم على ان تضمن تربيتهم كاثوليكياً[2].

الفرع الثالث : انقضاء الانفصال الجسماني

أوضحنا أن الانفصال الجسماني يقتضي موت أحد الزوجين أو بالتطليق متى توافرت أسبابه لدى الطوائف التي تجمع بين نظامي الانفصال الجسماني والتطليق. وفي حقيقة البحث أن الانفصال الجسماني ينقضي بالتوفيق بين الطرفين والعودة إلى الحياة المشتركة متى تراضيا على ذلك بصورة صرحية مما يعني ذلك أن أحدهما صفح للآخر المخطئ، وأنما يتحقق الصفح بعد تحقيق البراءة من زنا الآخر ويرضى مع ذلك بمعاشرته بكل حريته[3] ولكن لو أن الانفصال صدر وكان سببه أن دخل الرهبانية طرف منهما وبرضا الطرف البرئ رضاً صريحاً أو ضمنياً ، فأنه لا يكون للطرف

(١) أحكام الأحوال الشخصية ص ٣٤٣.

(٢) أحكام الأحوال الشخصية

(٣) أحكام الأحوال الشخصية ص ٣٤٤.

البرئ استدعاءه للعودة إلى الحياة المشتركة لأن موافقة الطرف البرئ على ترهبن المذنب تنطوي على التنازل عن حقه في العودة إليه واستدعائه للحياة المشتركة.

الانفصال بسبب الزنا:

الانفصال بسبب الزنا دائم إذ أن المخطئ يفقد حقه في العيش ضمن الحياة الزوجية المشتركة إلى الأبد، ولكن من حق الطرف البرئ أن يستدعي الطرف المذنب لاستئناف الحياة الزوجية ومع أنه حق ممتلك له إلا أنه لا يمكن أن يرغم على إعادة الحياة الزوجية مع المذنب حتى لو تاب(١).

وتوجد هناك أسباب أخرى غير الزنا ولكن بطبيعتها موافقة، مثل إذا ما عاد الشخص الذي انتمى إلى بدعة غير كاثوليكية إلى الكنيسة الكاثوليكية، يتعين أن يعود إليه الزوج الذي انفصل عنه ما لم يكن قد ترهبن.

وإذا ما طلب الانفصال بغير الزنا فلا يقضي أنه إلا إذا ظل سببه قائماً فإذا زال سبب الانفصال عند نظر الدعوى لإيجاب طالبه إلى طلبه، وتجب العودة إلى الحياة الزوجية إذا ما تحددت مدة الانفصال وانتهت(٢).

نماذج من تشريعات الطلاق في القوانين الغربية

أسباب الطلاق في القانون الإيطالي رقم ٨٩٨ لسنة ١٩٧٠ ، الطلاق أو إبطال النصوص المدنية للزواج يمكن أن يطالب به أحد الزوجين(٣)في حالة صدور حكم ضد أحد الزوجين بعد إتمام الزواج وبحكم مصدق عليه حتى لأسباب أرتكبت من قبل وذلك في الحالات الآتية:

---

(١) أحكام الأحوال الشخصية ص ٣٤٤.

(٢) أحكام الأحوال الشخصية ص ٣٤٥.

(٣) موسوعة الأحوال الشخصية للمسلمين وغير المسلمين من المصريين والأجانب هلال يوسف إبراهيم ص ٤٤٤ وما بعدها – دار المطبوعات الجامعية – الإسكندرية ١٩٩٤م.

أ- المؤبد أو حكم يزيد على خمسة عشر عاماً حتى ولو بعد عدة أحكام في قضية أو أكثر من القضايا فيما عدا العزل السياسي أو التي ارتكبت لأسباب ذات قيمة أدبية واجتماعية خاصة.

ب- عقوبة الحبس في إحدى الجرائم المنصوص عليها في المادة ٥٦٤ من قانون العقوبات أو في إحدى الجرائم المنصوص عليها في المواد ٥١٩، ٥٢١، ٥٢٣، ٥٢٤ من قانون العقوبات والمرتكبة ضد أحد أفراد الأسرة أو الأبناء الغير شرعيون أو بسبب دفع أو اضطرار أحد الزوجين أو الأبناء (حتى وأن كان متبنياً) إلى سبيل الدعارة أو الاستغلال أو لتشجيع دعارة أحد الأقارب أو أحد الأبناء المتبنيين.

ج- بسبب جريمة القتل عمداً أحد الأقارب أو الابناء المتبنين أو محاولة قتل أحد الزوجين

د- أية عقوبة جنائية صدر فيها حكماً أو أكثر للجرائم المنصوص عليها في المادة ٥٨٢ حتى وأن قدم التماساً بالظروف المحيطة بها تبعاً لنص الفقرة الثانية من المادة ٥٨٣ والمواد ٥٧٠ و ٥٧٢ ٦٣٤ من قانون العقوبات ضد أحد الزوجين أو أحد الأنباء ولو كان متبنى.

وفيما يتعلق بالاعتبارات المنصوص عليها في الفقرة (د) فللقاضي السلطة في أن يحكم بفض الزواج أو إبطال نصوص العقد ويؤكد عدم صلاحية المتهم للحفاظ على الحياة الزوجية أو إقامتها آخذاً في الاعتبار سلوك المدعى عليه المترتب على ذلك وفي الحالات المنصوص عليها رقم ١ من هذه المادة [لا تقبل الدعوى المقدمة من الزوج المتهم بالشروع في الجريمة حتى لو كانت قد استأنفت الحياة الزوجية بين الإثنين].

وفي الحالات الآتية:

أ- إذا افرج عن أحد الزوجين لارتكابه أحدى الجرائم لارتكابه أحدى الجرائم المنصوص عليها في الفقرة ب ، ج من رقم ١ وذلك بسبب اختلال في قواه العقلية. في حالة تأكد القاضي المختص من عدم صلاحية أحد الزوجين للحفاظ على الحياة الزوجية أو إقامتها – فله الحق في إعلان فسخ أو إبطال النصوص المدنية للعقد.

ب- إذا صدر حكم غيابي بالانفصال القانوني بين الزوجين أو صدق على الانفصال الجسدي أو عند الحدوث الفعلي للأنفصال وذلك إذا كان هذا الانفصال الفعلي قد سبق السريان الفعلي للقانون الآتي بمدة لا تقل عن سنتين وفي كل الحالات السابقة لتقديم طلب فسخ أو إبطال النصوص المدنية للعقد فأن الانفصال بين الزوجين لا بد وأن يكون لمدة لا تقل عن خمس سنوات متصلة من وقت مثولها أمام رئيس المحكمة لطلب الانفصال الشخصي أو الانفصال الفعلي تبعاً لنص المادة السابقة – مع العلم بأن مدة الخمس سنوات تسري منذ الامتناع الحقيقي عن المعاشرة.

وفي حالة اعتراض أحد الزوجين فأن المدة المحدودة سابقاً تزاد إلى :

- سبع سنوات في حالة عدم صحة الحكم الصادر.
- ست سنوات في حالة التصديق على الانفصال الجنسي بتاريخ سابق لسريان هذا القانون والانفصال الفعلي.

ج- الحكم الجنائي النهائي الصادر في إحدى الجنايات المنصوص عليها في الفقرة ب، ج من الجزء ١ من هذه المادة لا يمكن المطالبة بإلغائه وذلك بعد أن يعلن القاضي المختص فسخ الزواج أو إبطال النصوص المدنية له ويتأكد من توافر النية المكونة للجرائم المرتكبة.

د- العقوبات الجنائية لأحدى جرائم الخيانة الجنسية والتي تصدر فيها حكماً بالإفراج حيث أن الجريمة نفسها ينقصها عنصر الإخلال بالآداب العامة.

هـ- إذا كان أحد الزوجين مواطناً أجنبياً وحصل من الخارج على إبطال أو فسخ الزواج أو عقد في الخارج زواجاً آخر.

و- عدم دخول الزوج بالزوجة.

أسباب الطلاق في القانون المدني الفرنسي المعدل بالأمر الصادر بتاريخ ١٩٤٥/٤/١٢:[١].

١- يجوز للزوج أن يطلب الطلاق لسبب زنا زوجته (مادة ٢٢٩) مدني.

٢- يجوز للزوجة أن تطلب الطلاق بسبب زنا زوجها (مادة ٢٣٠) مدني

٣- إذا صدر حكم على أحد الزوجين بعقوبة بدنية شائنه جاز للزوج الآخر أن يطلب الطلاق بناء على ذلك الحكم (مادة ٢٣١مدني).

٤- فيما عدا الأحوال المنصوص عليها في المواد ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، من هذا القانون لا يجوز للقضاء أن يصدر حكماً بالطلاق بناء على طلب أحد الزوجين إلا إذا كان مبنياً على تجاوز أحدهما حدوده على الآخر أو استعماله العنف أو إهانته بشرط أن تكون هذه الأفعال مما يعتبر أنتهاكاً جسمياً أو متكرراً للواجبات والالتزامات الناشئة من الزواج بحيث تجعل بقاء الزوجية أمر لا يمكن تحمله (مادة ٢٣٢ مدني).

أسباب الطلاق في القانون المدني اليوناني رقم ٢٧٨٣ لسنة ١٩٤١:[٢]

١. يجوز لكل من الزوجين أن يطلب الطلاق بسبب زنا الزوج الآخر أو زواجه مرة ثانية ولا تقبل دعوى الزوج الذي حصل الزنا أو الزواج الثاني برضائه (مادة ١٤٣٩مدني).

٢. لكل من الزوجين أن يطلب الطلاق بسبب اعتداء الزوج الآخر على حياته (مادة ١٤٤٠).

٣. لكل من الزوجين أن يطلب الطلاق لهجر الزوج الآخر أياه عن عمد لمدة سنتين وبسوء نية (مادة ١٤٤١) مدني.

---

(١) موسوعة الأحوال الشخصية للمسلمين وغير المسلمين ص ٤٤٤.

(٢) موسوعة الأحوال الشخصية للمسلمين وغير المسلمين ص ٤٤٦ وما بعدها.

٤. يجوز لكل من الزوجين أن يطلب الطلاق إذا طرأت أسباب جدية تعزى لخطأ الأخر أدت إلى تعدي الحياة الزوجية بحيث أضحى استمرارها فوق طاقة طالب الطلاق ولا يكون للمدعي حق الطلاق لو كان الخطأ المنوه عنه معزواً إلى الزوجين معاً إذا كان تصدع العلاقة الزوجية ناتجاً في الغالب عنه خطأه (مادة ١٤٤٢ مدني).

٥. لكل من الزوجين أن يطلب الطلاق إذا أصيب الآخر بآفة في العقل يكون من شأنها أن تجعل التفاهم بينهما مستحيلاً إذا استمرت هذه الحالة أربع سنوات على الأقل خلال مدة الزواج (مادة ١٤٤٣مدني).

٦. لكل من الزوجين أن يطلب الطلاق إذا أصيب الآخر بالبرص (مادة ١٤٤٤مدني).

٧. لكل من الزوجين أن يطلب الطلاق إذا أعتبر الآخر في حالة غيبة منقطعة(مادة ١٤٤٥مدني).

٨. لكل من الزوجين أن يطلب الطلاق لعنة الزوج الآخر إذا كانت هذه الحالة قائمة وقت انعقاد الزواج دون أن يعلم بها المدعي واستمرت ثلاث سنوات منذ هذا التاريخ مع بقائها وقت رفع الدعوى (مادة ١٤٤٦ مدني)

٩. يسقط الحق في ٩٤ في الحالات الواردة بالمواد من ١٤٣٩-١٤٤٢ الطلاق بالعقود ويصلح أن يمنح العفو ما قبل رفع الدعوى أو بعد ذلك إلى ان يصبح الحكم حائز لقوة الشيء المقضى فيه ومع ذلك يجوز للمحكمة أن تغفل الدفع بمنح العفو إذا كان قد سبق الدفع به قبل ذلك دون أقامة الدليل عليه (مادة ١٤٤٧ مدني).

١٠. في الحالات الواردة بالمواد ١٤٣٩ و ١٤٤٢ يسقط الحق في الطلاق بمضي سنة من تاريخ علم الزوج المعتدى عليه بسبب الطلاق أو بمضي عشر سنوات من تاريخ قيام هذا السبب في كل الأحوال (مادة ١٤٤٨ مدني).

١١. الوقائع التي أصبحت غير صالحة لذاتها كأساس لدعوى الطلاق يمكن الاستناد إليها لتدعيم دعوى مؤسسة على أسباب أخرى.

المصادر

١- آبادي: العلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم ابادي - عون المعبود في شرح سنن أبي داود. الطبعة الثانية سنة ١٣٨٩.

٢- إبراهيم: د. إبراهيم عبد الرحمن. الوسيط في شرح قانون الأحوال الشخصية مطابع الأرز - عمان ١٩٩٩م.

٣- إبراهيم: هلال يوسف. موسوعة الأحوال الشخصية للمسلمين وغير المسلمين من المصريين والأجانب - دار المطبوعات الجامعية الإسكندرية ١٩٩٤.

٤- ابن الأثير : البداية والنهاية - مكتبة المعارف - بيروت - الطبعة الأولى - مكتبة النصر - الرياض.

٥- ابن العربي: القاضي ابن بكر محمد بن عبد الله بن محمد - أحكام القرآن- تحقيق علي محمد البجاوي الطبعة الأولى ١٣٧٦هـ - دار إحياء الكتب العربية القاهرة.

٦- ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد الحراني - منهاج السنة النبوية - الطبعة الأولى ١٣٢٢هـ - المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق - مصر.

٧- ابن حبيب: أبي الحسن علي بن أحمد - الحاوي الكبير - تحقيق محمود مطرقجي - دار الفكر بيروت ط١- ١٤١٤هـ.

٨- ابن حزم: الأمام أبي محمد علي بن أحمد بن حزم - منشورات المكتب التجلوي للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت.

٩- ابن رشد: الأمام القاضي أبي الوليد محمد بن أحمد القرطبي - بداية المجتهد ونهاية المقتصد - مطبعة أحمد كامل - دار الخلافة العلية ١٣٣٣هـ.

١٠- ابن عابدين: الفقيه محمد أمين -رد المحتار على الدر المختار - مطبعة مصطفى البابي الحلبي - الطبعة الثانية - مصر ١٣٨٦هـ.

١١- ابن قدامة: الأمام أبي محمد عبد الله بن أحمد - المقنع في فقه الأمام احمد - مكتبة الرياض الحديثة ١٤٠٠-١٩٨٠.

١٢- ابن كثير: الأمام إسماعيل: تفسير القرآن العظيم - دار الأندلس بيروت الطبعة الأولى - ١٣٨٥هـ -١٩٩٦م.

١٣- ابن منظور: العلامة - لسان العرب - دار الكتب العلمية الطبعة الأولى / بيروت ١٤١٣-١٩٩٣ - دار إحياء التراث العربي - الطبعة الأولى بيروت ١٩٨٨.

١٤- ابن مودود: عبد الله بن محمد - الأختيار لتعليل المختار - دار المعرفة بيروت.

١٥- أبو العينين : عبد الفتاح محمد - الإسلام والهجرة - المكتبة العالمية - القاهرة.

١٦- أرمان: أدولف - ديانة مصر القديمة - ترجمة د. عبد المنعم أبو بكر د. محمد أنور شكري - مكتبة مدبولي القاهرة - الطبعة الأولى ١٤١٥-١٩٩٥.

١٧- إسماعيل: نوري - الديانة الزرادشتية - دمشق - الطبعة الثالثة ١٩٩٩.

١٨- الأيباني: محمد زيد - شرح الأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية مطبعة الشعب - القاهرة ١٣٢١هـ.

١٩- الأشقر: عمر - شرح قانون الأحوال الشخصية الأردني - دار النفائس - الطبعة الأولى - عمان ١٩٩٧م.

٢٠- الالوسي: العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الالوسي - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - دار الطباعة المنيرية - القاهرة.

٢١- الألباني: محمد ناصر الدين - صحيح سنن أبي داود - مكتب الرابية العربي لدول الخليج العربي - الطبعة الأولى - بيروت ١٤٠٩هـ، -١٩٨٩م.

٢٢- البايرتي: الأمام محمد بن محمود - العناية على الهداية - المطبعة الأميرية بولاق - ١٣١٥هـ.

٢٣- البكري: محمود عزمي - موسوعة الفقه والقضاء - دار محمود الطبعة الثالثة - القاهرة.

٢٤- البهوتي: الشيخ منصور بن يونس - شرح منتهى الإرادات - المطبعة الشرقية - القاهرة.
٢٥- البيهقي: الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين - السنن الكبرى - مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر أباد الدكن - الهند.
٢٦- الحصفكي : الدر المختار شرح تنوير الأبصار - مطبعة مصطفى البابي الحلبي - الطبعة الثانية القاهرة ١٣٨٦هـ.
٢٧- الخطاب: أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن- مواهب الجليل شرح مختصر خليل - مطبعة السعادة - الطبعة الأولى - القاهرة ١٣٢٨هـ.
٢٨- الحنبلي: علاء الدين أبي الحسن علي بن سليمان - الانصاف في معرفة الراجح من الخلاف - دار النفائس - الرياض.
٢٩- الحنبلي: محمد بن أبي الفتح البعلي - المطلع على أبواب المقنع - المكتب الإسلامي - بيروت ١٤٠١هـ -١٩٨١م.
٣٠- الحنبلي: مرعي يوسف - غاية المنتهى في الجمع بين الأقناع والمنتهى.
٣١- الحنبلي: منصور بن أدريس - كشاف القناع عن متن الاقناع - المطبعة الشرقية القاهرة - الطبعة الأولى - ١٣١٩هـ.
٣٢- الحنفي: كمال الدين ابن الهمام فتح القدير - المطبعة الأميرية بولاق - ١٣١٥هـ.
٣٣- الخرشي: أبي عبد الله محمد الخرشي - شرح الخرشي على المختصر الجليل للأمام أبي الضياء سيدي خليل - مطبعة بولاق القاهرة - الطبعة الثانية ١٣١٧هـ.
٣٤- الدارمي: الأمام الكبير أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدارمي / دار إحياء السنة النبوية.
٣٥- الدباغ : تقي - الفكر الديني القديم - دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد ١٩٨٢.

٣٦- الدسوقي : الشيخ محمد عرفه - حاشية الدسوقي على الشرح الكبير - دار إحياء التراث العربي - القاهرة.
٣٧- الرازي: الأمام الفخر- تفسير الرازي - المطبعة البهية المصرية ١٣٥٧هـ.
٣٨- الرملي: شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة - نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج في الفقه على مذهب الأمام الشافعي- مطبعة مصطفى البابي الحلبي سنة ١٣٥٧هـ.
٣٩- الزركشي: بدر الدين - البحر المحيط - تحقيق د. عبد القادر العاني وآخرون وزارة الأوقاف الكويتيه - الطبعة الأولى ١٩٨٨.
٤٠- الزحيلي: د. وهبة - التفسير المنير - دار الفكر المعاصر بيروت - المطبعة السلفية القاهرة.
٤١- الزمخشري: جاد الله محمود الدين عمر الزمخشري - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل - دار الكتاب العربي.
٤٢- الزيلعي: العلامة فخر الدين بن عثمان - تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق - المطبعة الكبرى - بولاق - الطبعة الأولى ١٣١٥هـ.
٤٣- السباعي: د. مصطفى - شرح قانون الأحوال الشخصية السوري - دار الفكر دمشق - الطبعة السادسة - ١٩٨٢.
٤٤- الساموك:د.سعدون محمود-د. رشدي عليان- الأديان دار الحرية بغداد.١٩٧٦، تاريخ الديانتين، اليهودية والمسيحية بغداد ١٩٨٨
٤٥- السرخسي: أبي بكر محمد - المبسوط - مطبعة السعادة - القاهرة ١٣٢٤هـ.
٤٦- الشافعي: الأمام - الأم - الطباعة الفنية المتحدة - القاهرة الطبعة الأولى ١٣٨١هـ.
٤٧- الشربيني: محمد الخطيب مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج - مكتبة مصطفى البابي الحلبي - القاهرة -١٣٥٧هـ - ١٩٥٨م.
٤٨- الشوكاني: الأمام محمد بن علي بن محمد - نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخبار - المطبعة العثمانية المصرية - القاهرة ١٣٥٧هـ.

٤٩- الشريف: د. محمود - الأديان في القرآن - دار المعارف - القاهرة ١٩٧٠.
٥٠- الشيرازي: أبي أسحق إبراهيم بن علي بن يوسف - المجموع في شرح المهذب - مطبعة العاصمة - القاهرة.
٥١- الصاوي: الشيخ احمد بن محمد - بلغه السالك لأقرب المسالك إلى مذهب الأمام مالك - مصطفى البابي الحلبي - القاهرة ١٣٧٢هـ.
٥٢- الصنعاني: محمد بن إسماعيل اليمني - سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام - مطبعة محمد علي صبيح - القاهرة.
٥٣- العدوى: أبو البركان سيدي أحمد بن محمد - الشرح الكبير للدردير - دار إحياء الكتب العربية - القاهرة.
٥٤- العقاد: عباس محمود - موسوعة العقاد الإسلامية - دار الكتاب العربي الطبعة الأولى بيروت.
٥٥- الفيومي : أحمد محمد بن علي - قاموس اللغة - المطبعة الأميرية بولاق الطبعة السابعة ١٩٢٨.
٥٦- الغزالي: أبو حامد محمد - احياء علوم الدين - دار المعرفة بيروت.
٥٧- القرطبي: أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري - تفسير القرطبي - مطبعة دار الكتب المصرية الطبعة الثالثة ١٣٦٧هـ.
٥٨- القزويني : الحافظ ابي عبد الله محمد بن يزيد - سنن ابن ماجة - دار إحياء الكتب العربية القاهرة.
٥٩- الكاساني: علاء الدين بن أبي بكر - بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع - الطبعة الأولى المطبعة الأميرية ١٣٢٧هـ بولاق.
٦٠- الكرملي : ناصر الدين أبو الفتوح - الصوم في القديم والحديث - مطبعة الكونكورد.
٦١- الكرمي: حسن سعيد - الهادي إلى لغة العرب- دار لبنان الطبعة الأولى - بيروت ١٩٩٢م.

٦٢- الكفوي: أبي البقاء - الكليات - مؤسسة الرسالة بيروت - الطبعة الثانية ١٤١٣هـ -١٩٨٥م.
٦٣- الكلوذاني: محفوظ بن أحمد - التمهيد في أصول الفقه - جامعة أم القرى - الطبعة الأولى ١٤٠٦-١٩٨٥.
٦٤- الماجدي: خزعل - الدين المصري - دار الشروق عمان الطبعة الأولى ١٩٩٩م.
٦٥- المالكي: القاضي أبي بكر محمد بن عبد الله بن محمد المعروف بـأبن العربي أحكام القرآن - تحقيق علي محمد البجاوي - الطبعة الأولى - دار إحياء الكتب العربية - القاهرة ١٣٧٦هـ.
٦٦- المالكي: محمد بن أحمد بن جزي - قوانين الأحكام الشرعية ومسائل الفروع الفقهية - دار العلم للملايين - بيروت.
٦٧- المباركفوري: الأمام الحافظ محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم - تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي - مطبعة المدني - القاهرة.
٦٨- المقدسي: الأمام أبي محمد بن عبد الله بن قدامة - مغني المحتاج - دار المنار - الطبعة الثالثة - القاهرة ١٣٦٧هـ.
٦٩- الماوردي: أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب - الحاوي الكبير - تحقيق محمود مطرجي - دار الفكر - بيروت الطبعة الأولى ١٤١٤-١٩٩٤.
٧٠- المناوي: فيض القدير شرح الجامع الصغير - مطبعة مصطفى أحمد - الطبعة الأولى ١٣٥٦هـ.
٧١- المنصور: فريد عبد الزهرة - الموجز في تاريخ الصابئة المندائيين - مطبعة أركلن - الطبعة الأولى بغداد ١٩٨٣م.
٧٢- الموحي: عبد الرزاق رحيم صلال - العبادات في الأديان السماوية - دار الأوائل - دمشق الطبعة الأولى ٢٠٠١.

٧٣- الميرغناني: شيخ الإسلام برهان الدين علي بن أبي بكر - الهداية شـرح بداية المبتدئ -المطبعة الأميرية الكبرى بولاق - القاهرة ١٣١٥هـ.

٧٤- النسائي: الحافظ أبي عبد الرحمن بن شعيب - سنن - مطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر.

٧٥- النووي: روضة الطالبين - المكتب الإسلامي - بيروت الطبعة الثانية - ١٤٠٥هـ -١٩٨٥م.

٧٦- انس: مالك بن الموطأ تحقيق د. بشار عواد دار الغرب الإسلامي الطبعة الأولى =- بيروت ١٩٧٩م -١٤١٧هـ.

٧٧- انيس: إبراهيم - المعجم الوسيط - دار المعارف القاهرة.

٧٨- باردنر: جيفري - الجنس في أديان العالم - دار الكلمة سوريا - الطبعة الأولى -٢٠٠١.

٧٩- بارو: د. هـ الرومان ترجمة عبد الرزاق يسري - دار نهضة مصر ١٩٦٨م.

٨٠- برست : جيمس هنري: تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي - ترجمة د. حسن كمال مكتبة مدبولي - القاهرة ١٤١٦هـ ١٩٩٦م.

٨١- بشياصي: العلاقة الياهو - شعار الخضر في الأحكام الشرعية الإسرائيلية للقرائين - الإسكندرية ١٩١٧م.

٨٢- بن زكريا: أبي الحسين أحمد بن فارس - معجم مقاييس اللغة - دار إحياء التراث العربي - القاهرة ١٣٩٦ الطبعة الأولى.

٨٣- بن عمر: ابن عبد البر يوسف - الاستذكار - دار قتيبة - بيروت الطبعة الأولى - ١٤١٣هـ - ١٩٩٤م.

٨٤- بن قدامة: المقنع فقه الأمام أحمد - مكتبة الرياض الحديثة - الرياض ١٤٠٠هـ -١٩٨٠م.

٨٥- تناغو: د. سمير عبد السيد - أحكام الأسرة للمصريين غير المسلمين - رمضان للطباعة / الإسكندرية ١٩٩٧-١٩٩٨.

٨٦- دلو: برهان الدين - حضارة مصر والعراق - دار الفارابي - الطبعة الأولى ١٩٨٩.

٨٧- رضا: محمد رشيد (تفسير القرآن الحكيم) المعروف بتفسير المنار - دار المعرفة الطبعة الثانية - بيروت - لبنان.

٨٨- زهرة: محمد أبي - الأحوال الشخصية - دار الفكر العربي - القاهرة - الطبعة الثالثة ١٣٧٣هـ -١٩٥٧م.

٨٩- زهير: محمد أبي النور - أصول الفقه - دار الاتحاد العربي للطباعة.

٩٠- زيدان: د. عبد الكريم - المفصل في أحكام المرأة - مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى - بيروت.

٩١- شلبي: د. أحمد مصطفى - أحكام الأسرة في الإسلام.

٩٢- شمعون : م حاي بن - الأحوال الشرعية في الأحكام الشخصية الإسرائيلية - مطبعة كوهين وروزنتال - القاهرة ١٩١٢.

٩٣- شنوده : البابا - شريعة الزوجة الواحدة في المسيحية - طبعة يونيو ١٩٧٨.

٩٤- صينج: فؤاد - شرح أحكام الزواج للطوائف المسيحية في سوريا ولبنان - نشره مجلس كنائس الشرق الأوسط.

٩٥- عاوور: د. صلاح محمد - الوجيز في تاريخ الحضارة المصرية القديمة - مكتبة إيهاب - الطبعة الأولى - ١٩٩٦م.

٩٦- عبد الصمد: محمد كامل - عادات وتقاليد في العصور القديمة - مكتبة دار العربية للكتاب - الطبعة الأولى ١٩٩٥ القاهرة.

٩٧- عبد الله : الشيخ رافد الشيخ عبد الله – الصلاة المندائية وبعض الطقوس الدينية – مطبعة التايمس – بغداد ١٩٨٣م.

٩٨- عزمي: ممدوح – دعوى ثبوت النسب ودعاوى ثبوت الزوجية والتبني للمسلمين وغير المسلمين – دار الفكر الجامعي – الإسكندرية.

٩٩- عكاشة: د. علي وآخرون – اليونان والرومان – دار الأمل للنشر والتوزيع – أربد الطبعة الأولى ١٩٩٨-١٤١٠.

١٠٠- عيد: د. يوسف- الديانة اليهودية – دار الفكر اللبناني – الطبعة الأولى بيروت ١٩٩٥.

١٠١- فرج: د. توفيق حسن – أحكام الأحوال الشخصية لغير المسلمين – مؤسسة الثقافة الجامعية الإسكندرية ١٩٩٦.

١٠٢- فريشاور: بول – الجنس في العالم القديم – ترجمة فائق دحدوح – دار العلم – دار الكندي – الطبعة الأولى ١٩٧١م.

١٠٣- لجنة من الخبراء: العراق في التاريخ – دار الحرية بغداد ١٩٨٣.

١٠٤- محمد: أحمد طه – المراة المصرية بين الماضي والحاضر – مطبعة دار التأليف ١٣٩٩هـ -١٩٧٩م – القاهرة.

١٠٥- مراد: د. عبد الفتاح – شرح تشريعات الأحوال الشخصية للمصريين غير المسلمين والأجانب – الإسكندرية.

١٠٦- نجيم: زين الدين بن – البحر الرائق شرح كنز الدقائق – الطبعة الأولى ١٣١٥هـ – المطبعة الكبرى ببولاق – القاهرة.

١٠٧- نصر الله : د. يوسف – الكنز المرصود في قواعد التلمود – دار القلم – الطبعة الأولى – دمشق ١٤٠٨هـ -١٩٨٧م.

١٠٨- هبو: د. محمد أرحيم - تاريخ الشرق القديم - دار الحكمة اليمانية - الطبعة الأولى - صنعاء ١٩٩٦م.

١٠٩- وجدي: محمد فريد - دار معارف القرن العشرين - دار المعرفة - الطبعة الثالثة - بيروت ١٩٧١م.

١١٠- يحيى : د. لطفي عبد الوهاب -د. حسني الشيخ - محاضرات في تاريخ الرومان وحضارتهم - دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ١٩٩٤م.